



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تراثنا

نُورٌ وَتَوْجِيهُهُ نَهْجُنَا
تَرْكِيْبُهُ آيَةُ الْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ الْأَعْظَمِ

المجلدات الثالثة والرابع (١١٩ - ١٢٠)
السنة الثالثة / رجب - ذو الحجة ١٤٢٤ هـ

تسوية

مستودع التراث العربي

مستودع التراث العربي هو مشروع ثقافي كبير يهدف إلى جمع، حفظ، وتنظيم التراث العربي القديم والحديث، وذلك من أجل الحفاظ على هوية الأمة العربية وتراثها العريق. يضم هذا المستودع مجموعة واسعة من النصوص الأدبية، التاريخية، والفلسفية، بالإضافة إلى الوثائق الأثرية والخطية النادرة. يعمل هذا المشروع على تسهيل الوصول إلى هذا التراث الثمين للباحثين والطلبة، مما يساهم في إثراء المعرفة العربية وتعزيز الوعي بتاريخها وثقافتها.

يتميز مستودع التراث العربي بالتنوع في محتواه، حيث يغطي مجالات متعددة من العلوم والآداب العربية. من خلال هذا المشروع، يمكن للباحثين استعراض النصوص الأصلية أو النسخ المصححة، مما يتيح لهم إجراء دراسات دقيقة ومعمقة. كما يساهم في نشر التراث العربي بين أجيال الشباب، مما يحافظ على حيوية هذا التراث ويضمن استمراره للأجيال القادمة. يعتبر هذا المشروع خطوة حيوية في مسيرة الحفاظ على التراث العربي وتعزيز مكانته العالمية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة تراثنا

كاتب:

موسسة آل البيت عليهم السلام لآحفاء التراث

نشرت في الطباعة:

موسسة آل البيت عليهم السلام لآحفاء التراث

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريرآ الكميوترية

الفهرس

5	الفهرس
6	تراثنا المجلد 120
6	هوية الكتاب
6	إشارة
7	محتويات العدد
13	المراحل الأربعة في مدرسة التفسير الشيعي (1)
50	تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية (الحوزة العلمية في كربلاء)
232	الذكر المحفوظ قراءة جديدة في تاريخ جمع القرآن وما روي في تحريفه (6)
403	مكتبة السادة آل الخرسان
453	مقدمة التحقيق
510	من أبناء التراث
527	تعريف مركز

هوية الكتاب

المؤلف: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم

الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم

المطبعة: نمونه

الطبعة: 0

الموضوع: مجلة تراثنا

تاريخ النشر: 1435 هـ.ق

الصفحات: 510

ص: 1

اشارة

تراثنا

صاحب

الامتياز

مؤسسة

آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

المدير

المسؤول :

السيد

جواد الشهرستاني

العدد الثالث

والرابع [119 - 120]

السنة

الثلاثون

محتويات العدد

* المراحل الأربعة في مدرسة التفسير الشيعي

..... مرتضى كريمي نيا 7

* تاريخ الحوزات العلمية (الحوزة العلميّة في كربلاء)

..... الشيخ عدنان فرحان 44

* الذكر المحفوظ قراءة جديدة في تاريخ جمع القرآن وما روي في تحريفه (6).

..... السيد علي الشهرستاني 226

* مكتبة السادة آل الخرسان

..... أحمد عليّ مجيد الحلّي النجفيّ 395

* من ذخائر التراث :

* رسالة مختصرة في علم الدراية للسيد محسن الطباطبائي الحكيم قدس سره (ت 1390 هـ)

..... تحقيق : الشيخ حميد البغدادي 443

* من أنباء التراث.

..... هيئة التحرير 502

ص: 2

* المراحل الأربعة في مدرسة التفسير الشيعي

..... مرتضى كريمي نيا 7

* تاريخ الحوزات العلمية (الحوزة العلميّة في كربلاء)

..... الشيخ عدنان فرحان 44

* الذكر المحفوظ قراءة جديدة في تاريخ جمع القرآن وما روي في تحريفه (6).

..... السيّد علي الشهرستاني 226

* مكتبة السادة آل الخرسان

..... أحمد عليّ مجيد الحلّي النجفيّ 395

* من ذخائر التراث :

* رسالة مختصرة في علم الدراية للسيّد محسن الطباطبائي الحكيم قدس سره (ت 1390 هـ)

..... تحقيق : الشيخ حميد البغدادي 443

* من أنباء التراث.

..... هيئة التحرير 502

* صورة الغلاف : نموذج من مخطوطة (رسالة مختصرة في علم الدراية) للسيّد محسن الطباطبائي الحكيم (ت 1390 هـ) والمنشورة في هذا العدد.

ص: 3

المراحل الأربعة في مدرسة التفسير الشيعي (1)

(تمهيد في تاريخ التفسير الشيعي)

مرتضى كريمي نيا

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة :

إنّ الجهد الذي بذلناه في هذه المقالة هو عبارة عن تحقيق في مجال تاريخ التفسير الشيعي ، علماً بأنّ هذا النوع من التحقيق لا يرمي إلى بيان صحّة أو عدم صحّة النظريّات المختلفة في علم التفسير ، وذلك مثله مثل ما يقوم به بقية مؤرّخي سائر العلوم ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإنّنا نرى في بيان تاريخ أيّ علم من العلوم أنّ يد التحقيق لا تستطيع أن تبين للقارئ إلاّ بعض الجوانب المهمّة لذلك العلم عاريةً عن البحث في صحّة أو عدم

ص: 7

صححة نظرياته ، فبناءً على هذا فإن الموضوع الأساسي لهذا البحث بل محور موضوعاته قد دار حول تفكيك الحقب الأساسية الأربعة في تاريخ التفسير الشيعي ، بحيث يمكن أن يكون كل واحد من هذه الحقب بمفسريها - مع ما فيها من ظروف اجتماعية وعقائدية وسياسية - مدرسة متميزة قائمة بذاتها تضم تحت لوائها مجموعة من العلماء والمفسرين ذوي أصول وقواعد مشتركة نسبياً ، حيث إننا نرى مفسري كل مرحلة من تلك المراحل يعملون على نمط واحد تقريباً ، وإنهم يتبعون في باب فهم القرآن وتفسيره مناهجاً وسنناً كليات معهودة لديهم ويعملون وفقاً للأساليب المتبعة في التفسير في عصرهم.

إن معلوماتنا في باب تاريخ تطوّر التفسير الشيعي وبالأخصّ في عهود الحقب الأولى قليلة جداً ، فبالقياس مع المطالعات في سائر مدارس البحوث التفسيرية فإن عدد المؤلفات المرتبطة بالتفسير الشيعي تبدو قليلة جداً ، ويبدو هذا الأمر جلياً في المطالعات والبحوث باللغات الأوربية بشكل أوضح ، حيث إنّه لم يلتفت أيّ محقّق في الغرب إلى هذا الموضوع قبل غلديسيه وكتابه مناهج التفسير ، ومن الطبيعي أيضاً أن غلديسهر قد خطى في هذا الطريق خطواته الأولى وفيها كثير من النقص والاشتباه ، علماً بأنّ البحوث التفسيرية في كتاب المطالعات القرآنية ل- : ونزبرو مع إعداده الفصل الرابع منه كانت منعطفاً في هذا المجال ، فإنّ هذا الكتاب كان يثير بأسئلته الجديدة جدلاً في الوسط العلمي ، كما كان يلفت أنظار الجميع إلى مدى

أهمّية المدوّنة التفسيرية في القرون الأولى ، وبالرغم من كلّ ذلك لا هو ولا المؤمنون به من أتباعه - مثل أندرويين ونورمن كالدر - لم يكن لديهم أيّ توجه إلى مدرسة التفسير الشيعي (1) ، إلاّ أنّ انتقاء نماذج التفسير التي قام بها جان ونزبرو لأوّل مرّة بأسلوب ممنهج والتي رسم معالمها في الفصل الرابع من كتابه المطالعات القرآنية (2) قد جعلنا في خضمّ موضوع التفسير وتاريخ تطوّره في القرون الثلاثة الأولى إلى ما قبل تصنيف تفسير الطبري ، ومن بعد ذلك فقد استقلّ علم التفسير إلى جانب سائر العلوم الإسلامية استقلالاً ذا أصالة تميّزه عن غيره ، فقد صهّنت في تلك الحقبة كتبٌ مثل التبيان للشيخ الطوسي والكشاف للزمخشري ، وقد نشأت في تلك الحقبة آليات ومناهج تفسيرية متنوّعة ومتداخلة ، بحيث انتقى كلّ مفسّر لكتابه ما يروق له ويذهب إليه ذوقه ويحدّده ما لديه من العلم وانتمائه المذهبي والظروف التي يعيشها زمنياً ومكانياً. 6.

ص: 9

1- لا يخفى أنّ نورمن كالدر له باعٌ في معرفة المذهب الشيعي ولكن جميع مؤلفاته جاءت لتبحث في مجال الفقه الشيعي ، ولا يخفى أنّ ونزبرو كان قد تطرّق إلى دراسة بعض الجوانب التفسيرية لعلي بن إبراهيم القمي ولكن بشكل ناقص. انظر : Qur'anic Studies,P.146,245 وإنّ رابرت كليو هو الوحيد من بين تلامذة كالدر الذي تطرّق إلى جانب من تاريخ التفسير الشيعي وهو التفسير الأخباري للحقبة الصفوية ، حيث إنّ هذه الحقبة من تاريخ التفسير الشيعي أساساً لا تمتّ بصلة إلى عهد النشأة الأولى لتفسير الشيعة. انظر : Gleave,PP.216 - 244

2- المطالعات القرآنية : 119 - 246.

لقد طوى التفسير الشيعي (1) تاريخياً مراحل عديدة من مراحل تطوره مثله مثل سائر العلوم الأخرى ، وأن وجود بعض الخصوصيات في التفاسير الشيعية ومؤلفيها صارت سبباً لتمييزها عن نظائرها من التفاسير السنّية والمعتزلية ، إلا أن هذه التفاسير كذلك لم تكن على سبك ونسق واحد عبر القرون المتمادية التي مرّت على تطوّر التفسير الشيعي ، حيث أنّ هناك العديد من العوامل التي ساهمت في إيجاد هذا الاختلاف في المنهجية وحتى في محتوى التفسير على مدى ثلاثة عشر قرن الماضية ، إنّ الجوّ السياسي والاجتماعي لعصر المفسّر ، وانشداد المفسّر ورغبته لنوع من أنواع العلوم ، والعلاقة بين الأستاذ والتلميذ والتي كان لها الأثر الكبير على المفسّر ، وتوفّر المصادر السنّية والمذاهب الأخرى أو عدم توفّرها ، جميعها عوامل ساهمت في رسم معالم الاختلاف فيما بين التفاسير الشيعية ، ولا بدّ لنا من الإشارة هنا إلى موضوعين أساسيين لهما مدخلية في البين أحدهما : معرفة المفسّر للمتن والآخر : المخاطب من قبل ذلك التفسير في كلّ حقبة ، بناءً على هذا لا بدّ من القول أنّ الفارق بين المفسّرين وتفاسيرهم في كلّ حقبة أو مرحلة له صلة مباشرة بما يفهمه المفسّر من المتن ومدى معرفته به ، هذا من جانب ، ومن ا.

ص: 10

1- المراد من التفسير الشيعي في هذه المقالة هو ما يشمل جميع التفاسير المنسوبة إلى الطائفة الإثني عشرية فقط ، وإنّ ما ذكرناه في مواطن متعدّدة من هذه المقالة مثل تفسير فرات الكوفي ذو الطابع الزيدي إنّما هو استثناء ، وبناءً على هذا فإنّنا لم نبحت في سائر التفاسير الشيعية الزيدية والاسماعيلية منها مثل رسائل ابن سينا التفسيرية وغيرها.

جانِبٍ آخِرٍ فَإِنَّهُ يَرْتَبِطُ بِالمَخاطِبِينَ الَّذِينَ كانَ يَخاطِبُهُمُ كُلُّ مفسِّرٍ أوْ مِنْ يَفترِضُهُمُ المفسِّرونَ كَمَخاطِبِينَ لَهُمُ حينَ تَأليفِهِمُ لِهذِهِ التفسيرِ .
فإنَّ كُلَّ واحدٍ مِنْ هذِهِ العِوَامِلِ سِوَاها كانَ تَمَامَ العِلَّةِ أوْ جِزْءاً مِنْها يَمكِنُ أنْ يَكُونَ سَبباً في التباينِ بَينَ مَنهَجِيَّاتِ التفسيرِ الشيعيِّ لِمفسِّري
الشِيعَةِ .

ولابدَّ هُنا مِنْ الإِشارةِ إلى مَسْأَلَةٍ مَهْمَةٍ جَعَلتْنا نَعانِي مِنْ خِلاَفِ هِذا المِجالِ ألا وهي هِذا : إنَّ ما نَعانِيهِ نَحنُ - مؤرِّخو تاريخِ التفسيرِ - هو
البعدُ الزمَنيُّ عَنِ عَصْرِ المفسِّرينَ ، بِحَيْثُ جَعَلنا ذلِكَ عاجِزينَ عَنِ الوِصُولِ إلى جَمِيعِ الأسبابِ الظاهِريَّةِ والباطِنيَّةِ المَحيطةِ بِالمفسِّرِ والتي
أَدَّتْ إلى تَبَلُّورِ مَنهَجِيَّتِهِ وأَسلوبِهِ في التفسيرِ ، فإنَّ كُلَّ ما حَصلَنا عَلَيهِ مِنْ بَعْدِ هذِهِ القِرونِ هي مَجرَّدُ تخميناتٍ مَتَّقٍ عَلَیْها تَقريباً تُؤيِّدُها
شِواهِدٌ مِنْ هُنا وَهَناكَ ، إِذْ يَمكِنُ أنْ تَفاجِئنا في كُلِّ لِحْظَةٍ شِواهِدٌ تَكُونُ دَليلاً عَلَي نَقْضِ جَمِيعِ ما بَيَّناهُ مِنْ خِصائِصٍ تَبَيَّنَ مَنهَجِيَّةُ المفسِّرِ
في تَفسِيرِهِ .

إنَّ التفسيرَ عِندَ الشِيعَةِ كَسائِرِ العِلومِ الأُخْرى لَهُ مِعالِمُهُ وأَسسُهُ المِختَصَّةُ بِهِ ، وإنَّ الظُرُوفَ التي عاشَها مفسِّروا الشِيعَةِ في غُضونِ هذِهِ
القِرونِ المِتممِاديَّةِ لَمْ تَكُنْ ظُرُوفاً عَلَي وَتِيرةٍ واحِدةٍ مِنْ حَيْثُ الزمانِ والمِكانِ والخِصائِصُ ، وبالإِضافةِ إلى التَّأثيرِ العامِّ الحاكِمِ في كُلِّ زمانٍ
فإنَّ توجِّهاتِ كُلِّ مفسِّرٍ وميولِهِ الخاصَّةِ لَعِبَتْ دوراً في رِسامِ مِعالِمِ تَفسِيرِهِ ومِيزَتِهِ عَنِ غَيرِهِ مِنَ التفسيرِ ، فإنَّ ميولَهُ نَحوِ الغَلوِّ أوِ الاعتِدادِ في
حَقِّ الأئمَّةِ عَلَیهِمُ السَّلامِ ، ورأيهِ الأَخباريِّ أوِ الأُصوليِّ

اتّجاه الآيات والروايات ، والالتزام المحض بنقل الروايات حتّى الضعيف منها ، والاعتماد على المباني العقلية والآراء الكلامية والأدبية و... كلّها عوامل تساهم في رسم معالم كلّ تفسير.

وقد حاولت في هذه المقالة أن أتناول تقسيماً كلياً لتاريخ التفسير الشيعيّ لكي أبين من خلاله التحوّل الإجمالي في مجال التفسير ، ليستطيع القارئ أن يرسم صورة لكلّ تفسير من تفاسير الشيعة وأن يرسم صورةً إجمالية للخصائص الكليّة لذلك التفسير والظروف التي أثّرت في تحديد معالمه ليميّز بينه وبين سائر التفاسير الشيعية المعروفة سواء القديمة منها أو المعاصرة.

وبالجملة ومن خلال كلّ ذلك نستطيع أن نقسّم تاريخ تدوين التفسير الشيعيّ إلى أربعة مراحل أساسية ، وذلك لاختلاف خصائص كلّ مرحلة عن المراحل الأخرى ، حتّى يمكننا أن نسمّيها بالمراحل المختلفة (1) ، ويمكن تلخيصها كما يلي :

أ- التفاسير التي دوّنت قبل الشيخ الطوسي وهي من مفسّرين مثل : أبو حمزة الثمالي ، الحبري ، السياري ، فرات الكوفي ، عليّ بن إبراهيم القميّ ، العياشي ، ابن ماهيار ، والنعماني . ط.

ص: 12

1- لقد تجاوزنا في هذا التقسيم مرحلة تبلور التفسير الشيعي في عصر الأئمة عليهم السلام ، فإنّ هذه المرحلة وبالرغم من أهميتها البالغة في رسم معالم أسلوب ومنهجية التفسير الشيعي إلاّ أنّه لم يصل إلينا منها أيّ مؤلّف مخطوط قط.

ب - مدرسة الشيخ الطوسي التفسيرية أو مدرسة آل بويه التفسيرية ، وقد دوّنت فيها تفاسير مثل : التبيان للشيخ الطوسي (385 - 460هـ) ، مجمع البيان للشيخ الطبرسي (ت 548هـ) ، روض الجنان لأبي الفتوح الرازي (من أعلام القرن السادس) ، متشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب (489 - 588هـ) ، فقه القرآن لقطب الدين الراوندي (من أعلام القرن السادس) ، نهج البيان لمحمد بن الحسن الشيباني (ت 640هـ) (1) ، وكنز العرفان في فقه القرآن للفاضل المقداد (ت 826هـ) (2).

ج - تفاسير العصر الصفوي ، أو تفاسير الأخباريين ، وفيها تفاسير مثل : تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة للسيّد شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي النجفي (ت 940هـ) ، البرهان في تفسير القرآن للسيّد هاشم البحراني (ت 1107هـ) ، الصافي والأصفي للمولى محسن فيض الكاشاني (ت 1091هـ) ، نور الثقلين للعروسي الهويزي ، مرآة نور الأنوار ومشكاة الأسرار لأبي الحسن العاملي (المتوفى أواخر العقد 1140هـ) (3) ، كنز الدقائق

ص: 13

1- الأنوار الساطعة : 156.

2- تدلّ بعض العبارات الموجودة في التفسير الفقهي للفاضل المقداد أنّه أيضاً كان متأثراً بشكل مباشر بتفسير التبيان للشيخ الطوسي ولم يكن متأثراً بمجمع البيان للشيخ الطبرسي ، وفي هامش الآية 89 من سورة المائدة جاء الفاضل المقداد بنفس التقسيمات ونقل نفس الأقوال التي نقلها الشيخ الطوسي دون الطبرسي ، وكذلك فإنّ نقله للأقوال من تفسير المغربي قد ذكرت في التبيان فقط ومن بعد التبيان قد ذكرت في فقه القرآن للقطب الراوندي ولم ترد في سائر التفاسير من قبيل مجمع البيان.

3- بناءً على رأي الشيخ آقا بزرك الطهراني (الذريعة 20/264) فإنّ أبا الحسن العاملي

للميرزا محمّد المشهدي (المتوفّى حدود سنة 1125هـ) (1)، الأمان من النيران للميرزا عبدالله أفندي (1066 - 1130هـ)، وتفسير المولى صالح بن آقا محمّد البرغاني القزويني (المتوفّى حدود سنة 1271هـ) تحت عنوان تفسير البرغاني أو مفتاح الجنان في حلّ رموز القرآن، تحقيق عبدالحسين شهيدى صالحى.

د - التفاسير المعاصرة والتي جاءت بأسلوب جديد مثل: آلاء الرحمن للبلاغي، الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي، پرتوي از قرآن للطالقاني، تفسير نمونة أو التفسير الأمثل لمكارم الشيرازي، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة لصادقي الطهراني، ومن وحي القرآن للسيد محمّد حسين فضل الله.

كلّ واحد من هذه المراحل الأربعة لها خصوصياتها الخاصة بها، إلا أنّ.

ص: 14

1- إنّ الميرزا محمّد المشهدي بن محمّد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي المتوفّى حدود عام 1125 هـ- قد اتّخذ في تفسيره طريقاً وسطاً حيث سلك فيه مسلكاً مشابهاً لأسلوب مجمع البيان، وكذلك تفسير منهج الصادقين للمولى فتح الله الكاشاني المتوفّى سنة 998 هـ-، فإنّه أيضاً يعدّ الحلقة الرابطة - تقريباً - بين حقبة الشيخ الطوسي وتقاسير الأخباريين في العهد الصفوي، وبالرغم من أنّه كان من مفسّري العهد الصفويّ إلا أنّه كان كثيراً ما ينتهج أسلوب الطوسي والطبرسي في تفسيره، وكذلك أيضاً كان ينقل أقوال أبناء العامة.

هناك بعض التشابهات الكلية بين المرحلتين الأولى والثالثة وكذلك بين المرحلة الثانية والرابعة ، علماً بأن المراحل الأربعة المشار إليها آنفاً ليس لها حدوداً منطقية محسوبة ، فنرى بعض المفسرين في المرحلة الثانية وذلك في الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري انفردوا في فهم وتفسير القرآن من دون التأثير بالجو العلمي لمدرسة الشيخ الطوسي وذلك مثل سائر المفسرين قبل الشيخ الطوسي ، كما يمكن العثور على موارد مشابهة في المراحل الأخرى أيضاً ، فعلى سبيل المثال فإن كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب ربّ الأرباب للنوري الطبرسي (1254 - 1320هـ) والذي صنّفه في النجف الأشرف في أواخر القرن الثالث عشر الهجري نرى مؤلفه اتّخذ أسلوب الإخباريين في العهد الصفوي منهجاً له في تفسيره ، فلذلك وخلافاً للمفسرين المعاصرين نرى أنّ تفسيره لا يحتوي على تساؤلات تفسيرية جديدة أو تبلور نظرية ما في مصنّفه(1) ، وبالرغم من أنّ محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف ب- : ملاً صدرا (979 - 1050هـ) عاصر الأخباريين فية.

ص: 15

1- الأنموذج الآخر من تفسير أهل البيت عليهم السلام هو ما ألفه السيّد محمّد الحسيني الميلاني في سنة 1394 هـ- في النجف الأشرف والذي طبع في قم سنة 1407 هـ- بواسطة انتشارات تابان ، فبالرغم من أنّ هذا التفسير ألف في عهد متأخر إلا أنّ مؤلفه كان مقبلاً بالأسلوب القديم في التفسير وصبّ جلّ اهتمامه على تفسير الآيات بما يتناسب مع أسلوب تفسير الآيات التي نزلت في شأن أهل البيت عليهم السلام وفي شأن محبيهم والنيل من أعدائهم ، حيث يمكننا أن نعدّ هذا التأليف في أسلوبه امتداداً للإسلوب الأخباري في الحقبة الصفوية.

العهد الصفوي إلا أننا لا نستطيع أن نصنّف تفسيره من ضمن تفاسير الأخباريين في العهد الصفوي ، ولا يمكن أن تنطبق عليه الخصائص التفسيرية لتلك الحقبة ، وذلك لأرائه الفلسفية المتميّزة في تفسير صدر المتألّهين .

خصائص المراحل المختلفة للتفسير الشيعي :

المرحلة الأولى :

لقد ألفت تفاسير هذه المرحلة في جوٍّ من الانغلاق وكأنها قد اعتمدت في أسلوبها المخاطب الشيعي دون غيره ، حيث شكّلت أصل هيكلية هذه التفاسير من روايات أئمة الشيعة عليهم السلام فقط ، وإنّ المفسّرين الشيعة اتخذوا طريقة الانتقاء حيث اعتمدوا تفسير بعض الآيات في تفاسيرهم دون غيرها ، ولم يعتن مفسّروا هذه التفاسير بردود فعل المخالفين أبداً ، فقد رووا بكلّ جرأة روايات تحريف القرآن والروايات التي تشير الى ذمّ الخلفاء والصحابة ، ولم يُبدوا رغبة في الدخول في المباحث الكلامية والعقلية التي شاعت في المجتمع الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري ، ولم يعتنوا بالجانب الأدبي من ذكر اختلاف القراءات ودقائق الإعراب والاشتقاقات والمباحث اللغوية والاستشهاد بالشعر الجاهلي .

من الناحية الزمنية فإنّ مفسّري هذه الحقبة مثل السيارى ، علي بن إبراهيم القمّي ، و فرات الكوفي ، والعيّاشي ، والحبري كانوا من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث ، أي إنّهم عاصروا مرحلة التكامل النهائي للتفسير الروائي عند أهل السنّة ، وعاصروا أعلاماً مثل الطبري وابن أبي حاتم .

ص : 16

إنّ التفاسير المدوّنة والمصنّفة منذ بداية القرن الثالث الهجري هي تفاسير أدبية ولغوية للقرآن مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للكسائي ومعاني القرآن للفراء وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، إلا أنّ أولى التفاسير الروائية الشيعية لم تعتن بالمدونات التفسيرية لأهل السنّة التي كثيراً ما كانت تهتمّ بالجانب الأدبي والنحوي واللغوي (1)، وإنّ الرعيل الأوّل من المفسّرين الشيعة صبّوا جلّ اهتمامهم في قبال أهل السنّة في باب التفسير الروائي وذلك فيما يخصّ موارد الاختلاف بينهم.

إنّ المفسّرين الشيعة كانوا يحرصون كلّ الحرص على جمع التراث التفسيري - الواقعي أو المنتسب - للأئمّة عليهم السلام وذلك في القرون التي اشتدّت فيها المناظرات الكلامية بين الشيعة والسنّة، ولم يقطن مؤلّفوا هذه التفاسير في بلاد أهل السنّة بل كان يقطن أغلبهم في مناطق شيعية مثل قم والكوفة وخراسان.ي.

ص: 17

1- تعدّد تأليفات الشريف الرضيّ في هذا المجال مثل (تلخيص البيان عن معجزات القرآن وتفسير حقائق التأويل) وكذلك (المصابيح في تفسير القرآن) للوزير المغربي من أوائل التفاسير الشيعية التي تناولت المباحث اللغوية والنحوية والأدبية للقرآن، وإنّ هذا الأسلوب هو استمرار لطريقة تفسير الفراء وأبي عبيدة وابن قتيبة والزجاج والنحاس وبعض أدباء المعتزلة مثل ابن جنّي وأبي الحسن الرّماني، وقد سرى هذا الأسلوب إلى التفسير الشيعي وظهر فيه على نطاق واسع منذ زمن الشيخ الطوسي تزامناً مع تأليف تفسير التبيان، وقد قام الشيخ الطبرسي بتنقيح وتثبيت هذا الأسلوب في تفسيره مجمع البيان معتمداً على الشعر الجاهلي وكلام أعراب البادية وأقوال اللغويين والنحاة مثل الخليل وسيبويه والكسائي والأزهري وابن دريد، وإنّ ذكر الوجوه المختلفة للقراءات والوجه الأدبي لكلّ منها هو أحد خصائص هذا الأسلوب الذي يعدّ عملياً من ابتكارات الطريقة التفسيرية للشيخ الطوسي.

ومن ثمّ ابتدأت المرحلة الثانية للتفسير الشيعي تزامناً مع تأليف التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي (385 - 460 هـ) ، وقد صنّف هذا التفسير في جوٍّ من المعترك الفكري لحاضر بغداد العلميّ في القرن الخامس الهجري ، حيث ضمّت هذه المدينة إليها جموعاً من علماء الشيعة ومتكلمي المعتزلة وفقهاء ومفسّري أهل السنّة ، وذلك قبل قرن تقريباً من تأليف هذا التفسير ، وقد ألّف قبل الشيخ الطوسي بفترة قصيرة كلّ من العالمين والأدبيين الشيعيين الشريف الرضيّ (359 - 406 هـ) وأبو القاسم الوزير المغربي (307 - 418 هـ) في بغداد تفسيرين لم ينتحيا فيهما المنحى الروائي بل اعتمدا في تفسيرهما الأسلوبين الكلامي والأدبي ، فإنّ حقائق التأويل للشريف الرضيّ - حيث لم تصل إلينا منه نسخة كاملة - فإنّه يختلف اختلافاً كبيراً مع سائر التفاسير الروائية التي ألّفت قبل عهد الشيخ الطوسي ، وكثيراً ما أهتمّ بالمواضيع الأدبية والكلامية في تفسير القرآن ، وله شبه كبير بكتاب التبيان للشيخ الطوسي من هذه الناحية ، ولكن ولأسباب لم يعدّ هذا التفسير أنموذجاً للمفسّرين فيما بعد في تدوين تفاسيرهم ، فإذا استثنينا المفسّرين الأخباريين في العهد الصفوي فإنّ عامّة المفسّرين الشيعة اتّبعوا في تفاسيرهم طريقة التبيان نموذجاً لهم وذلك إمّا بشكل مباشر أو بواسطة مجمع البيان للطبرسي ، حيث يمكننا هنا الإشارة إلى بعض الأدلّة التي تؤيّد هذا المعنى في هذا المضمّار :

أولاً : إنّ مقام الشيخ الطوسي ومنزلته العملية بين علماء الشيعة سواء

في أيام حياته وما بعدها كانت أقوى بكثير من مقام ومنزلة الشريف الرضيّ علمياً، حيث إنّ الشيخ الطوسي يعدّ أكبر فقيه ومحدّث ورجاليّ شيوعيّ على مدى القرون الوسطى الهجرية، في حين أنّ الشريف الرضيّ كان أكثر ما يعرف بأسلوبه الأدبيّ.

إنّ تطوّر المنهج التفسيريّ الشيعيّ كان بحاجة ماسّة إلى شخصيّة مثل الشيخ الطوسي، حيث احتلّ اسمه على مدى القرون الوسطى الهجرية مقام الصدارة بين الفقهاء والمحدّثين والرجاليّين.

والأمر الآخر هو أنّ الشريف الرضيّ لم يعتمد في تفسيره قط المواضيع التفسيرية الشيعية المؤلّفة قبل عهد الشيخ الطوسي، في حين نراه كثيراً ما كان يعتمد على الآراء الأدبية والأقوال الكلامية للمعتزلة آنذاك، وبعبارة أخرى فإنّه على العكس من الشيخ الطوسي إذ لم ينتهج الاعتدال والوسطية في تفسيره بل أوجد تغييراً جذريّاً في التفسير الشيعيّ.

بغضّ النظر عن تفسير الشريف الرضيّ فإنّ هناك تفسيراً آخر لأبي القاسم الحسين بن عليّ المعروف بالوزير المغربي تحت عنوان المصابيح في تفسير القرآن، وعلى الرغم من أنّه ألف قبل عهد الشيخ الطوسي وأنّ الشيخ الطوسي كان قد اعتمده في تفسيره التبيان إلاّ أنّه لم يكن أنموذجاً للمفسّرين فيما بعد وذلك لكثرة توجّه الوزير المغربي إلى الجانب اللغوي والأدبي في تفسيره (1). م.

ص: 19

1- أقوم حالياً بتصحيح وتحقيق هذا التفسير الشيعي القيم.

لقد ألف الشيخ الطوسي أول تفسير كامل للقرآن من بين علماء الشيعة ، وقد قلل في تفسيره من حجم الروايات المنقولة عن أئمة الشيعة عليهم السلام إلى حدّ ملفت للنظر ، وخاصة الروايات الدالة على تحريف القرآن أو مذمة الخلفاء فقد حذفها بأسرها من تفسيره ، وإضافة إلى ذلك فإنه كثيراً ما نقل من تفسير الطبري روايات الصحابة والتابعين ، كما زخر تفسيره بالآراء الكلامية للمعتزلة (1) وتطرّق إلى ردّها أو تأييدها ، وقد ضمّ كتابه كمّاً هائلاً من المباحث الأدبية كالإعراب والاشتقاق واللغة والقراءات والشعر الجاهلي (2) ، فيمكننا أن نقول : إنّ هذه المنهجية هي عبارة عن فكرة جامعة في تفسير القرآن اشتملت 1.

ص: 20

1- إنّ الشيخ الطوسي كثيراً ما كان يهتمّ بآراء المعتزلة من أمثال الرّماني وأبي مسلم الأصفهاني وإلى حدّ ما أبي علي الجبائي ، وذلك لما كان يراه لديهم من سعة النطاق الفكري وحرية الرأي والنقد ، وإن كان في بعض الأحيان ينتقد آراءهم تارةً أو يردها رداً كلياً تارةً أخرى ، وأمّا آراء المعتزلة فإنّها كانت دائماً محلّ نقد وردّ الشيخ الطوسي ، ومن نماذج انتقاداته وردوده على المعتزلة هو نقده وردّه للشيخ أبي القاسم البلخي الفقيه والمتكلم المعتزلي (انظر بعض هذا النقد في التبيان 1/12 - 13 ، 3/296 و 409) في حين نرى البعض الآخر مثل القاضي عبد الجبار وبالرغم من أهميته الفائقة وكلامه القيم إلاّ أنّه يُترك ولا يُعتنى به (وللمزيد انظر مقالة كريمي نيا تحت عنوان منابع كلامي شيخ طوسي در تفسير تبيان 520 - 525) والجدير بالذكر أنّ القاضي عبد الجبار الهمداني كان من أساتذة الشريف الرضي وإنّ الشريف الرضي كان كثيراً ما يطري عليه في تفسير حقائق التأويل وكذلك في المجازات النبوية وتلخيص البيان عن مجازات القرآن فإنّه رحمه الله كثيراً ما ينقل منه وغالباً ما كان يقبل آراءه (على سبيل المثال انظر حقائق التأويل : 30 ، 87 ، 253 ، 231).

2- كريمي نيا ، التبيان في تفسير القرآن : 467 - 471.

على : نقل الروايات ، أسباب النزول ، المواضيع الأدبية ، والأبحاث الكلامية ، و... (1) ، وقد استمرت هذه المنهجية تقريباً في جميع التفاسير التي اتخذته إنموذجاً لها ، ولم يحصل بها إلا بعض التغييرات ، وعلى سبيل المثال فإنّ أبا الفتوح الرازي والطبرسي قد اتبعا أسلوب التبيان إلا أنّهما كثيراً ما استفادا من الروايات السنّية في تفسيرهما ، فقد جاء أبو الفتوح بعدد ملفت للنظر من القصص والروايات السنّية التي أخذها من مصادر جديدة مثل الكشف والبيان للثعلبي ، ونرى أنّ الطبرسي قد أضاف في تفسيره بعض من روايات أئمّة الشيعة عليهم السلام ، كما يؤبّ المباحث الأدبية المشتملة على الصرف ، الاشتقاق ، الإعراب ، القراءات وأمثالها تبويهاً منظماً وموضوعياً ، وتارة ينقل بعض المواضيع من بعض المعتزلة ممّن غصّ عنهم الطوسي طرفه عمداً ، فعلى سبيل المثال انظر مجمع البيان 2 / 840 و 3 / 104 و 6 / 476 و 10 / 603 (2).

إنّ المرحلة الثانية في تدوين التفسير الشيعي هي من أهمّ مراحل تاريخ 5.

ص: 21

-
- 1- إنّ هذا المنهج في تفسير القرآن هو ما أعرض عنه المفسّرون في المرحلة الثالثة أي في الحقبة الصفوية حيث إنّ مفسّري هذه المرحلة كانوا لا يحبّذون هذه الطريقة من التفسير وهي مذمومة عندهم.
 - 2- لقد لاحظ أكثر مخالفي الشيعة أيضاً هذا الاختلاف بين منهجية التفاسير التي اتخذت أسلوب الشيخ الطوسي منهجاً لها وبين تفاسير الحقبة الصفوية ، فعلى سبيل المثال فإنّ محمّد حسين الذهبي كان يرى مجمع البيان للطبرسي أنّه تفسير معتدلٌ من بين التفاسير الشيعية الإثني عشرية كما كان يرى تفسير الصافي للملّا محسن الكاشاني نموذجاً متطرّفاً من بين التفاسير الشيعية الإثني عشرية. انظر التفسير والمفسّرون 2/44 - 45.

التفسير الشيعي ، حيث تبدوا معالمها واضحةً اليوم في التفاسير الشيعية المعاصرة وإن تضاعل أمرها في العهد الصفوي.

ويمكننا أن نعدّ تفسير المواهب العلية - لملأً حسين واعظ كاشفي المتوفى سنة 910هـ - نهاية لهذه المرحلة.

أمّا بعد ذلك فإننا نرى أيضاً في العهد الصفوي بين الفينة والأخرى ظهرت بعض آثار تلك المرحلة على بعض التفاسير وذلك في تفسيري منهج الصادقين وخلاصة منهج الصادقين وهما للمولى فتح الله الكاشاني (ت سنة 998هـ) وليس من الجراف إذا قلنا إنّ الشهيد الثاني (911 - 965هـ) كان أكثر ميولاً إلى المدرسة التفسيرية للشيخ الطوسي منه إلى المدرسة التفسيرية الروائية في العهد الصفوي ، هذا وإنّ الشهيد الثاني هو الشيخ زين الدين بن نور الدين علي بن أحمد ولد في جبل عامل وتلمذ على يد كبار الفقهاء والمحدثين من المذهب الحنبلي والمالكي والشافعي والحنفي ويُعدّ من كبار فقهاء الشيعة البارزين بالرغم من أنّه لم يترك في مجال التفسير سوى بعض الرسائل التفسيرية المختصرة ولكن ومن خلال هذه الرسائل المختصرة وبقية آثاره الفقهية نفهم من أسلوبه أنّه كان أقرب إلى مفسري مدرسة الشيخ الطوسي (1) ، علماً بأنّ الشهيد الثاني كان قد تعلّم مختلف القراءات القرآنية عند أئمّة القراءات المعروفين في زمانه في دمشق والقاهرة وحظّر درس التفسير عند أبرز أساتذة أهل السنّة في زمانه مثل : أبو الحسن البكري وناصر 2.

ص: 22

1- انظر رسائل الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي : 695 - 722.

إنّ المرحلة الثالثة في تاريخ التفسير الشيعي ابتدأت تزامناً مع الدولة الصفوية وقد استمرّت إلى حدود قرنين من بعد أفولها.

لقد ازداد في هذه المرحلة توجّه العلماء الشيعة إلى نقل روايات الأئمة عليهم السلام وذلك للحرية النسبية التي عاشها علماؤنا في إيران والبحرين وغيرهما من البلاد، فقد سعى الكثير من علماء ومفسّري الشيعة في هذه المرحلة إلى جمع كلّ ما نقل عن الأئمة عليهم السلام من الروايات التفسيرية وبذلك عاد إلى التفسير الشيعي عدد هائل من الروايات التفسيرية المحذوفة في حقبة الشيخ الطوسي (2). (2)

ص: 23

1- يتبيّن من مقدّمة السيّد محمّد كلانتر على الروضة البهية (1/178 - 179) أنّ الشهيد الثاني من النماذج الملفتة للنظر إبان الدورة الصفوية، حيث يمكننا أن نعتبره مانزلاً بين مفسّري الشيعة ممّن كان يعيش في بيئة سنّية وبين من كان يعيش منهم في إيران الصفوية آنذاك ممّن كان يهتمّ فقط بجمع الروايات الشيعية ويعتبر روايات أهل البيت هي مفتاح الحلّ في عالم التفسير، وذلك لأنّه رحمه الله كان يحضر حلقات الدروس لدى العلماء السنّة، وكان كثيراً ما يهتمّ بالأموال العلمية لهؤلاء العلماء، مثل: اللغة، الاشتقاق، الاعراب وحتى وجوه القراءات في التفسير، وكان يتبع أسلوب الطوسي والطبرسي في تفسير القرآن وهو ما كان يتحرّز عنه جميع المحدّثين والمفسّرين في العهد الصفوي.

2- إنّ كلام عبد علي بن جمعة العروسي الهويزي في مقدّمة تفسير نور الثقلين (1/2)

إنّ المجاميع الروائية في مجال التفسير مثل بحار الأنوار، تفسير الصافي، تفسير الأصفى، البرهان في تفسير القرآن، نور الثقلين وأمثالها لم تأخذ مباشرة من التبيان للشيخ الطوسي بالرغم من أنّ أصحابها كانوا يعرفون هذا الكتاب جيّداً وحتى أنّهم أخذوا الروايات من سائر مؤلّفات الشيخ الطوسي ولم يأخذوا من التبيان شيئاً، ولكن عوضاً عن ذلك كانوا يدأبون في نقل الروايات عن مجمع البيان للطبرسي (1)، وإنّ ما يلفت النظر هو أنّ بعض لى

ص: 24

1- إنّ من بين هذه المجموعات الروائية المملّقة للنظر هي ما نقله الشيخ الطوسي من تفسير الطبري من غير أن يذكر المصدر، فإنّ بعض هذه الروايات منسوبة لأئمّة الشيعة عليهم السلام وقد ذكرت فقط في مصادر سنّية مثل الطبري وذلك بسلسلة سند غير شيعي، وقد نقلت لأول مرة إلى التفسير الشيعي على يد الشيخ الطوسي ومن ثمّ إلى مجمع البيان، وقد تناولتها بعد ذلك يد المفسّرين الشيعة في تفاسيرهم حيث عدّوها روايات شيعية، أمّا المفسّرون الأخباريون في الحقبة الصفوية فإنّهم لا يرجعون إلى

الروايات المنقولة من مصادر سنّية جاءت في عداد الروايات الشيعية في هذه المجامع التفسيرية وهي روايات نقلت لأول مرة عن طريق الشيخ الطوسي إلى التفسير الشيعي ومن ثمّ إلى مجمع البيان للطبرسي.

ويبدو بوضوح أنّ هذه المرحلة خضعت للهيمنة الصفوية وتأثرت بشيوع المذهب الأخباري آنذاك.

لقد كان جيل اهتمام المفسرين الأخباريين الشيعة في تفسير القرآن الكريم هو الآيات التي نزلت في شأن أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم وفي ذم أعدائهم ، وإنّ أهمّ ما استند إليه هؤلاء المفسرون هو الروايات الواردة عن الأئمة عليهم السلام والتي يستشف منها أنّ ثلث القرآن أو نصفه نزل في شأن أهل البيت عليهم السلام ، وقد ذكر الفيض الكاشاني (1007 - 1091هـ) نماذج من هذه الروايات في بداية تفسيره الصافي(1) ثمّ شرع في شرح غوامضها وكشف أسرارها(2) ، وهناك مفسر آخر في نفس هذه الحقبة وهو السيّد شرف الدين ،

ص: 25

1- الصافي 1 / 24.

2- في الكافي وتفسير العياشي بإسنادهما عن أبي جعفر عليه السلام قال : (نزل القرآن على أربعة أرباع ، ربع فينا ، وربع في عدوّنا ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام) ، وزاد العياشي : (ولنا كرائم القرآن) ، وإسنادهما عن الأصبغ بن نباتة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : (نزل القرآن أثلاثاً : ثلث فينا وفي عدوّنا ، وثلث سنن وأمثال ،

علي الحسيني الأسترآبادي الغروي (ت 940هـ) أشار كذلك إلى هذا الأمر في بادىء كتابه المعنون ب- : تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة قاتلاً : «بما أتت رأيت أن بعض التفاسير والتأويلات القرآنية المحتوية على مدح أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم وذم أعدائهم متفرقة في كثير من الكتب التفسيرية والروائية وبعيدة عن تناول طالبها لذلك بذلت جهدي في لمّ شتاتها وجمعها في مكان واحد يسهل على طالبها الوصول إليها» (1).

فمن الطبيعي من وجهة نظر المفسرين الأخباريين الشيعة في الحقبة الصفوية أنه لا الطريقة التفسيرية الشيعية السائدة حتى زمانهم والمعروفة بحقبة الشيخ الطوسي ولا الطريقة التفسيرية لأهل السنة يمكن لهما أن يكونا أنموذجاً تفسيرياً صحيحاً على ما يرونه من طريقتهم ، فإنّ مثل هذا الرأي في تفسير القرآن ليس له نظير إلا في القرون الإسلامية الأولى وذلك عند بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام ، أو في الحقبة التفسيرية الأولى أي ما قبل حقبة الشيخ الطوسي ، ففي زمن الأئمة عليهم السلام أو بعدهم نرى بعض التأليفات التفسيرية التي قصد مؤلفوها جمع وتفسير الآيات القرآنية التي نزلت في شأن أهل البيت عليهم السلام (2) فقط لا غير. هـ)

ص: 26

1- تأويل الآيات : 21.

2- إن بعض هذه المؤلفات لم تصل إلينا وهي عبارة عن : تأويل ما نزل في النبيّ (صلى الله عليه وآله)

إنَّ أحدَ المباني والثوابت الأساسية للأخباريين هي أنَّ المخاطب الأصلي والأساسي للقرآن هم أهل البيت عليهم السلام ، وهم فقط الرهط الذين يدركون معنى الآية وما المراد منها ، فمن هذا المنطلق كثيراً ما استند هؤلاء على الرواية الشيعية المعروفة «إنَّما يعرف القرآن من خوطب به» ، وبناءً على الاستدلال الأخباري بهذه الرواية فإنَّه لا أحد يستطيع أن يفسر القرآن غير الأئمة عليهم السلام ، فمن هذا المنطلق فإنَّ مبناهم الأصلي في تفسير القرآن هو عرض التفسير الصحيح الذي يعتمد على روايات أهل البيت عليهم السلام (1).

إنَّ من بين أهمِّ الأمور التي كانت تقلق المفسرين في تلك الحقبة هو شعورهم بأنَّه بالرغم من وجود العدد الهائل من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في مجال تفسير الآيات القرآنية إلا أنَّ تفاسير أهل السنة كانت بعيدة كلَّ البعد عن مثل تلك الروايات ، ومما يزيد في الطين بلَّة إنَّ التفاسير الشيعية المعروفة في ذلك الزمان - التبيان ، روض الجنان ، مجمع البيان و... - أخذت تنحى منحى نحو اتِّخاذ الأسلوب السنِّي في التفسير حتَّى أنَّها كانت تخلو من روايات الأئمة عليهم السلام وتعتمد على أقوال الصحابة والتابعين وآراء».

ص: 27

1- إنَّ كلام الفيض الكاشاني في مقدِّمة تفسير الأصفى (1 - 2) صريحٌ جدًّا في هذا الشأن : «وإنَّما معوِّلي فيه على كلام الإمام المعصوم من آل الرسول ، إلا فيما يشرح اللغة والمفهوم وما إلى التفسير يؤول فعلى من نعول ، إلا عليهم؟ وإلى من نصير إلا إليهم؟ لا والله لا نتبع إلا أخبارهم ولا نقتفي إلا آثارهم».

إنّ كلام الفيض الكاشاني في مقدّمة تفسيره الصافي(1) لهو خير دليل على وجود الخلأ وشعور العلماء آنذاك بالحاجة الماسّة لمثل هذا الأسلوب من التفسير حيث قال : «وبالجمله لم نر إلى الآن مع كثرتهم وكثرة تفاسيرهم من أتى بتصنيف تفسير مهذب صاف واف كاف شاف يشفي العليل ويروي الغليل ، يكون منزهاً عن آراء العوام مستنبطاً من أحاديث أهل البيت عليهم السلام» ، كذلك انتقد الفيض الكاشاني صراحة المفسّرين السلف وذلك لاعتمادهم على تفسير الصحابة والتابعين مثل أبي هريرة ، أنس بن مالك ، ابن عمر وحتيّ الصحابة من أمثال ابن مسعود وابن عباس ، وكان يعتقد أنّ التفسير الصحيح هو محض التفسير المستند إلى روايات أهل البيت عليهم السلام(2) ، وبهذا نراه قد أطلق اسم الصافي على أحد تفاسيره وذلك بمعنى «المنزّه من شوائب آراء أهل السنّة» على حدّ قوله (الصافي 1/14).

فعلى هذا فإنّ الطريقة المتّبعة للتفاسير في تلك الحقبة هي مراجعة أقدم المتون الروائية والتفسيرية الشيعية وجمع روايات الأئمّة عليهم السلام والواردة في 10

ص: 28

1- الصافي 1 / 11.

2- «فعمدوا إلى طائفة يزعمون أنّهم من العلماء ، فكانوا يفسّرونه لهم بالأراء ويروون تفسيره عمّن يحسبونه من كبرائهم مثل : أبي هريرة وأنس وابن عمر ونظرائهم ، وكانوا يعدّون أمير المؤمنين عليه السلام من جملتهم ويجعلونه كواحد من الناس ، وكان خير من يستندون إليه بعده ابن مسعود وابن عباس ممّن ليس على قوله كثير تعويل ولا- له إلى لباب الحقّ سبيل ، وكان هؤلاء الكبراء ربّما يتقولونه من تلقاء أنفسهم غير خائفين من مآله وربّما يسندونه إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله)». التفسير الصافي 1/10

تفسير الآيات على ترتيب المصحف ، حتّى أنّ بعض هذه التفاسير عمدت إلى جمع واستقصاء جميع الروايات من دون الالتفات إلى ضعف سندها أو محتواها وذلك مثل العروسي الهويزي في أول تفسير نور الثقلين(1) وأنّ البعض الآخر مثل الفيض الكاشاني فقد صحّح كلّ ما دوّنه في تفاسيره (الأصفي : 2 ، الصافي 1 / 11 - 14).

إنّ الميرزا حسين النوري الطبرسي (1254 - 1320هـ) الذي يعدّ من أكبر محدّثي الحقبة المتأخّرة يعتبر من أبرز الشخصيات تطرّفاً في تدوين الأخبار الواردة في تحريف القرآن ، فإنّه كان يسعى في إثبات تحريف القرآن الكريم في كتابه فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب (النجف 1292هـ) من خلال جمعه للأخبار والشواهد والأدلة الواردة في إثبات تحريف القرآن خصوصاً القديمة منها والتي تناولتها المصادر الشيعية القديمة ، فإنّ أسلوب كلامه وأدلّته تبيّن على ما يبدو أنّه كان يخاطب الشيعة فقط ولم يقصد غيرهم قطّ.

المرحلة الرابعة :

يمكننا أن نطلق على هذه الحقبة التفسيرية اسم تفاسير القرن العشرين 2.

ص: 29

1- «وأما ما نقلت ممّا ظاهره يخالف لإجماع الطائفة المحقّقة فلم أقصد به بيان اعتقاد ولا عمل ، وإنّما أوردته ليعلم الناظر المطّلع كيف نقل وعمّن نقل ، ليطلب له من التوجيه ما يخرج من ذلك ، مع أنّي لم أُخلِ موضعاً من تلك المواضع عن نقل ما يضافه ، ويكون عليه المعوّل في الكشف والإبداء». نور الثقلين 1 / 2.

إنّ انفتاح الشيعة على العالم الجديد من جهة، والتقارب الذي حصل مع أبناء السنّة من جهة أخرى، مضافاً إلى العهد الجديد في المسائل الحقوقية والعلمية والاجتماعية والسياسية كلّ ذلك أجبر المفسّرين المعاصرين إلى تغيير أسلوبهم في التفسير، فكلمّا طوى المفسّرون شوطاً وابتعدوا عمّا سلف من قبلهم من مراحل التفسير وواجهوا أسئلة جديدةً واستخدموا آليات متنوّعة فإنّ مدوّناتهم التفسيرية أصبحت تختلف اختلافاً كبيراً عمّا دوّن قبل القرن الرابع عشر الهجري⁽¹⁾، إلا أنّ هناك عنصرين أساسيين بقيا جزءاً من الموروث م.

ص: 30

1- وبالرغم من أنّ بعض المفسّرين المتأخّرين قد أدركوا العصر الجديد إلا أنّ ذهنيّتهم العلمية والفكرية لا زالت مرتبطة بالماضي، فمثلاً إنّ السيّد محمّد الحسيني الشيرازي في العراق ألّف تفسيراً مزجياً بسيطاً وسلساً تحت عنوان تقريب القرآن إلى الأذهان في خمس أجزاء (سنة 1389 هـ) من دون ذكر أيّ من المسائل اللغوية، أو النحوية أو سبب النزول أو القراءات أو الكلامية، ولم يذكر حتّى نصّ الروايات، فعند المقارنة بينه وبين تفسير من وحي القرآن للسيّد محمّد حسين فضل الله والتفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي نرى هذه الأخيرة تتناول الكثير من المواضيع والتساؤلات التي يتعرّض لها المفسّر في الزمن المعاصر، وإنّ تفسير كيوان القزويني (1277 - 1357 هـ) هو نموذج آخر من تأليفات الزمن المعاصر ولكنّه بعيد كلّ البعد عن مسائل عصره وعن الجوّ العلمي السائد في الحوزات العلمية الشيعية، فإنّه قد فسّر القرآن بالأسلوب الكلامي والفلسفي العرفاني، وقد اعتمد في موضع الاستدلال على المدلول اللفظي للآيات فقط ولم يستند على أيّ حديث أو رواية عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) والأئمّة عليهم السلام وطبع هذا التفسير في سنّي 1343 - 1347 هـ- في خمسة أجزاء وقد أعيدت طباعته حديثاً بتصحيح وتنقيح جعفر پژوم.

من المراحل التفسيرية السابقة وأصبحت من الثوابت في التفاسير المعاصرة :

الأول : اتّباع الطريقة الكلاسيكية للتفسير التي بدت معالمها واضحة في تفاسير مثل التبيان ومجمع البيان ، أي الاهتمام بالعلوم اللغوية والنحوية والكلامية والفقهية وأمثالها.

والثاني : الاستفادة من هيكلية التفسير الروائي ، وإن كان الاستفادة من الروايات لم يبلغ من الكثرة إلى حدّ ما بلغت إليه التفاسير الأخبارية في الحقبة الصفوية ، حيث سلكت في ذلك طريق الاعتدال مثلها مثل تفسير مجمع البيان.

فعلى هذا يمكننا أن نقول : إنّ الهيكلية الأساسية لتفاسير القرن العشرين الجديدة عادت مرّة أخرى لتسلك طريقة الشيخ الطوسي في التفسير ، حتّى أنّنا اليوم لا نجد أحداً من المفسّرين المعاصرين من يهتمّ بجمع الروايات التفسيرية دون التعرّض لها بالنقد والتحليل(1).

إنّ آليات المفسّرين والأسئلة التي يتلقّاها المفسّرون في الزمن المعاصر متعدّدة ومتكيّفة بكيفيّات مختلفة متناسبة مع الظرف الزماني والمكاني للمفسّر.ة.

ص: 31

1- سوى بعض التفاسير مثل تفسير أهل البيت عليه السلام للسيد محمّد الحسيني الميلاني وبعض المفسّرين المعاصرين ممّن جاؤوا بأعمال مشابهة وذلك فقط بسبب رغبتهم في البحث والتقصّي وجمع الروايات التفسيرية الشيعية وغيرها ، حيث يمكننا القول بأنّ هذا النوع من المؤلّفات لم تؤلّف للصعيد العام وإنّما جاء معظمها للاستفادة الخاصّة في المكتبات أو للفهرسة ، وذلك مثل ما قدّمه المرحوم آية الله الشيخ هادي معرفت في التفسير الأثري الجامع الذي جمع فيه الروايات التفسيرية الشيعية والسنيّة.

لقد فقدت في هذه الحقبة بعض الأمور أهميتها بشكل كلي تقريباً وذلك مثل التوجه إلى اختلاف القراءات سوى ما ورد منها في بعض الاستنباطات الفقهية.

إن مفسراً كآية الله السيد أبي القاسم الخوئي رحمه الله في تأليفه لكتاب البيان في تفسير القرآن (النجف 1375 هـ) كان كثيراً ما يهتم في ردّ جميع أدلة الميرزا حسين النوري في كتابه فصل الخطاب حيث يبدو ذلك جلياً في مقدمة أبحاثه.

في حين أننا نرى أن آية الله السيد محمود الطالقاني رحمه الله كثيراً ما كان يهتم بالمسائل الاجتماعية في تفسيره للآيات.

إن التوجه العلمي في تفسير الآيات والاهتمام بالمسائل الاجتماعية أخذت تزداد في كثير من تفاسير القرن الرابع عشر الهجري ، وإن هذا التوجه يُعدّ من مميزات هذا العصر في عالم التفسير.

أمّا المفسّرون ذوو المذاق الفلسفي مثل السيد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله والشيخ عبدالله جوادي الآملي فإنهما كثيراً ما تطرّقا إلى الجوانب الفلسفية والعرفانية في تفسيرهما للآيات القرآنية(1).

أمّا المفسّرون من نمط من تأثر بالعلوم الحديثة مثل مهدي بازرگانة.

ص: 32

1- إن الخوض في بحوث مثل حقوق المرأة في الإسلام ، حدود الحرّيات في الدين والعقيدة ، وإبطال مقولة التعددية في وجهات النظر في الفكر الديني نراها واضحة في بعض التفاسير مثل الميزان وتسليم وهو دليل واضح على تلقّي مفسري العصر الجديد لأسئلة جديدة ومتنوعة وذلك منذ القرون الماضية.

ويدالله سبحانه وعبد العلي بازرگان... فقد حاولوا المزج بين القرآن والعلوم الحديثة في تفسير الآيات القرآنية(1).

أمّا منهجية السيّد الخوئي رحمه الله ذات المذاق الفقهي والتي نراها واضحة في تفسيره لسورة الفاتحة فإنّها تختلف كلياً عمّا ألف حتّى في الحقبة المعاصرة.

كما أنّ التوجّه العرفاني للإمام الخميني رحمه الله في تفسيره لسورة الفاتحة نراه قد رسم أبعاداً أخرى مختلفة عن تفسير القرن العشرين.

إنّ تنوّع الأساليب للمفسّرين الشيعة في القرن الأخير، والاختلاف الزماني والمكاني، والأسئلة التي يتلقونها، واختلافهم في ميزان اهتمامهم بالتفاسير الشيعية والسنيّة المتقدّمة، واستخدامهم لمختلف العلوم في التفسير، يمكنها أن تكون أصولاً مشتركة لرسم معالم التفسير الشيعي في الحقبة المعاصرة، حيث تلخّصت بشكل عام في الأسلوب التفسيري للميزان من خلال الاهتمام بنفس القرآن في الدرجة الأولى لفهم وتفسير آياته وهو تفسير القرآن بالقرآن، والاهتمام بالتفسير الموضوعي للقرآن، وتناول الروايات المنسوبة لأنّمة الشيعة عليهم السلام بالنقد والتحليل، وردّ الكثير من الروايات التفسيرية الشيعية لتناقضها مع صريح القرآن أو العقل، والاجتناب عن الأساطير والخرافات الواردة في بعض الروايات السنيّة والشيعية، ونبذ الروايات 2.

ص: 33

1- لقد اهتمّ آية الله مكارم الشيرازي ولجنة تأليف تفسير الأمل بهذا الموضوع اهتماماً خاصّاً وقد عدّوا الاستعانة بالنظريات العلمية في تفسير القرآن واحدة من الوسائل التوضيحية لشرح الآية أو ردّ الشبهة عنها، وللإطلاع على أحد هذه النماذج راجع تفسير نمونه (الأمثل) 10/110 - 112.

المشهوره بالإسرائيليات ، والاستفادة من الآيات القرآنية للجواب على الأسئلة المعاصرة الحاصلة نتيجة للتطور العلمي البشري في مختلف المجالات العلمية الحديثة ، والاهتمام بالجوانب الاجتماعية والسياسية للقرآن ، إلى جانب التطرق إلى أهمّ الأسئلة الجديدة التي يواجهها المسلمون في الزمن المعاصر ، والبحث عن طرق الاستفادة من العقل البشري ، إلى جانب الاهتمام بما نقله السلف من التفسير ، وظهور بعض الشخصيات غير الحوزوية من شتى المجالات العلمية الحديثة في عالم التفسير(1) ، والاحتراز عن نقل جميع أقوال السلف وتراثهم التفسيري ، والاهتمام بجميع العلوم مثل العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

إنّ توجه المفسرين الشيعة إلى المنهج الإصلاحي عند الشيخ محمد عبده وأتباعه كان له التأثير الكبير على الشيخ عبده نفسه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان سبباً في إثارة الانتقادات على الشيخ وتفسيره ، وأكثر انتقادات المفسرين الشيعة كانت على بعض مواضع تفسير المنار حيث جاء بكلام واه وغير صحيح تناول فيه اعتقادات الشيعة(2).ى.

ص: 34

1- إنّ هذا الأمر لم يكن مختصاً ببلد دون آخر بل عمّ جميع الدول الإسلامية فنرى ظاهرة تناول البحوث القرآنية والتفسير القرآني في القرن الأخير لم تكن منحصرة في إطار الحوزات العلمية الدينية الشيعية والسنيّة بل توجه في العقود الأخيرة إلى تفسير القرآن علماء اللغة والأطباء والمهندسون وحتىّ السياسيون وعلماء الاجتماع بأساليب مختلفة.

2- الميزان 8 / 127 ، 9 / 172 ، 10 / 139 ، نمونه 1 / 512 ، 2 / 249 و 279 ، تسنيم 8 / 102 ، 15 / 100 - 103 و 16 / 190 كما نراها في أماكن أخرى.

إنّ المفسّرين في الحقبة الصفوية لم تكن لديهم تلك الرغبة التي تحثّهم على مراجعة تفاسير أهل السنّة ، وعلى العموم فإنّهم كانوا يخالفون نقل آراء وأقوال الصحابة والتابعين ، ونادراً ما كانوا ينقلون عنهم بعض الروايات الواردة في خصوص فضائل أهل البيت عليهم السلام دون غيرها.

أمّا في الحقبة المعاصرة فإنّ الإسرائيليّات هي أكثر الروايات نقضاً في تفاسير هذه الحقبة ، ولم تكن لدى المفسّرين المعاصرين أي حساسية اتجاه تفاسير أهل السنّة سواء الروائية منها أو غير الروائية ، وقد تعرّض للنقد من قبل مفسّري الشيعة المعاصرين كلّ من الطبري وابن كثير وذلك لنقلهم الإسرائيليّات ، ولا يخفى أنّ هذا الأمر قد شاع في الحقبة المعاصرة بين مفسّري أهل السنّة أيضاً وذلك من عهد محمّد عبده وحتى يومنا هذا (1).

ومن الخصائص المشتركة في أغلب تفاسير الشيعة والسنّة في الحقبة المعاصرة من القرن الأخير هو أنّ هؤلاء المفسّرين كانوا يرجعون إلى النصّ العربي لكتاب العهدين أو الرجوع مباشرة إلى الكتاب المقدّس الموجود عند المسيحيّين واليهود وينقلون منه ما يحتاجون إليه في تأييد أمر في القرآن أو للنقد والرّد على اليهود والنصارى من باب الزموم بما ألزموا به أنفسهم ، فإنّه لا يوجد مفسّر شيعيّ تقريباً قبل الحقبة المعاصرة قام بمراجعة الكتاب ت.

ص: 35

1- إنّ ما يلفت النظر هو ما أورده محمّد حسين الذهبي على تفسير مجمع البيان لنقله بعض الإسرائيليّات (التفسير والمفسّرون 2/139) لكنّه غصّ النظر عن الكثير من التفاسير النقلية السنّية القديمة مثل الطبري وابن أبي حاتم الرازي المليئة بمثل هذه الروايات.

المقدّس بنفسه مباشرة ونقل منه أقوالاً (1)، ونادراً جداً ما جاءت بعض الأقوال المنقولة من العهدين في تفاسير أهل السنّة مثل ابن كثير في تفسيره (2)، وفخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب (3)، والقرطبي في تفسيره (4)، ولكن هذه الموارد القليلة لم تجعل بأيّ شكل من الأشكال الرجوع إلى الكتاب المقدّس من خصوصيّات التفسير المتعارف عليه قديماً عند أبناء السنّة، أمّا في العصر الحديث فقد استعمل هذا الأسلوب في تأليفات مفسّري الشيعة مثل الميزان، آلاء الرحمن، الفرقان، نمونه، نوين والكاشف كما عند معاصري المفسّرين من أبناء السنّة مثل ابن عاشور في التحرير والتنوير، عبدالكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن، أحمد بن مصطفى المراغي في تفسير المراغي، محمّد جمال الدين القاسمي في محاسن التأويل، ومحمّد عزّة دروزه في التفسير الحديث، فقد انتهجوا جميعاً هذا الأسلوب في تفاسيرهم ولم يعتبروا ذلك معيياً. 7.

ص: 36

1- لقد جاء مورد واحد فقط في التبيان (4/70) يشير إلى العهدين يتبيّن منه بوضوح أنّه أخذ نصّاً من تفسير المغربي، ولا يخفى أنّ الوزير المغربي (370 - 418 هـ) كان متميّزاً وحالة استثنائية من بين العلماء في هذا المضمار وذلك لما شغله من مناصب وزارية في الدولة البويهية والفاطمية والحمدانية، ولما رآه علماء اليهود والمسيح المبرزين، وعلى ما أظنّه أنّه ذكر في المصايح أكثر من ثمانين مورداً أخذها مباشرة من نصّ العهد القديم أو العهد الجديد.

2- تفسير ابن كثير 3 / 58.

3- مفاتيح الغيب 26 / 341 و 435، 29 / 528 - 529.

4- تفسير القرطبي 11 / 106 - 17.

إذا لاحظنا بدقة المراحل المختلفة التي مرّ بها التفسير الشيعي نرى أنّ هناك تحوّلاً تدريجياً بل قفزة في بعض الأحيان في أسلوب علماء الشيعة في التفسير ، وعند التدقيق في المراحل المختلفة التي رافقت تطوّر التفسير الشيعي فإنّه يتّضح لنا بأنّ التفسير الشيعي في كلّ حقبة كان ذا طابع مختصّ بتلك الحقبة ولم يكن على وتيرة واحدة ، فإنّ مباني ومصادر التفسير عند المفسّرين الشيعة لم تكن على نمط واحد ، كما أنّ الأسئلة التي كانت تواجه مختلف المفسّرين الشيعة في أعصار ومراحل مختلفة لم تكن ذات نسق واحد ، وإنّ الأجوبة عليها من مختلف المفسّرين الشيعة في مختلف العصور كذلك لم تكن أجوبة ذات رؤية واحدة على أسئلة ذات منهجية واحدة ، فإنّنا نرى ذلك بوضوح في العديد من المسائل التي يتناولها المفسّرون سوى القول بالتحريف والذي أشرنا إليه سابقاً ، وتأييداً لذلك سوف نتطرّق إلى نموذجين من الآيات الشريفة وتفسيرهما :

المثال الأوّل : إنّ الآية 82 من سورة النحل والتي تتضمّن معنىً في معرفة آخر الزمان فبناءً على ما قالته أغلب التفاسير أنّها تبين أحد علائم آخر الزمان وأخبار الملاحم والفتن (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) ، فإنّ موضوع دابّة الأرض هي محلّ اهتمام تفسير علماء الإسلام لها وذلك منذ أقدم مراحل التفسير لما تحمله من خصوصية مرموزة مشوبة بالغموض ، فقد جاءت في القرون الثلاثة الأولى روايات كثيرة عن الصحابة والتابعين في باب حقيقة دابّة

الأرض نقلتها لنا كتب التفسير والحديث والملاحم ، فإن الطبري وأبي حاتم الرازي من أوائل المفسرين الشيعة الذين وصلتنا مؤلفاتهم التفسيرية من أواخر القرن الثالث الهجري ذكروا أن آية دابة الأرض جاءت في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (1) ، علماً بأن هذا القول نسبه بعض أبناء العامة إلى بعض غلاة الشيعة (2) ، وقد اكتفى كل من علي بن إبراهيم القمي و فرات الكوفي والعباسي بنقل هذا الكلام في تفاسيرهم ولم يقولوا في دابة الأرض : أنه حيوان عجيب غريب ، وفي المرحلة التفسيرية الثانية نرى أن الشيخ الطوسي (3) ، وقد تبعه الطبرسي (4) والشيباني (5) ، لم يذكروا الروايات الشيعة في تفسير هذه الآية بل اقتصرنا على نقل بعض الأقوال الكلية من أهل السنة في باب دابة الأرض إجمالاً ، في حين نرى أن المفسرين الأخباريين في العهد الصفوي من المرحلة الثالثة قد قطعوا قطعاً باتاً بأن المراد من دابة الأرض هو أمير المؤمنين علي عليه السلام فقط (6) ، وفي المرحلة الرابعة نرى أن المفسرين الشيعة المعاصرين قد عدوا التفاصيل الجزئية لدابة الأرض من زمان وكيفية خروجها غير صحيحة وقد اكتفوا ببيان ظاهر الآية وذلك كما فعل 8.

ص: 38

-
- 1- تفسير علي بن إبراهيم القمي 2/130 - 131.
 - 2- حياة الحيوان الكبرى 1 / 459.
 - 3- التبيان 8 / 119.
 - 4- مجمع البيان 7 / 364 - 367.
 - 5- تفسير نهج البيان 2 / 463.
 - 6- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة 200 - 401 ، الصافي 4 / 74 - 75 ، البرهان في تفسير القرآن 4 / 227 - 230 ، تفسير نور الثقلين 4 / 98.

بعض المفسرين المعاصرين من أبناء العامة(1).

المثال الآخر: هو أنّ ما جاء من الآيات 68 - 69 من سورة النحل في شأن نحل العسل قد أجمعت التفاسير الشيعية الأولى المؤلفة قبل عهد الشيخ الطوسي من خلال جمعها للروايات التي تتضمن تفسير هذه الآيات أنّ المراد من النحل الذي يوحي إليه هو الإمام و...، والمراد من العسل هو علم الإمام وعلوم أمير المؤمنين عليه السلام(2)، وإنّ مفسري المرحلة الثانية مثل الشيخ الطوسي(3) والطبرسي(4) وأبي الفتوح الرازي(5) فقد حملوا الآية على ظاهرها، وأمّا المفسرون الأخباريون في العهد الصفوي فقد أحيوا ثانية جميع المعاني الاستعارية في تفسير الآية(6)، في حين حملت التفاسير المعاصرة الآيات مرّة أخرى على المعنى الظاهري للآية(7).7.

ص: 39

-
- 1- تفسير أحسن الحديث 7 / 496 - 497 ، تفسير الكاشف 6 / 40 ، تفسير الميزان 15 / 396 ، من وحي القرآن 17 / 245 - 247.
 - 2- تفسير القمّي 1 / 387 ، تفسير العيّاشي 2 / 263 - 264 ، تفسير فرات الكوفي 235 - 236.
 - 3- التبيان 6 / 403 - 404.
 - 4- مجمع البيان 6 / 573 - 574.
 - 5- تفسير روض الجنان 12 / 62 - 64.
 - 6- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة 260 - 264 ، تفسير نور الثقلين 3 / 64 - 65 ، البرهان في تفسير القرآن 3 / 435.
 - 7- تفسير أحسن الحديث 5 / 468 - 469 ، تفسير الكاشف 4 / 528 - 529 ، نمونة 11 / 295 - 308 ، من وحي القرآن 13 / 256 - 257.

1 - القرآن الكريم.

2 - الأصفى في تفسير القرآن: الفيض الكاشاني، ملاّ محسن، تحقيق: محمّد

حسين درايّتي ومحمّد رضا نعمتي، قم: انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، 1418هـ.

3 - البرهان في تفسير القرآن: البحراني، سيّد هاشم، طهران: بنياد بعثت،

1416هـ.

4 - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: الأسترآبادي، سيّد شرف الدين علي الحسيني، تحقيق: حسين استاد ولي، قم: مؤسّسة النشر الإسلامي (جامعة المدرّسين)، 1409هـ.

5 - التبيان في تفسير القرآن: كريمي نيا، مرتضى، في (دانشنامه جهان اسلام)، تحت إشراف غلامعلي حدّاد عادل، ج 6، 1380هـ-ش.

6 - تسنيم تفسير القرآن الكريم: جوادي آملّي، عبدالله، قم: مركز نشر إسرائ، 1380 - 1390هـ-ش، 21 مجلّد إلى الآن.

7 - تفسير أحسن الحديث: القرشي، سيد علي أكبر، طهران: بنياد بعثت، 1377هـ-ش.

8 - تفسير أهل البيت عليهم السلام: الحسيني الميلاني، سيّد محمّد، قم: انتشارات تابان، 1407هـ.

- 9 - تفسير روض الجنان : الرازي ، أبو الفتوح ، حسين بن علي ، تحقيق : محمّد جعفر يا حقيّ ومحمّد مهدي ناصح ، مشهد : بنياد پژوهشهای اسلامي آستان قدس رضوي ، 1408هـ.
- 10 - تفسير الصافي : الفيض الكاشاني ، ملاّ محسن ، تحقيق : حسين أعلمي ، طهران : انتشارات الصدر ، 1415 هـ.
- 11 - تفسير العياشي : العياشي ، محمّد بن مسعود ، تحقيق : سيّد هاشم رسولي محلاتي ، طهران : چاپخانه علمية ، 1380 هـ.
- 12 - تفسير فرات الكوفي : الكوفي ، أبو القاسم فرات بن إبراهيم ، تحقيق : محمّد كاظم المحمودي ، طهران : سازمان چاپ وانتشارات وزارت ارشاد اسلامي ، 1410هـ.
- 13 - تفسير القرآن العظيم : الرازي ، ابن أبي حاتم ، عبدالرحمن بن محمّد ، تحقيق : أسعد محمّد الطيب ، السعودية : مكتبة نزار مصطفى الباز ، 1419 هـ.
- 14 - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : القرطبي ، طبع أفت ، طهران : ناصر خسرو ، 1364 هـ .ش.
- 15 - تفسير القمّي : القمّي ، علي بن إبراهيم ، تحقيق : سيّد طيّب الموسوي الجزائري ، قم : دار الكتاب ، 1367هـ-ش.
- 16 - تفسير الكاشف : مغنية ، محمّد جواد ، طهران : دار الكتب الإسلامية ، 1424 هـ.
- 17 - تفسير كيوان : كيوان القزويني ، حاج عباسعلي ، اهتمّ بطبعه جعفر پژوم ، طهران : نشر ساية ، 1384هـ-ش.
- 18 - تفسير من وحي القرآن : فضل الله ، سيّد محمّد حسين ، بيروت : دار الملاك للطباعة والنشر ، 1419 هـ.

- 19 - تفسير نمونة : مكارم الشيرازي ، طهران : دار الكتاب الإسلامية 1374 هـ - ش.
- 20 - تفسير نور الثقلين : العروسي الهويزي ، عبد علي بن جمعة ، تحقيق : سيّد هاشم رسولي محلاتي ، قم : انتشارات اسماعيليان ، 1415 هـ .
- 21 - تفسير نهج البيان : الشيباني ، محمّد بن الحسن ، تحقيق : أحمد فريد ، بيروت : منشورات محمّد علي بيضون ، 1424 هـ .
- 22 - التفسير والمفسّرون : الذهبي ، محمّد حسين ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- 23 - جامع البيان في تفسير القرآن : الطبري ، أبو جعفر محمّد بن جرير ، بيروت : دار المعرفة ، 1412 هـ .
- 24 - حقائق التأويل في متشابه التنزيل : الشريف الرضي ، أبو الحسن محمّد ابن الحسين الموسوي ، تحقيق : محمّد رضا آل كاشف الغطاء ، طهران : مؤسّسة البعثة ، 1406 هـ .
- 25 - حياة الحيوان الكبرى : الدميري ، محمّد بن موسى ، طهران : 1364 هـ - ، ش .
- 26 - الذريعة إلى تصانيف الشيعة : آقا بزرك الطهراني ، قم : اسماعيليان ، 1408 هـ .
- 27 - رسائل الشهيد الثاني : الشهيد الثاني ، زين الدين بن علي العاملي ، قم : سازمان تبليغات اسلامي ، 1421 هـ .
- 28 - كنز العرفان في فقه القرآن : الفاضل المقداد ، جمال الدين مقداد بن عبدالله ، تحقيق : سيد محمّد القاضي ، طهران : مجمع جهاني تقريب مذاهب اسلامي ، 1419 هـ .
- 29 - مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي ، فضل بن حسن ، طهران : انتشارات ناصر خسرو ، 1372 هـ - ش .

30 - المصباح في تفسير القرآن : الوزير المغربي ، أبو القاسم حسين بن علي ، نسخة خطية مكتبة چستريتي ، رقم 3538.

31 - مقدمة الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية : كلانتر ، سيد محمد ، قم : كتابفروشي داوري ، 1410هـ.

32 - منابع كلامي شيخ طوسي در تفسير تبيان : كريمي نيا ، مرتضى ، احتفالية (الدكتور محسن جهانگيري) ، ياشراف محمد رئيس زاده ، فاطمه مينايي وسيد احمد هامشي ، طهران : هرمس ، 1386هـ - ش ، ص 507 - 532.

Robert Gleave, Scripturalist Islam: the history and doctrines of the - 33

.Akhbari Shi'i Leiden: Brill, 2007

John Wansbrough, Quranic studies: sources and methods of - 34

.scriptural interpretation Oxford: University press, 1977

ص: 43

تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية (الحوزة العلمية في كربلاء)

الشيخ عدنان فرحان

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

مدينة كربلاء

المبحث الأول :

نشأة المدينة ومكانتها وقدسيتها :

لقد كانت أرض كربلاء ، وقبل أن تتحوّل إلى مدينة من المدن الإسلامية ، معروفة كبعض الأماكن التي كانت تُعرف قبل تمصيرها ، فقد ورد إسمها - كما يقول الباحثون - قبل الفتح العربي للعراق ، وقبل سكنى العرب هناك ، وقد ذكرها بعض العرب الذين رافقوا خالد بن الوليد ... في غزوته لغربي العراق سنة (12 هـ) ، قال ياقوت الحموي : «ونزل خالد عند فتحه

ص: 44

ومن أقدم الشعر الذي ذكرت فيه كربلاء قول معن بن أوس المزني ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ... وذكر ياقوت هذا الشعر في مادة (النوائح) من معجمه للبلدان ، وذكره قبله أبو الفرج الإصفهاني في ترجمة معن من الأغاني ، وقال ضمن قصيدة له :

إذا هي حَلَّتْ كربلاء فلعلَّعاً

فَجَوَزَ العُذَيْبِ دونها فالتَّوَأحَا

وبانت نواها من نواك وطاوعت

مع الشانئين الشانئات الكواشحا(2)

ومما يدلُّ على قدم كربلاء أيضاً ووجودها قبل الفتح الإسلامي ، ما ذكره الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي سعيد التيمي قال : «أقبلنا مع عليٍّ عليه السلام من صقّين فنزلنا كربلاء ، فلما انتصف النهار عطش القوم» وروى بسنده عنه أيضاً : «أقبلت من الأنبار مع عليٍّ نريد الكوفة ، وعليٍّ في الناس ، .. فقال الناس : يا أمير المؤمنين إنّنا نخاف العطش ، فقال : إنّ الله سيسقيكم ، وراهب قريب منّا ، فجاء عليٍّ إلى مكانه فقال : احفروا هاهنا فحفروا ، وكنت فيمن حفر ، حتّى نزلنا فعرض لنا حجر ، فقال عليٍّ : ارفعوا هذا الحجر ، فأعانونا عليه حتّى رفعناه ، فإذا عين باردة طيّبة ، فشربنا ثمّ سرنا ليلاً أو نحو ذلك ، فعطشنا ، فقال بعض القوم : لو رجعنا فشربنا. فرجع ناسٌ وكنت فيمن رجعت ، فالتمسناها فلم نقدر عليها ، فأتينا الراهب فقلنا : أين العين التي هاهنا؟ قال : 4.

ص: 45

1- معجم البلدان مادة كربلاء : المجلد الرابع ، الجزء السابع : 125 / 126.

2- الأغاني : 12 / 80 ، معجم البلدان : 8 / 404.

آية عين؟ فقلنا : التي شربنا منها واستقينا ، والتمسناها فلم تقدر عليها. فقال الراهب : لا يستخرجها إلا نبي أو وصي»(1).

وبعلت الدكتور مصطفى جواد على هذا الحديث بقوله : «والمهم من هذا الحديث أنّ الإمام عليّاً عليه السلام مرّ بكربلاء ولجّج في الصحراء قبل سنة أربعين الهجرية ، ولم يذكر أحد من المؤرّخين إنشاء مدينة باسم كربلاء في أثناء تلك السنين الأربعين ...»(2).

وأما معنى كربلاء : فقد اختلفت كلمات اللغويين في تحديد معناها لغوياً.

فبينما يقول ابن فارس في المعجم : «كرب : الكاف والراء والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على شدّة وقوّة ، يقال : مفاصلٌ مُكْرَبَةٌ ، أي شديدة قوية ، وأصله الكرب ، وهو عقد غليظ في رشاء الدلو ، يجعل طرفه في عرقوة الدلو ثم يُشدُّ ثنائه رباطاً وثيقاً ، يقال منه اكربتُ الدلو ؛ ومن ذلك قول الحطيئة :

قومٌ إذا عقّدوا عقداً لجارهم

شدّوا العِناج وشدّوا فوقه الكربا»(3)

يقول ياقوت الحموي : «وهو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن عليّ رضي الله عنه ، في طرف البريّة عند الكوفة ، فأما اشتقاقه ، فالكربلة رخاوة في القدمين ، يقال : 5.

ص: 46

1- تاريخ بغداد : 12 / 305 - 306.

2- كربلاء قديماً ، ضمن بحوث كتاب موسوعة العتبات المقدّسة ، قسم كربلاء : 8 / 17.

3- معجم المقاييس في اللغة : مادّة كرب : 5 / 174 - 175.

جاء يمشي مُكربلاً ، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضوع رخوة ، فسُمّيت بذلك ، ويقال : كَرَبْتُ الحنطة إذا هَدَّبْتُها ونَقَّيْتُها ... فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقّاة من الحصى والدخل فسُمّيت بذلك ...»(1).

وذكر الفيروزآبادي في القاموس ، وابن منظور في اللسان ، معاني متعدّدة لكلمة (كرب) منها : «الحُزْنُ والغَمُّ الذي يأخُذُ بالنَّفْسِ ، وجمعه كُرُوبٌ. وكَرْبَةُ الغَمِّ فاكترَب ، فهو مكروبٌ وكريب ...»(2) ، وقد يؤيّد هذا المعنى بعض الروايات المروية عن أهل البيت عليهم السلام.

فقد روي أنّ الإمام الحسين عليه السلام حينما وصل إلى كربلاء ... سأل : «فما اسمُ هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا : كربلاء ، فقال : أرض كرب وبلاء» ، وفي رواية الخوارزمي : «... فدمعت عينا الحسين عليه السلام حين ذكر كربلاء ، وقال : اللّهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء»(3).

ولبعض الباحثين رأي في اشتقاق كلمة كربلاء ، فذكر السيّد هبة الدين الشهرستاني أنّ (كربلاء) منحوتة من كلمتي (كُور بابل) بمعنى قرى بابلية(4).

وقال الأديب اللغوي انستاس الكرملّي : «والذي تتذكّره فيما قرأناه في بعض كتب الباحثين أنّ كربلاء منحوتة من كلمتين ، من (كرب) و (إل) أي 6.

ص: 47

1- معجم البلدان ، مادّة كربلاء المجلّد الرابع ؛ الجزء السابع : 125.

2- أنظر : القاموس المحيط ، لسان العرب : مادّة كرب : 12 / 60.

3- مقتل الحسين : 1 / 234.

4- نهضة الحسين : 6.

حرم الله ، أو مقدّس الله»(1).

ومهما يكن من أمر في معنى أو معاني كلمة (كربلاء) ، فإنّ بعض الجغرافيين قد حسبها قرية من القرى القديمة وناحية من نواحي نينوى. قال ياقوت في المعجم : «نينوى بكسر أوله وسكون ثانيه ، وفتح النون والواو بوزن طَيْطوى ... ويسواد الكوفة ، ناحية يقال لها نينوى ، منها كربلاء التي قُتِل بها الحسين رضي الله عنه»(2).

ويقول أحد الباحثين في تاريخ كربلاء : «ولهذه البقعة ... أسماء مختلفة كما يحدثنا التاريخ ، وكانت تطلق عليها هذه الأسماء دون أيّ فرق أو تمييز ، فكان يطلق عليها اسم : (الغاضرية ، ونينوى ، ومارية ، وعمورا ، والنوايس ، وشطّ الفرات ، وشاطى الفرات ، والطفّ ، وطفّ الفرات ، والحائر ، والحير ، ومشهد الحسين ، وكربلاء) ولم يكن الاسم الأخير غير أحد تلك الأسماء المختلفة الكثيرة .. فتغلّب بمرور الزمن على غيره من الأسماء شيوعاً وانتشاراً في العرف والتاريخ حتّى أصبح الآن هو الوريث الوحيد لها ، فصارت لا تعرف اليوم هذه البقعة إلاّ بهذا الاسم ...»(3).

ومن الواضح في هذه الألفاظ التي ذكرت لهذه البقعة من الأرض بعضها أسماء وبعضها الآخر صفات. 5.

ص: 48

1- مجلّة لغة العرب : 5 / 178 لسنة 1927 م.

2- معجم البلدان ، مادّة نينوى ، المجلّد الرابع ، الجزء الثامن : 429.

3- تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام : 25.

وقد ذكر بعض الباحثين معاني هذه الألفاظ يمكن مراجعتها في مظانها(1).

كربلاء : الأرض المقدّسة :

لم تكن أرض كربلاء سوى صحراء قاحلة ، وبقعة جرداء ، معروفة عند أهلها بأسماء أو أوصاف متعدّدة ، ولم تكن لها خصوصيّة تذكر.

إلا أنّ هذه الأرض قد اقترنت بأعظم حادث وقع في دنيا الإسلام ، وأعظم رزية صَغُرَت دونها الرزايا ، وأجلّ مصيبة ومأساة هانت دونها كلّ المصائب والمآسي في تاريخ الإسلام ، بل وفي تاريخ البشرية ؛ على طول تاريخها المديد ؛ إنّها مأساة الإمام الحسين عليه السلام في قصّة استشهاد الكرام البررة من أهل بيته وصحبه ؛ حيث امتزجت تلك الدماء الطاهرة بأرض كربلاء ورمالها ؛ فاكسبتها قدسية وخلودا لا يزول مع تمادي الزمن ، وكّر الدهور والأيام.

يقول الكاتب المصري الكبير عبّاس محمود العقّاد في كتابه أبو الشهداء عن أرض كربلاء : «لو أعطيت حقّها من التنويه والتخليد لَحَقَّ لها أن تصبح مزاراً لكلّ آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة ، وحظّاً من الفضيلة لأننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب ا.

ص: 49

1- المرجع نفسه : 26 وما بعدها ، وموسوعة العتبات المقدّسة : 8 / 18 وما بعدها.

أسمى والزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترن باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها ، فكلّ صفة من تلك الصفات العلوية التي بها الإنسان إنسان ، وبغيرها لا يحسب غير ضرب من الحيوان السائم ، فهي مقرونة في الذاكرة بأيام الحسين رضي الله عنهما في تلك البقعة الجرداء»(1).

لقد اقترنت هذه الأرض ، بأسمى المعاني الوجدانية في ضمير الإنسان المسلم ، إذ أضحت ترمز إلى التضحية في سبيل الحق والدين ، بل وفي سبيل الإنسانية جميعاً ، فأصبح الإنسان المسلم ، بل وحتى غير المسلم يستلهم منها دروس العزة والإباء والتحرر والاعتناق من نير الخضوع والخنوع والعبودية والإذلال :

«يا كربلا ؛ كهف الإباء مجسماً

ويا كربلا ؛ كهف البطولة والاعلاء

ويا كربلا ؛ قد حزت نفساً نبيلة

وصيرت بعد اليوم رمزاً إلى السما

ويا كربلا ؛ قد صرت قبلة كل ذي

نفس تصاغر دون مبدئها الدنا

ويا كربلا ؛ قد حزت مجداً مؤثلاً

وحزت فخاراً ينقضي دونه المدى»(2)

كربلاء في الحديث :

لقد اقترن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بأرض كربلاء ، ولهذا نجد هذا 7.

ص: 50

1- أبو الشهداء : 154.

2- (سمو المعنى في سمو الذات) أو أشعة من حياة الحسين عليه السلام : 126 - 127.

الاقتران بين كربلاء ومصرع الإمام الحسين عليه السلام في الأحاديث المروية بشكل واسع ، وشغلت مساحة كبيرة من موسوعات الحديث ، ولا يمكن استيعابها تحت العنوان الذي ذكرناه.

يقول الدكتور حسين علي محفوظ : «الأحاديث في فضل كربلاء ، وتربتها ، وزيارة قبر سيّد الشهداء الحسين عليه السلام كثيرة جدّاً ، تضيق بها الكتب الكبيرة...»(1).

وفيما يلي بعض الأحاديث عن كربلاء وقدسيّتها ومكانتها :

1 - عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : «موضع قبر الحسين بن عليّ (صلوات الله عليهما) - منذ يوم دفن فيه - روضة من رياض الجنّة»(2).

2 - وعنه أيضاً : «موضع قبر الحسين تُرعة من ترع الجنّة»(3).

3 - وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : «شاطئ الوادي الأيمن ؛ الذي ذكره الله - تعالى - في القرآن(4) ، والبقعة المباركة ، هي كربلاء»(5).

4 - وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام «خلق الله - تبارك وتعالى - أرض كربلاء ... وقدّسها وبارك عليها ، فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدّسة مباركة ، ولا تزال كذلك ، حتّى يجعلها الله أفضل أرض في الجنّة وأفضل 9.

ص: 51

1- كربلاء في المراجع العربية ضمن موسوعة العتبات.

2- بحار الأنوار : 22 / 140 - 141.

3- المصدر نفسه : 22 / 140.

4- القصص : 30.

5- أنظر : وسائل الشيعة : 3 / 389.

منزل ومسكن ، يُسكن الله فيه أوليائه في الجنة»(1).

5 - وعن أبي الحسن علي بن محمّد (الهادي) عليه السلام قال : «... إنّ لله - تبارك وتعالى - بقاعاً يحبّ أن يُدعى فيها ، فيستجيب لمن دعاه ، (والحيرُ) منها»(2).

المبحث الثاني :

العوامل التي ساعدت على تمصير كربلاء وتوسعتها :

لقد اجتمعت عوامل كثيرة جعلت من أرض كربلاء المجردة القاحلة وغير الآهلة ، منطقة آهلة بالسكّان والعمران ومزدحمة - وعلى طول العام - بعشرات الوافدين إليها.

ومن هذه العوامل بنحو الإجمال :

أولاً : رمزية كربلاء :

لقد أصبحت كربلاء وفي أعقاب مقتل الإمام الحسين بن عليّ وصحبه وأهل بيته عليهم السلام ، ومدفنهم فيها ، عام واحد وستين للهجرة ، ترمز إلى أسمى معاني الإباء ، والكرامة ، والعزّة ، والإيثار ، والفضيلة ، والشجاعة ... وغير ذلك من المعاني الإنسانية والتي يتطلّع إليها كلّ إنسان يبتغي الحياة الحرّة الكريمة. 1.

ص: 52

1- بحار الأنوار : 22 / 140.

2- المصدر نفسه : 22 / 141.

ثانياً : روحانية وعاطفية المكان :

ولحرم الإمام الحسين عليه السلام وللبقعة التي تضمّت ذلك الجسد الطاهر ، وأولئك الصفوة من الشهداء رضوان الله عليهم ، روحانية وعاطفية جياشة يستشعرها الإنسان في أول خطوة يخطوها نحو الحرم.

ثالثاً : جاذبية المكان :

ولأرض كربلاء ، ولحرم الإمام الشهيد الحسين بن عليّ عليه السلام جاذبية روحية عجيبة ، يستشعرها الإنسان المؤمن في أعماق أعماق نفسه ، فينجذب بقوة نحو تلك البقعة المباركة ، انجذاب المحبّ نحو حبيبه.

ولهذا هانت الأخطار والمصاعب والأهوال عند محبّي الإمام الحسين عليه السلام والعاشقين له والمنجذبين نحو قبره ، فاندفعوا نحوه غير مبالين ببطش الطواغيت وجلالوتهم ومسالحهم وحرّاسهم ، وهذا ما يشهد به تاريخ كربلاء منذ أول زيارة له من قبل الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري ، وعطية العوفي ، وأهل بيت الإمام الحسين عليه السلام ، وإلى يومنا هذا حيث تندفع في كلّ موسم الملايين اتّجاه كربلاء ، بمنظر يعجز القلم والبيان عن وصفه.

هذه العوامل وغيرها ، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية المساعدة للمنطقة ، والموقع الجغرافي المتميّز ، ووجود الحالة الأمنية المستقرّة جعلت الكثيرين من هؤلاء المحبّين ، والمنجذبين ، والموالين ، والباحثين عن صفاء الروح وقدسيّة المكان ورمزيّته ... متشبّثين بهذه الأرض ومتّخذين منها مسكناً وملاذاً ، ممّا أسفر عن تمصّر المدينة وتوسّعها وعمرانها وازدهارها

ص: 53

بمرور الزمن ، فأصبحت من المدن الإسلامية الأهلة بالسكان ، وتميّزت بتنوّع عرقي لا مثيل له في المدن الأخرى.

والذي يبدو ومن خلال سياق تاريخ كربلاء وحرم الإمام الحسين عليه السلام ، أنّ السكن في مجاورة قبر الإمام الحسين عليه السلام في عصر الدولة الأموية لم يكن ممكناً لشيئته ومحبيّه للظروف الأمنية الصعبة آنذاك ، فكان زوّاره يكتفون بمراسم الزيارة للقبر الشريف سرّاً ، متحمّلين من أجل ذلك الأخطار الجسام والأهوال ، والتي قد تكلفهم حياتهم في بعض الأحيان. إلاّ أنّه وبعد سقوط الدولة الأموية ، وقيام الدولة العبّاسية ، واستقرار الوضع الأمني - نسبياً - بدأت رحلة الزيارة من قبل الشيعة لمرقد الإمام الحسين عليه السلام بشكل علني وظاهر ، وكان على القبر الشريف ومنذ زمن بني أمية سقيفة ومسجد ، واستمرّ ذلك إلى زمن هارون الرشيد من بني العبّاس ، ولكن لا يعلم أوّل من بنى ذلك ... ويدلّ الخبر الذي رواه السيّد ابن طاووس في الإقبال أنّه كان سقيفة لها باب في آخر زمن بني أمية وبقيت هذه القبّة إلى زمن الرشيد ، فهدمها وكرب موضع القبر وكان عنده سدره فقطعها ... ثمّ أُعيد - أي البناء - على زمن المأمون وغيره(1).

وفي النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري ، كثر زوّار الإمام الحسين عليه السلام وبني حول قبره الشريف المنازل والدور ، حتّى برزت إلى الوجود 0.

ص: 54

نواة مدينة متواضعة حول الحرم لها سكّانها وروّادها ، ممّا أثار واستفزّ رأس السلطة العبّاسية آنذاك ، المعروف ببغضه لأهل البيت عليهم السلام وهو المتوكّل العبّاسي ، فأمر بهدم القبر الشريف ، وهدم ما حوله من المنازل والدور ... في قصّة مأساوية ذكرها المؤرّخون في كتبهم بالتفصيل.

قال الطبري في تاريخه ضمن حوادث السنة السابعة والثلاثين والمائتين :

«وفيها أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن عليّ صلوات الله عليه ، وهدم ما حوله من المنازل والدور ، وأن يُحرث ويُبذر ويسقى موضع قبره عليه السلام ، وأن يمنع الناس من إتيانه ، فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق ، فهرب الناس ، وامتنعوا من المصير إليه ، وحرث ذلك الموضع ، وزرّع ما حوالبه»⁽¹⁾.

وبنفس المضمون ذكرها ابن الأثير في الكامل وأضاف : «وكان المتوكّل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولّى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم ...»⁽²⁾.

والذي يبدو أنّ اعتداء المتوكّل على قبر الإمام الحسين عليه السلام وعلى زائريه قد تكرر ولأكثر من مرّة⁽³⁾ ، حتّى قُتل ، وخلفه ولده المنتصر سنة سبع 0.

ص: 55

1- تاريخ الطبري : 227 / 6.

2- الكامل في التاريخ : 55 / 7.

3- أعيان الشيعة : 460 / 2.

وأربعين ومائتين. وفي خلافة المنتصر العباسي - والتي لم تدم سوى ستّة أشهر - «أمر الناس بزيارة قبر عليّ والحسين عليهما السلام فأمن العلويّين ، وكانوا خائفين أيّام أبيه ، وأطلق وقوفهم ، وأمر بردّ فدك إلى ولد الحسين والحسن ابني عليّ بن أبي طالب عليهم السلام»(1).

«والشائع على ألسنة الباحثين والمؤرّخين أنّ كربلاء كانت مطلع القرن الثالث مملوءة بالأكواخ وبيوت الشعر التي كان يشيّدنها المسلمون الذين يفدون إلى قبر الحسين عليه السلام ، وهكذا ظلّت كربلاء حتّى مطلع القرن الرابع الهجري»(2).

وأهمّ عمارة تَمّت للحائر الحسيني المقدّس هي التي قام بها عضد الدولة البويهّي ، «... وقد ازدهرت كربلاء في عهده وعهد البويهيين ، وتقدّمت معالمها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فأتسعت تجارتها ، واخصّلت زراعتها ، وأينعت علومها وآدابها ، فدبّت في جسمها روح الحياة والنشاط ، فتخرّج منها علماء فطاحل وشعراء مجيدون ، وتفوّقت في مركزها الديني المرموق»(3) وهكذا توسّعت مدينة كربلاء بعد أن آمن الناس ، وتوالى عمليّات الإعمار للمرقد الشريف ، وقد وصفها الرّحالة الشهير ابن بطّوطة في رحلته التي في بدايات القرن الثامن الهجري ، قال : «ثمّ سافرنا 1.

ص: 56

1- الكامل في التاريخ : 7 / 115 - 116.

2- تراث كربلاء : 231.

3- تراث كربلاء : 231 ، تاريخ كربلاء : 171.

منها - أي مدينة الحلة - إلى مدينة كربلاء ، مشهد الحسين بن عليّ عليهما السلام ، وهي مدينة صغيرة ، تحفّها حدائق النخل ، ويسقيها ماء الفرات ، والروضة المقدّسة داخلها ، وعليها مدرسة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر . وعلى باب الروضة الحجاب والقومة ، لا يدخل أحد إلاّ عن إذنهم ، فيقبّل العتبة الشريفة وهي من الفضة ، وعلى الضريح المقدّس قناديل الذهب والفضّة ، وعلى الأبواب أستار الحرير ...»(1).

وبعد هذا التاريخ توالى عمارات أخرى للمرقد الشريف(2) ، وتوسّعت معها مدينة كربلاء حتّى أصبحت من المدن الواسعة المترامية الأطراف ، ولم يكدر صفو هذه المدينة سوى الهجمة الوهابية التي قادها سعود بن عبد العزيز الوهابي النجدي سنة (1216 هـ) ، إذ جهّز جيشاً من أعراب البادية وحاصر مدينة كربلاء مغتتماً فرصة غياب جلّ الأهلين في النجف لزيارة الغدير ، ثمّ دخلها يوم (18 ذي الحجة) عنوة وأعمل في أهلها السيف ، فقتل منهم ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف ... ونهب البلد ، ونهب الحضرة الشريفة ، وأخذ جميع ما فيها من فرش وقناديل وغيرها ، وهدم القبر الشريف ، واقتلع الشباك الذي عليه ... ثمّ كرّ راجعاً إلى بلده»(3). 2.

ص: 57

1- رحلة ابن بطوطة : 233.

2- أنظر : أعيان الشيعة : 2 / 460 - 461.

3- المرجع نفسه : 2 / 461 - 462. وأنظر : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث : 260 - 262.

ولا ننسى تلك الهجمة العنيفة التي قادها جلاوزة حزب البعث على المرقد الشريف بعد انتفاضة صفر سنة (1991 م)، والتي أدت إلى تخريب أجزاء من الحرم وقتل المعتصمين فيه، وانتهاك الحرمات... في قصة مأساوية سجّلتها ذاكرة العراقيين، قبل كتب التاريخ، إلى جانب قصص المأساة والظلم التي تعرّض إليه العراق على أيدي النظام البعثي البائد، حتّى اقتصّ الله منهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وبعد سقوط النظام البعثي البائد عام (2003 هـ)، بدأت عمليات إعمار المشاهد والمرقد الشريف في العراق ومنها مرقد كربلاء على ساكنيها آلاف التحية والسلام، ولا زالت عمليات الإعمار والتوسعة هذه مستمرة.

لقد شهدت مدينة كربلاء ومنذ أن تمصّرت وأصبحت مدينة لها معالمها العمرانية والحضارية ، نشاطاً علمياً ملحوظاً ، وازدهرت فيها حركة فقهية وأدبية ، وشهدت حضوراً علمائياً مكثّفاً ، كان من بينهم كبار العلماء والفقهاء ممّن تُشدّ إليهم رحال طلاب العلم ، حتّى أنّها أصبحت الحوزة العلمية الرئيسيّة عند الشيعة في حقبة من الزمن كما سوف يأتيها لاحقاً.

والذي يظهر من بعض النصوص التاريخية ، أنّ مشهد الإمام الحسين عليه السلام اتّسعت رقعته ، وكثر سكّانه في القرن الرابع للهجرة ... ففي سنة (371 هـ) ورد مشهد الحسين عليه السلام عضد الدولة البويهبي فزار وتصدّق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم ، وجعل في الصندوق دراهم ففرّقت على العلويّين فأصاب كلّ واحد منهم إثنان وثلاثون درهماً ، وكان عددهم ألفين ومائتي اسم ، ووهب العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم وفرّق على أهل المشهد من الدقيق والتمر مائة ألف رطل ، ومن الثياب خمسمائة قطعة ، وأعطى الناظر

عليهم ألف درهم(1).

«ويمكن أن تؤخذ كثرة السكّان ، وانقسامهم إلى طبقات ، قرينة على أنّ بعضهم في الأقل كانوا من بين طلبة العلم وشيوخه»(2).

ولو تتبّعنا ومن خلال كتب الرجال والتراجم مسار الحركة العلمية في كربلاء ، والعلماء والفقهاء الذين واكبوها في كلّ عصر من عصور حركتها عبر القرون المتمادية لعثرنا على قائمة طويلة لأسماء لامعة من أعلام الفقه والفقاهة والمعارف والعلوم الإسلامية ، تبدأ من أواخر القرن الثالث الهجري ، وتستمرّ وبتّساع عبر القرون اللاحقة لها وإلى يومنا هذا ، وإنّها مرّت بأدوار علمية ثلاثة ولم تنقطع حركة العلم والعلماء خلالها عن هذه المدينة المقدّسة عبر القرون والأزمان ، وإنّما فترت في بعض القرون وأصابها الركود في بعضها الآخر ، ووصلت إلى قمّة الحركة والعطاء العلمي في برهة من الزمن.

حوزة كربلاء في دورها الأوّل :

لقد بدأت الحركة العلمية في كربلاء مع بدايات تمصيرها حيث سكنها بعض الفضلاء والمحدثين.

وفيما يلي قائمة لأهمّ الشخصيّات التي واكبت الحركة العلمية في كربلاء في دورها الأوّل وقبل عصر الشيخ الوحيد البهبهاني وتلامذته ، حيث 1.

ص: 60

1- فرحة الغري : 292 - 293.

2- تاريخ التربية : 301.

وصلت حوزة كربلاء في عصره إلى قمة عطائها العلمي ، مقتصرين فيها على أبرز الأسماء التي كانت لهم بصماتهم العلمية ، وتركوا آثاراً فقهية أو أصولية أو كانوا من البارزين في ميادين التدريس والتصدي لأُمور المجتمع.

1 - عثمان بن عيسى الكلابي :

قال النجاشي في ترجمته : «روى عن أبي الحسن عليه السلام وأقام بالحائر حتى مات ودُفن هناك»⁽¹⁾.

2 - محمد بن شهاب البارقي :

يروى ابن طاووس في كتابه فرحة الغري ، «أن أحد الشيعة قال : حدّثني محمد بن شهاب بن صالح البارقي ، شيخ من أهل الكوفة لقيته بمشهد مولانا الحسين عليه السلام...»⁽²⁾.

3 - حميد بن زياد النينوي الدهقان (ت 310 أو 320 هـ) :

وهو من أقدم وأبرز العلماء الذين يشار إليهم في حوزة كربلاء في القرن الرابع الهجري وله ترجمة واسعة في كتب التراجم القديمة منها والحديثة ، فذكره الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست والرجال فقال عنه : «محقق كثير التصانيف ... عالم جليل واسع العلم ، ... كان ثقة واقفاً وجهاً 8.

ص: 61

1- رجال النجاشي : 300.

2- فرحة الغري : 218.

فيهم ، سمع الكتب وصنّف ، وهكذا ذكره النجاشي(1) ، وذكروا له قائمة من المصنّفات والآثار العلمية.

والذي يبدو من خلال مفردات ترجمته أنّه كوفيّ المولد ، ثمّ سكن سورى وانتقل إلى نينوى ، قرية إلى جانب الحائر الحسيني على ساكنه السلام ، وأمّا عن دراسته وأساتذته ، فمن المحتمل أنّ المترجم قد تلقّى علومه في مدرسة بغداد إذ كانت هي الحوزة العلمية الرئيسية حتّى منتصف القرن الخامس الهجري ، بالإضافة إلى كون الرجل واقفي المذهب ، ويروي عن كثير من رجال الواقعة(2).

والمترجم له من رواية الأصول ، ووقع في إسناد كثير من الروايات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، تبلغ خمسمائة وستّة عشر مورداً(3).
إلا أنّه لم يرو عن الأئمّة مباشرة.

«ويظهر من أسانيده أنّه كان من المعمرين ، وله مشايخ معمّرون ، فإنّه روى بواسطة واحدة عن أبي حمزة ثابت بن دينار الذي توفّي سنة (150 هـ) ... وكذا يروي بواسطة واحدة عن جابر بن يزيد الجعفي المتوفّي سنة (128 أو 132 هـ) ...»(4).6.

ص: 62

-
- 1- فهرست الطوسي : 60 ، رجال الطوسي : 421 ، أعيان الشيعة : 9 / 540 - 541 ، وفي رجال المامقاني ترجمة وافية عنه ، وتعداد لتلامذته وآثاره : 24 / 322.
 - 2- طبقات الطهراني : 1 / 125.
 - 3- طبقات الفقهاء : 4 / 189.
 - 4- طبقات الطهراني : 1 / 125 - 126.

4 - هشام بن إلياس الحائري (ت 490 هـ) :

كان فاضلاً جليلاً صالحاً، له المسائل الحائرية، ويروي عن الشيخ أبي علي الطوسي، ... قال صاحب الرياض: «وتقدم إلياس بن هشام الحائري، وما هنا موجود في بعض الإجازات، ولعله ابن ذاك - كذا أفاد الشيخ المعاصر في أمل الآمل - ثم يرجح صاحب الرياض وقوع النسخ في الاسم فيقول: «والحق أن هشام بن إلياس الحائري من قلب النسخ... والصواب إلياس بن هشام الحائري»⁽¹⁾، وترجم له بهذا الاسم.

ومهما يكن من أمر فليس لدينا معلومات إضافية عن المترجم له، ولا عن مؤلفاته الأخرى، سوى أنه توفي في حدود سنة (490 هـ) ودُفن في الحائر الحسيني⁽²⁾.

5 - عماد الدين الطوسي (من أعلام القرن السادس) :

وهو عماد الدين محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي المكنى بابن حمزة، صاحب الكتاب الفقهي الوسيلة إلى نيل الفضيلة، وقد ضمّنه جميع أبواب الفقه في أثواب لها من تحقيقاته الجميلة، وهو من أحسن متون الفقه ترتيباً وتهذيباً⁽³⁾.8.

ص: 63

1- رياض العلماء : 1 / 92 و 5 / 318 ، أمل الآمل : 2 / 344 ، أعيان الشيعة : 10 / 264.

2- تراث كربلاء : 234.

3- روضات الجنّات : 6 / 236. وأنظر : مقدّمة كتاب الوسيلة : 8.

ذكره يحيى بن سعيد الهذلي الحلي سنة (689 هـ - أو 690 هـ) في كتابه نزهة الناظر فأثنى عليه وعلى كتابه الوسيلة(1)، ممّا يدلّ على تقدّم منزلة الرجل على منزلة غيره. إذ تجد في هذا الكتاب منهجية جديدة في تبويب مبتكر أضاف فيه أبواباً أخرى لم تكن في الكتب السابقة عليه.

واستظهر صاحب الروضات أنّ المترجم له كان في طبقة تلاميذ شيخ الطائفة أو تلاميذ ولده الشيخ أبي علي... وأنّه - رغم التحقيق في حقّ الرجل - لم يعرف تاريخ مولده ووفاته(2).

ولم تذكر كتب التراجم سنة ولادته ولا سنة وفاته، إلا أنّ بعضهم ذكر في كتابه أنّ المترجم له أحد أعلام الإمامية في القرن الخامس الهجري، وأنّه مدفون في وادي أيمن بكربلاد، وقبره مزار معروف(3).

6 - السيّد أحمد بن إبراهيم الموسوي (من علماء القرن السادس):

وهو من الشخصيات اللامعة في القرن السادس الهجري، وكان تقيباً في الحائر الحسيني، ومن أعلام الدين والفضيلة في كربلاء(4).

7 - السيّد فخار بن معد بن فخار الموسوي الحائري (ت 630 هـ):

وهو من أبرز العلماء المهاجرين من حوزة الحلّة العلمية إلى كربلاء كما 4.

ص: 64

1- نزهة الناظر : 6.

2- الروضات : 6 / 266.

3- تراث كربلاء : 234.

4- أنظر : ترجمته في أعيان الشيعة : 2 / 464.

ذكرنا في محلّه من البحث ، ومن الشخصيات العلمية المرموقة ، ومن أعلام الفقاهة ، وحظي بمكانة محترمة في الأوساط الكربلائية العلمية آنذاك(1).

وللمترجم له سيرة عطرة ذكرها أرباب التراجم والسير ، لا يسع البحث للدخول في تفاصيلها فهو من تلامذة ابن إدريس الحلّي (ت 598 هـ) وشاذان بن جبرئيل القميّ ، ويروي عنهما ، وهما يرويان عن أبي المكارم ابن زهرة(2).

كما أنّه يروي عن الفقهاء الكبار ، ووالده معد بن فخار ، والحسن الدربي ... كذلك يروي عن بعض علماء السنّة من أمثال أبي الفرج بن الجوزي الحنبلي ... ويروي عنه جمع من الرواة الفقهاء من أمثال : ولده عبد الحميد بن فخار ، وجعفر بن الحسن المعروف بالمحقّق الحلّي ، ونجيب الدين يحيى بن سعيد ، ورضيّ الدين بن طاووس ، وأبي الفضائل أحمد بن طاووس ، وسديد الدين يوسف بن علي بن المطهر والد العلامة الحلّي ...

ومن آثاره العلمية كتابه الشهير : حجة الذهاب إلى تكفير أبي طالب(3).

لقد كان المترجم له من الأعلام الأفاضل في كربلاء ، وتوفيّ فيها سنة (630 هـ) ودُفن في الحائر الحسيني(4). 0.

ص: 65

1- المرجع نفسه : 236.

2- الطبقات الطهراني (الأنوار الساطعة في المائة السابعة) : 130 / 4.

3- المرجع نفسه : 130 / 4 ، وطبقات الفقهاء : 192 / 7 - 193.

4- تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 40.

8 - الشيخ أبو طالب بن دريد الحائري (من علماء القرن الثامن):

وهو إبراهيم بن سيبويه أو (السيبي) ابن إبراهيم بن علي بن دريد الحائري المكتبي بالشيخ أبي طالب ، من علماء عصر فخر المحققين ، وقد كتب الجزء الأول من المختلف للعلامة الحلبي ، لنفسه في الحائر...»(1).

9 - الشيخ علي الخازن الحائري (ت 793 هـ):

وهو من أبرز العلماء المهاجرين من الحلة إلى كربلاء فنسب إليها فعرف ب-: (الحائري) حيث تتلمذ في مدرسة الحلة على الشيخ الشهيد الأول العاملي ، الذي أجازه وأثنى عليه في تلك الإجازة بقوله: «... المولى الشيخ العالم التقي الورع المحصل القائم بأعباء العلوم ، الفائق أولي الفضل والفهوم...»(2).

كما أن ابن فهد الحلبي أبا العباس أحمد (ت 841 هـ) قد تتلمذ عليه وروى عنه(3).

10 - السيد عميد الدين عبد المطلب بن السيد جدّ الدين أبو الفوارس (ت 754 هـ):

وهو حلبي المولد ، وبغداديّ الوفاة ، ونجفي المدفن «وفي بعض 7.

ص: 66

1- طبقات الطهراني (الحقائق الراهنة في المائة الثامنة): 2 / 5.

2- الفوائد الرضوية في أحوال العلماء الجعفرية: 290.

3- طبقات الطهراني الحقائق الراهنة: 137 / 5 ، طبقات الفقهاء: 137 / 8.

الإجازات المعتبرة أنه كان حلّي المولد حائري المحتد»(1).

والمرّجّم له من أجلاء علماء الحلة المهاجرين ، قال فيه الحرّ العاملي :

«فاضل من مشايخ الشهيد (أي الشهيد الأوّل) ... قال ابن معيّة عند ذكر روايته عنه : درّة الفخر ، فريدة الدهر مولانا الإمام الرّبّاني ، وأثنى عليه وبالغ فيه ، وهو ابن أخت العلامة»(2).

ويعتبر السيّد عميد الدين : «من أعلام كربلاء في القرن الثامن» ، «وكان باعث شهرته هو تدرّسه في الحائر الحسيني ، وملازمته للروضة الحسينيّة المقدّسة ، واحتكاكه بالوافدين ... الذين كانوا يقصدونه ويحضرّون مجلسه ويتلقّون منه الدروس في العلوم العقلية والنقلية»(3).

11 - الشيخ أحمد بن فهد الحلّي (ت 841 هـ) :

يعدّ ابن فهد الحلّي من أبرز العلماء المهاجرين من حوزة الحلّة العلمية إلى حوزة كربلاء في القرن التاسع الهجري ، بل يعتبره بعض الباحثين من أعمدة حوزة كربلاء حيث انتقلت بواسطته الحوزة العلمية من الحلّة إلى كربلاء ، فبعد أن كانت : «الحركة العلمية في الحلّة الفيحاء في أوج عظمتها ، ما لبثت أن انتقلت في منتصف القرن التاسع إلى كربلاء ، بسبب هجرة الزعيم 2.

ص: 67

1-روضات الجنات : 4 / 268.

2- أمل الآمل : 2 / 165.

3- تراث كربلاء : 228 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 42.

الديني المجاهد الشيخ أحمد بن فهد الحلّي إليها...»(1).

ويعتبره كاتب آخر: «المؤسس الأوّل للمركز المرجعي في مدينة كربلاء، التي كانت قبل وفوده إليها، مدينة عامرة بالعلماء والحركة العلمية، ولكنها لم ترقّ إلى مستوى المركز المرجعي الذي يحمل ملامحه وشروطه الخاصّة»(2).

وقد ترجمنا لابن فهد ترجمة مختصرة ضمن علماء الحلّة، ونضيف هنا، بأنّ مصادر ترجمة ابن فهد الحلّي - وعلى كثرتها - لا تحدّد لنا بدقّة تاريخ هجرته إلى كربلاء من الحلّة، رغم أنّ الأسباب لهذه الهجرة معلومة وقد أشرنا إليها في نهاية بحثنا عن مدرسة الحلّة في دور أؤلها والتي كان سببها الرئيسي هو الاضطرابات السياسيّة التي سبّبت إلى انعدام الأمن في الحلّة.

ومهما يكن من أمر، فإنّ هذا العلم الفدّ كانت له خدمات جليلة في حوزة كربلاء، وذلك من خلال «مرجعيتة الدينية التي تجاوزت حدود كربلاء والعراق إلى حدود الشام غرباً والخليج والجزيرة العربية جنوباً... فألّف المسائل الشاميّة، والرسائل البحرايتيّات...»(3)، أو من خلال الأسماء 1.

ص: 68

1- تراث كربلاء : 241.

2- كربلاء ودورها العلمي والمرجعي : 640، ضمن بحوث كتاب دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري.

3- المرجع نفسه : 641.

اللامعة التي تخرّجت من محضر درسه ، وقد أشرنا إلى بعضهم سابقاً ضمن قائمة أسماء العلماء المهاجرين من جبل عامل إلى الحلة. وبالرجوع إلى كتب التراجم والسير يمكن التعرّف على أسماء كثيرة من أولئك الأسماء اللامعة من تلامذة ابن فهد الحلّي (1).

لقد عاش ابن فهد الحلّي أواخر أيام حياته في كربلاء وتوفّي فيها. يقول السيّد الأمين : «وتوفّي سنة (841 هـ) عن (85 سنة) ودُفن بكربلاء بالقرب من مخيم سيّد الشهداء في بستان هناك تسمّيه العامّة ببستان أبو فهد ، وقبره مزار متبرّك به ، وعليه قبة» (2).

12 - الشيخ إبراهيم الكفعمي (ت 895 هـ) :

وهو «تقيّ الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمّد بن صالح العاملي الكفعمي مولداً ، اللويزي محتداً ، الجبعي أباً ، التقيّ لقباً. ثقة فاضلاً أديباً شاعراً عابداً زاهداً ورعاً ، له كتب منها : المصباح وهو الجنّة الواقية والجنّة الباقية ... وله كتاب البلد الأمين في العبادات ... وله شعر ورسائل متعدّدة ...» (3).

وقد ترجم له السيّد الأمين في الأعيان ترجمة وافية ذكر فيها ولادته 8.

ص: 69

1- للتوسّع أنظر : أعيان الشيعة : 3 / 148 ، أمل الآمل : 2 / 210 ، تكملة أمل الآمل : 105 ، 249.

2- أعيان الشيعة : 3 / 148.

3- أمل الآمل : 1 / 28.

ووفاته ومدفنه ونسبته ، وأقوال العلماء في حقّه ، ومشايخه ، ومؤلفاته والتي أوصلها إلى (49) مؤلفاً ثمّ أردف ذلك بنتف من خطبه ، ومقاطع مطوّلة من أشعاره(1).

والذي يبدو من ترجمة الكفعمي أنّه ولد في قرية من قرى جبل عامل تعرف ب- : (كفرعيما) وأبوه سكن قرية (جبع) ، وأنّ أصله من (اللويظة) في جبل عامل أيضاً ، نعرف بهذه المسمّيات الكفعمي ، الجبعي ، اللويزي.

أمّا دراسته ، فالذي يبدو أنّه درس أولاً في جبل عامل وعند علمائها الكبار ، ثمّ هاجر إلى العراق ، وأنّه «ورد المشهد الغروي على مشرّفه السّلام وأقام به مدّة وطالغ في كتب خزّانة الحضرة الغروية ، ومن تلك الكتب ألف كتبه الكثيرة في أنواع العلوم ...»(2).

ويرتبط اسم الشيخ الكفعمي بحوزة كربلاء العلميّة باعتباره من المهاجرين إليها ، والمدفونين فيها - على قول - يقول السيّد الأمين في الأعيان في ترجمته : «قد سكن كربلاء مدّة ، وعمل لنفسه أزج بها بأرض تسمّى عقير ، وأوصى أن يّدفن فيه ... ثمّ عاد إلى جبل عامل وتوفّي فيها ، ولم يذكر أحد ممّن ترجمه من الأوائل تاريخ ولادته ووفاته ... ويرجّح السيّد الأمين أن يكون مولده ووفاته ومدفنه بقرية (كفرعيما) - التي ينسب إليها - وأنّ تاريخ وفاته مجهول ... ، ثمّ ينقل عن كتاب الطليعة : «أنّه توفّي سنة (900 هـ)1.

ص: 70

1- أنظر : أعيان الشيعة : 2 / 184 - 189.

2- رياض العلماء : 1 / 21.

بكرلاء ودفن بها ، وظهر له قبر بجبشيت من جبل عامل وعليه صخرة مكتوب فيها اسمه .. ، والله أعلم حيث دفن ...»(1) ثم يذكر قصة ظهور قبر الكفعمي في قرية (جبشيت) ، وما روي من حديث في ظهوره.

وليس للكفعمي في كربلاء قبرٌ ظاهر في الوقت الحاضر ، ويذكر القائلون بمدفنه في كربلاء بأنه : «توفي في كربلاء سنة (900 هـ) ... ودفن في وادي أيمن بكرلاء وكان قبره ظاهراً»(2).

ومما يؤيد مدفنه في كربلاء وصيته بدفنه فيها ، وأبيات شعرية له يوصي بها بذلك : جاء فيها :

سألتكم بالله أن تدفوني

إذا متُّ في قبر بأرض عقير

فإني به جار الشهيد بكرلاء

سليل رسول الله خير مُجبر(3)

هذا كلُّ ما ذكره المؤرِّخون عن الكفعمي في ترجمته ، وليس بين أيدينا معلومات إضافية حول مدّة مكوثه في كربلاء ، ونشاطه العلمي فيها ، وآثاره العلمية التي دوّنها هناك ، وتلامذته ودروسه ...

أولئك هم أبرز العلماء والفقهاء الذين كان لهم حضورهم العلمي والمرجعي في حوزة كربلاء العلمية إلى بداية القرن العاشر الهجري ، وكان خاتمتهم الشيخ الكفعمي ، المتوفّي عام (900 هـ) على قول. 4.

ص: 71

1- أعيان الشيعة : 2 / 184 - 185 ، وانظر : الطليعة من شعراء الشيعة : 1 / 85.

2- تراث كربلاء : 244.

3- الطليعة من شعراء الشيعة : 1 / 84.

ولم تخل حوزة كربلاء في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين من وجود العلماء والفضلاء حيث برزت بعض الأسماء من رجالات العلم والأدب، إلا أنّهم كانوا أقلّ شهرة من السابقين عليهم.

وفيما يلي فهرسة مختصرة لبعض الأعلام في حوزة كربلاء حتّى نصل إلى عصر الشيخ البحراني والشيخ الوحيد البهبهاني.

1 - السيّد حسين بن مساعد الحائري (ت 910 هـ) وهو عالم فذّ وأديب ضليع قويّ الحجّة واسع الاطلاع... ومن آثاره مصنّفه تحفة الأبرار في مناقب أبي الأئمة الأطهار(1)، وهو من سلالة عيسى بن زيد الشهيد حفيد الإمام السجّاد عليه السلام، وباسمهم سمّيت محلّة (آل عيسى) في كربلاء(2).

2 - السيّد وليّ الحسيني الحائري (من علماء القرن العاشر) من علماء القرن العاشر الهجري المجاورين للحائر الحسيني، قال عنه في أمل الأمل: «كان عالماً فاضلاً صالحاً محدّثاً، له كتاب مجمع البحرين في فضائل السبطين، وكتاب كنز المطالب في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، وكتاب منهاج الحقّ واليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وغير ذلك»(3)، ولم ينصّ أحد من مترجميه على سنة وفاته ولا محلّ دفنه إلاّ صاحب ريحانة الأدب الذي نصّ على أنّه كان من معاصري الشيخ حسين والد الشيخ البهائي، 9.

ص: 72

1- الذريعة: 3 / 405.

2- تراث كربلاء: 246.

3- أمل الأمل: 2 / 339.

3 - السيّد عبد الحسين بن مساعد الحائري

ذكره الطهراني في الطبقات بقوله : عبد الحسين بن مساعد بن حسن بن علي ابن الحسن بن طوغان الحسيني الحائري ، كتب بخطه شرح مختصر العنصدي وفرغ منه في الخميس رابع رمضان (991 هـ) ، والنسخة موجودة في مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء(2).

وليس بين أيدينا معلومات أخرى عنه.

4 - المولى شمس الدين الشيرازي (ت 1035 هـ) وهو من علماء القرن الحادي عشر الهجري ، ذكره صاحب الطبقات فقال : «شمس الدين الشيرازي المتوفى بالري (1035 هـ) ، قرأ عليه ولده القاضي محمد شريف ، العلوم الأدبية والمنطق والكلام كما يظهر من كتاب ولده الموسوم ب- : خزان وبهار أن والده صاحب هذه الترجمة كان مجاور كربلاء حدود سنة (1000 هـ) فهاجر إلى إصفهان في (1006 هـ) ثم إلى مشهد خراسان في (1010 هـ) ، وبعد (27 شهراً) رجع إلى إصفهان وبقي إلى (1029 هـ) ، فذهب إلى الريّ وبها توفي (1035 هـ)»(3).

5 - القاضي محمد شريف المتخلص ب- : (الكاشف بن شمس الدين 8.

ص: 73

1- ريحانة الأدب 1 / 311.

2- الطبقات الطهراني (إحياء الدائر في علماء القرن العاشر) : 4 / 118.

3- المرجع نفسه : 4 / 268.

الشيرازي) ذكر في ترجمته أنه ولد في كربلاء في (1001 هـ) ، وحمله أبوه إلى إصفهان ، وتعلّم هناك مبادئ العلوم في المكتب ثم تنقل مع والده (شمس الدين) إلى مشهد الرضا عليه السلام ، ثم عاد إلى إصفهان وقرأ على والده العلوم الأدبية والمنطق والكلام ...

تولّى منصب القضاء لمدة خمس عشرة سنة من قبل السلطان ، له آثار علمية وتصانيف ، منها السراج المنير ، والدرّة المكنونة ، وحواس الباطن ... (1)

6 - السيّد علي الحسيني بن عبد الحسين بن مساعد الحائري ذكره صاحب الطبقات بعنوان الحائري النسابة ، ونقل عن محمّد كاظم الشريف النجفي في حاشية عمدة الطالب قوله : «إني رأيت مشجّر نسب السيّد ربيع الحائري الذي عمله في (1019 هـ) ، وعليه شهادة صاحب الترجمة بخطّه وكذا شهادة مساعد بن محمّد الحسيني ...» (2).

7 - السيّد حسين بن الحسن العسكري الحائري ذكره الشيخ الطهراني وقال عنه : «رأيت بخطّه الدروس للشهيد كتبها في (1026 هـ) موجودة في خزانة علي محمّد النجف آبادي في (التستريّة) قال في آخره : (... قد فرغ من تسويد هذا الكتاب اللطيف الشائق جامع ثمار الفوائد من أنواع الحدائق ، 2.

ص: 74

1- المرجع نفسه : 4 / 260 ، والذريعة 7 / 108 - 109 و 8 / 77 ، معجم المؤلفين : 10 / 67.

2- الطبقات الطهراني : 5 / 292.

المنسوب إلى المظلوم الشهيد الذي دمه فائق على مداد ذوي الفضل المتقدم واللاحق ، العبد المذنب المسرف الراجي رحمة ربه الغني ، حسين ابن حسن العسكري الحسيني الكربلائي في العاشر من شهر ربيع الأول سنة ستّ وعشرين وألف). وعليه تصحيحات بخطّه يظهر منها أنّه من أهل الغور والاطلاع وعليه حواشي رمزها (م ح ق مدّ ظلّه العالي) وفي الحواشي ينقل عن جدّه في شرح القواعد المظنون أنّ الحواشي للمير الداماد محمّد باقر ، ينقل عن جدّه الأمّي المحقّق الكركي في جامع المقاصد وكاتب الحواشي من تلاميذه»(1).

8 - الشيخ عبّاس البلاغي (ت 1085 هـ) وهو الشيخ عبّاس بن محمّد علي بن محمّد البلاغي العاملي ، قال عنه الصدر : «عالم فاضل ابن عالم فاضل أبو علماء أفاضل ، قرأ على أبيه العلامة وصنّف ومات بعد الألف من الهجرة»(2).

وقال الطهراني : «وهو والد الشيخ حسن الذي له كتاب تنقيح المقال وقد ترجم فيه جدّه محمّد علي المتوفّي سنة (1000 هـ). ووالد المترجم له فاضل جليل له إحاطة بكثير من العلوم ، وهو صاحب كتاب شرح الكافي.

أمّا نجله عبّاس فقد اقتفى أثر والده في تتبّع العلوم والارتشاف من 7.

ص: 75

1- المرجع نفسه : 175 / 5 - 176.

2- تكملة أمل الآمل : 253 ، والمرجع السابق : 310 / 5 ، ماضي النجف وحاضرها : 77 / 2.

مناهل المعرفة والعلم ، باق في أحفادهم إلى اليوم بوجود العالم محمّد علي البلاغي».

9 - السيّد نصر الله الحائري (الشهيد سنة 1168 هـ - على رواية) وهو من أشهر علماء الشيعة في حوزة كربلاء خلال القرن الثاني عشر الهجري ، وله ترجمة وافية في أغلب كتب التراجم والسير التي كُتبت خلال هذه الحقبة الزمنية ، أو التي أُرخت لتاريخ العراق السياسي والاجتماعي.

ترجم له الشيخ الطهراني في طبقاته ترجمة مطوّلة جاء في بعض مقاطعها :

«نصر الله المدرّس الحائري (المتوفّى حدود 1156 - 1168 هـ) هو ابن الحسين ابن علي بن إسماعيل (يونس) الحسيني الموسوي الفانزي المدرّس الشهيد قبل سنة (1168 هـ) سفيراً في البلاط العثماني ... قال السيّد عبد الله الجزائري في الإجازة الكبيرة : كان آية في الفهم والذكاء وحسن التقرير ، شاعراً أديباً له ديوان ، وله اليد الطولى في التاريخ والمقطّعات ، وكان مرضياً مقبولاً عند المخالف والمؤلف (الشيعة والسنة)»⁽¹⁾.

وذكره الأميني في شهداء الفضيلة ضمن قائمة الشهداء العلماء في القرن الثاني عشر (الهجري) فقال : «السيّد نصر الله ... المعروف بالسيّد الشهيد ؛ هو ممّن جمع الله سبحانه له الحسينيين ؛ السعادة بالعلم والتقى ، والشهادة دون ما 5.

ص: 76

1- طبقات الطهراني (الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة) : 6 / 775.

يحب الله ويرضى ، كما أنه جامع بين الشرفين ؛ علو النسب ، والفضل المكتسب ، فهو عالم فقه ، محدث ، أديب شاعر ، مشارك في علوم قلّ من أطلع عليها أجمع»(1) ثم ذكر ما جاء في الإجازة الكبيرة للجزائري. كما أنّ السيّد الأمين في الأعيان قد ذكر له ترجمة مفصّلة اشتملت على : نسبه ، ووفاته ، وأقوال العلماء فيه ، ومشايخه وتلامذته وممن يروي عنهم ، وسيرته التي جاء في مقطع منها : «كان يدرس في الروضة الشريفة الحسينية ، وكان زوّاراً للأمرء ، كثير السفارة فيما بينهم ... خرج إلى إيران وطاف فيها وأقام مدّة ، من جماعي الكتب والآثار ...»(2).

مؤتمر النجف ودور الحائري فيه :

ولنصر الله الحائري دور كبير في مؤتمر النجف الذي عقده في النجف ناصر الدين شاه القاجاري ، ضمن قصّة طويلة ، خلاصة ما جاء فيها : «إنّ نادرقلي شاه القاجاري الذي ظهر بعد انهيار الدولة الصفوية كقائد عسكري في الدولة القاجارية وحاصر بغداد عام (1733 م) لمدّة سبعة أشهر ، ثمّ اندحر منها مهزوماً أمّا الجيش العثماني ، عاد مرّة أخرى وفتح بغداد صلحاً مع واليها العثماني (أحمد باشا) فزار العتبات المقدّسة وعاد سريعاً إلى إيران ... وفي سنة (1736 م) وبعد موت الشاه طهماسب تتوّج نادرقلي ملكاً على إيران ، ا.

ص: 77

1- شهداء الفضيلة : 215.

2- أعيان الشيعة : 10 / 213 وما بعدها.

ومنذ ذلك الحين صار اسمه (نادر شاه) ...» «وكانت خطة نادر قلي أن يجعل من التشيع مذهباً فقهياً خامساً يضاف إلى المذاهب الأربعة الموجودة عند السنة... ففي عام (1743 م) أرسل نادر شاه إلى السلطان العثماني يطلب منه الاعتراف الرسمي بالمذهب الجعفري، فجمع السلطان علماء اسطنبول يستفتيهم في الأمر فكان جوابهم أنّ الشيعة مارقون عن الإسلام يجوز قتلهم وتأسيرهم شرعاً، وحين وصل هذا الجواب إلى نادر شاه اتخذه ذريعة لإعلان الحرب على الدولة العثمانية، وسرعان ما توجه بجيوشه نحو العراق، وعبر الحدود بالقرب من مندلي...».

مؤتمر النجف :

توجه نادر شاه إلى الموصل ثم جاء بغداد ومنها توجه إلى النجف، «ولم يكد نادر شاه يستقر في النجف حتى عزم على عقد مؤتمر عام يجتمع فيه علماء الشيعة والسنة لوضع أسس التوفيق بين الطائفتين المتعاديتين... وكان نادر شاه قد جلب معه من إيران سبعين عالماً شيعياً، كما جلب سبعة علماء من تركستان، وسبعة من أفغانستان، ثم استدعى من كربلاء السيد نصر الله الحائري، الذي كان حينذاك كبير مجتهد الشيعة في العراق، وأرسل إلى أحمد باشا (الوالي العثماني) يرجوه أن يبعث من قبله عالماً يمثل السنّين العراقيين، فأرسل أحمد باشا إليه الشيخ عبد الله السويدي، وبعد مجادلات طويلة - بين العلماء الحاضرين - تمّ الاتفاق على قرارات معينة، ثم اجتمع

ص: 78

علماء الطائفتين أخيراً تحت المسقف المنصوب وراء ضريح الإمام (علي عليه السلام) فكتبوا محضراً يشتمل على خمس مواد...» (1).

لقد كان نادر شاه يريد أن يُنجح مؤتمر النجف بأيّة صورة، ولهذا اتخذ إجراءات كثيرة تكفل للمؤتمر هذا النجاح الظاهري، فبعد انتهاء المؤتمرين من مؤتمريهم ابتهج كثيراً بذلك، وحاول أن يجمعهم مرّة أخرى في مناسبة دينية «فأمر نادر شاه أن تقام صلاة الجمعة في جامع الكوفة... وطلب من السويدي أن يحضر الصلاة لكي يسمع بإذنه مدح الصحابة من قبل خطباء الشيعة. وفي صباح يوم الجمعة ذهب الجميع إلى الجامع، وصعد السيّد نصر الله الحائري فألقى خطبة أثنى فيها على الخلفاء الأربعة واحداً بعد الآخر، كما أثنى على بقية الصحابة وأهل البيت، ثم دعا السلطان العثماني ولنادر شاه من بعده».

ومن طريف ما ينقل في هذا المجال أنّ خطيب الجمعة (السيّد الحائري) «حين وصل في خطبته إلى ذكر الخليفة الثاني (عمر) كسر آخره، مع العلم أنّ هذا غير جائز حسب قواعد النحو لأنّ اسم عمر ممنوع من الصرف، ولا ندري هل أنّ الحائري فعل ذلك سهواً أم عن قصد؟ وقد امتعض السويدي من ذلك كلّ الامتعاض واعتبر عمل الحائري دسيسة ب.

ص: 79

1- للتوسّع أنظر: (الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية) وقد طبع الكتاب طبعة ثانية في القاهرة أيضاً عام 1367 هـ - بعنوان (مؤتمر النجف) مع مقدّمة وتعليقات لمحَبّ الدين الخطيب.

مقصودة، أراد بها ذمّ الخليفة عمر، فقال ما نصّه: «... لكنّه كسر الرء من (عمر) مع أنّ الخطيب إمام في العربية، لكنّه قصد دسياسة لا يهتدي إليها إلاّ الفحول، وهي أنّ منع صرف عمر إنّما كان للعدل والمعرفة، فصرفه الخبيث قصداً إلى أنّه لا عدل فيه ولا معرفة! قاتله الله من خطيب وأخزاه ومحقه وأذّله في دنياه وعقباه...»(1).

يعتّب الدكتور علي الوردي على كلام السويدي بقوله: «إنّ هذا دليل على أنّ التقارب الطائفي الذي حصل في مؤتمر النجف كان سطحياً، ولم يتغلغل في أعماق القلوب، فقد بقي سوء الظنّ يلعب دوره على الرغم من الفرح الظاهر، ولهذا كان السويدي يراقب كلّ كلمة تقوّه بها الحائري في خطبته ويدقّق في فحصها، ولمّا لم يجد في الخطبة سوى تلك الهنة البسيطة - وهي كسر راء عمر - انتهزها فرصة وأخذ يبالغ فيها، ويستنتج منها ما توحى به روح الخصومة القديمة.

لقد كان المفروض فيه لو كان حسن الظن أن يفسّر الأمر تفسيراً حسناً، ولكنّه لم يفعل، ممّا يدلّ على أنّ الشحاء التي دامت قروناً لا يمكن أن تزول فجأة»(2).ا.

ص: 80

1- حديقة الزوراء في سيرة الوزراء : 547.

2- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث : 1 / 139 ، وما نقلنا سابقاً من نصوص حول مؤتمر النجف ودور الحائري فيها من المرجع نفسه. أنظر : 1 / 111 وما بعدها.

ينقل الخوانساري قصّة سفارة السيّد نصر الله الحائري واستشهاده باقتضاب فيقول : «ولمّا دخل النّادر - أي نادر شاه - المشاهد المشرّفة في النوبة الثانية ، وتقرّب إليه السيّد ، أرسله بهدايا وتحف جلييلة إلى الكعبة المعظمة ، فأتى البصرة ومشى إليها من طريق نجد ، وأوصل الهدايا ؛ فأتى عليه الأمر بالشخص سفيراً إلى سلطان الروم لمصالح تتعلق بأمر الملك والملة ، فلمّا وصل إلى قسطنطينية وشي به إلى السلطان بفساد المذهب وأمور أخرى ، فأحضر واستشهد فيما بين الخمسين والستين يعني بعد الألف والمائة من هجرة سيّد النبيّن ، وقد تجاوز عمره الخمسين»(1).

إلا أنّ السيّد الأمين في أعيانه يذكر تفاصيل مؤتمر النجف عند ترجمة الشيخ علي أكبر الملاّ باشي ، الذي كان يدير المناظرات مع عبد الرحمن السويدي ، ويذكر في آخرها : «وأرسل الشاه بعد ذلك نصر الله الحائري ليكون إماماً في مكّة المكرمة ، وأرسل معه هدايا إلى شريف مكّة ، فحاول أهل مكّة قتله ، ثمّ جاءه الأمر بالسفر إلى اسلامبول] هكذا [للسفارة بين الشاه والسلطان ، فاستشهد فيها...»(2).

وليس بين أيدينا معلومات ضافية تحدّد بدقّة طبيعة مهمّة السيّد ا.

ص: 81

1- روضات الجنات : 8 / 148.

2- أعيان الشيعة : 8 / 175. ومعادن الجواهر : 2 / 19 وما بعدها.

الحائري إلى مكة، وبعدها إلى اسطنبول، وما هي ردود الفعل التي واجهها في مهمته؟ وما هي نوع التهم التي استشهد من أجلها؟

والذي يبدو أنّ الحائري قد سبقته الوشايات المغرضة، ولا يُستبعد - كما يقول الدكتور علي الوردى - أن يكون للشيخ عبد الله السويدي يد في ذلك، إذ إنه كتب في ختام مذكراته عن المؤتمر قائلاً: «فلأجل هذا الذي حدث عزمْتُ على الحج، اللهم يسّر ذلك»(1).

وأما عن مصير جثمانه ومحلّ دفنه فينقل الدكتور الوردى: «عن الدكتور مرتضى نصر الله - وهو من سلالة الحائري - إنه حدّثه عن الرواية التي تناقلتها الأسرة حول مصير جدّهم هي أنّه مات من جرّاء وضع السمّ له في الطعام، غير أنّ جنازته شيعت تشييعاً رسمياً ودفن في قبر لائق به، ولا يزال قبره قائماً، وقد نصب عليه شبّك تبرّك به النساء، وينذرون له النذور»(2).

وهكذا مضى السيّد الحائري إلى ربّه شهيداً في غربة عن أهله ووطنه كما مضى السلف الصالح من العلماء الشهداء، بسبب الدسائس والتهم الباطلة التي حيكت ضدّهم.

إلا أنّ السيّد نصر الله الحائري لم ينقطع ذكره في حوزة الإسلام كربلاء، 0.

ص: 82

1- لمحات اجتماعية: 1 / 140 عن مذكرات السويدي: 29، وأنظر: كتاب مؤتمر النجف للسويدي: 106، طبعة دار طيبة الرياض، الطبعة الثالثة، 1393 هـ.

2- المرجع نفسه: 1 / 141 وتجد بعض التفاصيل في هامش الصفحة نفسها. كما أنّ المحامي عباس العزاوي له بعضه التفاصيل الأخرى في كتابه تاريخ العراق بين الاحتلالين: 5 / 269 - 270.

وبقي خالداً من خلال آثاره العلمية، وقصائده الولاية، بالإضافة إلى من تتلمذ عليه من طلاب العلم والمعرفة ممن واصلوا مسيرة أستاذهم رحمة الله تعالى عليه(1).

حوزة كربلاء في دورها الثاني :

دور التوسّع والازدهار والكمال العلمي :

لقد سارت الحركة العلمية في كربلاء سيراً حثيثاً، وحققت حوزتها العلمية فتوحات علمية على يد العلماء والفقهاء الكبار الذين تعاقبوا على التدريس والإفادة فيها.

ولم تنقطع حركة العلم في هذه الحوزة المباركة بفقدان مدرّسها الأول السيّد نصر الله الحائري رضي الله عنه، إذ واصل تلامذته مسيرة أستاذهم العلمية، إلا أنّنا لم نعتز على علماء لهم شهرتهم العلمية بعد عصر الحائري، حتّى حلّ في كربلاء الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق، ثمّ حلّ فيها الأستاذ الوحيد البهباني، وهما من كبار الفقهاء ومن جهاذة الفقه والأصول.

وبهذين العلمين الفذّين وتلامذتهما اللامعين دخلت حوزة كربلاء (دورها الثاني) وهو دور (التوسّع والازدهار والكمال العلمي)، بل إنّها أصبحت الحوزة الرئيسية للشيعة خلال هذه الحقبة الزمنية، بعد أن ا.

ص: 83

1- أنظر: أعيان الشيعة: 10 / 214 وما بعدها.

كانت حوزة النجف الأشرف - في دورها الثاني - هي الحوزة الرئيسية عند الشيعة.

يقول السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في معالمه : «إنّ مدرسة الأستاذ الوحيد البهبهاني نشأت على مقربة من المركز الرئيسي للحوزة - وهو النجف - فكان قربها المكاني هذا من المركز سبباً لاستمرارها ومواصلة وجودها عبر طبقات متعاقبة من الأساتذة والتلامذة ... حتّى استطاعت أن تففز بالعلم فقرة كبيرة وتعطيه ملامح عصر جديد»⁽¹⁾.

وسوف نقف على معالم هذا الدور المهم من أدوار حوزة كربلاء من خلال تراجم أعلامها في هذه الحقبة الزمنية ، ولامح الحركة العلمية فيها ، وأهمّ الآثار العلمية لهذه الحقبة ، ونبدأ أولاً بالشيخ يوسف البحراني ، باعتباره من أبرز العلماء الذين اتخذوا من كربلاء موطناً لهم حيث أفاض على طلابها من علمه وفضله ، وأصبحت حوزة كربلاء في عصره تشدّ لها رحال أهل الفضل وعشاق العلم.

وقبل الدخول إلى رحاب صاحب الحقائق ينبغي أن نشير إلى أنّ الشيخ البحراني يمثّل المدرسة الأخبارية في وجهها المعتدل⁽²⁾ ، وكانت حوزة كربلاء في القرن الثاني عشر تمثّل مركز تجمّع الأخباريين ، إذ كانت قبلها .

ص: 84

1- المعالم الجديدة للأصول : 86.

2- تحدّثنا بالتفصيل عن المدرسة الأخبارية ومراحلها المختلفة وأبرز رموزها وأهمّ آثارهم العلمية في كتابنا تطوّر حركة الاجتهاد ، الفصل العاشر : 412 وما بعدها.

البحرين قاعدة ومنطلقاً للاتجاه الأخباري في الفقه، فلمّا تعرّضت للغزو وتشرد أهلها انتشر فقهاؤها في الأرض، واحتضنت كربلاء بعضهم.

وكان الشيخ (يوسف) من هؤلاء الذين لجأوا إلى هذه المدينة المقدّسة ليواصلوا عملهم العلمي هناك، حيث حلّ فيها في حدود (عام 1169 هـ) فحفّ به طلاب العلم وارتشفوا من نير علمه العذب، وتسلّم في كربلاء زعامة التدريس والزعامة الدينية، ولبث في هذه المدينة قرابة عشرين عاماً حتّى وافاه الأجل فيها(1).

والشيخ البحراني هو: (يوسف بن أحمد بن إبراهيم آل عصفور الدرزي البحراني) المتوفّي سنة (1186 هـ).

ترجم له الرجاليون المتأخرون وأثنوا عليه الثناء الجميل حيث كان في علمه وتقواه من أكابر فقهاء الإمامية(2).

قال تلميذه أبو علي الحائري في كتابه منتهى المقال: «عالم، فاضل، متبحّر، ماهر، متتبع، محدّث، ورع، عابد، صدوق، دين، من أجلّة مشايخنا، وأفضل علمائنا المتبحّرين»(3).

وترجم له المرحوم العلامة السيّد عبد العزيز الطباطبائي (طاب ثراه) وفهرس مؤلّفاته فهرسة جامعة في تقديمه لكتاب الحدائق الناضرة الذي 5.

ص: 85

1- مقدّمة رياض المسائل: 1 / 95، بتصرّف.

2- تاريخ التشريع: 437.

3- منتهى المقال في معرفة الرجال: 7 / 74 - 75.

عنوانه ب- : «حياة شيخنا العالم البارع الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني قدس سره»(1).

وفي طليعة كتبه ومؤلفاته كتابه الفقهي الكبير الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة وهو كتاب شهير ومن عيون الكتب الفقهية الإمامية ، وناهيك به شهرة أن صار معرّفاً لمؤلفه الشهير ، فلم يكد شيخنا المحدث البحراني يعرف ثم يعرّف ، ولا يذكر ويميّز إلا بقولهم عنه صاحب الحدائق(2).

ومن مؤلفاته القيّمة كتاب الدرر النجفية قال عنه المؤلّف في اللؤلؤة : «فهو كتاب لم يعمل مثله في فنّه مشتمل على تحقيقات رائعة ، وأبحاث فائقة» أراد بذلك استخراج القواعد الأصولية من الأحاديث وتطبيقها عليها ، وجمع ما ورد عنهم عليهم السلام من النتف المتفرّقة في القواعد الأصولية ، وقد سبقه إلى ذلك المحدثان المتعاصران صاحب الوسائل والبحار ، فجمعها الأوّل في الفصول المهمّة في أصول الأئمّة ، والثاني في أوائل موسوعته الكبرى لأحاديث الشيعة بحار الأنوار كما ألّف بعده المحدث الكبير السيّد عبد الله شبر كتاباً أسماه الأصول الأصيلة(3).ش.

ص: 86

1- انظر : مقدّمة الحدائق الناضرة ج / 1.

2- المرجع نفسه : صفحة ج.

3- تاريخ التشريع : 440 ، الهامش.

كان الشيخ يوسف البحراني يتبنى الاتجاه الأخباري في طريقة استنباط الحكم الشرعي ، وكانت الطريقة الأخبارية هي الطريقة السائدة والمعروفة في أوساط المدارس الفقهية للشيعة الإمامية حيث انحسرت المدرسة الأصولية نتيجة الحملة التي تعرّضت لها من قبل المحدث الأسترآبادي وأقطاب مدرسته في تلك الفترة الزمنية.

وبعد هجرة الشيخ يوسف من البحرين إثر الغزو والتشريد الذي تعرّضت له تلك البلاد توجه اتجاه إيران وتنقل بين مدنها ، ثم سافر إلى العتبات العاليات وجاور في كربلاء(1) بعد رحلة علمية استغرقت خمسة وثلاثين عاماً.

ونشط الشيخ يوسف في كربلاء ، وواصل عمله العلمي على صعيدي التأليف والتدريس بالإضافة إلى الزعامة الدينية التي انفرد بها في هذه المدينة المقدّسة.

وتخرّج على يده خلال هذه المدة عدد من كبار الفقهاء الأفاضل أمثال : أبي علي الحائري المازندراني مؤلف كتاب منتهى المقال في علم الرجال ، والمحقّق القمي الميرزا أبو القاسم صاحب القوانين في علم الأصول ، والشيخ حسين محمد بن حسين مؤلف عيون الحقائق الناضرة في تنمّة الحدائق.

ص: 87

الناضرة، والسيد علي الحائري صاحب رياض المسائل، والسيد مهدي بحر العلوم الفقيه الشهير صاحب الفوائد الرجالية، والمولى المحقق النراقي محمد مهدي مؤلف مستند الشيعة وآية الله السيد ميرزا مهدي الشهرستاني(1)، وغيرهم الكثير من كبار الفقهاء والمجتهدين، عدا الكثير من طلاب العلم والمشتغلين الذين كانوا يستسقون من ندير علمه خلال فترة تواجده في إيران ولا سيما في معهدها الديني (شيراز) من الذين لم يضبط لنا تاريخ التراجم أسماءهم.

وفي كربلاء التي حلّ بها الشيخ يوسف رحمه الله في حدود سنة (1169 هـ) احتدم الصراع الفكري بين الأخباريين والأصوليين، يصدر منها إلى خارجها ويرد من خارجها إليها، ويدور عنيفاً على محور مركزها العلمي، ذلك أنّ ثورة الميرزا الأسترآبادي قد أثارت ردود فعل قويّة ومن أهمّها أن قوبلت بثورة أصولية من الوحيد البهبهاني.

وكان للمحدّث البحراني دورٌ مهمٌّ في محاولة توازن القوى وتبريد غليان الصراع، وذلك بشجب التطرف الذي كان من المحدّث الأسترآبادي والفيض الكاشاني وأمثالهما(2). والأخذ بالموقف المعتدل والعقلانية من هذا الصراع المرير بين المدرستين، محاولاً بذلك تخفيف غلواء أسلافه في ي.

ص: 88

1- انظر مقدّمة الحقائق صفحة : ل - م - ن - س - ع.

2- انظر لؤلؤة البحرين : 117 - 118 و 121 في ترجمة كلاً من الأسترآبادي والفيض الكاشاني.

الرأي ، والحدّ من حملاتهم الجارحة ، ومحاكمة الأصوليين ثمّ محاولة تقليص الخلاف بينهم وبين الأخباريين.

يقول رحمه الله في المقدمة الثانية عشرة من مقدّمات الحقائق(1) : وقد كنت في أوّل الأمر ممّن ينتصر لمذهب الأخباريين ، وقد أكثرت البحث فيه مع بعض المجتهدين من مشايخنا المعاصرين ، إلا أنّ الذي ظهر لي بعد إعطاء التأمل حقّه في المقام وإمعان النظر في كلام علمائنا الأعلام ، هو إغماض النظر عن هذا الباب وإرخاء الستر دونه والحجاب ، وإن كان قد فتحه أقوام وأوسعوا فيه دائرة النقض والإبرام.

أمّا أولاً : فلاستلزامه القدح في علماء الطرفين ، والإزراء بفضلاء الجانبين ، كما قد طعن به كلّ من علماء الطرفين على الآخر ، بل ربّما انجرّ إلى القدح في الدين سيّما من الخصوم المعاندين.

وأما ثانياً : فلأنّ ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جلّه بل كلّه عند التأمل لا يثير فرقاً في المقام(2).

وأما ثالثاً : فلأنّ العصر الأوّل كان مملوءاً من المحدثين والمجتهدين ، مع أنّه لم يرتفع بينهم صيت هذا الخلاف ، ولم يطعن أحد منهم على الآخر د.

ص: 89

1- تضمن كتاب الحقائق للمحدّث البحراني اثنتي عشرة - مقدّمة - مهمّة «تعكس منهج هذا الفقيه الجليل في الاستدلال الفقهي.

2- ربّما تكون هذه الدعوى مبالغة من الفقيه البحراني رحمه الله في ادّعاء عدم الفرق ، بل الفرق او الفروق موجود كما بيّنا ذلك في كتابنا تطوّر حركة الاجتهاد.

بالانحصاف بهذه الأوصاف ، وإن ناقش بعضهم بعضاً في جزئيات المسائل واختلفوا في تطبيق تلك الدلائل.

وحينئذ فالأولى والأليق - بذوي الإيمان ، والأحرى والأنسب في هذا الشأن - هو أن يقال : إن عمل علماء الفرقة المحققة ... إنما هو على مذهب أئمتهم عليهم السلام وطريقتهم الذي أوضحوه لديهم ... ولكن ربّما حاد بعضهم - إخبارياً كان ، أو مجتهداً - عن الطريق غفلة ، أو توهماً أو لقصور اطلاع أو قصور فهم ، أو نحو ذلك في بعض المسائل ، فهو لا يوجب تشنيعاً ولا قدحاً ، وجميع تلك المسائل - التي جعلوها مناط الفرق - من هذا القبيل.

فإننا نرى كلاً من المجتهدين والأخباريين مختلفون في آحاد المسائل ، بل ربّما خالف أحدهم نفسه ، مع أنه لا يوجب تشنيعاً ولا قدحاً ، وقد ذهب رئيس الأخباريين الصدوق رحمه الله إلى مذاهب غريبة لم يوافق عليها مجتهد ولا إخباري ، مع أنه لم يقدح ذلك في علمه وفضله.

ولم يرتفع صيت هذا الخلاف ولا وقوع هذا الاعتساف ، إلا في زمن صاحب الفوائد المدنية - سامحه الله وتعالى برحمته المرضية - فإنه قد جرّد لسان التشنيع على الأصحاب ، وأسهب في ذلك أيّ إسهاب ، وأكثر من التعصّبات التي لا تليق بمثله من العلماء الأطياب ... وكان الأنسب بمثله حملهم على محامل السداد والرشاد إن لم يجد ما يدفع به عن كلامهم

وكان لهذا الموقف الذي وقفه الشيخ يوسف من هذا الصراع تأثير بالغ الأهمية في إعادة الانسجام إلى مدرسة أهل البيت.

وفي نفس الوقت تدلّ على قمة في الوعي والمسؤولية أدركه المحدث البحراني رحمه الله على عاتقه ، وأحسّ بثقلها على كاهله ، فتوجّه بكلّ ثقله العلمي لتضييق شقّة الخلاف وإزالة الحواجز ونقد التطرف الأخباري في الموقف تجاه المدرسة الأصولية (2).

هذا بالإضافة إلى دلالة هذا الموقف على غاية في الورع والتقوى ، والدرجة العالية من التجرد عن الأنانية عند هذا الفقيه الجليل.

وتقوى الشيخ يوسف وخلوصه وصدقه وابتغاؤه للحقّ كان من أهمّ العوامل لانتصار المدرسة الأصولية على يد (الوحيد) كما سيأتي.

منهج الشيخ البحراني في الاستدلال الفقهي :

بقي المنهج الأخباري مورّعا في الكتب الأخبارية التي ألفت لنقد المنهج الأصولي ، ككتب المحدث الأسترآبادي ، والفيض الكاشاني ، والشيخ حسين بن شهاب العاملي ، وغيرهم ممّن له مدونات وكتب تعكس وجهة نظر المدرسة الأخبارية. 7.

ص: 91

1- الحدائق الناضرة : 1 / 167 - 170 المقدمة الثانية عشر - بتلخيص.

2- مقدّمة رياض المسائل : 1 / 97.

وانفرد الشيخ الفقيه البحراني رحمه الله عن أسلافه من علماء الأخبارية من خلال تطبيق منهجه في كتابه القيم الحدائق الناضرة وإن لم يقدر له أن يدونه بشكل نظري متكامل ومستقل كما صنع الأسترآبادي في الفوائد والفيض الكاشاني في جملة من مؤلفاته التي كرسها لتفنيد المنهج الأصولي وتأييد المنهج الأخباري مثل الأصول الأصيلة وغيرها ، أو كما فعل العاملين الشيخ الحرّ والشيخ حسين في هداية الأمة وهداية الأبرار وغيرها من المؤلفات.

إلا أنّ الخطوط العامّة للفكر الأخباري عند الفقيه البحراني رحمه الله مبثوثة في كتابه القيم الدرر النجفية فإنّه رحمه الله أفاض الكلام في المسائل الخلافية التي بين المجتهدين والأخباريين ، وبيّن رأيه في كلّ مسألة مع إقامة البرهان عليه⁽¹⁾. كذلك الأمر في المقدمات الإثنتي عشر التي قدّمها لكتابه الحدائق الناضرة.

وباستطاعة الباحث استخلاص المنهج النظري للفقيه البحراني رحمه الله ويكلّ خطوطه وقواعده من خلال كتاب الحدائق.

أمّا منهجه واختلافه عن منهج من سبقه من أعلام الأخبارية في المرحلة الأولى أمثال الأسترآبادي ، والكاشاني ، والعاملين ، فيمكننا أن نلخصه بما يلي⁽²⁾ :

أولاً : في ظواهر القرآن الكريم : ت.

ص : 92

1- انظر الدرر النجفية : 87 ، الهامش رقم 9.

2- انظر : تاريخ التشريع الاسلامي : 445 - 449 ، حيث استفدنا منه في بيان الخطوط العامّة لهذا المنهج ، بتلخيص وتصرف في بعض العبارات.

تعرّض لذكر هذه المسألة في المقدمة الثالثة من الحدائق وذكرها بشيء من التفصيل في الدرر النجفية(1). قال : المقام الأول : (في الكتاب العزيز) :

ولا- خلاف بين أصحابنا الأصوليين في العمل به في الأحكام الشرعية والاعتماد عليه ، حتّى صنّف جملة منهم كتباً في الآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية وهي خمسمائة آية عندهم.

وأما الأخباريون فالذي وقفنا عليه من كلام متأخريهم ما بين إفراط وتفریط ، فمنهم من منع فهم شيء منه مطلقاً حتّى مثل قوله : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) إلاّ بتفسير من أصحاب العصمة عليهم السلام. ومنهم من جوّز ذلك حتّى كاد يدّعي المشاركة لأهل العصمة عليهم السلام في تأويل مشكلاته وحلّ مبهمات.

والتحقيق في المقام أن يقال : إنّ الأخبار متعارضة من الجانبين ، ومتصادمة من الطرفين ، إلاّ أنّ أخبار المنع أكثر عدداً ، وأصرح دلالة(2).

ثمّ يذكر جملة من الروايات المتعارضة بنظره في المقام وبعد أن يطبق عليها قواعد التعارض ينتهي إلى ترجيح روايات المنع ، وردّ ما يعارضها.

وهذا يسلمنا في النتيجة إلى أنّه قدس سره يوحد مصدري الكتاب والسنة بسنة أهل البيت عليهم السلام(3). 6.

ص: 93

1- انظر الحدائق : 1 / 26 المقدمة الثالثة في مدارك الأحكام الشرعية ، والدرر النجفية : 171.

2- الحدائق : 1 / 27 ، وانظر : 30 وما بعدها.

3- تاريخ التشريع : 446.

وهي نفس النتيجة التي انتهى إليها الحرّ العاملي رحمه الله حيث عقد لهذه المسألة باباً وعنوانه (عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن ، إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة عليهم السلام)⁽¹⁾. وروى تحت هذا العنوان (82) حديثاً.

ثانياً : في تنويع الأخبار إلى أنواعه الأربعة المعروفة :

فقد ذهب إلى بطلان التنويع ، وعقد المقدمة الثانية من كتاب الحقائق لذلك وحاول - جاهداً - أن يثبت صحّة جميع الأخبار وإبطال هذا الاصطلاح في تنويع الحديث إلى الأنواع الأربعة وخُلص إلى «ثبوت صحّة تلك الأخبار عندنا والوثوق بورودها عن أصحاب العصمة عليهم السلام»⁽²⁾.

ثالثاً : في اعتبار مرويات الكتب المعتمدة ، وعدم اختصاص الصحّة بأخبار الكتب الأربعة :

ففي (تتمّة) للمقدمة الثانية من مقدّمات الحقائق ذهب إلى عدم انحصار الصحّة في الكتب الأربعة المشهورة.

ثمّ ينقل كلام المحدّث الجزائري في شرحه على التهذيب الذي يقول فيه :

«والحقّ أنّ هذه الأصول الأربعة لم تستوف الأحكام كلّها ، بل قد وجدنا 7.

ص : 94

1- انظر الوسائل : 27 / 176 - 206 ، كتاب القضاء ، الباب الثالث عشر من أبواب صفات القاضي وما يقضي به.

2- انظر الحقائق : 1 / 14 - 25 ، وكذلك الدرر النجفية : 167.

كثيراً من الأحكام في غيرها، مثل عيون أخبار الرضا، والألمالي، وكتاب الاحتجاج، ونحوها، فينبغي مراجعة هذه الكتب وأخذ الأحكام منها، ولا يقلد العلماء في فتاويهم؛ فإن أخذ الفتوى من دليلها هو الاجتهاد الحقيقي...».

ثم يضيف إلى تلك الكتب كتاب الفقه الرضوي فيقول: «وخصوصاً كتاب الفقه الرضوي... فإنه اشتمل على مدارك كثيرة للأحكام وقد خلت عنها هذه الأصول الأربعة وغيرها».

ثم يعقب على كلامه بقوله: «وقد أجاد فيها، وحرّر، وفصل، وأشاد وطبق المفصل، وعليه المعتمد والمعول»⁽¹⁾.

رابعاً: في الإجماع:

يذهب في مسألة الإجماع مذهب الأصولية، وتبني قول المحقق الحلّي في المعبر الذي مفاده: «وأما الإجماع فهو عندنا حجة بانضمام المعصوم...» إلا أنه يشكك في حصول هكذا إجماع بقوله: «على أن تحقّق هذا الإجماع في زمن الغيبة متعذّر، لتعذّر ظهوره عليه السلام وعسر ضبط العلماء على وجه يتحقّق دخول قوله في جملة أقوالهم» ثم يقول: «... وعلى هذا فليس في عدّ الإجماع في الأدلة إلا مجرد تكثير العدد وإطالة الطريق...»⁽²⁾.

خامساً: في دليل العقل والأصول المستفادة منه: 9.

ص: 95

1- انظر الحدائق: 1 / 25، كذلك الدرر النجفية: 170.

2- انظر الحدائق: 1 / 35 - 36 و 168 وانظر الدرر النجفية: 179.

فإنّه يذهب إلى نفي اعتبار العقل مصدراً من مصادر الفقه.

كما أنّه يذهب إلى أنّ الأصول الفقهية المستفادة من دليل العقل - هي الأخرى - غير معتبرة، والمعتبر عنده هو الأصول المستفادة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

قال في المقدّمة الثالثة من الحقائق: «وأما الثالث - من معاني الأصل وهو القاعدة - فإن كانت تلك القاعدة مستفادة من الكتاب والسنة فلا إشكال في صحّة البناء عليها، ومنها قولهم: الأصل في الأشياء الطهارة - أي القاعدة المستفادة من النصوص وهي قولهم عليهم السلام: (كلّ شيء طاهر حتّى تعلم أنّه قذر) تقتضي طهارة كلّ شيء»⁽¹⁾.

ولازم كلامه قدس سره عدم صحّة البناء على القاعدة المستفادة من غير الكتاب والسنة وهي المستفادة من دليل العقل⁽²⁾.

سادساً: في الاجتهاد والتقليد:

لم يتعرّض الفقيه البحراني قدس سره إلى ذكر الاجتهاد والتقليد، وما يتبناه فيهما من رأي في مقدّمات الحقائق ولا في الدرر.

إلا أنّ المتأمل في منهجه الاستدلالي يجزم بأنّه يقول بهما، شريطة أن يكون المجتهد إخبارياً في منهج استدلاله وطريقة فتواه⁽³⁾. هـ.

ص: 96

1- انظر الحقائق: 1 / 24 كذلك 1 / 129 - 133 ، م - ن.

2- تاريخ التشريع الإسلامي: 448.

3- المصدر نفسه.

وقد صرّح قدس سره بهذا المعنى في كتابه المعروف بـ: الكشكول في مسألة القضاء لغير المجتهد عند فقد المجتهد ، حيث قال : «بل الذي تضمّنته تلك الأخبار هو الرجوع إلى من تمسّك بذيل الكتاب والسنة وأمن العثار ، ومدار أحكامه إنّما هو عليهما في الإيراد والإصدار ، فالعمل بحكمه عمل بحكمهم عليهم السلام الرّاد عليه رادّ عليهم في حلال أو حرام».

وقال في المصدر نفسه : «إذا عرفت ذلك ، فاعلم أنّ المأمور بتقليده في أحكامهم ، والقبول عنه لما ينقل عنهم ، هو الذي أشار إليه عليه السلام في مقبولة عمر بن حنظلة بقوله : (ينظر إلى من كان منكم قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا ، فارضوا به حكماً ، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً...) ثمّ استشهد بروايات أخرى ، منها التوقيع الوارد عن الإمام الحجّة (عج) : وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله»(1).

إلى هنا تنتهي هذه الجولة المختصرة في منهج المحدث والفقهاء الشيخ يوسف البحراني واختلاف منهجه عن العلماء الأخباريين الذين كانوا في المرحلة السابقة على مرحلته ، ومردّد ذلك الاختلاف إلى أمرين :

الأوّل : جعله الإجماع من مصادر الفقه ، ولو نظرياً.

ثانياً : قوله بالاجتهاد والتقليد ، وتقيّد ذلك بكون المجتهد إخبارياً في 7.

ص: 97

الشيخ الوحيد البهبهاني ودوره في حوزة كربلاء :

ومن أهم فقهاء هذا الدور هو الشيخ الوحيد البهبهاني رضي الله عنه.

وهو : «محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني الحائري الملقب بالوحيد والمتوفى سنة (1206 هـ - / 1791 م) على أصح الأقوال»(2).

ترجمه الميرزا النوري في خاتمة المستدرک فوصفه ب- : «الأستاذ الأكبر ، مروج الدين في رأس المائة الثالثة عشرة» ثم قال : قال (معاصره) الشيخ عبد النبي القزويني في تميم أمل الآمل بعد الترجمة له : «فقيه العصر ، فريد الدهر ، صاحب الفكر العميق ، والذهن الدقيق ، صرف عمره في اقتناء العلوم واكتساب المعارف الدقائق ، وتكميل النفس بالعلم بالحقائق ، فحياه الله وباستعداده علوماً لم يسبقه فيها أحد من المتقدمين ، ولا يلحقه أحد من المتأخرين إلا بالأخذ منه ...»(3).

وقد حصل هذا الفقيه على لقب (مجدد) الفقه الإثني عشري ، لأنّ عصره أصبح فاصلاً لعصر جديد من عصور مدرسة الاجتهاد أُطلق عليه ب- : 4.

ص : 98

1- انظر : تاريخ التشريع الإسلامي : 449.

2- هنالك أقوال أخرى في سنة وفاته ، انظر : تنقيح المقال : 2 / 85 ، الفوائد الرضوية : 405 ، أعيان الشيعة : 9 / 182 ، الأعلام للزركلي : 49 / 6.

3- انظر مستدرک الوسائل ، الخاتمة : 3 / 384.

وقد أصبحت مدينة كربلاء (كربلاء) بفضل وجود هذا العَلم وفي عصره عاصمة من العواصم العلمية التي ضاهت مراكز العلم الشيعية الأخرى ، وبقية محافظة على مركزها العلمي قرابة قرن من الزمن ، وذلك بعد وفاة محمّد شريف المازندراني عام (1245 هـ) الذي قيل إنّ حضّار درسه كانوا يقاربون الألف طالب(2).

يقول الشيخ الطهراني في ترجمة الوحيد في الكرام البررة :

«لما ورد المترجم كربلاء المشرفّة قام بأعباء الخلافة ، ونهض بتكاليف الزعامة والإمامة ، ونشر العلم بها ، واشتهر بتحقيقه وتدقيقه ، وبانت للملأ مكانته السامية ، وعلمه الكثير ، فانتهدت إليه زعامة الشيعة ورئاسة المذهب الإمامي في سائر الأقطار ، وخضع له جميع علماء عصره ، وشهدوا له بالتفوّق والعظمة والجلالة ، ولذا اعتبر مجدّداً للمذهب على رأس هذه المائة ، وقد ثبت له الوسادة زمنياً ، استطاع خلاله أن يعمل ويفيد ، وقد كانت في أيامه للأخباريّة صولة وكان لجّهالهم جولة ، وفتلات وجسارات وتظاهرات أُشير إلى بعضها في منتهى المقال وغيره ، فوقف المترجم آنذاك موقفاً جليلاً كسر به شوكتهم ، فهو الوحيد من شيوخ الشيعة الأعظم ، الناهضين بنشر العلم 9.

ص: 99

1- انظر : المعالم الجديدة : 88.

2- انظر : مقدّمة محمّد رضا المظفّر على كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام : 9 / 1.

والمعارف ، وله في التاريخ صحيفة بيضاء يقف عليها المتبّع في غضون كتب السير والمعاجم»(1).

وعبر عنه تلميذه أبو علي الحائري بقوله :

«أستاذنا العالم العلامة ... مؤسس ملة سيّد البشر في رأس المائة الثانية عشر ... كلّ من عاصره من المجتهدين فإنه أخذ من فوائده واستفاد من فوائده»(2).

رحلته العلمية وأساتذته :

ولد المحقّق البهبهاني في سنة ثمانى عشرة أو سبع عشرة(3) بعد المائة والألف في إصفهان ، وقرأ المقدمات فيها ، ثمّ انتقل إلى النجف وأكمل فيها دروسه عند العَلَمَين الجَلِيلَين : السيّد محمّد الطباطبائي البروجردى - جدّ السيّد بحر العلوم - والسيّد صدر الدين القمّي الهمداني شارح كتاب وافية الأصول ، ثمّ انتقل إلى (بهبهان) معقل الأخباريين في ذلك الزمان ، فمكث هناك ما يربو على ثلاثين سنة ، لعب فيها دوراً هاماً في التعليم والتربية والتأليف والتصنيف(4) ، فتحولت المدرسة العلمية في عهده في هذه المدينة إلى الاتجاه الأصولي .

ص: 100

1- الكرام البررة : 1 / 171 .

2- منتهى المقال : 6 / 177 - 178 .

3- المصدر نفسه .

4- انظر م - ن : 1 / 178 ، تاريخ الفقه الإسلامى : 418 ، مقدّمة الرياض : 1 / 96 ، الكرام البررة : 1 / 171 - 174 .

ثم ارتحل إلى النجف الأشرف ولم يلبث فيها إلا قليلاً، ثم انتقل إلى كربلاء.

وكان نزول الوحيد البهبهاني بهذه المدينة إيداناً بمرحلة جديدة في الاتجاه الأصولي والاجتهاد ومواجهة المدرسة الأخبارية، ونجح الوحيد في رسالته العلمية وأبرز الاتجاه الأصولي واستقطب خيرة تلامذة الشيخ يوسف البحراني وجمعهم حوله، وانحسرت الحركة الأخبارية وانزوت ولم تستعد نشاطها بعد ذلك التاريخ (1).

ولعلّ المدّة الطويلة التي قضّاها المحقّق الوحيد في مدينة بهبهان - وهي يومئذ معقل علماء الأخبارية - قد مكّنته من الاطلاع الكافي على مباني وإشكالات التيار الأخباري، وحينما لمس عن قرب خطورة هذا التوجّه، استعدّ لمواجهته بكلّ ما يملك من إمكانات على صعيد البحث النظري أو العملي.

«نقل السيّد مهدي القزويني إنّ البهبهاني في بادئ نشأته كان إخبارياً نظراً لغلبة هذا التيار على البيئة الإيرانية، وكان أستاذه صدر الدين الكاظمي (ت 1164 هـ) من العلماء الأصوليين، وبعد مناقشات بينهما تحوّل التلميذ البهبهاني أصولياً، والأستاذ إخبارياً» (2). ط.

ص: 101

1- مقدّمة الرياض : 1 / 96.

2- المرجعية الدينية : 180 عن السيّد مهدي القزويني في كتابه الاستعداد لتحصيل ملكة الاجتهاد، الورقة (51) مخطوط.

وقد انصبّت جهود الوحيد البهبهاني في حوزة كربلاء على محورين :

الأول : تربية نخبة من الفقهاء الأصوليين ليحافظوا على خطّ الرّعاية المرجعية من بعده.

الثاني : تصديّه لشنّ حملة عنيفة على الاتجاه الأخباري ، بنقده اللاذع لأهمّ شبهاتهم.

أمّا المحور الأول : فقد تحدّثنا عنه ضمن حديثنا عن حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث.

وأما المحور الثاني : فقد ظهر الشيخ الوحيد في عصر كانت الطريقة الأخبارية فيه سائدة على الساحة العلمية وكان الشيخ يوسف البحراني (ت 1186 هـ) زعيم هذا الاتجاه العلمي ، فبدأ الوحيد يعمل ضدّ هذا الاتجاه واستطاع أن يحدّد من غلبتها على الرأي العامّ وأن يسير بالفقه الشيعي خطوات واسعة.

والذي يظهر ممّا ذكره مؤرّخو هذا الصراع الفكري ، إنّ الوحيد البهبهاني ألقى بكلّ ثقله في المعركة ، وصمّم بكلّ عزيمة وإصرار على كسب الجولة من خلال الأساليب العملية التالية :

1 - أسلوب المناظرة والمباحثة العلمية :

لقد اتّصف الشيخ الوحيد بأسلوب في الحوار والمباحثة والمناظرة العلمية قلّ مثلها في علماء عصره ، وكان محاوراً قوياً وقادراً على إدارة الحوار بصورة ممتازة وجيدة ، وكان يستخدم الحوار في نقد المدرسة

ومما ينقل في هذا المجال ما حدّثنا به الفقيه المامقاني في التنقيح : «أنّ الشيخ الوحيد عندما نزل كربلاء ، حضر أبحاث الشيخ يوسف البحراني أياماً ، ثمّ وقف يوماً في الصحن الشريف ونادى بأعلى صوته : أنا حجة الله عليكم! فاجتمعوا عليه ، وقالوا ما تريد : فقال : أريد من الشيخ يوسف يمكّنتني من منبره ويأمر تلامذته أن يحضروا تحت منبري ، فأخبروا الشيخ يوسف بذلك ، وحيث إنّ كان يومئذ عادلاً عن مذهب الأخبارية ، خائفاً من إظهار ذلك من جهّالهم ، طابت نفسه بالإجابة ...

فارتقى منبر درس الشيخ يوسف البحراني وباحث تلامذته مدّة ثلاثة أيّام ، فعُدل ثلثا التلاميذ إلى مذهب الأصولية»(2).

ولم تنتهِ حدود الحوار والمباحثة عند تلامذة الشيخ يوسف البحراني بل امتدت إلى المناظرة مع أستاذهم الشيخ يوسف صاحب الحدائق بنفسه.

فقد كانت المناظرة بينهما على قدم وساق وحامية الوطيس ، حتّى أنّ الشيخ عبّاس القمّي يحدّثنا في الفوائد الرضوية عن صاحب التكملة ، عن الحاج (كريم) أحد سدنة الروضة الحسينية المقدّسة ، أنّه كان يقوم بخدمة الحرم في شبابه ، وذات ليلة التقى بالشيخ يوسف البحراني والوحيد البهبهاني داخل الحرم وهما واقفان يتحاوران وطال حوارهما حتّى حان وقت إغلاق ي.

ص: 103

1- مقدّمة الرياض : 1 / 99 - 100.

2- تنقيح المقال : 2 / 85 ، ترجمة البهبهاني.

أبواب الحرم ، فانتقلا إلى الرواق المحيط بالحرم واستمرّا في حوارهما وهما واقفان ، فلمّا أراد السدنة إغلاق أبواب الرواق انتقلا إلى الصحن وهما يتحاوران ، فلمّا حان وقت اغلاق أبواب الصحن انتقلا إلى خارج الصحن من الباب الذي يفتح على القبلة ، واستمرّا في حوارهما وهما واقفان ، فتركهما وذهب إلى بيته ونام.

فلمّا حلّ الفجر ورجع إلى الحرم صباح اليوم الثاني ، سمع صوت حوار الشيخين من بعيد ، فلمّا اقترب منهما وجدتهما على نفس الهيئة التي تركهما عليه في الليلة الماضية ، مستمرّان في الحوار والنقاش ، فلمّا أذن المؤذن لصلاة الصبح رجع الشيخ يوسف إلى الحرم يقيم الصلاة جماعة ، ورجع الوحيد البهبهاني إلى الصحن وافتش عباة على طرف مدخل باب القبلة ، وأذن وأقام وصلّى صلاة الصبح (1).

وفي أمثال هذه المحاورات كان الوحيد يتمكّن من خصومه ويدحض شبهاتهم ويكرّس الاتجاه الأصولي ويعمّقه.

2 - أسلوب التصنيف والتأليف العلمي :

خلف الشيخ الوحيد البهبهاني من بعده تراثاً علمياً تمثّلت في كتب وأبحاث ورسائل وحواسي بلغت ما يقرب من ستين كتاباً (2) كرس البعض 1.

ص: 104

1- انظر : مقدّمة الرياض : 1 / 100 تاريخ الفقه : 428 - 429 نقلاً عن الفوائد الرضوية.

2- منتهى المقال : 7 / 180 ، وانظر مقدّمة المحقّق السيّد محمّد اليثربي على كتاب العلامة الوحيد - الرسائل الفقهية ، ط. قم ، حيث قال : تضاهي مؤلّفاته - طاب ثراه - المائة والثلاثة ، ما بين رسالة مختصرة وكتب مفصّلة : 31.

منها في ردّ الشبهات المثارة ضدّ المدرسة الأصولية ، ودحض شبهات الأخباريين ونظرياتهم.

ومن هذه المؤلفات يمكن الإشارة إلى :

1 - الاجتهاد والأخبار في الردّ على الأخبارية وذكر كيفية الاجتهاد ومقدماته وأقسامه من المطلق والمتجزئ؟ وغير ذلك (1).

2 - الفوائد الحائرية الأصول القديمة (العتيقة) ذكر فيها ما لا بدّ للفقيه من معرفته.

3 - الفوائد الحائرية الأصول الجديدة ، ويقال لها الملحقات.

4 - الردّ على شبهات الأخباريين على الأصول المتمسك بها عند الأصوليين والجواب عن كلام صاحب المفاتيح الفيض الكاشاني (2).

5 - شرح مفاتيح الشرائع (للفيوض الكاشاني).

قال الشيخ الطهراني في الذريعة : وهو غير حاشيته على المفاتيح ... بل الشرح هذا كبير ، ينقل عنه جميع تلاميذه ، ومن تأخر عنه ، وكلّما يطلق في كتبهم شرح المفاتيح فهو هذا الشرح ، وهو في ثمان مجلّدات (3).

6 - التعليقة على الرجال الكبير (وهو منهج المقال للأسترآبادي). 5.

ص: 105

1- انظر الذريعة : 1 / 269 ومنتهى المقال : 6 / 180.

2- انظر الذريعة : 6 / 212 و 14 / 75.

3- الذريعة : 14 / 75.

وهي «شرح لطيف مفيد نافع ، مبدوء بفوائد خمس رجالية ، وإليه يرجع العلماء حتّى اليوم»(1).

وله رحمه الله جملة من الحواشي العلمية على العديد من مهمّات كتب الفقه والحديث منها :

1 - حاشية على مجمع الفائدة والبرهان (للأردبيلي) من أوّل كتاب المتاجر إلى آخر الكتاب.

2 - حاشية على معالم الدين وملاذ المجتهدين (للشيخ حسن).

3 - حاشية على مسالك الأفهام (للشهيد الثاني).

4 - حاشية على المختصر النافع (للمحقّق الحلّي).

5 - حاشية على ذكرى الشيعة (للشهيد الأوّل)(2).

وله رسائل علمية في موضوعات شتى.

وكتب الشيخ الوحيد متينة ومشحونة بالأفكار الفقهية والأصولية ، وتعتبر جملة من أفكاره التي دوّنها والتي درّسها لتلاميذه أسساً لعلم الأصول الحديث(3).

3 - التضييق على أقطاب الحركة الأخبارية :

اتّخذ الشيخ الوحيد البهبهاني رضي الله عنه في مواجهته للحركة الأخبارية 2.

ص: 106

1- المصدر نفسه : 4 / 223.

2- منتهى المقال : 6 / 182.

3- مقدّمة الرياض : 1 / 102.

موقفاً حاسماً وصلباً، انطلاقاً من تشخيصه لخطورة الموقف فيما إذا استمرّت هذه الحركة في امتدادها، واستقطابها للوسط العلمي.

وفي نفس الوقت انطلق أقطاب الحركة الأخبارية في مواجهتهم لحركة الاجتهاد من خلال أسلوب التكفير، والخروج من الدين، وخاصة من قبل مؤسسها (الأمين الأسترآبادي) الذي هو أول من فتح باب الطعن على المجتهدين، وتقسيم الفرقة الناجية إلى أخباري ومجتهد، وأكثر في كتابه الفوائد المدنية من التشنيع على المجتهدين بل ربّما نسبهم إلى تخريب الدين(1)!!

ولو استثنينا الشيخ يوسف البحراني رضي الله عنه من هؤلاء - حيث اتّصف بالاعتدال والعقلانية والذي يرّد على الأمين الأسترآبادي بأنّه «ما أحسن وما أجاد ولا وافق الصواب والسداد بما قد ترتّب على ذلك منه عظيم العناد...»(2) - لوجدنا جلّ أقطاب الحركة الأخبارية يسلكون هذا المسلك، ويسرون على نفس الطريقة في مواجهتهم للحركة الأصولية الاجتهادية، من الأمين الأسترآبادي إلى الفيض الكاشاني، إلى الميرزا محمّد الأخباري.

وقد وصل الأمر إلى درجة: «أنّ الرجل منهم - من الأخبارية - إذا أراد حمل كتاب من كتب فقهاءنا رضي الله عنهم حمّله مع مندبل»(3). 8.

ص: 107

1- لؤلؤة البحرين : 118.

2- المصدر نفسه : 1 / 8.

3- منتهى المقال : 6 / 178.

فوقف الشيخ الوحيد موقفاً جليلاً صلباً سديداً في ذات الله كسر به شوكتهم ، وحدد نشاطهم.

ومن جملة ما اتخذته الشيخ الوحيد رضي الله عنه في هذا المجال أنه كان يمنع تلاميذه من حضور دروس الشيخ يوسف البحراني رضي الله عنه.

يقول صاحب الروضات في ترجمة صاحب الرياض (الطباطبائي) ابن أخت العلامة الوحيد وصهره علي ابنته : «أنه كان يحضر درس صاحب الحدائق ليلاً ، لغاية اعتماده علي فضله ومنزلته ، وحرراً من اطلاع خاله العلامة عليه ، وأنه كتب جميع مجلدات الحدائق بخطه الشريف»(1).

هذا الموقف الشديد من قبل الشيخ الوحيد ، له مبرراته العقلية والشريعة والتي شخّصها العلامة الوحيد ، وهو أستاذ الكلّ ، ولم تكن هنالك نزعة ذاتية أو مصالح شخصية تدعو الشيخ لاتخاذ مثل هكذا موقف ، ولهذا نجد الشيخ يوسف البحراني رضي الله عنه يلتمس العذر للشيخ الوحيد ، وكان يسمح لتلاميذه بحضور دروس الشيخ الوحيد ، وكان يقول كلُّ يعمل بموجب تكليفه ، ويعذر الوحيد في ذلك(2).

وفي خطوة أخرى نجد الشيخ الوحيد يستخدم أسلوب الفتوى في مواجهة هذه الحركة وأقطابها ، فيفتي بحرمة الاقتداء بهم في ممارسة الشعائر 1.

ص: 108

1- روضات الجنات : 4 / 403 و 8 / 203.

2- مقدّمة الرياض : 1 / 101.

وفي المقابل نجد الشيخ يوسف قد أوصى أن يصلّي عليه بعد وفاته الشيخ الوحيد البهبهاني دون غيره من معاصريه.

انتصار علم الأصول وانحسار الاتجاه الأخباري :

لقد انطلقت الحركة الأخبارية في منهجها الفكري ، وشكّلت تياراً عاصفاً ، وتمكّنت من شقّ المدرسة الفقهية عند الشيعة الإمامية إلى شطرين متصارعين ، في فترة زمنية امتدّت إلى قرابة القرنين من الزمن.

والمنهج الفكري للحركة الأخبارية ومنهجها في الاستنباط والاستدلال الفقهي يخالف منهج المذهب الإمامي الإثني عشري ومدرسته في الاجتهاد التي أسّسها فقهاء هذا المذهب بتوجيه ورعاية أهل البيت عليهم السلام.

ولهذا تصدّى المجتهدون الشيعة لهذه المدرسة الأخبارية لما تشكّله من خطر جسيم على حركة الاجتهاد ، وعلى الفهم السليم لدين الله وشريعته.

وشهدت ساحة الصّراع بين المدرستين مواجهات عنيفة ، وصلت إلى درجة التكفير والتبديع من جهة ، وبين ممارسة الفتيا ضدّ الطرف الآخر بحرمة الاقتداء بهم في ممارسات الشعائر الدينية العبادية(2) ، أو حرمة الحضور في 2.

ص: 109

1- روضات الجنات : 4 / 402.

2- انظر : روضات الجنّات : 4 / 402.

دروسهم وأبحاثهم من جهة أخرى ، ممّا أدّى ببعض التلامذة إلى الحضور (1) سرّاً في درس الشيخ البحراني.

ويحدّثنا تاريخ الصراع بين المدرستين بأنّ أعنف المواجهات الفكرية هي تلك التي حصلت في كربلاء بين الشيخ يوسف البحراني ممثّل الاتجاه الأخباري من جهة ، وبين الوحيد البهبهاني ممثّل الاتجاه الأصولي من جهة ثانية.

وقد تمكّن الوحيد البهبهاني من ربح المعركة الفكرية لمصلحة مدرسة الاجتهاد والأصول ، وبدأت المدرسة الأخبارية بالانحسار والانزواء ، ولم تستعيد نشاطها بعد ذلك ، إلّا في فترة ظهور الميرزا محمّد الأخباري ، حيث تصدّى له تلامذة الوحيد من أمثال الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، والشيخ حسن صاحب الجواهر.

ويعود سبب انحسار المدرسة الأخبارية إلى جملة عوامل ذكر بعضها السيّد الشهيد الصدر في دراسته القيمة لهذه الظاهرة(2).

يقول السيّد الشهيد قدس سره : «وقد قُدِّرَ للاتجاه الأخباري في القرن الثاني عشر أن يتّخذ من كربلاء نقطة ارتكاز له ، وبهذا عاصر ولادة مدرسة جديدة في الفقه والأصول نشأت في كربلاء أيضاً على يد رائدها المجدّد الكبير (محمّد باقر البهبهاني) المتوفّي سنة (1206 هـ) وقد نصبت هذه المدرسة ل.

ص: 110

1- المصدر نفسه.

2- ذكرنا سابقاً بعض هذه العوامل.

الجديدة نفسها لمقاومة الحركة الأخبارية والانتصار لعلم الأصول ، حتى تضاعف الاتجاه الأخباري ومنى بالهزيمة ، وقد قامت هذه المدرسة إلى جانب ذلك بتنمية الفكر العلمي ، والارتقاء بعلم الأصول إلى مستوى أعلى ، حتى أن بالإمكان القول بأن ظهور هذه المدرسة وجهودها المتضافرة التي بذلها البهبهاني وتلامذة مدرسته المحققون الكبار قد كان حدّاً فاصلاً بين عصرين من تاريخ الفكر العلمي في الفقه والأصول.

وقد يكون هذا الدور الإيجابي الذي قامت به هذه المدرسة فافتتحت بذلك عصراً جديداً في تاريخ العلم متأثراً بعدة عوامل :

منها : عامل ردّ الفعل الذي أوجدته الحركة الأخبارية ، وخاصّة حين جمعهما بالحوزة العلمية الأصولية مكان واحد هو كربلاء ، الأمر الذي يؤدي بطبيعته إلى شدة الاحتكاك وتضاعف ردّ الفعل.

ومنها : إنّ الحاجة إلى وضع موسوعات جديدة في الحديث كانت قد أشبعت ، ولم يبق بعد وضع الوسائل والوافي والبحار إلا أن يواصل العلم نشاطه الفكري مستفيداً من تلك الموسوعات في عملية الاستنباط.

ومنها : عامل المكان ، فإنّ مدرسة الوحيد نشأت على مقربة من المركز الرئيسي للحوزة - وهو النجف - فكان قربها المكاني هذا سبباً لاستمرارها ومواصلة جهودها عبر طبقات متعاقبة من الأساتذة والتلاميذ ... وبهذا كانت مدرسة البهبهاني تمتاز عن المدارس العديدة التي كانت تقوم هنا وهناك بعيداً

عن المركز وتتلاشى بموت رائدها»(1).

ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره السيد الشهيد رضي الله عنه عوامل أخرى مكّنت الشيخ الوحيد البهبهاني في حركته الاصلاحية العملية. ومن هذه العوامل :

1 - الموقف المعتدل للشيخ يوسف البحراني رضي الله عنه اتّجاه الصّراع بين المدرستين :

حيث اتّصفت شخصية الشيخ المحدّث البحراني رضي الله عنه بخصائص أخلاقية وإيمانية عالية(2) ، كان لها الدور الكبير في نجاح الوحيد البهبهاني في حركته الاصلاحية العلمية ، وفي مواجهته للحركة الأخبارية والانتصار عليها.

ومن أهمّ هذه الخصائص التي امتاز بها الشيخ البحراني قدس سره :

أولاً - الإحساس بالمسؤولية :

لقد انطلق المحدّث البحراني رضي الله عنه في تعامله مع مفردات الصّراع الأخباري الأصولي من منطلق المسؤولية الشرعية ، وبدأ يعمل بموجب هذا الوعي وهذه المسؤولية على تصحيح رقعة الخلاف ، وإزالة الحواجز التي أقيمت داخل هذه المدرسة بين هاتين الفئتين ، بدلاً من التصعيد لمفردات الصّراع أو تجريد لسان الشنيع أو التكفير للطرف الآخر(3).ر.

ص: 112

1- المعالم الجديدة : 85 - 86.

2- قد أشرنا سابقاً إلى بعض هذه الخصائص في شخصية الفقيه والمحدّث البحراني رحمه الله.

3- انظر الحدائق الناضرة : 1 / 167 ، المقدمة الثانية عشر.

«والحقيقة إنّ هذا الموقف الذي وقفه الشيخ يوسف من هذا الصراع كان له تأثير بالغ الأهمية في إعادة الانسجام إلى مدرسة أهل البيت ، وإزالة التطرّف الذي أصاب هذه المدرسة في فترة الصّراع ، وعودة الاعتدال والعقلانية إلى هذه المدرسة»(1).

ثانياً - الورع والتقوى والتجرّد عن الأنا :

تدلّ مواقف الشيخ البحراني رحمه الله من خلال مواجهته للصّراع الدائر بين المدرستين أنّ هذا الفقيه الجليل كان في غاية من الورع والتقوى والتجرّد عن الأنا ، لا ينالها إلاّ ذو حظّ عظيم من الإخلاص لله تعالى.

فمما يروى من سيرة هذا الفقيه الجليل أنّه رغم الصّراع الطويل الذي خاضه مع الوحيد البهبهاني في أمر الأصول والاجتهاد ، أوصى أن يصلّي عليه بعد وفاته الوحيد البهبهاني دون غيره من معاصريه ، رغم أنّ الوحيد قد أفتى بحرمة الاقتداء بالشيخ البحراني في الصّلاة(2).

ورغم أنّ الوحيد قد أفتى بحرمة حضور درس الشيخ البحراني ، وشدّد الملامة على كلّ من حضر في مجلس إفادته ، بحيث نُقل «أنّ ابن أخته صاحب رياض المسائل ، كان من خوفه يدخل على ذلك الجنب - أي الشيخ يوسف - ويقرأ عليه ما كان يقرأ عليه ليلاً ومتخفياً لا جهراً»(3). 3.

ص: 113

1- مقدّمة رياض المسائل : 1 / 98.

2- انظر روضات الجنّات : 4 / 402.

3- روضات الجنّات : 8 / 203.

إلا أنّ الشيخ يوسف رحمه الله لم يتخذ نفس الموقف اتّجاه درس الشيخ الوحيد ، بل سمح لطلّابّه ومريديه بحضور درس الوحيد «فلم يمض مدّة حتّى استقطب فضلاء طلابّ الشيخ يوسف البحراني كالسيّد مهدي بحر العلوم ، والسيّد مهدي الشهرستاني ، وتحول جمع من تلامذة الشيخ يوسف من درسه إلى درس الوحيد البهبهاني»(1).

بل وصلت حالة التجردّ عن الأنا عند الشيخ يوسف البحراني إلى درجة عالية جدّاً حتّى يقال : إنّه - أي الوحيد - ارتقى منبر درس الشيخ يوسف البحراني وباحت تلامذته مدّة ثلاثة أيّام ، فعُدل ثلثا التلاميذ إلى مذهب الأصولية(2).

ثالثاً - ابتغاء الحقّ ونبذ التطرّف :

وهذه سمة أخرى تحلّى بها هذا الفقيه الجليل حيث إنّه رحمه الله كان رائده الحقّ ، وسلوكه الاعتدال ، وهذا ما نلاحظه من خلال شجبه للتطرّف الذي كان من المحدّث الاسترآبادي والفيض الكاشاني وأمثالهما(3).

ولابدّ أن نقول مرة أخرى اعترافاً بالفضل للشيخ يوسف مؤلّف الحدائق : إنّ تقوى الشيخ وخلوصه وصدقه وابتغائه للحقّ كان من أهمّ عوامل هذا الانقلاب الفكري الذي جرى على يد الوحيد في كربلاء. 7.

ص: 114

-
- 1- مقدّمة رياض المسائل : 1 / 99.
 - 2- تنقيح المقال : 2 ، ترجمة البهبهاني.
 - 3- انظر لؤلؤة البحرين - : 117 - 118 ، 121 والدّرر النجفية : 87.

ولو كان الشيخ يوسف من موقعه العلمي والاجتماعي يريد أن يجادل الوحيد ، ويظهر عليه ، لطالت محنة هذه المدرسة الفقهية ، واتسعت مساحة الخلاف فيها ، وتعمق فيها الخلاف ، ولكن الشيخ يوسف كان يؤثر رضا الله والحق على أي شيء آخر(1).

2 - تلاشي شبهات الأخباريين :

إنّ الشبهات التي انطلق منها الأخباريون في حملتهم ضدّ المدرسة الأصولية وأقطابها أخذت تتلاشى بمرور الزمن ، فلم يعد إلغاء وظيفة المجتهد أو النظر إلى الاجتهاد على أنه بدعة تسرّبت إلى المذهب الإثني عشري قضية تستوجب النقض بعد ما ثبت استمرار خطّ الاجتهاد عملياً.

كما أنّ (المجتهد) برهن على أنه ليس وعاء ناقلاً للأحاديث فحسب ، وإنّما هو مستفيد منها في عملية استنباط الأحكام الشرعية من أدلّتها التفصيلية وإعمال الملكة.

حوزة كربلاء في دورها الثالث :

توفّي الشيخ يوسف البحراني في كربلاء عام (1186 هـ) ، ومن بعده - بعقدين من الزمن - توفّي الشيخ محمّد باقر الوحيد البهبهاني (ت 1206 هـ) ، 0.

ص: 115

1- مقدّمة رياض المسائل : 1 / 100.

ودفنا متجاورين في الرواق الشرقي من الحضرة الحسينية الشريفة.

وبوفاتهما فقدت حوزة كربلاء هذين العلمين الفذين ، وترك فقدهما فراغاً علمياً كبيراً في دنيا الاجتهاد والفقاهة عامة وفي الحوزة العلمية في كربلاء خاصّة ، إلا أنّ جذوة العلم وحركته لم تنطفئ بوفاة هذين العلمين ، إذ أثمرت جهودهما العلمية في تربية العلماء والفقهاء عن بروز نخبة من أساطين الفقه والأصول ممّن واصلوا جهود أستاذهم الوحيد ، فواصلت المسيرة الفقهية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال جهودهم ، وجهود تلامذتهم ، وتلامذة تلامذتهم حركتها العلمية ، ومسيرتها الفقهية والأصولية.

وقد شهدت حوزة كربلاء هجرة الكثير من تلامذة الشيخ الوحيد إلى النجف الأشرف ، بعضهم هاجر منها في أواخر حياة أستاذه الوحيد وبإيعاز منه ، والبعض الآخر هاجر منها بعد وفاته.

وبهؤلاء المهاجرين بدأت حوزة النجف الأشرف دورتها الثالثة - والتي تحدّثنا عنها سابقاً - وأصبحت الحوزة الرئيسية للشيعة ، بعد أن فقدت حوزة كربلاء مركزيتها بوفاة زعيمها الشيخ الوحيد.

إلا أنّ بعض تلامذة الوحيد آثروا البقاء في حوزة كربلاء ، واستمرّت بهم وبتلامذتهم الحركة العلمية في حوزة كربلاء.

يقول العلامة المامقاني في ترجمة الشيخ الوحيد البهبهاني : «وقد عمّر وجاوز التسعين ، واستولى عليه الضعف أخيراً ، وترك البحث ، وأمر بحر العلوم بالانتقال إلى النجف الأشرف والاشتغال بالتدريس فيها ، وأمر صهره -

وقد تحدّثنا سابقاً عن بعض تلامذة الشيخ الوحيد ممّن انتقلوا إلى النجف الأشرف من أمثال السيّد مهدي بحر العلوم (ت 1212 هـ) والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت 1227 هـ) والسيّد جواد العاملي (ت 1226 هـ) ... وغيرهم من أعلام النجف الأشرف وحوزتها العلمية في دورها الثالث.

وهنا نواصل حديثنا عن حوزة كربلاء في دورها الثالث من خلال أعلام فقهاءها من تلامذة العُلمين البحراني والوحيد، وتلامذة تلامذتهما، وإبراز جهودهم العلمية، وآثارهم الفقهية والأصولية.

ومن أبرز العلماء الذين كان لهم حضورهم الفاعل في حوزة كربلاء هم :

1 - السيّد مير علي الكبير بن منصور بن أبي المعالي (ت 1207 هـ) :

يتّصل نسبه الشريف بالإمام زيد الشهيد رضي الله عنه، وهو من مشاهير علماء عصره ...

وقد تتلمذ على الشيخ آغا باقر البهبهاني والشيخ يوسف البحراني والسيّد نصر الله الفائزي الحائري، غير أنّه اختصّ بالأول - البهبهاني - لمصاهرته به حيث تزوّج بنت خالة الشيخ المذكور، وقام بأعمال مهمة تدرّ فوائد جسام، وخلف صدقات جارية النفع والثمر في كربلاء وانتشر عقبه في 5.

ص: 117

قال السيّد الأمين : السيّد مير علي : «حائري المولد والمسكن والمدفن ؛ فقد توفّي في كربلاء سنة (1207 هـ) ... وهو غير السيّد مير علي الصغير صاحب الرياض ، وإن كان كلّ منهما ابن أخت الآقا البهبهاني ، لكنّ الثاني حسني طباطبائي ، والأول حسيني ، ذكره الآقا أحمد سبط الآقا البهبهاني في رسالته جهان نما وأثنى عليه ووصفه بغاية التقديس والصدّاح ، رئي له عدّة تصانيف لم تخرّج إلى المبيضة ، لم يمكث بعد خاله الآقا البهبهاني إلا قليلاً فلذا لم يشتهر اسمه ، واشتهر اسم صاحب الرياض لمكثه كثيراً بعد خاله ، هكذا يقال والله أعلم بحقيقة الحال ، وهناك حكاية ينقلها السيّد الأمين تتعلّق بالسيّدين العليّين الصغير والكبير ووضعهما المالي»(2).

2- السيّد محمّد مهدي الشهرستاني الموسوي (ت 1216 هـ) :

وقد عرّف نفسه في آخر إجازته لتلميذه السمناني فقال : «محمّد مهدي بن أبي القاسم الموسوي الشهرستاني أصلاً والإصفهاني مولداً والكربلائي مسكناً بل مدفناً»(3).

ترجم له سيّد الأعيان ترجمة مطوّلة جاء فيها : «ولد المترجم له في إصفهان وتوفّي في كربلاء ... وهو من سلالة علوية عريقة ... انتقل في 5.

ص: 118

1- تراث كربلاء : 261 - 262.

2- أعيان الشيعة : 8 / 349.

3- المرجع نفسه : 10 / 165.

عنفوان شبابه إلى مدينة كربلاء لتلقي العلم فيها... وأخذ يتلقى العلم لدى فحول علماء ذلك العصر وعلى رأسهم المولى آقا محمد باقر... المعروف بالوحيد البهبهاني، والمترجم أحد المهادي الأربعة الذين كانوا الأوائل في تلامذة الوحيد البهبهاني، وهم: 1 - السيد محمد مهدي الشهرستاني. 2 - السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي. 3 - والميرزا المولى محمد مهدي النراقي. 4 - والميرزا محمد مهدي الطوسي الخراساني المعروف بالشهيد الثالث، وقد استوطن الأوّل مدينة كربلاء، وانتقل الثاني إلى مدينة النجف وأقام بها، ورجع الثالث إلى تبريز، وعاد الرابع إلى مشهد الرضا عليه السلام). ثم ينقل السيد الأمين عن أحد تلامذة الشهرستاني ضمن كتاب مخطوط له قوله: «السيد الجليل والأستاذ النبيل محمد مهدي بن أبي قاسم الموسوي الشهرستاني... شيخنا الأمام، عالم، فاضل، كامل، باذل، محقق، مدقق، متبحر، جامع، ثقة، فقيه، وجيه، شريف الأخلاق... وهو من أرشد تلامذة الشيخ يوسف البحراني، والمولى محمد باقر البهبهاني، إلا أنّ له في الفقه ميلاً إلى طريقة الفاضل البحراني، قرأنا عليه شرح اللمعة، وقواعد العلامة من البداية إلى النهاية، ومن الحديث وغيره...». وذكر السيد الأمين مؤلفاته وهي: الفذالك في شرح المدارك والمصايح في الفقه وبعض الحواشي والرسائل...

وأما أساتذته: فقد تتلمذ على الوحيد والبحراني، بالإضافة إلى محمد مهدي الفتوني العاملي، وروى عنهم واستجازهم فأجازوه.

وأما تلامذته والمجازون منه فيعدّ المترجم له من كبار شيوخ إجازة الحديث ، وكان مشتهراً في درس التفسير والحديث والفقه واللغة ، وقد تخرّج عليه كثير من العلماء كالشيخ أحمد بن زين الدين الاحساني ، والسيد عبد الله شبر ، والسيد صدر الدين العاملي ، والسيد عبد المطلب بن أبي طالب ، والسيد دلدار النقوي ، والشيخ أسد الله الكاظمي ، والسيد محمد حسن الزنوزي التبريزي ، والمولى أحمد بن محمد مهدي النراقي ... وغيرهم ... وقد صدرت الإجازات منه لكثير من تلامذته ...

توفي بكربلاء في 12 صفر سنة (1216 هـ) ودُفن بمقبرته التي كان قد أعدّها لنفسه في حياته في الرواق الجنوبي الشرقي من الحضرة الحسينية بجوار قبور الشهداء والتي أصبحت فيما بعد مقبرة الأسرة الشهرستانية من أولاد المترجم وأحفاده(1).

يبقى أن نذكر - والفضل يذكر لأهله - أنّ الأسرة الشهرستانية الكريمة من الأسر الشهيرة في العراق وإيران ، ونبغ منها خلال المائتي سنة الأخيرة رجال أفذاذ ، انتقلت إلى كثير منهم الرئاسة الدينية والزعامة الدنيوية في العراق وإيران وخاصة مدينة كربلاء ... وعرفت هذه الأسرة بالكرم والجود والخدمات والإصلاحات الجليلة وتوارثوا ذلك كابر عن كابر ، وخلف عن سلف ، فالسيد مهدي المترجم له كان : «باسط الجود والكرم لكلّ من قصد ا.

ص: 120

1- أعيان الشيعة : 10 / 163 وما بعدها.

وأمّ» كما يقول تلميذه الزنوزي في رياض الجنة. وجدّهم الأعلى السيّد فضل الله الشهرستاني الوزير الأعظم للشاه طهماسب الأول الصفوي، واقف للأوقاف العظيمة من مدن إيران والتي خصّص ريعها على مرّاقد الأئمّة الأطهار عليهم السلام في الحجاز أو في العراق أو في إيران، وذلك حسب وثيقة الوقفية التاريخية المؤرّخة في 7 رمضان سنة (963 هـ)، والتي يبلغ طولها أكثر من عشرة أمتار والموجودة لدى حفيد المترجم السيّد صالح الشهرستاني نزيل طهران.

وقام السيّد مهدي باصلاحات كثيرة في الحضرة الحسينية والصحن الحسيني ذكرها سيّد الأعيان... (1) وورث حركة الإصلاح هذه السيّد الدكتور المهندس محمّد علي الشهرستاني الذي توفّي أخيراً رحمه الله حيث قام بحركة إصلاح كبيرة في حرم الكاظمين وسامراء وكربلاء، ومن قبل ذلك في مكّة والمشاعر، وكذلك في مدينة مشهد، ولا ننسى العلامة السيّد جواد الشهرستاني نجل المرحوم آية الله عبد الرضا الشهرستاني فخدماته في إيران والعراق والعالم الإسلامي خدمات كبيرة وجليلة ونافعة، وهو عنوان الجود والكرم والنبيل، ويعجز القلم عن وصف سجايه وأخلاقه النبيلة (2).ة.

ص: 121

1- المرجع نفسه : 10 / 165.

2- ترجم الشيخ الطهراني لآل الشهرستاني في موسوعته الطبقات، أنظر: الكرام البررة: 1 / 254 و 2 / 627 و 4 / 1410. وللتوسّع انظر؛ محمّد قاسم هاشمي في كتابه: تاريخ پانصد ساله خاندان شهرستاني بالفارسية.

قال السيّد الأمين في الأعيان : «ولد في الكاظمية 12 ربيع الأوّل سنة (1161 هـ) وتوفي سنة (1231 هـ) ، وجاء في تاريخ وفاته (بموت عليّ مات علم محمّد) ودُفن في الرواق الشريف ممّا يلي مقابر الشهداء ، وهو مع الآقا البهبهاني في صندوق واحد يزار ...

أمّا أقوال العلماء فيه - فهي كثيرة - فهو المحقّق المؤسّس الذي ملأ الدنيا ذكره وعمّ العالم فضله ، تخرّج عليه علماء أعلام وفقهاء عظام صاروا من أكابر المراجع في الإسلام كصاحب المقاييس ، وصاحب المطالع ، وصاحب مفتاح الكرامة ، وأمثالهم من الأجلّة ، وقد ذكروه في إجازاتهم ومؤلفاتهم ووصفوه بأجمل الصفات ... ثمّ ينقل السيّد الأمين أقوال أولئك الأعلام الثلاثة بحقّ أستاذهم.

وأما مؤلفاته وآثاره العلمية فهي كثيرة ذكر منها صاحب الأعيان تسعة عشر أثراً وتأليفاً من أهمّها : 1 - الرياض . 2 - حاشية على المدارك . 3 - حاشية على الحدائق . 4 - شرح مبادئ الأصول للعلامة ... وغير ذلك من الحواشي والتعليقات وأجوبة المسائل .

يروى عن السيّد عبد الباقي الإصفهاني عن والده المير محمّد حسين عن جدّه لأُمّه المجلسي ، ويروي أيضاً عن خاله وأستاذه الآقا محمّد باقر

ترجم له السيّد حسن الصدر في تكملة أمل الآمل فقال : «السيّد محمّد المجاهد بن المير علي صاحب الرياض بن السيّد محمّد علي الطباطبائي.

علامة العلماء الأعلام ، وسيّد الفقهاء العظام ، وأعلم أهل العلم بالأصول والكلام. تخرّج على السيّد الأجل بحر العلوم ، وهو صهره علي ابنته الوحيدة أمّ أولاده الأفاضل ، وعلى والده العلامة ، وكدّ وجدّ في تحقيق حقائق علمي الفقه والأصول ، حتّى جزم والده العلامة بأعلميته منه وصار لا يفتي وابنه موجود في كربلاء ، فعلم بذلك ابنه ورحل إلى إصفهان وسكنها ثلاث عشرة سنة ، وهو المدرّس فيها والمرجع في علمي الأصول والفقه لكلّ علمائها ، وصنّف فيها المفاتيح وغيره حتّى توفي والده ، فرجع إلى كربلاء فكان المرجع العام لكلّ الإمامية في أطراف الدنيا ، وقام سوق العلم في كربلاء وصارت الرحلة إليه في طلب العلم من كلّ البلاد»(2).

وينقل السيّد الأمين في الأعيان هذا المقطع من أمل الآمل ويعلّق عليه بقوله : «ونرجو أن لا يكون في هذه الترجمة بعض المبالغة ، لا سيّما كونه أعلم من أبيه صاحب الرياض ، ولسنا نعلم من حقيقة حاله شيئاً لنبدي رأينا 2.

1- أعيان الشيعة : 8 / 314 - 315.

2- تكملة أمل الآمل : 5 / 53 برقم 2072.

وعرف السيّد محمّد بلقب (المجاهد) لأنّ الروس في سلطنة فتح علي شاه القاجاري تعدّوا على بعض حدود إيران فطلب المترجم من الشاه إعلان الحرب على روسيا ، ولمّا كان الشاه يعلم عدم قدرة الدولة الإيرانية على ذلك لم يجب إلى هذا ، فأصرّ عليه السيّد ، وكتب إليه إن لم تقم أنت بالجهاد قمت أنا به ، فلم يجد الشاه بدّاً من إجابته ، وتوجّه السيّد مع جماعة من العلماء والطلاب وأهل الصّلاح إلى بلاد إيران ، فلمّا دخلها عظّمه أهلها غاية التعظيم ... حتّى إذا اقترب من طهران استقبله الشاه وجميع أهل طهران ... ونهض للجهاد ، ورأس الشاه ابنه ووليّ عهده عبّاس ميرزا على الجيش والتقى الإيرانيون بالروس في (تفليس) ، وكان من نتيجة ذلك انكسار الإيرانيين وضياح عدّة ولايات من إيران استولى عليها الروس ودفع غرامة حربية أثقلت كاهل دولة إيران ...»(2).

وعلّل بعضهم هذا الانكسار بالخيانة من قبل الشاه ... ولم يرتضه السيّد الأمين في أعيانه ، وأرجع سبب الانكسار إلى عوامله الطبيعية وهي بنظره : «تفوّق جيش العدو على جيش إيران في العدّة والعدد ، ومعرفته بالفنون الحربية الجديدة وجهل عسكر إيران. وكيف يمكن أن يكون الجيش الذي قائده عبّاس ميرزا الجاهل بفنون الحرب ، الذي قضى عمره في نعيم 3.

ص: 124

1- أعيان الشيعة : 9 / 443.

2- المرجع نفسه : 9 / 443.

السلطنة وترفها! ومديره؛ عالم لا- يعلم من شؤون الدنيا سوى البحث في مسائل الأصول والفقه وصلاة الجماعة والزيارة والتهجّد! والمحاربون فيه عسكر لا تعلم من الفنون الحربية شيئاً وطلاب وصلحاء لا يعرفون سوى المدرسة الدينية والمسجد! كيف يمكن أن يغلب هذا الجيش جيشاً مدرّباً يفوقه أضعافاً مضاعفة في العدة والعدد والعلم والفنون الحربية؟! والسيد المجاهد مأجور على كلّ حال على نيته»(1).

ومهما يكن من أمر، فبعد أن «انكسر عسكر الإسلام، رجع السيد وقد اسودّت الدنيا بعينه، حتّى أنّه لمّا وصل إلى أربيل لم يتكلم سبعة أيّام، ولمّا وصل إلى قزوین توفّي قدس سره، وكانت وفاته سنة (1242 هـ)، وحُمل نعشه الشريف إلى كربلاء، ودُفن بين الحرمين، وقبره مزار معروف عليه قبة معظّمة في المدرسة المعروفة بمدرسة البقعة»(2).

وقد خلف السيد المجاهد آثاراً علمية مهمّة منها: مفاتيح الأصول، ومنها:

مناهل الأحكام، والكتابان مطبوعان بطبعات حجرية، وعرف السيد بهما فيقال صاحب المفاتيح أو صاحب المناهل، وهنالك مؤلّفات أخرى له ذكرها صاحب الأعيان والشيخ الطهراني في الطبقات(3).5.

ص: 125

1- المرجع نفسه: 443 / 9، وأمل الآمل: 54 / 5 - 55.

2- تكملة أمل الآمل: 55 / 5.

3- أعيان الشيعة: 443 / 9، الطبقات الكرام البررة، القسم الثالث: 425.

5 - المولى الشيخ محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري المعروف بشريف العلماء (ت 1246 هـ) :

قال عنه السيد الأمين : «ولد في كربلاء وتوفي فيها سنة (1245 هـ)» ودُفن قرب باب القبلة شيخ العلماء ومرتبى الفقهاء ، مؤسس علم الأصول ، جامع المعقول والمنقول ، نادرة الدهر وأعجوبة الزمان .

قرأ أولاً على السيد محمد المجاهد ، ثم قرأ على والده صاحب الرياض في الأصول والفقه ، حتى استغنى عن الأستاذ ولم يعد ينتفع بدرسه فسافر مع أبيه إلى إيران وساح فيها وبقي في كل بلد شهراً أو شهرين فزار الرضا عليه السلام ورجع إلى كربلاء وحضر درس صاحب الرياض فرأى أنه لا يستفيد من درسه ، وصار السيد معتمراً . فاشتغل بالمباحثة والمطالعة واجتمع في درسه الفضلاء حتى زادوا على الألف ، منهم : السيد إبراهيم صاحب الضوابط ، وملاً إسماعيل اليزدي ... وملاً آقاي دربندي ، وسعيد العلماء البارفروشي ، والشيخ مرتضى الأنصاري ، والسيد محمد شفيع الجابلقى ... وغيرهم . وكان يدرّس درسين أحدهما للمبتدئين والآخر للمنتهين ، وقلماً رثي مثله في تأسيس قواعد الأصول . وقد صرف عمره في تربية العلماء ، ولهذا كان قليل التصنيف ، ومصنّفاته على قلّتها لم تخرج إلى البياض .

وكان أعجوبة في الحفظ والضبط ودقة النظر وسرعة الانتقال في

ص : 126

وقال عنه السيّد حسن الصدر - وهو من المعاصرين له ، وهو الذي أعطى للشريف إجازة الاجتهاد - : «وفضيلة كلّ من تأخّر عنه في القواعد الأصولية مأخوذة عنه! وصرف عمره الشريف في تربية الطالبين ، وكان له مجلسان .. ، ويدرس في أيام التعطيل بجمع آخر من الطالبين ، وفي شهر رمضان يدرس بالليل ، وكان مشغولاً بالطالبين إلى نصف الليل بالمباحثة وبعده بالزيارة والعبادة ، فلذا كان قليل التصنيف...».

ثمّ يضيف السيّد الصدر : «وقلت له رحمه الله في زمان : اشتغل بالتصنيف والتأليف وأثبت هذه التحقيقات التي لم تصل إليها أيدي العلماء الماهرين والفضلاء المتبحّرين والفقهاء الكاملين ، فأجابني : بأنّ تكليفي تربية الطالبين وتعليم المتعلّمين وما ألفتّموه وصنّفتموه فهو مني». ثمّ يضيف السيّد الصدر : «وحدّثني شيخنا الفقيه الشيخ محمّد حسن آل يس - وكان أحد تلامذته - قال : كان يدرّسنا في علم الأصول في المدرسة المعروفة بمدرسة حسن خان ، وكان يحضر تحت منبره ألف من المشتغلين ، وفيهم المئات من العلماء الفاضلين ، ومن تلامذته شيخنا العلامة المرتضى الأنصاري ، وهو منقّح تلك التحقيقات الأنيقة ، وكفى بذلك فخراً».

ثمّ يقول : «وكان بعض تلامذته كالفاضل الدربندي يفصّله على جميع 4.

العلماء المتقدمين حتّى العلامة ، بدعوى توقّف الاجتهاد على أصول شريف العلماء...»(1).

أقول : ولعلّ الابتكارات الأصولية التي أظهرها الشيخ الأنصاري ، ما هي إلاّ شذرات من أفكار أستاذه الشريف ، فعمل الشيخ الأعظم الأنصاري عليها وطوّرها وجدّرها في أذهان تلاميذه ، ودونها في رسائله وفرائده الأصولية.

توفّي شريف العلماء في الطاعون الجارف سنة (1245 هـ) أو (1246 هـ) ودفن في داره ب كربلاء وقبره مزار معروف في زقاق (كّدا علي) المتفرّع من شارع الحسين عليه السلام وإلى جانبه مدرسة شريف العلماء(2).

وبوفاة شريف العلماء فقدت حوزة كربلاء أهمّ علم من أعلامها ، بل إنّ الحوزة العلمية الكربلائية قد اختتمت به بحسب رأي السيّد حسن الصدر في التكملة حيث يقول : «ومن مراكز أهل العلم للشريعة كربلاء الحائر الحسيني على مشرفه السّلام زها العلم فيه .. ، واستمرّ العلم فيها إلى أيام شريف العلماء الذي كانت إليه الرحلة»(3).

ورأي السيّد الصدر قد يكون وجيهاً من جهة ، إلاّ أنّ مسيرة العلم لم تتوقّف في الحوزة الكربلائية بعد وفاة شريف العلماء ، وإنّما برز فيها علماء ومراجع ، واستمرّت فيها حوزة الدرس والتدريس إلى منتصف القرن الرابع 5.

ص: 128

1- تكملة أمل الآمل : 3 / 158 - 159.

2- تراث كربلاء : 268.

3- تكملة أمل الآمل : 6 / 425.

نعم قد تكون المرحلة اللاحقة لرحيل الشريف المازندراني قد اتّسمت ببعض الفتور النسبي نتيجة لظروف موضوعية ، إلا أنّها لم تتوقف أو تضمحلّ.

6 - الشيخ خلف بن عسكر الحائري (ت 1246 هـ) :

وهو من تلامذة صاحب الرياض والملازمين له ... وكان من أجلاء المدرّسين في حوزة كربلاء ، وتخرّج عليه كثير من أهل العلم والفضل ... ترك آثاراً فقهية منها : شرح الشرائع في عدّة مجلّدات ، والخلاصة وملخص الرياض ومقدّمات الحدائق (1).

7 - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت 1241 هـ) :

وهو من أشهر العلماء الذين كان لهم حضور فاعل في حوزة كربلاء العلمية ، له ترجمة مطوّلة في كتب التراجم والسير ، كما أنّ زميلنا السيّد هاشم الشخص (حفظه الله) قد جمع ترجمته في كتابه أعلام هجر جاء فيها : «... إنّه ولد في الأحساء عام (1166 هـ) ، وتلقّى فيها مبادئ العلوم حتّى أكمل المقدّمات والسطوح ، ثمّ هاجر إلى العراق عام (1186 هـ) وهو ابن عشرين سنة ، وحضر في كربلاء بحث الآغا باقر الوحيد البهبهاني ، والسيّد علي الطباطبائي صاحب الرياض ، والسيّد ميرزا مهدي الشهرستاني . ثمّ هاجر إلى 2.

ص: 129

النجف الأشرف وحضر درس الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، والسيد محمد مهدي بحر العلوم ، فأولئك هم أساتذته ومشايخه في الرواية بالإضافة إلى الشيخ حسين آل عصفور البحراني (ت 1216 هـ) والشيخ أحمد الدمستاني البحراني ... وغيرهم من المشايخ.

وتتلمذ عليه عدد كبير من العلماء حتى قيل : «إن له تلامذة كثيرين بلغوا الاجتهاد أكثر من مائة عالم عامل» ، منهم السيد عبد الله شبر (ت 1242 هـ) ، والشيخ ملا هادي السبزواري صاحب المنظومة (ت 1289 هـ) ، والسيد محسن الأعرجي (ت 1227 هـ). والسيد كاظم الرشتي (ت 1259 هـ) والميرزا حسن بن علي الشهير ب- : (كوهر) (ت 1266 هـ) والمولى محمد بن الحسين المعروف ب- : (حجة الإسلام) ، وهؤلاء الثلاثة - الرشتي وكوهر وحجة الإسلام - كانوا من خواص تلامذته المقربين وهم الذين نشروا علومه ، وروجوا آراءه. وهناك تلامذة آخرون ، كما أنه يروي عنه ثلة من الأعلام ...

لقد قضى الشيخ الأحسائي في كربلاء والنجف مدة طويلة لم تحدّد بدقّة ، غادر بعدها إلى بلده الأحساء ، ثمّ كانت له سفرات إلى البحرين ، والعبّات في العراق ، وسكن البصرة ، ثمّ هاجر إلى إيران فسكن مدينة يزد مدة ثمّ طهران أخرى ، ثمّ زار الإمام الرضا عليه السلام وعاد وسكن إصفهان ثمّ كرمشاه وقزوین وشاه عبد العظيم ثمّ عاد إلى كربلاء ونزلها مستوطناً ، إلاّ أنّه خرج منها نتيجة خلافات عقائدية ، وخلف تلميذه الرشتي فيها ، وتوفّي في

طريقه إلى المدينة عام (1241 هـ) ودفن في البقيع ...»(1).

8 - الشيخ كاظم الرشتي (ت 1259 هـ) :

ترجم له في ریحانة الأدب فقال : «السید كاظم بن قاسم الحسيني الكيلاني الرشتي الحائري ، من علماء أواسط القرن الثالث عشر الهجري ، ومن أكابر تلامذة الشيخ أحمد الاحسائي ، وبعد وفاة أستاذه المذكور تولّى المرجعية في جميع الأمور الدينية ، فكان عميداً للطريقة الشيخية وله تأليف كثيرة»(2).

وتحدّث عن مؤلفاته صاحب أحسن الودیعة ضمن حديثه عن أستاذه الأحسائي فقال : «... السید كاظم بن قاسم الرشتي صاحب المؤلفات الكثيرة التي لم يفهم أحد ما يقول فيها ، وكأنه يتكلّم بالهندية إذ كتبه ولا سیما شرح القصيدة والخطبة مشحونة بالألغاز والمعتميات ، خالية عن صريح العبارات والدلائل الساطعات»(3).

لقد تتلمذ السید الرشتي على الشيخ أحمد الأحسائي ، وتأثر بمبادئه وآرائه المخالفة للآراء الأصولية ، وعرف مذهبه ب- : (الكشفي) أو (پشت سري) ، أمّا مذهب الفرقة الأصولية فيعرف ب- : (البالاسرية) ، وكانت بين 8.

ص: 131

1- أنظر : أعلام هجر : 1 / 172 وما بعدها بتلخيص.

2- ریحانة الأدب فارسي : 2 / 77.

3- أحسن الودیعة : 2 / 108.

الفريقين خصومات حادة(1) لا مجال للحديث عنها.

وعقائد الكشفية هي عقائد الشيخية موسّعة في شرح المطالب ، انتشرت في أنحاء عديدة من العراق وإيران ، وآل الرشتي معروفون في كربلاء ، وهم ذرية السيد الكاظم ، ومنهم في إيران(2).

ونشير إلى أنّ من الكشفية نشأت بليّة البايية ، فإنّ الميرزا علي محمّد الشيرازي - مؤسس البايية - كان من تلامذة الرشتي(3).

9- الشيخ محمّد حسين الإصفهاني (ت 1261 هـ) ؛ صاحب الفصول : ترجم له سيّد الأعيان فقال في ترجمته : «محمّد حسين عبد الرحيم الرازي الأصل الحائري المسكن والمدفن صاحب الفصول ، توفّي في كربلاء سنة (1261 هـ).

الفقيه الأصولي الشهير ، أخذ عن أخيه الشيخ محمّد تقي صاحب هداية المسترشدين ، وعن الشيخ علي بن الشيخ جعفر ، واختار الإقامة في كربلاء ، فرحل إليه الطلاب ، وأخذ عنه جماعة من العلماء مثل الحاج ميرزا علي تقي ، والميرزا زين العابدين الطباطبائيين ، وله مؤلّفات في الأصول منها الفصول وهي من كتب القراءة في هذا الفنّ ، أورد فيه مطلب القوانين ، 8.

ص: 132

1- تراث كربلاء : 269.

2- تاريخ العراق : 69 / 7.

3- أحسن الوديعة : 88 / 2.

وحلّها، واعترض عليها، وهو مشهور عند أهل هذا النوع...»(1). وفي نقباء البشر أرّخ وفاته بعام (1254 هـ)(2).

وجاء في بعض ترجمته أنّ المترجم له: «هاجر إلى العراق، واتّخذ كربلاء موطناً له، فانتسعت شهرته ونشر العلم، وروج الأحكام حتّى أصبح مرجعاً عاماً في التدريس، وكان يقيم الجماعة في الروضة الحسينية المشرفة، وكانت في كربلاء يومذاك فرقة (الكشفية)، وقد أخذ المترجم يضعّف نفوذهم ويحاربهم حتّى كسر شوكتهم»(3).

وللمترجم شقيق أكبر هو العلامة الحجّة الشيخ محمّد تقي الإصفهاني صاحب الحاشية على المعالم المعروفة ب-: (هداية المسترشدين) وهو من تلامذة الشيخ الوحيد وصاحب الرياض في كربلاء، ثمّ انتقل إلى النجف وتلمذ على السيّد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء... وكلا الشقيقين عالمين علمين مؤسسين(4).

10 - السيّد إبراهيم القزويني (ت 1262 هـ)؛ صاحب الضوابط :

قال الطهراني في ترجمته: «هو السيّد إبراهيم بن السيّد محمّد باقر الموسوي القزويني الحائري، المدرّس الوحيد في عصره، ومن أعظم

5.

ص: 133

1- أعيان الشيعة : 233 / 9.

2- نقباء البشر : 390 / 1.

3- تراث كربلاء : 272 - 273 عن كتاب المنجد في الأدب والعلوم : فريدينال توتل : 482.

4- نقباء البشر : 1 / 216 ، 390 ، تكملة أمل الآمل : 5 / 364 - 365.

العلماء المحققين، كان اشتغاله في كربلاء، أدرك عصر مؤلف الرياض، وحضر بها في الأصول على شريف الدين محمد بن الحسن... الشهير شريف العلماء، وفي الفقه على الشيخ موسى كاشف الغطاء... وعلى السيد المجاهد، حتى بلغ رتبة سامية ومكاناً عالياً، وصارت له الإحاطة التامة، وعرف بالتحقيق واشتهر في الأوساط وذاع صيته، حتى انتهى إليه أمر التدريس فكان من كبار المدرسين وأفاضل العلماء المحققين، وقد تخرّج عليه جماعة من أقطاب العلماء ورجال الدين وأفاضل المجتهدين لا يستطاع إحصاؤهم... منهم: الشيخ عبد الحسين شيخ العراقيين الطهراني، والسيد حسين الكوهكمري، والشيخ زين العابدين المازندراني، والسيد صالح المعروف ب-: (عرب) والشيخ المولى علي الكني، والشيخ محمد حسين الساروي، والشيخ عبد الكريم اللاهيجي، والشيخ علي محمد الترك... وغيرهم، فقد تخرّج من معهده أمثال هؤلاء الأعلام الذين أصبح كل واحد منهم علماً من أعلام الدين ومرجعاً لثلة من المؤمنين... وله تصانيف هامة وأسفار جليلة تموج بمياه التحقيق والتدقيق وهي دليل علمه الجَمّ وفضله... أهمها الضوابط في الأصول، وهو من أهم مصادر هذا الفن وأوعى لدقائقه وتحقيقاته... وله دلائل الأحكام في شرح شرائع الإسلام وغيرها(1).

11 - الشيخ محمد حسين القزويني (ت 1281 هـ) : 2.

ص: 134

1- المرجع نفسه : 1 / 10 - 11 ، وأنظر : ترجمته في تكملة أمل الأمل : 2 / 44 وترجم له مطوّلاً تلميذه الخوانساري في الروضات : 1 / 38 - 42.

قال عنه السيّد الأمين : « كان مشهوراً بالاجتهاد والفضل والسداد ، وله يد طولى في الوعظ ، وكان تلميذ صاحب الجواهر والسيّد إبراهيم القزويني ، والشيخ مرتضى الأنصاري ، له : نتائج البدائع في شرح الشرائع ، وبدائع الأصول في حجّة الظنّ والاستصحاب والاجتهاد والتقليد» (1).

وذكره الشيخ الطهراني في الكرام البررة بقوله : «... من أعظم الفقهاء وأجلّاء العلماء ، كان في كربلاء المشرفّة من تلاميذ شريف العلماء المازندراني ، وكان في النجف من أكابر تلاميذ صاحب الجواهر ، بل من معاصريه ومعاصري صاحب الفصول. جاور كربلاء فكان رئيساً مقدّماً ومدّرّساً كبيراً وخطيباً جليلاً ومفتياً يرجع إليه في أحكام الشرع ، وكان له تبحر غريب في الفقه والأصول ، تنطق به آثاره وتشهد بها [مآثره. توفّي في] 4 / محرم / 1281 هـ - [وهي السنة التي توفّي بها الشيخ مرتضى الأنصاري ..]» (2).

12 - الشيخ عبد الحسين الطهراني (ت 1286 هـ) :

للشيخ الطهراني ترجمة واسعة في كتب التراجم نأخذ بعض الشذرات منها : قال عنه الطهراني في الطبقات : « هو الشيخ عبد الحسين بن علي الشهير بشيخ العراقيين الطهراني ، مجتهد كبير من أعظم علماء عصره ؛ ذكره شيخنا الحجّة الميرزا حسين النوري فقال : (شيعي وأستاذي ومن إليه في العلوم 4.

ص : 135

1- أعيان الشيعة : 232 / 9.

2- الكرام البررة : 1 / 405 ، وانظر ، أحسن الوديعه : 1 / 74.

الشرعية استنادي ، أفقه الفقهاء وأفضل العلماء ، كان نادرة الدهر وأعجوبة الزمان في الدقة والتحقيق وجودة الفهم وسرعة الانتقال وحسن الضبط والاتقان ، وكثرة الحفظ في الفقه والحديث والرجال... (1).

حضر المترجم له في النجف على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر حتى أجازته في الاجتهاد ، وعاد إلى طهران ، فأصبح زعيماً دينياً كبيراً في طهران ، له مرجعية عظيمة ونفوذ كبير ، وهو من عباد الله الصالحاء الأبرار الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مهما كلفه الأمر ، ولا يخشى السلطان ، بل كان السلطان يخشى صولته ، وقد عارض ناصر الدين شاه القاجاري في كثير من القضايا التي كان يرى أنها لا توافق أحكام الشرع الشريف حتى ضجر منه وضاق به المنخرج ورغب في نفيه للعراق لكنه خشي صولته ومكانته في النفوس ... فرغب إليه المجيء إلى العراق وتذهيب قبّة الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء ... فهبط العراق بأهله وعياله سنة (1270 هـ) ... وقام بذلك على أكمل وجه.

كانت له آثار خالدة في غرة الدهر منها : مدرسته الكبيرة المعروفة باسمه ، وبجنبها المسجد الكبير العالي بطهران المعروف بمسجد شيخ العراقيين إلى اليوم. ومنها : تعميرات في كربلاء بالروضة الحسينية .. ، وكانت له مكتبة عظيمة فيها كثير من نقائس المخطوطات ونوادير الكتب والأسفار7.

ص: 136

المهمّة القيّمة ... وقد ذكرها جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية(1) والفينكت فيليب دي طرازي في خزائن الكتب العربية في الخافقين وغيرهما من المؤرّخين.

وأما آثاره العلمية، فإنّ له رسالة عملية، وترجمة ل- : نجات العباد، وله طبقات الرواة في الرجال، وحواشي وتعليقات ورسائل كثيرة غير ذلك. وله الرواية عن صاحب الجواهر وغيره.

توفّي في الكاظمية في (22 / رمضان / 1286 هـ) ونقل إلى كربلاء، ودفن في بعض حجرات الصحن الشريف قرب (مدرسة الصدر) التي بناها هناك من ثلث الصدر الأعظم(2).

13 - الشيخ محمّد صالح آل كدا علي النوري الحائري (ت 1288 هـ) :

وكان المترجم له من أجلاء تلاميذ السيّد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط وغيره من علماء كربلاء الأعلام في عصره، وقد كتب بخطّه في حياة أستاذه كتابه المذكور وفرغ منه في محرّم سنة (1252 هـ) ... ونبغ في العلم والفضل وتقدّم في الفقه والأصول واشتهر بين مختلف طبقات أهل كربلاء، وعرف بالبراعة والكمال والصلاح والتقوى، وأصبح من العلماء الأعلام والمراجع الأفاضل.

وغلب عليه الورع والنسك والزهد ... وصار محلّ ثقة الخاصّة والعامّة،).

ص: 137

1- تاريخ آداب اللغة العربية : 4 / 141.

2- الطبقات الكرام البررة : 2 / 713 - 714 (بتصرّف).

وكان يقيم الجماعة في الصحن الشريف ، فتصلي وراءه الألوف المؤلفة ... توفي في شهر ذي الحجة (1288 هـ) ، ودُفن في الصحن الحسيني(1).

14 - الشيخ الميرزا علي نقي بن السيد حسن بن السيد محمد (المجاهد) الطباطبائي (ت 1289 هـ) : ذكره السيد الأمين في الأعيان وقال عنه : «كان عالماً فاضلاً محققاً مدققاً ، قرأ على الشيخ حسن بن الأنصاري»(2). وقبل ذلك «تلقى العلم على لفيق من الفقهاء البارزين (في كربلاء) كالعلامة السيد ميرزا مهدي الطباطبائي نجل العلامة السيد محمد المجاهد ، والشيخ محمد حسين صاحب الفصول ... وأنيطت به المهام والمناصب الشرعية والفتاوى العلمية .. ، وانتهت إليه الرئاسة الدينية ، وكان يقيم صلاة الجماعة في المسجد المعروف باسمه بين الحرمين ، فداعت شهرته ، وعلا صيته وعظم شأنه. تتلمذ عليه لفيق من أهل الفضل ؛ منهم : الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية ، والسيد محمد الفشاركي ، والشيخ الملا فضل الله المازندراني وغيرهم»(3).

وأما آثاره العلمية ، فقد ذكر له الشيخ الطهراني : «... في الفقه الدرّة الحائرية المطبوع منه البيع والخيارات ، مع منظومة الحجّ ، وكتب في الأصول 0.

ص: 138

1- المرجع نفسه : 2 / 663 - 664 ، تراث كربلاء : 278 - 279.

2- أعيان الشيعة : 8 / 368.

3- تراث كربلاء : 279 - 280.

وذكر له سيّد الأعيان كتاب القضاء ، وله رسائل وغيرها من الكتب أوصلها إلى (16) عنواناً.

توفي في كربلاء في (6 / صفر / 1289 هـ) ودُفن في المقبرة التي بناها لنفسه مقابل مقبرة جدّه السيّد محمّد المجاهد(2).

15 - المولى محمّد صالح البرغاني القزويني (ت 1283 هـ) :

له ترجمة في الكرام البررة جاء فيها : هو الشيخ المولى ... من مشاهير العلماء ، من أسرة البرغانيّين الكبيرة التي ظهر فيها غير واحد من أعظم الفقهاء وأساطين الدين ، كان من رجال العلم الأكابر وحجج الإسلام الأفاضل ، وفقهاء الأئمة الأعلام ، وهو شقيق الحجّة العلم المولى محمّد تقي البرغاني الشهيد على يد البابية سنة (1264 هـ).

أدرك السيّد علي الطباطبائي في كربلاء ، وتلمذ على ولده السيّد محمّد المجاهد ، وأُجيز منه ومن السيّد عبد الله شبر وغيرهما.

له آثار علمية ومآثر خيرية باقية ؛ ومن آثاره الباقية المدرسة الدينية والمسجد اللذان بناهما في قزوين ، واللذان لا يزالان يعرفان باسمه هناك ... ومن آثاره العلمية : كتاب غنيمة المعاد في شرح الإرشاد كبير في عدّة مجلدات ، وبحر العرفان ومفتاح الجنان ومصباح الجنان وهي ثلاثة تفاسير 8.

ص: 139

1- الكرام البررة : 3 / 201.

2- الأعيان : 8 / 368.

للقرآن الكريم ، كبير ومتوسط وصغير وألّف في مقتل الإمام الحسين عليه السلام عدّة كتب بالعربية والفارسية ...

توفّي رحمه الله في الحائر الشريف فجأة سنة (1283 هـ) ... ودُفن في رواق الحسين عليه السلام في طرف الرأس الشريف(1).

وبالمولى الصالح محمّد صالح البرغاني رحمه الله تختتم السلسلة الطيّبة لأبرز العلماء والفضلاء لحوزة كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري ؛ وهذا لا يعني عدم وجود علماء وفقهاء آخرين غير الذين ذكرناهم ، فإنّ ما بأيدينا من كتب التراجم والسير لم تسعفنا بغير هؤلاء ، ويبقى لأولئك المنسيين فضلهم عند من لا ينسى الفضل عنده.

أبرز علماء كربلاء في القرن الرابع الهجري :

وأما علماء وفضلاء وفقهاء كربلاء في القرن الرابع عشر الهجري فنذكر منهم :

1 - المولى الشيخ حسين الأردكاني (ت 1302 هـ) :

توقّف عند ترجمته طويلاً الشيخ الطهراني فقال عنه : «هو الشيخ حسين بن محمّد إسماعيل بن أبي طالب الأردكاني الحائري ؛ الشهير بالفاضل الأردكاني ، أحد كبار علماء الشيعة في أوائل هذه المائة. 2.

ص: 140

1- الطبقات الكرام البررة: 2 / 660 - 661 ، وأنظر : معجم المؤلّفين لعمر رضا كحّالة : 10 / 87 ، وتراث كربلاء : 281 - 282.

ولد في سنة (1235 هـ) في أردكان من توابع يزد، فنشأ فيها، فعنى بتربيته عمّه الحجّة محمد تقي الأردكاني، فلقنه المبادئ، وأقرأه المقدمات والسطوح... ثم هاجر إلى كربلاء المشرفة فأدرك شريف العلماء... فحضر بحثه وكتب من تقريرات دروسه مبحث بيع الفضولي من كتاب التجارة..، وحضر أيضاً على السيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط وغيرهما.

حتى بلغ في الفقه والأصول مبلغاً عظيماً، واشتهر بين العلماء والطلاب بالتحقيق والتدقيق والتبحر والخبرة؛ فاتجهت الأنظار إليه، وكثر الإقبال عليه.

وكان له بحث في كربلاء يحضره الأجلاء والفضلاء والخيرة المنتخبة من طلاب العلم،... وقد تخرج من معهد درسه جمع من الفطاحل الكبار والمجتهدين الأعظم، كالسيد الميرزا محمد حسين الشهرستاني، والميرزا محمد تقي الشيرازي، والسيد محمد الإصفهاني، والسيد حسن الكشميري، والميرزا مهدي الشيرازي، والشيخ علي البفروي، والميرزا محمد الهمداني وغيرهم.

فقد قام سوق العلم بكربلاء في عصره، وزهت البلدة بوجوده، وأعاد إليها نظارة عصر الوحيد البهبهاني في كثرة العلماء وزيادة المشتغلين، اشتهر اسمه في الأوساط، وأخذ بالرفق يوماً فيوماً حتى رجع إليه في التقليد وأصبحت له زعامة دينية عامة، ونفوذ ممتد، وسمعة طائلة وجاه عريض.

وكان من أولئك الأوتاد العباد والزهاد النساك الذين يضرب بتقواهم المثل، فقد كان كثير الإعراض عن الدنيا، قليل الاعتناء بالرياسة، منصرفاً إلى

أداء واجبه الديني من تدريس وإمامة وإرشاد ونشر أحكام.

وكان مثال الروحاني الرباني في نزاهته وأخلاقه، فقد كان - مع تلك الصولة - كثير التواضع حسن الأخلاق هسأً بشأً لا يعرف الرياء ولا الكبرياء، قضى على ذلك حياة شريفة صرفها فيما يرضي الله والرسول، إلى أن توفي في (1302 هـ) ...

ودفن في مقبرة أستاذة صاحب الضوابط.

خلف عدة آثار منها: التقريرات الأصولية وكتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب المتاجر ... وقد صدرت عنه عدة إجازات ... (1). وذكره السيد حسن الصدر - المعاصر له - في التكملة بنفس العبارات التي ذكرها به الطهراني، وكان الطهراني قد اقتبسها منه - ومما قاله: «كان عالماً محققاً ... كان سوق العلم قائماً به في أيامه بالحائر، وتربى على يده جماعة من العلماء، وكان قليل الاعتناء بالدنيا والرئاسة، ما رأيت أقلّ اعتناءً منه في علماء العصر مع إقبال الرئاسة عليه بكلها، زاهداً ناسكاً روحانياً ربانياً ... وأما مكارم أخلاقه وسيرته فكان تربي الأخلاق، كريم الطبع، هسأً بشأً، كثير الملاطفة، وكلماته حكم وأمثال، مهتدياً صفيّاً، لا يحابي أحداً في الدين، يقول الحق، ولا يخشى لومة لائم» (2).

2- السيد صالح الداماد (ت 1303 هـ): 5.

ص: 142

1- نقيب البشر: 2 / 531 - 533.

2- تكملة أمل الآمل: 2 / 435.

قال الشيخ الطهراني في ترجمته : « هو السيّد محمّد صالح ابن السيّد حسن ابن السيّد يوسف الموسوي الحائري المعروف ب- : (الداماد). من أعظم علماء عصره وأكابر رجال الدين في أوائل هذا القرن.

وسبب شهرته بالداماد أنّ والده - والذي كان من علماء وقته الأفاضل - قد صاهر العلامة السيّد علي الطباطبائي صاحب الرياض على كريمته فاشتهر في كربلاء ب- : (الداماد) ومعناه بالعربية الصهر ، وقد لازم اللقب ولده هذا أيضاً فكان يعرف به.

ولد السيّد صالح في كربلاء ونشأ بها فقراً الأوّليات على خاله السيّد مهدي بن صاحب الرياض ، والسيّد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط ، وغيرهما من أعلام العلم بوقته ، حتّى اشتهر بالفضل وتقدّم في العلم .. ، فاشتغل بالتدريس وتخرّج من تحت منبره جمّ غفير من أفاضل أهل العلم وأجلّتهم ، وصارت له رياسة وزعامة دينية في كربلاء ، وأصبح من المراجع الأجلّاء فيها ... وبسبب بعض إصلاحاته الدينية حدثت واقعة كربلاء المعروفة في ذي الحجّة عام (1258 هـ) ، والمؤرّخة بلفظ (غدير دم) على عهد السلطان عبد الحميد ، وعلى يد نجيب باشا والي بغداد ، وهي مجزرة رهيبة ذهبت ضحيّتها الألوّف المؤلّفة من الرجال والنساء والأطفال وكثير من العلماء والصلحاء ، وذكرت تفاصيلها في التواريخ المدوّنة لهذه الحقبة

ص: 143

وفي هذه الحادثة أخذ المترجم له أسيراً إلى القسطنطينية... ثم أرسل إلى طهران، فاحتفل به ناصر الدين شاه... فصار من رجال الدين ومشاهير الأعلام، وكبار المراجع للعامّة والخاصّة، وعرف بلسان العامّة بمير (صالح عرب)، وبقي قائماً بأداء وظائفه إلى أن توفّي في ليلة الجمعة ثاني ربيع الثاني (1303 هـ)، عن أربع وثمانين سنة، وحملت جنازته إلى كربلاء، ودفن بالرواق الشريف.

ومن آثاره العلمية: كتاب زهر الرياض وهي حاشية على كتاب رياض المسائل وحاشية على الروضة البهية للشهيد، وله مهذب القوانين حاشية على قوانين الأصول للميرزا القمي، والتجزّي في الاجتهاد(2).

3- الشيخ زين العابدين الحائري (ت 1309 هـ):

وهو المجتهد الكبير الشيخ زين العابدين بن مسلم الشهير بالبارفروشي المازندراني الحائري، من أعظم العلماء وأكابر الفقهاء، كان في كربلاء من تلامذة المولى محمّد سعيد المازندراني الشهير بسعيد العلماء (ت 1270 3).

ص: 144

-
- 1- أنظر: تفاصيل هذه الحادثة في المراجع التالية: لمحات اجتماعية: 117/ 2 وما بعدها، تاريخ العراق: 64/ 7، شهداء الفضيلة: 306، موسوعة العتبات: 276/ 8، والمستشرق بونكريك في كتابه: أربعة قرون من تاريخ العراق: 345 وقران بما ذكره الكاتب التركي دليلك قايا في كتابه الوثائقي: كربلاء في الأرشيف العثماني، دراسة وثائقية بإشراف وتقديم: د. زكريّا قورشون: 190 - 215.
 - 2- الطبقات نقباء البشر: 881 / 2 - 883.

ه) والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط والشيخ محمد حسين الإصفهاني صاحب الفصول ، وحضر في النجف على الشيخ مرتضى الأنصاري ويروي عنه إجازة ، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ، وغيرهم.

تضلّع في الفقه والأصول ، وحضر عليه جماعة ، واشتهر أمره ، وذاع صيته ، ورجع إليه الناس في التقليد ولا سيما في البلاد الهندية ، وطبعت رسالته العملية مكرراً ، وقام بأعباء الهداية والإرشاد. توفي في سادس عشر ذي القعدة سنة (1309 هـ) ودُفن في مقبرته في صحن الإمام الحسين عليه السلام.

له من الآثار العلمية : ذخيرة المعاد في الفقه ، ومناسك الحج وشرح الشرائع وحواشي علمية على المسالك وعلى الجواهر وغيرها(1).

4 - السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني :

هو السيد الميرزا ضياء الدين محمد حسين الشهرستاني المرعشي الحائري ... (ت 1315 هـ).

ينتهي نسبه الشريف إلى الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام ، وهو من أعظم العلماء وأكابر رجال الدين في كربلاء في عصره.

ولد المترجم له في كرمشاه في (15 / شوال / 1255 هـ) ونشأ هناك فتعلّم المبادئ ، وأخذ بعض مقدّمات العلوم ، ثم جاء إلى كربلاء فقرأ بها السطوح ، ثم لازم حوزة والده وحوزة الفقيه حسين الأردكاني ، حتّى بلغ في 8.

ص: 145

1- نقيب البشر : 2 / 805 ، تراث كربلاء : 285 - 286 ، أعلام الزركلي : 3 / 106 ، أعيان الشيعة : 7 / 167 - 168.

الفقه والأصول درجة قصوى ، وحاز قسطاً وافراً من أنواع العلوم.

توفي رحمه الله ليلة الخميس (3 / شوال / 1315 هـ) ودُفن في أيوان بالرواق القبلي خلف شبّاك الشهداء.

آثاره العلمية : لقد خلّف آثاراً جليّة تنيف على الثمانين كتاباً ورسالة فارسية وعربية ؛ ويذكر الشيخ الطهراني فهرست لكتبه المطبوعة والمخطوطة التي رأى أغلبها(1).

5- السيّد الميرزا علي الشهرستاني (ت 1344 هـ) :

هو السيّد الميرزا علي ابن السيّد الميرزا محمّد حسين بن محمّد علي الحسيني الشهرستاني الحائري ، عالم بارع وورع جليل ...

نشأ على أبيه فتلقّى العلم على أجلاء عصره وأفاضل المدرّسين ، حتّى بلغ مكانة عالية ونال حظّاً وافراً من الفضل ، وأشارت إليه الأكفّ بالإعجاب والاحترام.

ولمّا توفي والده في سنة (1315 هـ) أهّله مكانته للقيام مقامه في الإمامة ومرجعية الأمور الشرعية في كربلاء ، وكان له بين الناس منزلة مرموقة إلى أن توفي في (11 / رجب / 1344 هـ).

ترك مؤلّفات كثيرة قيّمة منها : الدرّة الوجيزة في شرح الوجيزة للشيخ البهائي في علم دراية الحديث طبع مع بعض رسائله ...»(2). 1.

ص: 146

1- المرجع نفسه : 2 / 627 - 631.

2- المرجع نفسه : 4 / 1410 - 1411.

6 - السيّد هاشم القزويني (ت 1327 هـ) :

هو السيّد هاشم ابن السيّد محمّد علي الموسوي القزويني الحائري ، علامة ، فقيه ، ورع ، تقيّ. هو ابن عمّ صاحب الضوابط ، ولد سنة (1244 هـ) ، وكان والده من أجلاء العلماء الرؤساء ، توفي والده وله ستّة أشهر ، فرّبته والدته ... درس عند صاحب الضوابط وعند محمّد حسين اليزدي الحائري ... وهاجر إلى النجف وتلمذ على العلامة الأنصاري ، ثم آية الله الشيرازي ، ثم رجع إلى الحائر وتلمذ على الشيخ زين العابدين المازندراني الحائري.

توفي رحمه الله في ذي القعدة سنة (1327 هـ) عن ثلاث وثمانين سنة ، ودفن بمقبرة عمّه السيّد إبراهيم صاحب الضوابط.

وأما آثاره العلمية ؛ فله تصانيف وتقريرات ، منها : مباحث الألفاظ في الأصول من تقرير العلامة الأنصاري ، وله : أصل البراءة ، والأدلة العقلية ، وفي الفقه : الخلل ، وصلاة المسافر ، والجماعة ، والإرث ، وله في الكلام : الردّ على ابن الآلوسي ..(1).

7 - السيّد الميرزا جعفر الطباطبائي :

هو السيّد ميرزا جعفر ابن الميرزا علي نقي ابن السيّد حسن ابن السيّد محمّد (المجاهد ابن السيّد علي صاحب الرياض الطباطبائي الحائري). ولد في 8.

ص: 147

كربلاء (1255 هـ) ونشأ بها، وأخذ المقدمات عن أعلام الفضل ورجال العلم، ورحل إلى النجف فتتلمذ على خاله السيّد علي مؤلف البرهان وغيره. وله رواية عن جماعة كتبوا له الإجازات بخطوطهم على ظهر مجموعة من رسائله الفقهية كالسيّد حسين بحر العلوم والسيّد علي بحر العلوم والسيّد مهدي القزويني... وغيرهم.

انتهت إليه الرئاسة في كربلاء بعد والده وصار من أعظم العلماء ومراجع الأمور، توفي فجأة في ظهيرة الأربعاء (22 / صفر / 1321 هـ). وله تصانيف كثيرة في الفقه والأصول وغيرهما(1).

8 - الشيخ محمّد تقي الشيرازي (ت 1338 هـ) :

وقد تحدّثنا عنه سابقاً ضمن الحديث عن حوزة (سامراء) ونقلنا هناك بعض الجوانب المشرقة من سيرته العلمية والجهادية فهو رحمه الله «زعيم الثورة العراقية، وموري شرارتها الأولى، ومن أكابر العلماء وأعظم المجتهدين، ومن أشهر مشاهير عصره في العلم والتقوى والغيرة الدينية»(2).

9 - السيّد إسماعيل الصدر (ت 1338 هـ) :

ذكره صاحب الطبقات في نقباء البشر فقال في ترجمته: «هو السيّد2.

ص: 148

1- المرجع نفسه : 1 / 293 - 294 ، وأحسن الوديعة : 1 / 168 ، وتراث كربلاء : 289.

2- نقباء البشر : 1 / 261 وما بعدها. وللتوسّع أنظر : في أعيان الشيعة : 9 / 192 ، وتكملة أمل الآمل : 5 / 295 ، وأحسن الوديعة : 1 / 184 ، وتراث كربلاء : 291 - 292.

إسماعيل ابن السيّد صدر الدين العاملي الإصفهاني ، من أعظم العلماء ، وأكابر المراجع .

ولد في أصفهان (1258 هـ) ونشأ بها ، وتلمذ في الفقه على العلامة الشيخ محمّد باقر الإصفهاني ، وتشرف إلى النجف (1271 هـ) ... فلزم بحث العلامة الفقيه الشيخ راضي بن محمّد آل خضر النجفي ، وبحث الفقيه الشيخ مهدي بن علي بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء ، ثم اختصّ بالمجدّد الشيرازي مدّة حياته ، وهاجر بعد هجرته إلى سامراء بقليل ، فكان في سامراء إلى (1314 هـ) ، ثم هاجر إلى الحائر الشريف ، مروّجاً للدين ، وحافظاً للعلماء ، ومساعداً للمشتغلين ، وعوناً للضعفاء والمساكين ... فكان من مراجع التقليد في أغلب الأطراف إلى أن توفي في الكاظمية في (12 / ج 1 / 1338 هـ) ، ودفن بها في مقبرته المشهورة في الرواق ... وأبناؤه الأربعة كلّهم علماء أجلاء وهم : السيّد محمّد مهدي ، والسيّد محمّد جواد ، والسيّد صدر الدين ، والسيّد حيدر (والد السيّد محمّد باقر الصدر) ، وأمّ الجميع أخت سيّدنا الحسن الصدر ...»(1).

وللسيّد حسن الصدر في التكملة ترجمة واسعة ، ووصف دقيق لعلميّة وخصال السيّد إسماعيل الصدر ، الذي يعبر عنه بأنه «ابن عمّ والد مؤلّف هذا الكتاب ... أحد مراجع الإمامية في الأحكام الدينية ، عالم فاضل ، فقيه 0.

ص: 149

1- المرجع نفسه : 1 / 159 - 160.

ثم يذكر عقبه فيقول : «وله من الأولاد الذكور أربعة ، كلهم أفاضل علماء ، وأهل نظر وتحقيق» ثم يصفهم واحداً بعد الآخر.

والذي يبدو من ترجمة السيد حسن الصدر لابن عم والده السيد إسماعيل أنه كان حياً وكذلك أولاده الأربعة حين كتابة ترجمته له ولهم ، حيث يقول : «وفي سنة (1314 هـ) هاجر وهاجر معه الأكابر من العلماء إلى كربلاء ، واستوطنها إلى اليوم أدام الله سبحانه ظله على رؤوس الشيعة»⁽¹⁾.

وللسيد الأمين في أعيانه ترجمة للسيد إسماعيل الصدر أوسع من ترجمة الشيخ الطهراني ، ويبدو أن الطهراني قد اقتبس منها ولخصها ، إلا أن الشيخ الطهراني لم يذكر أحداً من تلاميذه ، والراوين عنه ، وذكرهم السيد الأمين فقال : «أخذ عنه الميرزا محمد حسين النائيني النجفي المشهور ، والشيخ حسين المرندي الحائري ، والشيخ موسى الكرمشاهي الحائري وغيرهم.

ويروي بالإجازة عنه جماعة ، فمنهم : الميرزا أبو طالب الموسوي الشيرازي صاحب كتاب أسرار العقائد ، والسيد محمود الحسيني المرعشي التبريزي ، والشيخ محمد باقر البيرجندي ، والشيخ أحمد الشاهرودي ، والشيخ محمد حسين ابن محمد خليل الإمامي الشيرازي»⁽²⁾. 4.

ص: 150

1- تكملة أمل الآمل : 1 / 57 - 59.

2- أعيان الشيعة : 3 / 403 - 404.

كذلك للسيد الأمين ترجمة واسعة لوالد السيد إسماعيل وهو: «صدر الدين محمد ابن السيد صالح ابن السيد إبراهيم شرف الدين ابن زين العابدين بن علي نور الدين - أخي صاحب المدارك - ابن نور الدين علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الإصفهاني»، الذي ولد في قرية من قرى جبل عامل سنة (1193 هـ)، وتوفي في النجف الأشرف سنة (1263 هـ)، وقيل (1264 هـ)، ودُفن في بعض حجر الصحن الشريف⁽¹⁾.

وللميرزا الخوانساري صاحب روضات الجنّات والمعاصر للسيد صدر الدين ترجمة واسعة له في روضاته دون فيها للسيد صدر الدين رحلة علمية شيقة طويلة ابتدأها بأبيه من جبل عامل إلى بغداد والكاظمية سنة (1197 هـ) وكان عمره أربع سنين.

حيث اشتغل خلال هذه الفترة بطلب العلم فقرأ في النجف والكاظمية على الشيخ جعفر الكبير - وتزوج ابنة الشيخ جعفر - وقرأ على صاحب مفتاح الكرامة، والشيخ سليمان المعتوق العاملي، والسيد محسن الأعرجي صاحب المحصول والوافي، وغير أولئك من العلماء ...

وأما مشايخه الذين يروي عنهم بطريق الإجازة فهم كثيرون جداً ينيف عدّتهم على عشرة من الفقهاء والمجتهدين، وأعلامهم سنداً والده المعظم، عن والده السيد محمد بن زين العابدين عن شيخه وأستاذه محمد بن الحسن².

ص: 151

1- المرجع نفسه: 372/9.

الحرّ العاملي صاحب الوسائل ؛ فإنه رحمه الله يروي كتاب الوسائل بتمامه عن هذا الطريق ، وعن شيخه سليمان بن معتوق عن جدّه السيّد محمّد ...

وقال - الخوانساري - أيضاً : «ومن جملة ما حكى لنا قدس سره أنّه كان يتردّد في زمن حدائته وقبل أوان حلمه على مجلس السيّد بحر العلوم ويستفيد من بركات أنفاسه ، وكان السيّد مشغولاً آنذاك بنظم درّته المشهورة ، فكان يعرض عليه ما كان ينشده في كلّ يوم».

ثمّ أضاف صاحب الروضات : «كان مدّعياً لمرتبة الاجتهاد قبل أوان بلوغه ، وكان معظماً عند علماء تلك الصفحة وأمرائها الخاصّة والعامّة من لدن وفاة أبيه المبرور ، بل قبل ذلك ، وله مع أولئك نوادر وحكايات ووقائع تدلّ على عظم موقعه منهم ، شافهني المرحوم بحكاية جملة وافرة منها لا يسعها المقام»(1).

ويعلّق السيّد الأمين في أعيانه على هذا المقطع من قول الخوانساري فيقول : «وليته وسع المقام لبعضها ؛ فهي أنفع للقارئ وأجدر بالذكر من كثير ممّا أورده من الألقاب الضخمة والأسجاع الباردة»(2).

وأوسع من كتب في ترجمة السيّد صدر الدين بن صالح الصدر هو السيّد حسن الصدر في كتابه الممتع تكملة أمل الآمل ، ومنه أخذ السيّد عبد الحسين شرف الدين في موسوعة بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين 2.

ص: 152

1- روضات الجنّات : 4 / 126 - 129 بتلخيص وتصرف.

2- أعيان الشيعة : 9 / 372.

المطبوع مع ملحقاته في مجلدين ضمن موسوعة السيّد شرف الدين (1) ومما جاء في بغية الراغبين ضمن ترجمة السيّد صدر الدين قوله : «سيّد هذه الأسرة - آل الصدر - وإمامها الأوحد السيّد شريف محمّد المعروف ب- : (السيّد صدر الدين ابن السيّد صالح) وأُمّه الفاضلة بنت الشيخ علي ابن الشيخ محي الدين ابن الشيخ علي ابن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني أعلى الله منازلهم.

وإليه يضاف السادة القادة الأشراف آل صدر الدين ، وجلّهم الآن في العراق وإصفهان» (2).

ولا نستطيع أن نسترسل كثيراً في ترجمة سيرة السادة الأجلّاء من آل الصدر (رضوان الله عليهم) - وهي بلا شك سيرة عطرة محبّبة ملؤها العطاء العلمي والجهادي - إذ أنّ منهج الاختصار يوجب علينا التوقّف عند هذا المختصر من ترجمتهم ، ولمن رام التوسّع يمكنه مراجعة المراجع والمصادر التي أشرنا إليها.

10 - السيّد هادي الخراساني الحائري (ت 1368 هـ) :

قال عنه السيّد الأمين في الأعيان : ولد في كربلاء سنة (1297 هـ) ، ثمّ انتقل مع والده إلى مشهد الرضا عليه السلام حيث أتمّ دراسته الأولى فيها ، وقد ختم ا.

ص: 153

-
- 1- تتكوّن الموسوعة من عشرة أجزاء بالإضافة إلى المدخل ، وتضمّ جميع آثار السيّد شرف الدين العلمية ، محقّقة من قبل لجنة علمية.
 - 2- للتوسّع ، أنظر : تكملة أمل الآمل : 1 / 198 وما بعدها ، من الطبعة الحديثة ، منية الراغبين : الجزء السابع والثامن من موسوعة السيّد شرف الدين ، أحسن الوديعه : 1 / 180 وما بعدها.

القرآن ولم يبلغ العاشرة من عمره ، ثم عاد إلى كربلاء ، ومنها ذهب إلى النجف حيث تردّد على الحلقات الدراسية العليا مستفيداً ، فدرس عند الشيخ كاظم الخراساني ، والسيد كاظم اليزدي ، والشيخ محمد تقي الشيرازي الذي تخرّج عليه ، وبعد أن أتمّ دراسته في النجف عاد إلى كربلاء ، فاستقلّ بالتدريس .

وكان متّصفاً بالزهد والتقوى والتهجّد ، كما أنّ داره كانت محفلاً لأهل العلم وطلاب الحقيقة ، وقد أصبح في السنوات الأخيرة من عمره مرجعاً من مراجع التقليد في كربلاء ، وكانت الثقة بفتاويه والاعتماد عليها كثير ، لأنّه كان لا يحرّرها إلاّ بعد تروّ وتحقّق دقيقين .

توفي في كربلاء في (12 / ربيع الأوّل / 1368 هـ) ودُفن في إحدى حجرات صحن الإمام الحسين عليه السلام .

وأما آثاره العلمية ؛ فقد شرع منذ صباه في تصنيف الكتب وتأليفها في مختلف الفنون والعلوم ، وقد جمع بين المنقول والمعقول والأدب والعلم والحكمة والكلام ، كما كانت له اليد الطولى في الرياضيات والطبيّيات ... وقد جمع المترجم في داره بكربلاء مكتبة ثمينة من حيث النسخ النادرة من الكتب الخطيّة ... (1) وذكر له مؤلّفات ... بلغت أكثر من ثمانية عشر مؤلّفاً .

11 - السيد عبد الحسين الحجّة الطباطبائي (ت 1363 هـ) : 5.

ص: 154

1- أعيان الشيعة : 10 / 232 - 233 ، وتراث كربلاء : 294 - 295 .

ترجم له صديقه ورفيق درسه الشيخ الطهراني في الكرام البررة فقال في ترجمته : «هو السيّد عبد الحسين ابن السيّد علي ابن السيّد أبي القاسم - الملقّب بالحجّة - بن حسن ابن السيّد محمّد المجاهد ابن السيّد علي - صاحب الرياض - الطباطبائي الحائري ، فقيه فاضل وعالم جليل ومرجع معروف.

و «آل الطباطبائي من بيوت العلم المعروفة في كربلاء ، وأسر الزعامة والمجد ، والشرف والفضل ، توارثوا الفقهة والرياسة أباً عن جدّ ، وظهر فيهم علماء متبحّرون وفقهاء بارعون ... خدموا الدين بالتدريس والتأليف وغيرهما». ثمّ يضيف الطهراني : «كان المترجم له من أصدقائنا القدامى ... أخذ عن بعض أفاضل كربلاء مقدّمات العلوم ، ثمّ تشرّف إلى النجف مع ابن عمه السيّد محمّد صادق الحجّة فحضرا على المولى محمّد كاظم الخراساني وغيره من فحول علماء عصره ومشاهير مدرّسيه ، وكانت تجمعي وإياه حلقة درس شيخنا الخراساني فقهاً في النهار ، وأصولاً في الليل ، وقد كان مع ابن عمّه من تلامذته البارزين ... وقد كنت ألاحظ عناية الشيخ بهما واحترامه لهما ...

عاد المترجم له إلى كربلاء بعد أن بلغ درجة سامية في العلم والفضل مع تقى وصلاح ، فأقبلت عليه النفوس والتفتّ حوله طلاب العلم ، واشتغل بالتدريس وغيره ... انتهت إليه الرياسة في كربلاء ، وشغل منصب المرجعية الدينية والزعامة الروحية بجدارة واستحقاق ، بقي رحمه الله زمناً طويلاً وهو مرجع

الناس وملاذهم في كربلاء ... إلى أن انتقل إلى رحمة الله بعد مرض لازمه مدّة في سنة (1363 هـ) ... ودفن مع آبائه رحمهم الله في مقابرهم»⁽¹⁾.

12 - السيّد حسين القمّي (ت 1366 هـ) :

يقول عنه الشيخ عبّاس القمّي : «السيّد الأجلّ والكهف الأظّل ، العالم المحقّق ، والفاضل المدقّق ، الورع البرع ، التقّي الزكيّ ، الذي هو من أعظم فضلائنا المتأهلين للثناء بكلّ جميل ، عادم العديل ، وفاقد الزميل ، مسلماً تحقيقه في الأصول ، بل ماهراً في المعقول والمنقول ...»⁽²⁾. ويترجم له السيّد الأمين في الأعيان والذي التقى به في دمشق وفي مدينة مشهد ، ودارت بينهما بعض المباحثات العلمية فيقول : «وطلبت منه أن يكتب لي ترجمته فأمر بعض من يختصّ به فكتب لي ما تعريبه :

ولد في قم (1282 هـ) وفيها أتمّ مقدّمات العلوم ، ثمّ سافر إلى العتبات العاليات ، ثمّ عاد إلى قم وأكمل فيها دراسة السطوح ... ثمّ سافر إلى سامراء وحضر درس الميرزا الشيرازي ، ثمّ سافر إلى طهران وحضر دروس المعقول والعرفان والرياضيات على جماعة من علمائها المعروفين ، وقرأ على الشيخ فضل الله النوري والميرزا حسن الآشتياني ، ثمّ عاد إلى العراق لإكمال تحصيله في النجف وسامراء عند الميرزا محمّد تقّي الشيرازي ، ثمّ عاد إلى إيران وسكن مشهد ، وسكنها لأكثر من عشرين سنة مشغولاً بالتدريس وأجوبة 9.

ص: 156

1- الكرام البررة : 3 / 1051 - 1052 ، تراث كربلاء : 296 - 297.

2- الفوائد الرضوية : 1 / 18 - 19.

ويضيف السيّد الأمين : «ثمّ بعد سنين فسد ما بينه وبين الشاه رضا ... ثمّ خرج إلى العراق - شبه منفي - وسكن كربلاء ودرس فيها ، وصارت له وجاهة ، وازدادت وجاهته بعد وفاة السيّد أبي الحسن الإصفهاني ، ومال الناس من إيران وغيرها إلى تقليده ، وطبع رسالته». ويذكر السيّد الأمين أساتذته وهم كثيرون كالميرزا الشيرازي ، وكاظم اليزدي ، والآخوند الخراساني ومحمّد تقي الشيرازي وغيرهم. وله آثار علمية وحواشي. توفي في بغداد سنة (1366 هـ) ونقل إلى النجف (1).

13 - السيّد حسين القزويني الحائري (ت 1367 هـ) :

هو السيّد حسين ، نجل السيّد باقر ، نجل السيّد إبراهيم صاحب الضوابط .. ، ولد في كربلاء سنة (1588 هـ) ، وتلمذ على العلامة الحجّة الشيخ كاظم الخراساني الشهير ب- : (الآخوند) ، وله عدّة إجازات في الاجتهاد. ومن أساتذته في الإجازة الآخوند الخراساني ، وآقا ضياء العراقي ، والسيّد أحمد السيّد صالح القزويني الموسوي ، والسيّد أبو الحسن الإصفهاني ، والشيخ محمّد تقي الشيرازي ، والميرزا محمّد حسين النائيني.

ساهم المترجم له في الثورة العراقية الكبرى سنة (1920 م) ، وكان عضواً فعّالاً فيها ، وبعد أن أخدمت نار الثورة قبض عليه الانكليز ، وقدم إلى 9.

ص: 157

المجلس العرفي العسكري ، فأطلق سراحه بعد اعتقاله في الحلة طيلة ثمانية أشهر ... وله مؤلفات مطبوعة ومخطوطة ...

توفي في (2 / ذي الحجة / 1367 هـ) ودفن في مقبرة آل القزويني في الصحن الصغير للروضة الحسينية(1).

ويذكر الدكتور علي الوردى في كتابه لمحات اجتماعية أنه «قد بلغ عدد الذين ضمهم سجن الحلة ثلاثة وثلاثين ... منهم : السيد هبة الدين الشهرستاني والسيد حسين القزويني ...» وغيرهم.

ومن طريف ما يذكره في هذه المناسبة أن السيد هبة الدين الشهرستاني نظم في سجن الحلة أرجوزة أشار فيها إلى أسماء الذين كانوا معه في السجن ، جاء فيها :

هاك أسامي نخبة الآفاق

من حوكموا في نهضة العراق

سبع وعشرون شيوخ رؤسا

وستة من نسل أصحاب الكسا

هم هبة الدين لأجل الدين

وحبرنا الحسين من قزوين(2)

وينقل الدكتور علي الوردى في لمحاته عن الشيخ محمد الخالصي في مذكراته المخطوطة بعض الجوانب من قصة استسلام كربلاء للانكليز ، حيث كان الخالصي أحد المطلوبين للانكليز فحاول الخروج ليلاً إلى النجف فلم 7.

ص: 158

1- تراث كربلاء : 297 - 298. وللتوسع أنظر : علي الوردى في كتابه لمحات اجتماعية : ج 5 ، ق 2 / 116 - 117.

2- لمحات اجتماعية : ج 5 ، ق 2 / 146 - 147.

يفلح فاضطرّ إلى المضيّ إلى كربلاء مستتراً بظلام الليل ، فيقول : «ووردتُ دار السيّد حسين القزويني حفيد صاحب الضوابط وكانت متّصلة بصحن الحسين عليه السلام ، فاختمت فيها ، وبعد أيام هجم الانكليز على تلك الدار وأخذوا حسين وولده ، وجاؤوا إليّ ورأوني فلم يعرفوني ... وتركوني في تلك الدار مع طفلة للسيّد حسين لم تتجاوز أربع سنين وخادمتين له لا غير ... وبقيتُ في تلك الدار خمسة وأربعين يوماً ...

وكان يقلقني في تلك الدار عجوزان كانتا متشاكستين تكثران النزاع ، فإذا اشتدّ بينهما الخصام كانت تهدّد كلّ منهما صاحبتهما بأنّها تخبر الانكليز بأنّ صاحبتهما أجاتني ... فكنت أصلح بينهما دائماً ، وهذا كان جلّ عملي تلك المدّة ... وبعد خمسة وأربعين يوماً ارتفع الحصار عن كربلاء وصار الزوّار يذهبون ويجيئون ، فخرجت من كربلاء ليلاً مندمجاً في زمرة طائفة من أهل يزد إلى الكاظمية ... ولم يعرفني أحد ...»(1).

14 - السيّد محمّد حسن القزويني (ت 1380 هـ) :

هو السيّد حسن ابن السيّد أبي المعالي محمّد باقر ابن السيّد مهدي ابن السيّد محمّد باقر الموسوي القزويني الحائري ، عالم جليل ، وفقه بارع ، ومصنّف ماهر. ولد يوم عرفة سنة (1296 هـ) ، ونشأ نشأة حسنة ، فأخذ العلم عن بعض الأفاضل والأجلاء بكربلاء ، ثمّ تشرف إلى النجف فحضر على 7.

ص: 159

1- المرجع نفسه : ج 5 ، ق 117/2.

شيخنا المولى محمد كاظم الخراساني ، وكتب من تقريرات بحثه .. ، وبعد وفاة الأستاذ هاجر إلى سامراء فحضر على شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي واستفاد منه كثيراً.

وله من التصانيف : شرح اللمعة مزجاً ، مزج منه مجلد الطهارة ، وله هدي الملة إلى أن فذك من النحلة. وله الإمامة الكبرى وله أيضاً البراهين الجليلة في رفع تشكيكات الوهابية.

انتقل إلى جوار ربّه يوم (26 / رجب / 1380 هـ) ودفن في مقبرة السيّد محمد المجاهد(1).

15 - السيّد محمد علي الطباطبائي (ت 1381 هـ) :

هو العالم الفاضل السيّد محمد علي ابن السيّد مهدي ابن السيّد محمد علي ابن ميرزا مهدي ابن المير السيّد علي الطباطبائي صاحب الرياض.

ولد في كربلاء سنة (1302 هـ) ونشأ في أسرة (آل الطباطبائي) المعروفة بقدسيّتها وعلمها ، وأخذ المقدمات من أعلام أسرته .. ، ثم حضر درس الشيخ محمد تقي الشيرازي ، والسيّد ميرزا هادي الخراساني ، وغيرهم من الأساتذة الفضلاء ، وله منهم إجازات عديدة.

اشتغل بالقضايا الوطنية .. ، وساهم بمقدمات الثورة العراقية الكبرى عام (1920 م) ، حيث نفي إلى سامراء سنة (1918 م) من قبل السلطة آنذاك ، 9.

ص: 160

1- الكرام البررة : 1 / 389 ، تراث كربلاء : 299.

وسافر إلى هنجام مع أحرار كربلاء في (28 / ايلول / 1920 م).

توفي في كربلاء في (16 / جمادى الثانية / 1381 هـ) وجرى له تشييع حافل ودفن في مقبرة السيد محمد المجاهد(1).

16 - السيد ميرزا مهدي الشيرازي (ت 1380 هـ) :

السيد مهدي الحسيني الشيرازي الحائري ابن السيد حبيب الله. ولد في كربلاء سنة (1304 هـ) وتوفي فيها في (28 / شعبان / 1380 هـ).

تلقى دراسته الأولى في كربلاء... ثم انتقل إلى سامراء واشتغل بالبحث والدرس والتدريس هناك مدة طويلة من الزمن ، ثم سافر إلى الكاظمية وبقي هناك مشغلاً بالبحث والدرس ما يقرب من سنتين ، ثم سافر إلى كربلاء وبقي مدة قصيرة ، وانتقل بعدها إلى النجف وبقي هناك ما يقرب من عشرين سنة ، ثم انتقل إلى كربلاء وبقي فيها إلى حين وفاته.

وأما أساتذته ؛ فقد تتلمذ على الشيخ محمد تقي الشيرازي ، وأقا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه ، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب العروة الوثقى ، والشيخ النائيني والسيد حسين القمي.

ولقد حضر البحث (الكمباني) للسيد حسين القمي في كربلاء ؛ وكان البحث يضم جمعاً من العلماء ، كالسيد محمد هادي الميلاني ، والشيخ محمد رضا الإصفهاني ، والسيد زين العابدين الكاشاني ، والشيخ يوسف الخراساني 1.

ص: 161

1- تراث كربلاء : 306 - 307 ، وللتوسع ، أنظر : علي الوردی ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث : ج 5 ، ق 1 / 211.

وغيرهم ، وبعد وفاة السيّد القمّي اشتغل بالبحث والتدريس .

آثاره ومؤلفاته : له مؤلفات منها : شرح لم يتمّ على العروة الوثقى ، ومنها : رسالات في المباحث الأصولية ، ومنها : رسالة في التجويد ، ورسالة حول فقه الرضا ، بالإضافة إلى أجوبة وتعليقات أخرى(1).

وللمترجم له عدّة إجازات في الرواية من العلامة الميرزا محمّد الطهراني صاحب مستدرک بحار الأنوار ، والشيخ آقا بزرك الطهراني صاحب الذريعة ، والشيخ عباس القمّي صاحب مفاتيح الجنان .

كان رحمه الله فقيهاً زاهداً وعالماً جليلاً تبوّأ المكانة المرموقة في علوم الدين والشريعة ، واضطلع بمسؤولية التقليد والمرجعية الدينية ، وأقام صلاة الجماعة في الصحن الحسيني الشريف ... وقد تقدّمت كربلاء في عصره تقدماً دينياً وعلمياً وثقافياً ... وخسرت كربلاء بموته أحد أعلامها البارزين .

وقد أنجب الفقيه عدّة أولاد هم السادة محمّد الشيرازي الذي تولّى المرجعية بعد وفاة والده (المتوفى في مدينة قم 1422 هـ) والسيّد حسن الشيرازي (الشهيد على أيدي زمرة البعث عام 1983 م) والسيّد صادق الشيرازي الذي تصدّى للمرجعية بعد وفاة السيّد محمّد ..(2).

17 - السيّد محمّد هادي الحسيني الميلاني (ت 1395 هـ) :

إنّه السيّد (عميد الدين) محمّد هادي ابن السيّد جعفر ابن السيّد أحمد 1.

ص: 162

1- أعيان الشيعة : 1 / 146 .

2- تراث كربلاء : 300 - 301 .

ابن السيّد مرتضى ابن السيّد علي الأكبر ابن السيّد أسد الله ابن السيّد أبو القاسم ابن الشريف الحسين المدني ... وينتهي نسبه الشريف إلى الإمام علي بن الإمام الحسين عليه السلام.

ولد المترجم له في النجف الأشرف في عام (1313 هـ)، وأكمل فيها دراسته على أكابر علمائها حتى بلغ درجة الاجتهاد بشهادة أساتذته، وعرفه الكلّ بذلك، واعترف له به مشايخه وهو في العقد الثالث من عمره الشريف

... وبقي في النجف الأشرف مستقلاً بالتدريس، فكان له بحث في خارج الفقه والأصول ... يحضره جمع كبير من فضلاء حوزة النجف الأشرف ... حتى انتقل إلى الحوزة العلمية ب كربلاء المقدّسة سنة (1356 هـ).

«وكان سبب الهجرة أن انتشرت الحمّى في النجف الأشرف وكان السيّد وعقيلته ممّن ابتلي بها، حتى أمره الطبيب بالخروج من النجف الأشرف للراحة والاستجمام، وحينئذ رجّح السيّد السفر إلى كربلاء، فخرج إليها للغرض المذكور». غير أنّه بعد ما عادت إليه صحّته وعافاه الله عزّ وجلّ، طلب منه آية الله العظمى حسين القمّي (ت 1366 هـ) البقاء في هذه الحوزة تقوية لها، وتنشيطاً للحركة العلمية بها ... فاستجاب للطلب وشرع بالتدريس في خارج الفقه والأصول.

لقد بقي السيّد قدس سره في كربلاء مدّة ثمانية عشر عاماً، وهو المدرّس البارز - فيها - والذي بفضل وجوده بها أغنى الكثيرين من فضلائها من الهجرة إلى النجف الأشرف، حتى كادت حوزة كربلاء تضاهي حوزة النجف في القوّة

وقد درّس قدس سره في هذه الحوزة أكثر الأبواب الفقهية بالإضافة إلى الأصول ، ودرّس التفسير بالإضافة إلى درس العقائد والكلام وكان بحثه في شرح تجريد الاعتقاد ، وكان رحمه الله يقيم صلاة الجماعة في داخل الروضة الحسينية الشريفة⁽¹⁾. استقرّ آية الله الميلاني رضي الله عنه في مدينة مشهد عام (1373 هـ) حتّى توفّي فيها.

وسوف يأتينا الحديث عن حركته العلمية والاجتماعية ضمن الحديث عن حوزة مشهد إن شاء الله تعالى.

18 - الشيخ محمّد رضا الإصفهاني (ت 1393 هـ) :

وهو العلامة والفيلسوف الإسلامي الذي كان بحقّ مفخرة علمية ، فقد اشتهر بغزارة علمه ، وسعة اطلاعه ، وإحاطته بالمدارس الفلسفية الإشرافية وغير الإشرافية ... نال صيتاً ذائعاً في البلدان الإسلامية ، وكان كبار علمائها المسلمين من سائر البلدان يقصدونه في كربلاء لمعرفة آرائه الإسلامية ونظريّاته الفلسفية ...

وقد أسهم بدوره في إغناء الحوزة العلمية بكربلاء وتربية جيل من العلماء المتفكّحين ، توفّي ودُفن في كربلاء سنة (1393 هـ)⁽²⁾. 8.

ص: 164

1- علم وجهاد ، حياة آية الله العظمى الميلاني : 1 / 17 - 18 ، 53 وما بعدها ، و 1 / 114 - 116 بتلخيص وتصرف.

2- تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 68.

19 - الشيخ محمد الشاهرودي الحائري (ت 1409 هـ) :

وهو آية الله العلامة المفضل، والعالم المتبحر، والفقير المحقق، والأستاذ البار، حيث تفرغ للتدريس والتحقيق في حوزة كربلاء العلمية لفترة تناهز نصف قرن، وكانت حلقة دروسه وتقريراته الفقهية والأصولية من أهم الحلقات التدريسية في حينه... تخرج عليه العشرات من الطلاب... وكان يقيم الجماعة في صحن الروضة الحسينية لأكثر من ثلاثين عاماً، هاجر من كربلاء بحدود (1392 هـ) وقدم إلى إيران واستقر في مدينة طهران. توفي في سنة (1409 هـ)، ودفن في روضة الشاه عبد العظيم بمدينة الري (1).

20 - السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي (ت 1422 هـ) :

هو السيد محمد ابن السيد مهدي ابن السيد حبيب الله الحسيني الشيرازي الحائري، وجد السيد حبيب الله ابن أخ المجدد والسيد محمد حسن الشيرازي المتوفى عام (1312 هـ).

ولد المترجم له في النجف الأشرف عام (1347 هـ)، هاجر به والده إلى كربلاء المقدسة عام (1356 هـ) وله تسع سنين، نشأ في كربلاء نشأة روحية علمية، حتى هاجر إلى دولة الكويت عام (1969 م)، وفي عام (1979 م) هاجر إلى مدينة قم المقدسة، واستقر بها حتى وفاته عام (1422 هـ) ودفن في حرم السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام قرب قبر أخيه الشهيد حسن 9.

ص: 165

1- المرجع نفسه : 68 - 69.

الشيرازي. «فهو نجفي الولادة ، حائري النشأة ، كويتّي الهجرة ، قمي الإقامة والمرجعية والوفاء والمثوى الأخير»(1).

ومما ينبغي أن يذكر في سيرة السيّد محمّد الشيرازي رحمه الله أنّه تولّى المرجعية بعد وفاة والده قدس سره عام (1380 هـ) ، وخلف والده المرجع في شؤون الفتيا والإمامة(2).

وكان سماحته آنذاك في سنّ الشباب ؛ إذ لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره ، وقد يقال : «إنّ للسيّد الشيرازي طموحاً مبكراً ، وسعيّاً إلى الرّعاية منذ شبابه»(3).

وقد يجاب عن هذا الطموح المبكّر للمرجعية بحسن نيّة بأن يقال : «إنّ الطموح المشروع ، هو سبيل أغلب زعماء الأُمّة وإلاّ تعطلت القيادة ، وتسلمها من ليس أهلاً لها ، والسيّد الشيرازي أهل لذلك ...»(4).

والأمر الآخر الملفت للنظر في مسيرة السيّد الشيرازي العلمية ، هي ظاهرة كثرة المؤلّفات حيث قدّر بعضهم مؤلّفاته بأنّها «تجاوزت الألف كتاب» منها «موسوعته الفقهية التي بلغت مائة وخمسين مجلداً»(5) ، بالإضافة إلى الكتابات الأخرى. 7.

ص: 166

1- قادة الفكر الديني والسياسي في النجف : 211.

2- هدية الرازي : 211 ملحق ، الحركة العلمية في كربلاء : 69.

3- محمّد حسين ، قادة الفكر الديني : 236.

4- المرجع نفسه : 236.

5- قادة الفكر : 236 - 237.

وكل مؤلف من هذه المؤلفات العلمية لها أبحاثها التخصصية العميقة وتحتاج إلى جهد علمي كبير ، بالإضافة إلى عامل الزمن التي يستغرقها.

وعلى أي حال ، فقد كانت حياة السيد الشيرازي رحمه الله حياة حافلة بالعطاء العلمي والاجتماعي ، بالإضافة إلى جهاده السياسي في مقارعة البعثيين ... وهذه كلها خدمات جليلة تسجل له في سجل عطائه رحمه الله.

وبالسيد الشيرازي محمد مهدي رحمه الله نختم فهرست أبرز أسماء علماء حوزة كربلاء العلمية ؛ في أدوارها الثلاثة.

ومما لا شك فيه أنّ هنالك أسماءً أخرى لعلماء لهم دورهم وعطاؤهم في هذه الحوزة المباركة ، إلا أننا لم نعر على تراجمهم بمقدار ما بحثنا في كتب التراجم والسيرة ، أو لم يسع مجال البحث لاستيعابهم جميعاً رحمه الله.

ص: 167

من معطيات الحوزة العلمية في كربلاء

لقد كان لحوزة كربلاء معطيات مهمّة شملت جوانب متعدّدة من مسيرتها العلمية، سواءً على مستوى الإقبال عليها من قبل طلاب العلم والمعرفة؛ إذ نجدها حوزة منفتحة على المناطق الشيعية، أو على مستوى تأسيس المدارس وتشيد المعاهد العلمية؛ إذ نجد كثرة هذه المدارس في تاريخها الطويل. بالإضافة إلى التطوّر النوعي في مجال البحوث التخصصية في الفقه والأصول؛ حيث نلاحظ العمق والشمول والاستيعاب.

يضاف إلى ذلك معطيات أخرى تناولت عناوين أخرى يمكن أن نسجّلها كأبحاث في هذا الفصل من تاريخ هذه الحوزة المباركة.

المبحث الأول:

الهجرة العلمية إلى حوزة كربلاء، هجرة طلاب جبل عامل إنموذجاً:

لقد شهدت حوزة كربلاء العلمية - وعلى مدى تاريخها الطويل - هجرة بعض طلاب العلم والمعرفة من بلاد الشام - جبل عامل - إليها، حيث حلّوا فيها واستفادوا من محضر أساتذتها، «وأظنّ أنّ أقدم مؤشّر على هذه الهجرة... كان في القرن الثامن الهجري، أي بعد قرن أو أكثر من بروز

النهضة العلمية في جبل عامل ، ثم أخذت بالاستمرار إلى حين انتقال الحوزة العلمية من كربلاء إلى النجف على يد العلامة السيّد مهدي الطباطبائي الملقّب ببحر العلوم»(1).

وفيما يلي أسماء بعض العاملين المهاجرين إلى كربلاء ممّن تتلمذ على أيدي أساتذتها :

1 - الشيخ إبراهيم بن علي الكفعمي (ت 895 هـ) :

وقد ترجمنا له سابقاً ضمن علماء حوزة كربلاء في دورها الأول ، حيث هاجر إلى كربلاء وسكنها ، وتوفّي ودُفن فيها على قول بعضهم.

2 - السيّد إسماعيل صدر الدين العاملي (ت 1338 هـ) :

وهو من أعظم العلماء ، وأكابر المراجع ، هاجر والده إلى إصفهان ، ثم إلى النجف الأشرف ، حيث ولد السيّد إسماعيل هناك ، وسار على نهج آبائه الأفذاذ في طلب العلم من مظانّه ، فشدّ الرحال من أجل ذلك مهاجراً ما بين النجف وسامراء وكربلاء والكاظمين ... وقد ذكرنا ترجمته سابقاً.

3 - الشيخ نور الدين علي آل أبي جامع :

له ترجمة في تكملة أمل الآمل ، جاء في بعض مقاطعها : «... هو أبو أسرة من العلماء ، وله التقدّم في العلم والفضل ، وإنّه من أوّل من هاجر من آل أبي جامع ... وعرف بأبي جامع لأنّه بنى جامعاً ... ونسبه ينتهي إلى 8.

ص: 169

1- الفقه في جنوب لبنان : 168.

الحارث الهمداني ..). وجاء في ترجمته أيضا : «إِنَّهُ بَعْدَ مَا جَرَى عَلَى الشَّهِيدِ الثَّانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَضَعُضَعَتِ الْبِلَادُ وَاضْطَرَبَ أَهْلُهَا وَشَمَلَهَا الْخَوْفُ وَالتَّقْيَةُ ، خَرَجَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ مِنْ قَرْيَةِ (جَبْع) وَقِيلَ مِنْ (عَيْنَاثَا) ، مَعَ أَوْلَادِهِ وَعِيَالِهِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ حَتَّى وَصَلَ كَرْبَلَاءَ فَأَقَامَ بِهَا ... وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا مُحَدِّثًا نَقِيًّا صَالِحًا ... وَسَكَنَ بِهَا مَدَّةً ..».

إِلَّا أَنَّ الشَّيْخَ عَلِيَّ سَرَعَانَ مَا تَرَكَ كَرْبَلَاءَ هَارِبًا مِنَ الْعُثْمَانِيِّينَ إِلَى (الدُّورِق) ثُمَّ إِلَى (الْحَوِيزَةِ) حَيْثُ سَكَنَهَا وَتَوَفَّى بِهَا وَنُقِلَ إِلَى النُّجْفِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نُقِلَ مِنَ الْحَوِيزَةِ إِلَى النُّجْفِ. وَقَدْ ذَكَرَ السَّيِّدُ الصِّدْرُ فِي تَكْمِلَتِهِ وَالسَّيِّدُ الْأَمِينُ فِي أَعْيَانِهِ قِصَّةَ هُرُوبِهِ إِلَى الْحَوِيزَةِ وَسَبَبِهَا(1).

4- السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْعَامِلِيُّ :

وَقَدْ ذَكَرْنَا تَرْجُمَتَهُ ضَمَّنَ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلِيِّينَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى مَكَّةَ ، حَيْثُ هَاجَرَ أَوَّلًا إِلَى كَرْبَلَاءَ وَسَكَنَهَا فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ، فَجَرَى عَلَيْهِ مِثْلُ مَا جَرَى عَلَى زَمِيلِهِ نُورِ الدِّينِ عَلِيٍّ ، حَيْثُ يَشْتَرِكَانِ فِي سَبَبِ هُرُوبِهِمَا مِنْ أَيْدِي الْعُثْمَانِيِّينَ ، فَيَمَّمُ وَجْهَهُ صُوبَ مَكَّةَ مُهَاجِرًا وَتَوَفَّى فِيهَا ، بَعْدَ أَنْ يَمَّمُ صَاحِبَهُ وَجْهَهُ صُوبَ الْحَوِيزَةِ وَتَوَفَّى فِيهَا(2).

5- السَّيِّدُ صَالِحُ الْعَامِلِيُّ (ت 1217 هـ) : 2.

ص: 170

1- تكملة أمل الآمل : 281 - 283 ، أعيان الشيعة : 8 / 162 وما بعدها.

2- تكملة أمل الآمل : 282 - 283 ضمن ترجمة الشيخ نور الدين آل أبي جامع ، أعيان الشيعة : 9 / 62.

قال عنه صاحب التكملة : «السيد الجليل السيد صالح ابن السيد محمد ابن السيد إبراهيم شرف الدين ... الموسوي العاملي ، .. كان يعرف بالسيد صالح الكبير العاملي المكي ، من أعلام العلماء في عصره ، انتهت إليه رئاسة الإمامية في بلاد الشام ، وكان كثير الاطلاع ، غزير الحفظ ، واسع الرواية ، وله في الطب والرياضيات يدقارعة وقدح معلّى ... رباه أبوه وقرأ عليه وعلى غيره من علماء عصره في عاملة فمصر فالحجاز فالعراق ، وحمل عن فقهاء هذه البلاد ومحدثيها علماً كثيراً ... وفي سنة (1163 هـ) رجع إلى بلاده واستقرّ فيها مرجعاً وملاذاً لأهلها ... سكن النجف حتّى توفّي سنة سبع عشرة ومائتين وألف ، ودفن في بعض حجر الجانب الشرقي من حجر الصحن الشريف»(1).

والسبب في عودته إلى العراق ثانياً هي المحنة التي تعرّض لها علماء جبل عامل أيام الجزّار حيث تعرّض السيد إلى الحبس في الجب فانقذه الله منها.

ويشير السيد الحسيني إلى أنّ السيد صالح قد سكن العراق في سفرته الأولى متردداً بين النجف وكرلاء(2).

6 - الشيخ محمد حسين الميسي العاملي :

قال عنه معاصره الشيخ الحرّ العاملي في أمل الآمل : «وهو الشيخ محمد 0.

ص: 171

1- تكملة أمل الآمل : 233 - 234.

2- الفقه في جبل عامل : 170.

حسين بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبد العالي العاملي الميسي ، فاضل عالم محقق صالح عابد ، معاصر ، سكن كربلاء إلى الآن»(1).

والشيخ الحرّ العاملي متوفى سنة (1104 هـ) وهذا يعني أنّ الشيخ الميسي من علماء القرن العاشر وبدايات القرن الحادي عشر الهجري.

ويتوسّع السيّد الصدر في ترجمة الشيخ الميسي فيقول : «الشيخ محمّد حسين ... من أحفاد علي بن عبد العالي الميسي ، نزيل الحائر المقدّس ، فاضل جليل فقيه متبحّر ، يروي عنه المولى أبو الحسن الشريف العاملي ، وله منه إجازة كتبها له سنة (1100 هـ) ، ويروي هو عن الشيخ عبد الله بن محمّد العاملي ، عن الشيخ علي ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن بن زين الدين صاحب الدرّ المنتثور»(2).

7 - الشيخ محمّد بن يوسف آل أبي جامع :

الشيخ محمّد بن يوسف بن جعفر من مشاهير أسرة محيي الدين أو آل أبي جامع ، ويعدّ الشيخ محمّد من كبار الشعراء إلى جانب كونه فقيهاً كبيراً في النجف الأشرف ، وهو ممّن هاجر إلى كربلاء في أول أمره ، فإنّه قصدها مع زميليه العلامة السيّد مهدي بحر العلوم والشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء للتلمذة على علمائها ، وكان أبرزهم آنذاك الوحيد البهبهاني(3).2.

ص: 172

1- أمل الآمل : 1 / 154.

2- تكملة أمل الآمل : 377.

3- الفقه في جبل عامل : 170 عن الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في كتابه : الحالي والعاطل : 102.

8 - السيّد حسين ابن السيّد أبي الحسن العاملي :

وهو السيّد حسين الشقراني ، من أعظم العلماء العامليين ، وهو ممّن هاجر إلى العراق وأقام في كربلاء إبان ازدهارها على عهد الوحيد البهبهاني ، وتلمذ لديه ، وحضر بحثه إلى حين وفاته ، فانتقل إلى النجف الأشرف ..(1).

ويذكر السيّد الصدر في ترجمته : «... عالم فاضل محقق مدقق ، جرت بينه وبين المحقق القمي صاحب القوانين حين قدومه إلى العراق مباحثات في حجّية الظنّ المطلق ، وأورد السيّد على المحقق إيرادات لم يجب عن جميعها في مجلس المباحثة ، لكنّه أدرج الإشكالات مع أجوبتها في مبحث الاجتهاد والتقليد من كتابه القوانين على ما حكاه بعض أجلة أرحام صاحب الترجمة ... ومن راجع الإشكالات علم أنّ صاحبها من أهل الغور والتحقيق ، ولعلّه من تلامذة السيّد بحر العلوم المنكر لحجّية الظنّ المطلق»(2).

9 - السيّد محمّد جواد العاملي :

وهو من أشهر علماء جبل عامل المتأخّرين ، وصاحب السفر الجليل الخالد مفتاح الكرامة نشأ وترعرع في جبل عامل ، ثمّ هاجر إلى العراق وكانت زعامة الحوزة يومئذ لمدرسة كربلاء ، فأقام فيها وتلمذ على أستاذها الوحيد والسيّد صاحب الرياض ، ثمّ عاد إلى النجف بعد وفاة أستاذه الوحيد ، 3.

ص: 173

1- الفقه في جبل عامل : 171.

2- تكملة أمل الآمل : 173.

وقد تحدّثنا عنه ضمن حديثنا عن حوزة النجف الأشرف.

أولئك هم نخبة من العاملين المهاجرين إلى حوزة كربلاء، وقائمة الأسماء قد تطول لتستوعب كثرة كاثرة من الأسماء اللامعة في دنيا العلم والمعرفة من أبناء عاملة... نكتفي بهذا القدر روماً للاختصار.

المبحث الثاني :

أماكن التدريس وأهمّ المدارس الدينية الحوزوية في كربلاء :

توزّعت محلات التدريس في حوزة كربلاء - كغيرها من الحوزات - على أماكن متعدّدة، متّخذة الطريقة القديمة التقليدية في التدريس والمعروف بنظام الحلقات، حيث يتحلّق طلاب العلوم حول أستاذهم وهو يلقي عليهم درسه، ولا تزال هذه الطريقة هي السائدة في أغلب الحوزات العلمية.

ومن أماكن التدريس التي يمكن أن نشير إليها في حوزة كربلاء ما يلي :

1 - بيوت العلماء :

«التي غالباً ما كانت تضمّ غرفاً كبيرة أعدت لهذا الغرض»⁽¹⁾، وتحدّثنا تراجع بعض علماء حوزة كربلاء أنّهم اتّخذوا من بيوتهم مدرساً وكانوا يستقبلون فيها طلابهم ومريديهم، فقد جاء في ترجمة السيّد محمّد باقر الحجّة الطباطبائي المتوفّي في كربلاء سنة (1331 هـ) «فكانت داره الكائنة في 7.

ص: 174

1- المدارس العلمية الإسلامية في كربلاء، منشور ضمن دراسات حول كربلاء: 657.

سوق التجار الكبير محباً يرتاده العلماء والأدباء ومنهلاً عذباً يرتوي من نميته أهل الفضل ..»(1).

وجاء في ترجمة السيد ميرهادي الخراساني المتوفى سنة (1368 هـ) وهو من علماء كربلاء أيضاً ما نصّه: «أدركت أواخر أيامه ، وكانت داره منتجعاً لطلاب العلم ورواد الفضيلة ..»(2). وهكذا تجد الكثير من هذه البيوت العلمية والتي كانت منارة ومحجة لطلاب العلم.

يضاف إلى بيوت العلماء ما تعارف ب- : (دواوين العلماء) والتي كانت ملتقى للعلماء والأدباء والشعراء وقد عرف منها : ديوان آل الرشتي ، وديوان الميرزا محمد تقي الحائري ، وديوان آل الشهرستاني والذي أسسه العلامة الكبير السيد ميرزا مهدي الموسوي الشهرستاني ، وكان مجلسه مقراً للعلماء والأدباء ورجال الدين(3).

2- الروضتان الحسينية والعباسية والجوامع والحسينيات :

لقد شهدت أروقة الروضتين الحسينية والعباسية بالإضافة إلى الجوامع والزوايا الدينيّة والحسينيات حضوراً مكثفاً لطلاب العلم والمعرفة ، واتخذ بعض الأساتذة من غرف وأواوين الحرم الحسيني والعباسي مدرساً لهم ، وملتقى لطلابهم ومريديهم ، واشتهر بعض أولئك العلماء بهذا الأمر ، فقد جاء 9.

ص: 175

1- تراث كربلاء : 290 ، أعيان الشيعة : 13 / 438 - 439.

2- المرجع نفسه : 294.

3- المرجع نفسه : 319.

في ترجمة السيّد نصر الله الحائري : «المدّرس في الروضة الحسينية المعروف بالمدّرس». وكان يعرف «بمدّرس الطّفّ تارة ، ومدّرس الروضة الحسينية تارة أخرى»(1).

وقال عنه في معارف الرجال : «وكان وجهاً ساطعاً مبرّزاً في الحائر الحسيني ... له مجلس درس في الحضرة المطهّرة للإمام الحسين بن علي عليه السلام ، يحضره طائفة كبيرة من أفاضل أهل العلم العراقيين والمهاجرين»(2).

وجاء في ترجمة السيّد طعمة علم الدين الحائري : «إنّه كان من العلماء المتضلعين في المشهد الحسيني»(3) وأمّا الشيخ المولى محمّد شريف المازندراني الحائري وهو شيخ العلماء ومرّبي الفقهاء ويكفي أن يكون من تلامذته السيّد إبراهيم صاحب الضوابط والشيخ مرتضى الأنصاري وغيرهم ... فقد كان يقوم بالتدريس في الحائر المقدّس ..»(4).

كذلك في بعض الجوامع والحسينيّات والمزارات في كربلاء المقدّسة قد تحوّلت إلى شبه معاهد دينية ، وكان بعض العلماء والفضلاء يلقون فيها دروسهم وأبحاثهم العلمية في الفقه والأصول والتفسير .. ، فقد جاء في وصف جامع عمران بن شاهين - وهو من أقدم مساجد كربلاء - : «... إنّه 8.

ص: 176

1- أعيان الشيعة : 10 / 213 ، وتراث كربلاء : 256.

2- معارف الرجال : 3 / 188 - 189.

3- تراث كربلاء : 254.

4- المرجع نفسه : 268.

كان له شأن كبير في توسيع وانتشار الحركة العلمية والدينية»(1)، بل رجّح بعض الباحثين أن يكون هذا الجامع هو الذي تحدّث عنه ابن بطّوطة في رحلته أثناء زيارة كربلاء حيث وصفها بقوله : «مدينة صغيرة ... والروضة المقدّسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة ، وزاوية كريمة ...» ، «فإنّ المدرسة العظيمة ... ما هي إلاّ مسجد ابن شاهين ، فالنشاط العلمي الذي كان يجري فيه جعل منه مدرسة عظيمة قبل أن يكون مسجداً للعبادة ..»(2).

وتوصف حسينية المازندراني بأنّها : «حسينية كبيرة جدّاً تستخدم لأغراض الدرس والمطالعة ... وإنّها تشتمل على مدرسة دينية ومسجد ومكتبة ومقبرة»(3).

وقد عرفت مدينة كربلاء بكثرة جوامعها وحسينيّاتها وسعتها ، والتي كان أغلبها قريبة من الحائر الحسيني الشريف ، ممّا يسهل حضور الأساتذة والطلّاب والتواصل بينهم ، وإلى جانب الجامع والحسينيّات كانت ولا زالت هنالك مراقد ومزارات منتشرة في كربلاء اتّخذ بعض منها محلاً للتدريس والتعليم.

يقول أحد المؤرّخين لحوزة كربلاء : «حين نزل الإمام الصادق عليه السلام كربلاء المقدّسة ، سكن جنوب نهر العلقمي ، وكان يلقي دروسه ومحاضراته 8.

ص: 177

1- المرجع نفسه : 216.

2- الحركة العلمية : 292.

3- المرجع نفسه : 297 - 298.

العلمية على أصحابه وتلامذته في داره على ضفاف نهر العلقمي ، وكذلك في أروقة الروضة الحسينية ، ثم اتخذ شيعته داره المذكورة مقراً للدراسة والتدريس ... والأراضي التي يقع فيها هذا المقام تعرف بشريعة الإمام الصادق عليه السلام والجعفریات ... وكان قديماً إحدى المعاهد العلمية في ضواحي كربلاء ..»(1). كذلك يتحدث هذا الباحث عن دار ومدرسة للإمام الكاظم عليه السلام في كربلاء من دون أن يذكر لنا المصدر الذي استقى منه معلوماته! ومهما يكن من أمر ، فإنّ لكربلاء المقدّسة الكثير من الجوامع والحسينيّات والتكايا والزوايا والمقامات التي اكتسبت قدسية خاصّة عند الناس ، بالإضافة إلى مراقد بعض السادة والعلماء وقد اتخذ بعضها مدرساً ومحلاً للتدريس والتعليم.

3 - المدارس والمعاهد الدينية :

تأسست في مدينة كربلاء المقدّسة وضمن نطاق حوزتها العلمية مدارس دينية علمية أخذت على عاتقها وظيفة مزدوجة في أغلب الأحيان ، فهي أماكن للتعليم والتدريس ، وفي نفس الوقت تستخدم كأقسام داخلية لسكن الطلاب الوافدين إليها من البلدان الإسلامية الأخرى. ولم تختلف هذه المدارس في هندستها المعمارية وطريقة بنائها عن المدارس الإسلامية السابقة لها ، إذ كانت تحمل صفات وخصائص معمارية متميزة تناسب مع الهدف الذي أنشئت من أجله ، من حيث البناء المكشوف والأروقة المسقوفة 0.

ص: 178

والغرف والأواوين ... ممّا يتناسب مع الطابع الديني لهذه المدارس ، وينسجم مع متطلبات الحياة الاجتماعية لطلاب العلوم الدينية.

وليس لدينا في الواقع إحصائية دقيقة عن عدد المدارس العلمية في حوزة كربلاء ، إذ يعتقد بعض الباحثين بأنه : « كانت تنتشر في أرجاء مدينة كربلاء المدارس العلمية الإسلامية ، ولكن مع الأسف الشديد أُزيل معظمها في فترات زمنية مختلفة نتيجة فتح شوارع جديدة ، خصوصاً في المنطقة المحيطة بالروضتين الحسينية والعبّاسية ، وقسم منها تحوّل إلى الخراب نتيجة الإهمال ...» (1).

كذلك ليس لدينا تاريخاً محدّداً لبدايات تأسيس هذه المدارس ؛ إلاّ أنّ بعض الباحثين حاول أن يحدّدها ب- : « القرن السادس الهجري» (2) ، بل أنّ بحثاً آخر حدّدها بالقرن الرابع الهجري ، وفي بدايات العصر البويهي فقال : « وعند بداية الحكم البويهي في إيران والعراق ، تأسّست المدارس الإسلامية في عموم المدن التي كانت تحت سيطرتهم ، وأول مدرسة إسلامية شيّدت في العراق كانت في كربلاء وهي (المدرسة العضدية) من قبل عضد الدولة البويهي عند زيارته للمدينة سنة (369 هـ) وكان موقعها بجانب مسجد رأس الإمام الحسين ...» ، ثمّ يضيف : « بقيت هذه المدرسة إلى فترة العهد 7.

ص: 179

1- المدارس العلمية في كربلاء ، بحث منشور ضمن بحوث ندوة دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري : 660.

2- تراث كربلاء : 201 ، الحركة العلمية في كربلاء : 277.

الصفوي وكانت تحت رعايتهم وعنايتهم ، وبعد زوال الدولة الصفوية آلت إلى الخراب ، وفي سنة (1354 هـ) أُزيلت المدرسة لغرض فتح شارع ...» ، وأضاف أيضا : «كما شيّد عضد الدولة البويهى سنة (371 هـ) مدرسة أخرى في مدينة كربلاء بجانب الصحن الصغير ... وقد أُزيلت هذه المدرسة والصحن الصغير كذلك بتاريخ (24 / 11 / 1948)»⁽¹⁾ وللأسف الشديد لم يذكر لنا هذا الباحث مصدره الذي استقى منه هذه المعلومات ، والتواريخ التي يذكرها لما بين التأسيس والإزالة لكلا المدرستين تمتدّ إلى ما يقارب القرن من الزمن ، ومن المستبعد أن يمتدّ العمر الزمني لهاتين المدرستين إلى هذا الزمان.

يضاف إلى ذلك أن ابن بطوطة في رحلته توّه (بوجود مدرسة عظيمة) ، والمدرسة التي أشار إليها هي (جامع ومدرسة ابن شاهين) بحسب رأي بعض الباحثين ، فلماذا لم يشر إلى المدرسة (العضدية)؟ ومهما يكن من أمر ؛ وبغضّ النظر عن رأي هذا الباحث ؛ فإنّ المدارس العلمية في كربلاء يرجع عمرها الزمني تحديداً إلى القرن الثاني عشر الهجري ، «وإنّ الدراسة قبله كانت تتمّ داخل الجوامع والزوايا الدينية وأروقة الروضة الحسينية المقدّسة وحدها ... وإنّ أقدم مدرسة علمية دينية لا زالت آثارها باقية حتّى يومنا هذا هي مدرسة (حسن خان) التي يرجع تاريخ بنائها إلى سنة (1180 هـ)»⁽²⁾. 8.

ص: 180

1- المدارس العلمية في كربلاء : 657 - 658.

2- الحركة العلمية في كربلاء : 277 - 278.

وفيما يلي سرد لأسماء أهم وأشهر المدارس العلمية الدينية في حوزة كربلاء، مع شرح موجز لأهم الجوانب المشرفة من تاريخها:

1 - مدرسة السردار حسن خان :

يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة (1180 هـ)، وتقع في الزاوية الشمالية الشرقية من صحن الإمام الحسين عليه السلام، وتخرّج منها رعييل من أساطين العلم من أمثال مصلح الشرق جمال الدين الأفغاني، والشيخ شريف العلماء، وقد أنفق السردار حسن خان القزويني المبالغ الطائلة في إنشائها وتأسيس الأوقاف لها.

وكانت المدرسة واسعة عامرة بأهل العلم، وكانت تحتوي على (70) غرفة، فهي أعظم مؤسسة دينية في كربلاء... تخرّج منها فحول العلماء قديماً وحديثاً، بوشر بهدم بنائها في (16 / محرم / 1368 هـ) وذهبت موقوفاتها ضمن شارع الحائر الحسيني (1) وبقيت آثارها إلى سنة (1991 م) حيث أزيلت بعد هذا التاريخ من قبل السلطة الحاكمة آنذاك (2).

2 - مدرسة السيّد المجاهد :

(تشير وثيقة الوقف لهذه المدرسة إلى أنها بُنيت وأنشئت بحدود سنة (1270 هـ) وكانت تقع في سوق التجار الكبير بالقرب من مرقد السيّد محمّد المجاهد الطباطبائي... وكانت في حينها مأهولة برواد العلم ورجال الدين 1.

ص: 181

1- تراث كربلاء : 202.

2- المدارس العلمية في كربلاء : 661.

والفكر الإسلامي ، وتخرّج منها عدد كبير من أجلاء العلماء وأفاضل الفقهاء ، أمثال السيّد محمّد باقر الطباطبائي ، والسيّد محمّد علي الطباطبائي ، والسيّد مرتضى الطباطبائي ... ومن أشهر أساتذتها لوقت قريب العلامة الشيخ محمّد علي سيويه ، والشيخ عباس الحائري⁽¹⁾ وأزيلت هذه المدرسة سنة (1980 م) نتيجة فتح شارع المشاة الذي يربط بين الروضتين⁽²⁾.

3- مدرسة صدر الأعظم النوري :

كانت هذه المدرسة من أهم المدارس العلمية الدينية في كربلاء ، وتقع غرب صحن الروضة الحسينية ، قام بإنشائها الشيخ عبد الحسين الطهراني (ت 1286 هـ) من ثلث الإرث المتبقي من الأمير الإيراني الميرزا تقي خان (صدر أعظم) المقتول سنة (1268 هـ).

لقد كان لهذه المدرسة دور كبير في الحركة العلمية بكربلاء ، وتخرّج من أروقتها جيل من جهابذة العلم والفكر ، ومن أشهر أساتذتها آنذاك العالم الفقيه المتبحر الشيخ أبو القاسم الخوئي (ت 1364 هـ) والعالم الشاعر السيّد عبد الوهّاب (ت 1322 هـ).

كانت تولية المدرسة في النصف الأول من القرن الرابع عشر [الهجري بيد العالم والمجاهد الإسلامي الكبير الشيخ محمّد تقي الحائري الشيرازي (ت 1338 هـ) ، وانتقلت بعد وفاته إلى نجله العلامة الشيخ عبد الحسين 1.

ص: 182

1- تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 279.

2- المدارس العلمية في كربلاء : 661.

الشيرازي (ت 1381 هـ).

وقد أُزيلت هذه المدرسة نتيجة لفتح شارع الحائر الدائري المحيط بالروضة الحسينية(1).

4 - المدرسة الزينية :

سمّيت بهذه التسمية نسبة لموقعها عند باب الزينية للصحن الحسيني من جهة الغرب ، وكانت أهلة بطلاب العلم ، إلا أنّها هدمت نتيجة فتح الشارع المحيط بالروضة الحسينية سنة (1368 هـ). ومن الذين قاموا بالتدريس فيها الشاعر جعفر الهرّ (ت 1347 هـ) وتلميذه الشيخ محمّد الخطيب (ت 1380 هـ).

كانت تولية المدرسة قبل هدمها بيد الشيخ عبد الحسين الطهراني ، ومن قبله بيد والده المرجع الشيخ محمّد تقي الشيرازي قدس سره(2).

5 - المدرسة الهندية الكبرى :

وهي من أشهر المعاهد العلمية الدينية اليوم ، موقعها في زقاق الزعفراني بالقرب من المشهد الحسيني ، تمّ تأسيسها في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، كما تنصّ بذلك الوقفية الخاصّة بها ، وهي ذات طابقين 1.

ص: 183

1- تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 279 - 280 ، المدارس العلمية في كربلاء : 661 ، تراث كربلاء : 203.

2- تراث كربلاء : 203 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 280 ، المدارس العلمية في كربلاء : 661.

وتحتوي على (22) غرفة. يُدرّس فيها مختلف العلوم كالفقه والأصول والحديث والتفسير ، وما إلى ذلك.

وكانت هذه المدرسة إلى جانب ما فيها من التدريس لها نشاطات ثقافية وفكرية أخرى ، منها :

أولاً : تأسّست فيها مكتبة عامّة تعرف باسم (المكتبة الجعفرية) ، تأسّست سنة (1372 هـ) وتحتوي على ما يقرب من (أربعة آلاف) كتاب بين مخطوط ومطبوع.

ثانياً : كانت تصدر عنها النشرات والكرّاسات الدينية الأسبوعية الدورية ، ومن أهمّها مجلّة أجوبة المسائل الدينية التي بدأت بالصدور والنشر سنة (1371 هـ) وظلّت تصدر بانتظام لسنوات عديدة متواصلة ، قبل أن تتوقّف عن الصدور نهائياً.

ثالثاً : تأسّس في هذه المدرسة سنة (1380 هـ) (مكتب رابطة النشر الإسلامي) لغرض طبع ونشر الكتب والكرّاسات الدينية التوعوية ، وتوزيعها بالمجان بين المسلمين القاطنين في الدول الإسلامية النائية ... وقد أشرف على شؤونه في حينه الخطيب السيّد محمّد كاظم القزويني الحائري رحمه الله.

وقد تخرّج من هذه المدرسة عدّة أجيال من العلماء والفقهاء والمبلّغين الإسلاميين ، ومن أشهر أساتذتها حتّى أواخر القرن الرابع عشر الهجري ، الشيخ جعفر الرشتي ، والسيّد محمّد صادق القزويني ، والسيّد محمّد الشيرازي ، والسيّد أسد الله الإصفهاني (ت 1394 هـ) ، والسيّد عبد الرضا

الشهرستاني ، والسيد مصطفى الاعتماد البهبهاني ، والشيخ محمد تقي الإصفهاني ، والشيخ مهدي الرشتي شقيق الشيخ جعفر الرشتي الذي كان متولياً لهذه المدرسة حتى تاريخ وفاته .. ، وتشير وثيقة وقف المدرسة إلى أنها تأسست خصيصاً لتكون واحدة من أهم وأكبر المدارس الدينية العلمية في كربلاء قبل قرن ونصف قرن تقريباً(1).

6 - المدرسة الهندية الصغرى :

تقع هذه المدرسة في أحد الأزقة التي تنفذ من سوق التجار إلى شارع الإمام علي عليه السلام ، تأسست سنة (1300 هـ) ، أوقفها امرأة صالحة تعرف ب- : (تاج محل) الهندية على العلامة السيد علي نقى الطباطبائي ، كما تنص بذلك الوقفية الخاصة بها ، وتحتوي المدرسة على (7) غرف ، يسكنها أهل العلم من الأفغان والهنود.

ومن أساتذتها السيد محمد حسين الكشميري ، والسيد مرتضى الطباطبائي ، والسيد مرتضى الواجدي(2).

7 - مدرسة البادكوبة (الترك) :

وهي من مدارس كربلاء الشهيرة ، تأسست سنة (1270 هـ) كما تنص بذلك الوقفية الخاصة بها ، موقعها في زقاق الداماد ، وهي أهلة بحملة العلم 3.

ص: 185

1- تراث كربلاء : 203 - 204 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 281 - 282.

2- تراث كربلاء : 205 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 284 ، المدارس العلمية في كربلاء : 663.

ورجال الدين ، وفيها (30) غرفة ، وفي المدرسة مكتبة عامرة بالكتب القيّمة.

ومن الآثار الفكرية التي صدرت عن المدرسة المذكورة سلسلة (منابع الثقافة الإسلامية) حيث تصدر كتاباً شهرياً لكل مؤلف.

وقد تخرّج من هذه المدرسة العديد من العلماء والفضلاء والخطباء ، وكان يتولّى مهمّة التدريس فيها لفترة طويلة تناهز جيلاً كاملاً الشيخ محمّد الشاهرودي (ت 1409 هـ) ، والشيخ محمّد الكلباسي (ت 1404 هـ) (1) ، وقد هدمت المدرسة مؤخراً لتنفيذ شارع ما بين الحرمين في كربلاء (2).

8 - مدرسة مرزا كريم الشيرازي :

وهي مدرسة واسعة ذات ساحة فسيحة ، وفيها مصلى كبير ، تأسست سنة (1287 هـ) ، وتمّ تعمير المصلى بسعي السيّد الموسوي مرزا علي محمّد الشيرازي في رجب سنة (1308 هـ) كما تنصّ الكتيبة في داخله ، موقعها في محلّة العباسية الشرقية وتشتمل على طابق واحد ، ومن مدرّسيها الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي ، والشيخ محمّد علي الخليق (3).

9 - مدرسة البقعة :

تأسست في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، - ولا نعلم من مؤسسها - وموقعها في شارع الإمام علي عليه السلام ، مجاورة لمرقد السيّد محمّد (2).

ص: 186

1- تراث كربلاء : 204 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 282.

2- السيّد الحيدري : 1 / 17 - 18.

3- تراث كربلاء : 204 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 282.

المجاهد الطباطبائي ، وهي ذات طابقين ، وفيها (20) غرفة. تخرّج منها لفيف من العلماء كالسيد محسن الكشميري ، والسيد مرتضى الطباطبائي ، والشيخ عبد الرحيم القمي. ومن الآثار الفكرية التي صدرت عن هذه المدرسة مجلة دينية باسم صوت المبلّغين وقد أُزيلت هذه المدرسة سنة (1980 م) (1).

10 - مدرسة السليمية :

أسسها الحاج محمد سليم خان الشيرازي سنة (1250 هـ) ، وجددها المرجع الديني السيد مهدي الشيرازي سنة (1370 هـ) ، وموقعها في زقاق جامع المرزا علي نقي الطباطبائي ، وهي تشتمل على طابقين ، وتحتوي على (13) غرفة وصالة للتدريس ، ولم يكتف مؤسسها ببناء المدرسة فحسب ، بل خصّص رواتب شهرية للطلبة الذين يواصلون دراستهم فيها ، وكانت النفقات تصرف بتوسط العلامة السيد حسن آقا مير القزويني ، ومن أشهر أساتذتها الشيخ يوسف الخراساني ، والسيد محمد علي البحراني ، والسيد حسن الشيرازي ، ومن الآثار التي صدرت عن هذه المدرسة مجلة الأخلاق والآداب ومجلة ذكريات المعصومين (2).

11 - مدرسة المهديّة :

شيدها الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء سنة 3.

ص: 187

1- تراث كربلاء : 204 ، المدارس العلمية في كربلاء : 662.

2- تراث كربلاء : 205 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 283 ، المدارس العلمية في كربلاء : 662 - 663.

(1284 هـ)، كما شيد مدرسة أخرى في النجف، وموقعها في الزقاق المجاور لديوان السادة آل الرشتي، وهي ذات طابقين، يسكنها طلبة العلم، ومن أساتذتها الشيخ عبد الحسين الدارمي، والشيخ علي العيثان البحراني، والشيخ عبد الحميد الساعدي، والشيخ محمد شمس الدين، والشيخ حسين البيضاني(1).

12 - مدرسة ابن فهد الحلّي :

موقعها في شارع الإمام الحسين عليه السلام الممتدّ من باب القبلة، وفيها مزار العالم العارف الشيخ أحمد بن فهد الحلّي الأسدي (ت 841 هـ)، وللمدرسة مسجد يصلّي فيه، وفيها مساحة واسعة ذات طابقين، وتحتوي على (40) غرفة، يسكنها طلاب العلم، كان التجديد الأوّل لهذا البناء سنة (1358 هـ)، وأما التجديد الثاني للمدرسة فقد تمّ على نفقة جمع من المؤمنين من بينهم المرجع الديني الأكبر السيّد محسن الحكيم وذلك سنة (1384 هـ)، وقد حوت المدرسة مكتبة عامة باسم (مكتبة الرسول الأعظم)(2).

13 - مدرسة شريف العلماء :

وهي إحدى المدارس الدينية المعروفة، موقعها في زقاق (كدا علي) 4.

ص: 188

-
- 1- تراث كربلاء : 205، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 283 - 284، المدارس العلمية في كربلاء : 663.
 - 2- تراث كربلاء : 205، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 285، المدارس العلمية في كربلاء : 663 - 664.

المتفرع من شارع الإمام الحسين عليه السلام ، وإلى جانب المدرسة يقع مرقد العلامة الشيخ شريف العلماء المازندراني الحائري (ت 1245 هـ). والمدرسة ذات طابقين ، وتحتوي على (22) غرفة ، يسكنها طلاب العلوم الدينية ، بينهم عدد من الطلاب الأجانب ، قام بتأسيسها فقيه العصر السيد محسن الطباطبائي الحكيم وجعلها وقفاً على طلاب العلوم الدينية في كربلاء والنجف الأشرف سنة (1384 هـ) (1).

14 - مدرسة البروجردي :

أنشأها المرجع الديني الأكبر السيد حسين الطباطبائي البروجردي سنة (1381 هـ) وقد أنفق على تشييدها مبالغ باهضة ، .. فجاءت بنايتها في غاية الإبداع في طرازها الهندسي ، وفتها المعماري ، وهي ذات طابقين ، وتحتوي على (20) غرفة يسكنها بعض أهل العلم ، وقيل في تاريخ تشييدها :

زعامة الحسين لم تنصرم

عنا برغم الموت أيامها

قد أعلن التاريخ (في هدمها

زفت بنصر الله أعلامها) (2) (1381 هـ)

(هـ)

15 - مدرسة الإمام الباقر عليه السلام :

أسسها السيد عماد الدين بن السيد محمد طاهر البحراني سنة (1381 هـ).

ص: 189

1- تراث كربلاء : 206 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 284 ، المدارس العلمية في كربلاء : 664.

2- تراث كربلاء : 207 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 286 ، المدارس العلمية في كربلاء : 665.

هـ) ، موقعها في محلّة باب الخان ، قرب الفسحة ، وتحتوي على عدّة غرف يسكنها طلبة العلم ، وأنشئت فيها مكتبة عامّة ، ومن نشاطات المدرسة إقامة الحفلات في المناسبات الدينية ، وإصدار بعض الكتب الخاصّة بالتعليم الديني . وكانت هذه المدرسة من قبل حسينية خاصّة بالزائرين القادمين من مدينة الكاظمية في المواسم والمناسبات الدينية ، ثمّ تولّى إدارتها السيّد عماد الدين فحوّلها إلى مدرسة (1).

16 - المدرسة الحسينية :

«أنشأها الكسبة والتجار الكربلائيون سنة (1388 هـ) ، وتقع على بعد 30 متراً شمال الروضة العباسية ، ومساحتها (400) متر ، وفيها (28) غرفة يسكنها أهل العلم ، وأهمّ ما يدرّس فيها الفقه والأصول والنحو والمنطق والتفسير والأخلاق ، وتقام فيها الشعائر الدينية والاحتفالات ...» . وقال بعضهم : إنّ هذه المدرسة أُقيمت بسعي الخطيب الشيخ حسن النائيني ، ومن تبرّعات المواطنين الكويتيين ، وهدّمت هذه المدرسة في السنوات الأخيرة (2).

17 - مدرسة الخطيب :

أسّسها الشيخ محمّد بن داود الخطيب سنة (1357 هـ) ، ومقرّها في 5.

ص: 190

-
- 1- تراث كربلاء : 207 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 286 ، المدارس العلمية في كربلاء : 665.
 - 2- تراث كربلاء : 207 ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : 286 ، المدارس العلمية في كربلاء : 665.

محلّة المخيم، وفترة الدراسة المقرّرة فيها خمس سنوات، يتلقّى الطلاب في صفوفها علوم العربية والعلوم الدينية، غير أنّها مدرسة شبه رسمية(1).

هذه هي أهمّ المدارس القديمة في حوزة كربلاء العلمية، وهناك مدارس دينية قديمة أخرى بيد أنّها رسمية أو شبه رسمية، ولها تاريخ قديم يمتدّ ببعضها إلى أكثر من قرن من الزمن(2).

وبعد سقوط النظام البعثي عادت الحياة العلمية إلى حوزة كربلاء المقدّسة، بعد أن عاد إليها بعض أعلام مدرستها العلمية من آل الحائري، والقزويني، والشيرازي، وافتتحت بعض المدارس الدينية فيها... إلّا أنّها لم ترقّ إلى المستوى المطلوب ولم يقبل عليها طلاب العلوم الدينية من أبناء كربلاء، أو المدن المجاورة لها، لأسباب محدّدة لا مجال لذكرها، ولهذا توجّه أولئك الطلاب صوب النجف الأشرف.

كذلك لم ترقّ بحوث الدراسات العليا (البحث الخارج) إلى المستوى الذي يعيد لهذه الحوزة مجدها التليد، إذ لم يظهر من علمائها من يشدّ إليه الرحال من الأقطار الأخرى، بل وجدنا بعض فضلاء كربلاء قد يّم وجهه صوب الحوزة العلمية في النجف، وبدأ بالتدريس هناك، ولهذه الظاهرة ا.

ص: 191

1- تراث كربلاء: 208، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء: 286، المدارس العلمية في كربلاء: 665.

2- تراث كربلاء: 209 وما بعدها.

أسبابها أيضاً.

المبحث الثالث :

خصائص التراث العلمي لحوزة كربلاء :

لقد خلفت لنا حوزة كربلاء تراثاً علمياً كبيراً ، وصلنا الكثير منه جيلاً بعد جيل ، واستفدنا من معينه الثرّ ، فكان هذا التراث - وبحقّ - حلقة الوصل (الذهبية) بين التراث الماضي لحوزة الحلة وما سبقها والتراث اللاحق لحوزة النجف الأشرف في دورها المزدهر والمتكامل على أيدي النابغين من خرّيجي حوزة كربلاء.

وقبل أن نستعرض أبرز النماذج المهمّة لهذا التراث العلمي ، لابدّ من الإشارة إلى بعض الخصوصيّات التي اتّسم بها النتاج العلمي لعلماء حوزة كربلاء ، والذي يمكن تلخيصه بما يلي :

أولاً : السّعة والشمول والإحاطة :

فقد حاول بعض علماء هذه الحوزة المباركة التوسّع في المباحث العلمية ، في محاولة لاستيعاب الجزئيات المتعلّقة بها ، وهذا ما نجده واضحاً في علمي الفقه والأحكام الشرعية ، وكذلك نجد الأمر أكثر وضوحاً في مجال أصول الفقه.

ثانياً : الدقّة العقلية والعمق العلمي :

وهذا ما نلمسه بوضوح في نتاج مدرسة الوحيد البهبهاني الأصولي

ص: 192

والفقهية ، وقد يكون في المجال الأول أوضح ، إذ نجد الدقة العقلية والعمق العلمي متجليّة في أبحاثه الأصولية والفقهية ، وقد اكتسب هذه الصفة العلمية تلامذته وتلامذة تلامذته إذ نجد التراث الأصولي بعد فترة الشيخ الوحيد يتّسم بهذه الصفة.

ثالثاً: الاستجابة لمتطلّبات العصر :

إذ كان علماء هذه الحوزة المباركة - في الغالب - من المتبصّرين بمتطلّبات الزمان ، وكانوا يواكبون متطلّبات عصرهم ؛ وما كان يثار فيه من إشكالات علمية أو عقائدية ، فكانوا يجيبون عنها ويردّون الشبهات المثارة حولها ، كما هو الحال في ردودهم على شبهات المدرسة الأخبارية ، أو ما أثارته المدرسة الرشتية الكشفية ، وغيرها من الأمور.

وفيما يلي استعراض موجز لأهمّ ما وصلنا من تراث علمي لحوزة كربلاء العلمية ، وما تميّز به هذا التراث من خصائص علمية.

أولاً: الفقه والأحكام الشرعية :

وفي هذا الحقل العلمي وصلتنا كتب وأبحاث ؛ بل وموسوعات فقهية تمثل قمّة العطاء الفقهي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وفيما يلي استعراض موجز لنماذج من هذا التراث الفقهي :

1 - كتاب المهذب البارع في شرح المختصر النافع :

ومؤلّفه هو أبو العباس أحمد بن فهد الأسدي الحلّي (ت 841 هـ) ، وهو

ص: 193

ينسب إلى حوزة الحدّثة ومدرستها العلمية باعتباره حلّي المولد والمنشأ، وينسب إلى حوزة كربلاء باعتباره من المهاجرين إليها والمتوفّين والمدفونين فيها.

وقد وصف المنهج الفقهي لابن فهد بأنّه: «جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأصول... بأحسن ما كان يجمع ويكمل»⁽¹⁾، وله آثار فقهية متميّزة من أهمّها كتابه المهذّب البارِع والذي هو شرح لكتاب المختصر النافع للمحقّق الحلّي، ويعدّ هذا الكتاب من كتب المراجع في الفقه الاستدلالي عند الشيعة الإمامية، ونقل عنه الكثيرون ممّن جاؤوا بعد مؤلّفه⁽²⁾.

يقول الشيخ الطهراني عن كتاب المهذّب: «أورد في كلّ مسألة أقوال الأصحاب وأدلة كلّ قول، ويبيّن الخلاف في كلّ مسألة خلافية، وعيّن المخالف وإن كان نادراً متروكاً، وأشار إلى وجه التردّد من المصنّف لدليل القدح في خاطره، قال فيه: (... سمّيته ب-: المهذّب البارِع في شرح المختصر النافع، وإن شئت فسّمه: جامع الدقائق وكاشف الحقائق)، لأنّه لا يمرّ بمسألة إلّا جلاها غاية الجلاء...»⁽³⁾.

كما أنّ لابن فهد نتاجاً فقهياً آخر تمثّل في شرح الإرشاد (إرشاد الأذهان) للعلامة الحلّي، وهو أيضاً من المراجع في الفقه الإمامي الاستدلالي⁰.

ص: 194

1- روضات الجنات: 1 / 166.

2- تاريخ التشريع: 379.

3- الذريعة: 23 / 179 - 180.

بالإضافة إلى كتابه الفقهي الموسوم ب- : الموجز الحاوي والذي يعدّ من المتون الفقهية المراجع.

2 - كتاب الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة :

وهو للشيخ يوسف بن أحمد الدرازي البحراني ، وهو من أكابر العلماء المهاجرين إلى كربلاء والمتوفين والمدفونين فيها سنة (1186 هـ).
وكتاب الحدائق من أهم ما وصلنا من تراث كربلاء الفقهي ، وهو كتاب شهير ، ومن عيون الكتب الفقهية الإمامية ، وناهيك به شهرة أن صار مُعرِّفاً لمؤلفه الشهير ، فلم يكد شيخنا المحدث البحراني يعرف ثم يعرّف ولا يذكر ويميّز إلا بقولهم عنه صاحب الحدائق(1).
وكتاب الحدائق من الكتب الفقهية الاستدلالية المرجعية المهمّة ، وقد سلك فيه مؤلفه البحراني مسلك المدرسة الأخبارية في الاستدلال ، وتميّز بمنهج علمي سار عليه في فصول وأبواب كتابه الحدائق وقد تحدّثنا عن الخطوط العامّة لمنهجه في مكان آخر ؛ فليراجع هناك(2).

3 - كتاب مصابيح الظلام في شرح مفاتيح شرايع الإسلام :

وهو للأستاذ الأكبر الوحيد البهبهاني (ت 1206 هـ) ، وهو شرح استدلالي على كتاب المحقق المولى محسن الفيض الكاشاني (ت 1091 هـ) والذي اختصره من كتابه معتصم الشيعة والمتأخرون تلقّوه بالقبول وكتبوا.

ص: 195

1- الحدائق الناضرة ، المقدمة : 1 / ط.

2- للتوسع ، أنظر : كتابنا : تطوّر حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية ، الفصل العاشر.

عليه الحواشي والشروح ، ويعتبر شرح الوحيد من أهم هذه الشروح وأعمقها ، «خرج منه كتاب الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والخمس ، وهو غير حاشيته على المفاتيح .. ، بل الشرح هذا كبير ينقل عنه جميع تلاميذه ومن تأخر عنه ، وكلما يطلق في كتبهم شرح المفاتيح فهو هذا الشرح ..»(1).

وخلف الشيخ الوحيد البهبهاني تراثاً علمياً تمثّل في كتب وأبحاث ورسائل وحواشي بلغت ما يقرب من ستين كتاباً ، من أهمها كتابه هذا المصباح.

4 - كتاب رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل :

وهو من تأليف السيّد علي الطباطبائي (ت 1231) ، وهو شرح لكتاب المختصر النافع للمحقّق الحلّي ، وصفه الشيخ الطهراني بقوله : «شرح مزجي دقيق متين ، متداول بين الفضلاء ، وقيل إنّه ملخّص المهذب البارع والروضة البهية والحدائق الناضرة ، وقيل : بل الأخيرين وكشف اللثام وشرح المفاتيح للوحيد البهبهاني»(2).

والسيّد علي الطباطبائي ابن أخت العلامة الوحيد ، وصهره علي ابنته ، كما «إنّه كان يحضر درس صاحب الحدائق ليلاً - سرّاً - لغاية اعتماده على فضله ومنزلته العلمية ، وحذراً من اطلاع خاله العلامة - الوحيد - عليه ، وإنّه 0.

ص: 196

1- الذريعة : 14 / 47 و 21 / 60.

2- الذريعة : 11 / 240.

كتب جميع مجلّدات الحدائق بخطّه الشريف»(1).

5- كتاب كشف الغطاء عن خفيّات مبهمات الشريعة الغراء :

وهو للشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء) المتوفّي عام (1228 هـ) ، ويعتبر الشيخ جعفر من أبرز تلامذة الوحيد في حوزة كربلاء ، وبجهدده وجهود السيّد مهدي بحر العلوم وغيرهم من تلامذة الوحيد نهضت حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث.

وكذلك يعتبر كتابه كشف الغطاء - الذي اشتهر مؤلّفه به - من أهمّ الكتب الفقهية التي ورثناها من علماء حوزة كربلاء ، حيث أودع مؤلّفه فيه أهمّ القواعد والأسس العلمية لعملية الاستنباط الفقهي ، حتّى نقل عن الشيخ الأنصاري قوله : «إنّ من يفهم بإتقان القواعد الأصولية التي ذكرها الشيخ جعفر في أوّل كتابه كشف الغطاء فهو عندي مجتهد»(2).

6 - كتاب مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة :

وهو شرح مبسوط لكتاب قواعد الأحكام للعلامة الحلّي ، ألفه أحد المبرّزين من تلامذة الشيخ الوحيد والشيخ جعفر كاشف الغطاء ، وهو السيّد محمّد جواد الحسيني العاملي ، المتوفّي بالنجف أواخر سنة (1226 هـ) ، «وهو كتاب جليل ... فالجواهر بمفتاح كرامته استخرجت ، والهداية بمصباح رعايته استضاءت ، بل سائر الكتب المبسوطة في الأحكام التقطت من أرقام صحائفه .

ص: 197

1- روضات الجنّات : 4 / 403.

2- أدوار الاجتهاد : 296 بالفارسية.

ولا نريد أن نسترسل كثيراً بذكر النتاج الفقهي الموسوعي لحوزة كربلاء العلمية، فهناك الكثير من الكتب التي يمكن أن نذكرها في هذا المجال، وقد أشرنا إلى بعضها في ثنايا ترجمة بعض أعلام كربلاء.

ثانياً: في مجال أصول الفقه:

لقد ظهرت في حوزة كربلاء ابتكارات أصولية جديدة على يد الشيخ الوحيد البهبهاني، وسار على منهجيتها تلامذته وأتباع مدرسته العلمية في كتبهم الأصولية والفقهية.

كذلك ظهرت في هذه الفترة كتب أصولية بمنهجية جديدة مبتكرة نلاحظ من خلالها أن جملة من المباحث والعناوين الأصولية التي تبنتها المدرسة السنية والتي احتوتها كتب علم أصول فقه الشيعة ولم يكن لها أي تأثير في عملية الاستنباط لدى الشيعة قد حذفت تدريجياً من هذه الكتب الأصولية الجديدة، من قبيل بحث القياس الأصولي، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وسدّ وفتح الذرائع، والاستقراء(2).

وهناك الكثير من الابتكارات الأصولية لدى علماء حوزة كربلاء، دونتها المؤلفات الأصولية التي تنتسب لهذه الفترة، من قبيل مسألة حجّية).

ص: 198

1- الذريعة: 21 / 220.

2- تاريخ الفقه والفقهاء: 252 (بالفارسية).

القطع الحاصل من مقدّمات عقلية ، وقضية تقديم الدليل العقلي القطعي على الدليل النقلي عند التعارض بينهما ، وإجراء أصل البراءة في الشبهات الحكمية التحريمية ، والتفريق العلمي الدقيق بين الأمارات والأصول العملية ... إلى غير ذلك الكثير من الأفكار والابتكارات الأصولية التي حوتها أبحاث كتبهم الأصولية.

وفيما يلي نماذج لأهم كتب علم أصول الفقه والتي ألفها علماء حوزة كربلاء :

1 - الفوائد الحائرية الأصولية (العتيقة والجديدة) :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ الأكبر الوحيد البهبهاني فوائد في علم أصول الفقه وتضمّنت أبحاثاً عن الأحكام الشرعية وكونها توقيفية ، والأمارات الفقهية وعظم خطرهما ، وهكذا حتّى ينتهي إلى الفائدة السادسة والثلاثين في شرائط الاجتهاد ... وعرفت بالفوائد الأصولية الأولى العتيقة القديمة وفتح منها في عام (1180 هـ).

وله أيضاً الفوائد الحائرية الأصولية الجديدة ويقال له الملحقات وهو أيضاً يتناول بعض الأبحاث الأصولية من قبيل جزئية شيء لواجب ، وإنّ الأصل في الجزء الركنية ... طبعت هذه الفوائد بطبعات مختلفة ولها نسخ متعدّدة (1). 5.

ص: 199

وللشيخ الوحيد البهبهاني كتب ومؤلفات وحواشي أخرى في هذا الجانب ، طرح فيها أفكاراً أصولية مبتكرة ، وكرّس البعض منها في ردّ الشبهات المثارة ضدّ المدرسة الأصولية ، ودحض شبهات الأخباريين ونظرياتهم.

2 - الفوائد الأصولية :

وهي للسيد محمد مهدي بحر العلوم (ت 1212 هـ) أحد أبرز تلامذة الشيخ الوحيد البهبهاني ، يصف الشيخ الطهراني هذه الفوائد بقوله : «أوله : [فائدة : قد جرت عادة الأصوليين بتعريف أصول الفقه بكلام- معنييه الإضافي والعلمي] ، فيه خمس وأربعون فائدة نظير الفوائد الحائرية البهبهانية ..»⁽¹⁾.

ويشير أحد الباحثين إلى وجود كتاب أصولي آخر للسيد بحر العلوم عنوانه الدرّة البهية⁽²⁾.

3 - كشف الغطاء عن خفّيات مبهمات الشريعة الغراء :

وهو كتاب الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء الذي تحدّثنا عنه سابقاً ، وقد قسّم الشيخ كتابه إلى ثلاثة أقسام ، وسمّى كلّ قسم منها ب- : (فن) ، «وأفرد الفنّ الأوّل منه في أصول الدين ، وسمّاه العقائد الجعفرية في الكلام ، .. والفن الثاني في بعض المسائل الأصولية ، والفنّ الثالث في الفروع الفقهية»⁽³⁾. 1.

ص: 200

1- المرجع نفسه : 16 / 231.

2- أدوار الاجتهاد : 296.

3- الذريعة 18 / 31.

والشيخ جعفر الكبير وإن لم يدون مؤلفاً مستقلاً في علم أصول الفقه ، إلا أن أفكاره الأصولية العميقة قد أودعها في ثنايا أبحاث كتابه كشف الغطاء ، والذي تجد فيه أهم القواعد والأسس للاجتهاد والاستنباط الفقهي ، وتخرج من محضر درسه كبار علماء الأصول من أمثال صاحب الإشارات ، وصاحب حاشية المعالم وغيرهم.

4 - الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة :

وهي الموسوعة الفقهية التي دونها المحدث الفقيه الشيخ يوسف البحراني ، والتي تحدثنا عنها سابقاً.

والشيخ البحراني لم يترك مؤلفاً مستقلاً يتناول علم أصول الفقه ، إلا أنه كان فقيهاً وله مباني يستند إليها في الاستنباط الفقهي ، وهذه المباني ضمّنها موسوعته الفقهية الحدائق إذ «بدأ بإثنتي عشرة مقدّمة في مباني الأحكام ، آخرها في الفرق بين الأخباري والأصولي ، وكتب بعض الأصحاب المقدّمات مستقلاً ، وشرح السيّد المقدّس الأعرجي - المقدّمة - الأولى والثانية ... وردّ على المقدّمات أيضاً بعض الأصحاب ...»⁽¹⁾.

وللشيخ البحراني أيضاً كتاب الدرر النجفية والذي أفاض الكلام فيه حول المسائل الخلافية التي بين المجتهدين والأخباريين ، وبين رأيه في كلّ مسألة مع إقامة البرهان عليه⁽²⁾ ، ومن خلال كلا الكتابين والنماذج التطبيقية ش.

ص: 201

1- المرجع نفسه : 6 / 209.

2- أنظر : الدرر النجفية : 87 ، طبعة إيران الهامش.

لاستدلالاته يمكن للباحث أن يستخلص المنهج النظري للفقهاء البحراني(1).

5- مفاتيح الأصول :

وهو من مؤلفات السيّد محمّد المجاهد بن السيّد علي صاحب الرياض ، وهو كتاب مشهور في علم الأصول : «وليس فيه مسألة مقدّمة الواجب ، واجتماع الأمر والنهي ، ومسألة الضدّ ، وحجّة الظنّ ، وبعض مباحث الألفاظ ، نعم له حجّة الظنّ كتبه مستقلاً... ونسخة خطّ يده الشريف في كربلاء في مجلدين : أولهما من بحث دلالة اللفظ إلى آخر النسخ ، وثانيهما إلى آخر الاجتهاد والتقليد...»(2) ، وله شرح على كتابه أسماه : المصابيح في شرح المفاتيح(3).

والذي يبدو من خلال وصف الشيخ الطهراني ، أنّ كتاب مفاتيح الأصول يمثل دورة أصولية كاملة سوى بعض الأبحاث المتعلقة ببحث الأوامر وغيرها ، إلا أنّ نسخ الكتاب المتداولة قليلة وتعتمد على النسخة الحجرية ولم ينل هذا الكتاب حظّه من التحقيق ولم يطبع طبعة حديثة.

6- القوانين المحكمة في الأصول :

للمحقّق الشيخ أبو القاسم بن المولى محمّد حسن الجيلاني القميّ ، 7.

ص: 202

1- للتوسّع ، أنظر : كتابنا تطوّر حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية ، الفصل العاشر ظهور الحركة الأخبارية.

2- الذريعة : 21 / 194.

3- تراث كربلاء : 267.

المتوفى في قم والمدفون فيها سنة (1231 هـ)، وهو من مشاهير علماء الإمامية، أكمل دراسته الأولية في مسقط رأسه... «ثم هاجر إلى العراق وكانت هجرته أيام زعامة الشيخ الوحيد فمكث في كربلاء مدة طويلة لازم فيها معهد درس الوحيد... حتى حصلت له الإجازة منه، وله الرواية عنه وعن الشيخ محمد مهدي الفتوني... ثم عاد إلى بلاده... ثم انتقل إلى قم وتوفي فيها.

له مؤلفات هامة كثيرة، من أهمها وأشهرها كتاب القوانين المحكمة في الأصول، وهو من جلائل كتب هذا العلم وأوعاها لدقائمه وغوامضه، وقد رزق هذا الكتاب حظاً وافراً، ولاقى قبولاً حسناً، حيث أصبح من الكتب الدراسية، فلا يستغني عن قراءته طالب من طلاب العلم إلى عصرنا، إلا أن أستاذنا الخراساني لما ألف الكفاية ضعفت رغبة الناس به لطوله، واتجهوا إلى الكفاية اتجاهاً ما.

وقد عني ب- : القوانين جماعة من العلماء فعلقوا عليه التعليقات وكتبوا الحواشي..(1).

7- الفصول في علم الأصول :

وهو من مؤلفات الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم الرازي الأصل، والحائري المسكن والمدفن، والشهير بصاحب الفصول، والذي أخذ عن 2.

ص: 203

1- الطبقات الكرام البررة: 10 / 52 - 53، والذريعة: 17 / 132.

أخيه الشيخ محمد تقي صاحب حاشية المعالم (هداية المسترشدين).

ويعتبر كتاب الفصول : «من كتب القراءة في هذا الفن - أي علم الأصول - أورد فيه مطالب القوانين وحلّها ، واعترض عليها ، وهو مشهور عند أهل هذا النوع»(1).

8 - ضوابط الأصول :

للسيد إبراهيم بن محمد باقر القزويني الحائري (ت 1262 هـ) ، وكان تلميذ المولى شريف الدين محمد ابن المولى حسن الآملي المعروف بشريف العلماء المازندراني ، يقول المؤلف في ديباجة كتابه : «إني حين قراءتي كتاب معالم الدين كتبت أكثر مسائل العلم متفرقة فأردت أن أجمع ما كان من مسائله في هذا الكتاب ورّتبته على مقدمة وخاتمة وفصول ...» وللمؤلف كتاب أصولي آخر اسمه نتائج الأفكار الذي ألفه بعد الضوابط في سنة (1223 هـ)(2).

ولا ننسى في هذا المجال جهود الشيخ المولى محمد شريف المازندراني الحائري الشهير بشريف العلماء والذي كان : «من أعظم العلماء في عصره»(3) ، وكان يمثل مدرسة في علم الأصول تخرّج منها أساطين علم 9.

ص: 204

1- أعيان الشيعة : 13 / 495.

2- الذريعة : 15 / 86.

3- الكرام البررة : 2 / 619.

الأصول من أمثال صاحب الضوابط ، والشيخ مرتضى الأنصاري صاحب الرسائل وغيرهم ، ولهذا يمكن نسبة النتاج العلمي للشيخ الأنصاري في علم الأصول والفقه إلى مدرسة كربلاء باعتباره من تلامذة شريف العلماء المازندراني.

وقد ذكرنا سابقاً أنّ شريف العلماء المازندراني كان له أسلوبه الخاص في التعليم والتدريس والتربية فكان له درس مع المبتدئين ، ودرس آخر للمتتهين ، وقد حرص على تفهيم طلابه بأساليب راقية ... وكان يرفع طلابه إلى أوج الاجتهاد بمدة قصيرة لغزارة علمه وحسن تفهيمه ، .. وكان لا يفتر عن التدريس والمذاكرة ليلاً ونهاراً ... ولذلك قلّ نتاجه العلمي ولم يمكن له في عالم التأليف ما يتناسب وعظيم مكانته ، كما أنّه لم يخرج ما كتبه إلى البياض(1).

ويذكر السيّد الصدر في ترجمته : «إنّ شريف العلماء كان من تلامذة السيّد صدر الدين ، وكان السيّد يمنعه من كثرة التعمّق في أصول الفقه ، ويأمره بالتعمّق في الفقه»(2).

مهما يكن من أمر فإن مدرسة كربلاء قد خلّفت لنا تراثاً علمياً في علمي الفقه والأصول لا زال مورد عناية طلاب العلم. 8.

ص: 205

1- المرجع نفسه : 2 / 620.

2- تكملة أمل الآمل : 238.

ثالثاً: العلوم والمعارف الأخرى :

ولم يقتصر التراث العلمي لمدرسة كربلاء على علمي (الفقه والأصول) فقط ، وإنما أَلّف علماؤها في العلوم الأخرى ، وكانت كتاباتهم استجابة لمتطلبات العصر ، وما يستجدُّ فيها من وقائع ، وما كان يثار فيها من شبهات حول المسائل العقائدية والمذهبية ، فكتبوا في التفسير وعلوم القرآن ، وكتبوا في ردِّ شبهات المدرسة الأخبارية ، وألّفوا في مجال الردِّ على أفكار الشيخ الأحسائي وتلميذه الشيخ كاظم الرشتي والتي انتشرت من خلال ما يعرف بعقائد الكشفية ...

وقد ذكرنا أسماء بعض هذه المؤلفات والكتب في ثنايا تراجم بعض العلماء الأعلام في مدرسة كربلاء.

المبحث الرابع :

الأوضاع المالية والمعيشية لطلاب حوزة كربلاء العلمية :

لقد اعتمدت حوزة كربلاء العلمية - كغيرها من الحوزات العلمية في الأقطار الشيعية - على مصادر مالية متنوّعة يمكن إجمالها بما يلي :

أولاً : أموال الأوقاف :

وهي أموال جلييلة كان يتولّاها بعض علماء كربلاء ، وتصرف بإشرافهم على شؤون الحوزة العلمية وتعمير المراقد الشريفة ، وبناء المدارس العلمية.

وقد مرّ بنا سابقاً في ترجمة السيّد محمّد مهدي الشهرستاني (ت 1216

ص: 206

ه) ما ذكره السيّد الأمين من أنّ: «جدّه الميرزا فضل الله الشهرستاني الوزير الأعظم للشاه طهماسب الأول الصفوي والواقف للأوقاف العظيمة في كثير من مدن إيران التي خصّص ريعها على مرّاقد الأئمّة الأطهار... فقام بإصلاحات كثيرة في الحضرة الحسينية والصحن الحسيني مستفيداً من المال الذي يرد عليه من موقوفات جدّه الأعلى... لا سيّما وإنّه كان المتولّي عليها؛ لأنّه كان أرشد أولاد الواقف وأعلمهم حينذاك»(1).

كذلك مرّ بنا في ترجمة الشيخ عبد الحسين الطهراني (ت 1286 هـ) الذي تولّى الوصيّة على ثلث أموال الصدر الأعظم، فقام بتعمير المشاهد، وتأسيس (مدرسة الصدر الأعظم) والمكتبات «وغير ذلك من الآثار الخالدة في غرّة الدهر، وخلف لنفسه ذكراً طيباً في مرّاقد الأئمّة عليهم السلام يقرن بالرحمة وطلب المغفرة»(2).

كذلك نجد للشيخ كاظم الرشتي (ت 1259 هـ) خدمات جليّة ومشاريع هامّة من خلال أموال الوقف والتبرّعات التي كان يتولّاها بإذن أهلها(3).

وخلاصة الأمر، كانت ولا زالت أموال الوقف والتي يتولّاها - غالباً - العلماء والفقهاء والمراجع من أهمّ الروافد المالية للحوزات العلمية عامّة، ولحوزة كربلاء العلمية خاصّة. 1.

ص: 207

1- أعيان الشيعة: 15 / 39 - 42.

2- الكرام البررة: 2 / 713 - 714.

3- أنظر: تراث كربلاء: 271.

وهي أموال طائلة كان يتبرّع بها بعض الشخصيات المتموّلة من أمراء وملوك وتجار... وخاصة ما كان يفد من بلاد الهند لبعض علماء كربلاء.

فقد جاء في ترجمة السيّد المير علي الطباطبائي (ت 1231 هـ) صاحب الرياض : «وكان في أوّل أمره يكتب بكتابة الأكفان وهو مشغول بتصنيف الرياض ، ثمّ انفتح عليه باب الهند في الدولة الشيعية ، وصارت الدراهم عنده كأكوام الحنطة ، حتّى اشترى دور الكربلايين من أربابها ووقفها على سكّانها وأهلها جيلاً بعد جيل ، وبنى سور كربلاء... وروّج الدين بكلّ قواه ، وبذل في سبيل ذلك كلّ لوازمه ، وعظّم أهل العلم فقدمهم وبارك الله في كلّ أموره»⁽¹⁾. وجاء في ترجمة السيّد علي نقى ابن السيّد حسن (ت 1289 هـ) حفيد السيّد المجاهد : «ثبت له الوسادة تدرّساً وتقليداً وكان يأتيه الوجوه ، غير ما كان بيده من (الوثيقة الهندية) وهي في كلّ شهر خمسة آلاف روپية يفرّقها على الفقراء»⁽²⁾.

والذي يبدو أنّ المراد من الوثيقة الهندية هي أموال (أوده) وهي أموال شهرية ثابتة كانت تصل من الهند لحوزتي النجف وكربلاء ، وتعرف بعطيّة (أوده) وقد أشرنا إليها ضمن حديثنا عن الأوضاع المالية لحوزة النجف الأشرف. 0.

ص: 208

1- أعيان الشيعة : 12 / 417 ، وتراث كربلاء : 265.

2- الكرام البررة : 3 / 200.

وقد أشار السيّد الأمين إلى الأموال الوافدة من الهند في ثنايا ترجمة السيّد محمّد باقر الحجّة المتوفّي عام (1331 هـ) وهو أيضاً حفيد السيّد محمّد المجاهد ، فقال : «... وكان بيده تقسيم الأموال المعروفة بفلوس الهند ، المعيّن نصفها لأهل النجف الأشرف ، والنصف الآخر لأهل كربلاء»⁽¹⁾.

ثالثاً : الحقوق الشرعية :

وهي حقوق ثابتة في أموال المؤمنين تدفع للفقيه والمرجع في زمانه ، وتصرف في العناوين المخصّصة للصرف فيها ، ومنها سهم في سبيل الله ، والذي يصرف في ترويج الدين ، والتعليم ، وطباعة الكتب ، وبناء المدارس ... وغيرها من المصاديق التي ينطبق عليها سهم في (سبيل الله) من أموال الحقوق الشرعية.

المبحث الخامس :

حوزة كربلاء والأوضاع السياسية :

لقد رافقت المسيرة التاريخية لحوزة كربلاء ، أحداثاً سياسية كبيرة ، وقعت في العراق أو في البلد المجاور لها (إيران) ، وكان لعلماء ومراجع هذه الحوزة المباركة دورهم الفاعل والمؤثر في مجريات هذه الأحداث ؛ وهي سلسلة أحداث كثيرة متلاحقة لا يمكن لنا استيعاب جميع مفرداتها وإنّما 9.

ص: 209

نشير إلى بعض منها باختصار.

يقول الباحث والمؤرخ العراقي ميربصري : «كانت كربلاء ولا تزال مركزاً ثقافياً إسلامياً تعاقبت عليها العهود في عصورها الأخيرة ، أغار عليها الوهابيون سنة (1801 م) ، وحاصرها والي بغداد محمد نجيب باشا سنة (1842 م) ، وانتفضت على الأتراك في أثناء الحرب العظمى الأولى ، ثم ثارت على الإنكليز سنة (1920 م) وألّفت الحكومة الوطنية في أواخر تلك السنة فأصبح السيد محمد مهدي آل بحر العلوم الطبائبي وزيراً للمعارف والصحة سنة (1921 م) ، ثم عهد بوزارة المعارف في أيلول من نفس السنة إلى السيد محمد علي هبة الدين الحسيني الشهرستاني الحائري»⁽¹⁾.

هذا الإجمال الذي ذكره المؤرخ لموقع كربلاء من الأحداث السياسية فصّلمته الكتب التي تحدّثت عن تاريخ العراق السياسي الحديث من أمثال كتاب المحامي عباس العزاوي الموسوم ب- : تاريخ العراق بين الاحتلالين ، وكذلك كتاب الدكتور علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بالإضافة إلى كتاب حنا بطاطو العراق ، وكذلك كتب عبد الرزاق الحسني حول العراق ، وغيرها عشرات الكتب التي تحدّثت عن تاريخ العراق السياسي والاجتماعي ، وعن كربلاء ودورها في تلك الأحداث السياسية والمنعطفات التاريخية ، ممّا لا يسع المجال لذكرها.

ص: 210

1- كربلاء ذكريات ولمحات : 86 بحث منشور ضمن بحوث دراسات حول كربلاء.

وخلصه الأمر ، لقد كان لعلماء كربلاء وحوزتها العلمية دور مشرف ومشاركة فاعلة في تلك الأحداث من خلال الفتاوى الجهادية كفتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي الشهيرة ، أوفي حمل راية الجهاد للذبّ عن البلاد الإسلامية كما هو الحال في جهاد السيّد محمد بن السيّد مير علي الطباطبائي المعروف بالسيّد المجاهد ، وقد أشرنا إلى ذلك في ثنايا ترجمة أولئك الأعلام (رضوان الله عليهم).

ص: 211

تلخيص واستنتاج لأهم معالم الحوزة العلمية في كربلاء وأدوارها :

بعد هذه الجولة الطويلة والممتعة في سبر تاريخ حوزة كربلاء العلمية ، لا بد لنا من وقفة خاتمة عند أهم مفردات البحث يتم من خلالها تلخيص واستنتاج أهم المعالم والأدوار التي مرّت بها هذه الحوزة العلمية العريضة :

أولاً : لم تكن أرض كربلاء قبل واقعة الطفّ بداية سنة (61 هـ) واستشهاد الإمام الحسين بن علي وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام فيها سوى صحراء قاحلة ليس فيها أيّ معالم مدنية أو حضرية سوى بعض الآثار التاريخية التي تنتشر في المناطق المجاورة لها وهي من آثار الحضارات القديمة.

ثانياً : اكتسبت أرض كربلاء مكانة وقدسيتها خاصّة في نفوس المسلمين والموالين لأهل البيت عليهم السلام بعد أن تضمّنت المرقد الطاهر للإمام الحسين عليه السلام وأخذت تتوافد لزيارته آلاف الزوّار رغم الوضع الأمني الخطير الذي كان يحفّف بهذه الزيارة والتي قد تبلغ إلى درجة التصفية الجسدية أو الاعتقال والسجن.

ثالثاً : جهد الجهاز الحاكم المتمثّل ببعض الخلفاء الأمويين ، وتبعهم بعض خلفاء بني العباس على منع المؤمنين من زيارة الإمام الحسين عليه السلام وتعرّض القبر الشريف والدور المحيطة به إلى الاعتداء والهدم ولأكثر من مرّة.

رابعاً : رغم كلّ الظروف الأمنية المشدّدة التي اتخذها الجهاز الحاكم

آنذاك إلا أنّ (مدينة كربلاء) أخذت تظهر كمدينة إسلامية لها معالمها العمرانية ، وأخذ الكثير من المؤمنين من هذه المدينة المقدّسة مسكناً لهم ومحلاً لمعاشهم.

خامساً : شهد المرقد الشريف للإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام ولفترات زمنية متلاحقة حركة إعمار وبناء وتوسعة كبيرة شمل القباب والمنائر والصحن والأواوين والغرف المحيطة بها ، ولا زالت حركة العمران والبناء مستمرة إلى يومنا هذا.

سادساً : حاول بعض الكتّاب والمؤرّخين من أبناء كربلاء أن يؤرّخوا للحركة العلمية في بلدهم (كربلاء) من زمن الأئمّة عليهم السلام ، وذكروا وفود بعض أئمّة أهل البيت على المدينة واتّخاذهم منها سكناً لهم ولفترات متقطّعة من الزمن ، قاموا خلالها بالتدريس والتعليم و...[\(1\)](#)

إلا أنّ البحث التاريخي في حياة الأئمّة عليهم السلام لا يثبت هذه الدعوى ؛ نعم زار بعض أئمّة أهل البيت عليهم السلام مرقد الإمام الحسين عليه السلام وحثّوا شيعتهم على زيارته ، إلا أنّهم لم يتّخذوا من كربلاء سكناً لهم فضلاً من أن تكون لهم فيها حوزة درس وإفادة.

سابعاً : ويرجع بعض آخر من الكتّاب والمؤرّخين الحركة العلمية في كربلاء إلى أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري على أثر نبوغ 7.

ص: 213

الزعيم الديني (حميد بن زياد النينوي) ويعتبره : «مؤسس جامعة العلم في كربلاء»⁽¹⁾. وهو رأي صحيح تدعمه الأدلة والشواهد التاريخية التي ذكرت في ثنايا البحث.

ثامناً : شهدت الحركة العلمية في كربلاء ومن القرن الرابع الهجري وما تلاها من القرون المتلاحقة نهضة علمية تكاملية متجددة ، ومّرت بأدوار متعدّدة ؛ ولكلّ دور منها معالمه وسماته وأعلامه وآثاره العلمية.

تاسعاً : تزعمت الحوزة العلمية في كربلاء المرجعية الفكرية والعلمية للحوزات العلمية ، وبرز فيها علماء كبار تشدّ إليهم الرحال ، فوفد إليها الكثير من طلاب العلم من الأقطار الإسلامية ، كانت لهم آثارهم العلمية والفكرية وخدماتهم العمرانية والحضارية ، وافتتح فيها الكثير من المدارس الدينية والحوزات العلمية.

عاشراً : شهدت حوزة كربلاء انتعاشاً اقتصادياً ومالياً نتيجة تدفق الأموال إليها من عائدات الأوقاف ، وأموال التبرّعات ، والحقوق الشرعية.

حادي عشر : خلّفت لنا هذه الحوزة المباركة تراثاً علمياً في مجالي الفقه والأصول لا زال يمثل القمّة في العطاء العلمي ، ويعتبر من المصادر العلمية بين العلماء والفقهاء والباحثين. وأخذ بعض منها مجاله ككتاب تعليمي وتدريسي. 6.

ص: 214

1- تراث كربلاء : 226.

أدوار الحوزة العلمية في كربلاء :

مرّت الحوزة العلمية في كربلاء بأدوار متعدّدة يمكن تلخيصها بما يلي :

1 - الدور الأوّل : دور التأسيس :

وهو الدور الذي يبدأ من نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري بظهور المحدّث والفقّيه حُميد بن زياد (ت 320 هـ) ، مروراً بفقهاء كبار من أمثال هشام بن اليباس الحائري (ت 490 هـ) وعماد الدين الطوسي المكنّى بابن حمزة صاحب كتاب الوسيلة وغيرهم من العلماء حتّى نهاية القرن الثامن الهجري.

2 - الدور الثاني : دور التوسّع والازدهار :

وهو الدور الذي يبدأ من القرن التاسع الهجري ، من خلال هجرة الشيخ أحمد بن فهد الحلّي (ت 841 هـ) إليها ، إذ «ازدهرت المعاهد الدينية في عهده ...

وزخرت مدينة الحسين واكتظّت جوامعها ومدارسها وقاعات الدرس فيها...»⁽¹⁾ ، مروراً بفقهاء آخرين من أمثال الشيخ إبراهيم الكفعمي (ت 895 هـ) وغيرهما من أعلام القرن التاسع والعاشر والحادي عشر ، حتّى منتصف القرن الثاني عشر حيث يختتم هذا الدور بمدّرس الطفّ الشهيد السعيد السيّد 1.

ص: 215

1- تراث كربلاء : 241.

نصر الله الفائزي الحائري (استشهد 1158 هـ - على رواية) (1).

3 - الدور الثالث : دور التكامل العلمي :

وهو الدور الذي يبدأ بالشيخ يوسف البحراني (ت 1186 هـ) والشيخ الوحيد البهبهاني (ت 1205 هـ) ، وتستمّر حركتها التكاملية من خلال أعلام تلامذة وتلامذة تلامذة هذين العلمين ، وحتىّ بعد انتقال زعامة الحوزة العلمية إلى النجف الأشرف من خلال هجرة بعض طلاب الشيخ الوحيد إليها. 6.

ص: 216

1- أنظر : المرجع نفسه : 256.

- 1 - أبو الشهداء الإمام الحسين: العقاد - عباس محمود، طبعة مصر، وطبعة المجمع العالمي للتقريب، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، الطبعة الأولى (1425 هـ - 2004 م).
- 2 - أحسن الوديعه في تراجم أشهر مجتهدى الشيعة: الكاظمي - محمد مهدي، طبعة دار الهادي - بيروت، الطبعة الأولى (1413 هـ - 1993 م).
- 3 - أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: لونكريك - ستيفن، ترجمة: جعفر الخياط، أفسط الطبعة الرابعة، المكتبة الحيدرية - قم (1425 هـ).
- 4 - أعلام هجر من الماضين والمعاصرين: الشخص - هاشم محمد، طبعة مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية - قم، الطبعة الثالثة (1430 هـ - 2009 م).
- 5 - أعيان الشيعة: الأمين - محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي الدمشقي (ت 1371 هـ)، حققه: السيد حسن الأمين، طبعة دار التعارف للمطبوعات - بيروت، الطبعة الخامسة (1418 هـ - 1998 م).
- 6 - أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل: الحر العاملي - محمد بن الحسن بن علي الشهير ب-: (الحر العاملي) (ت 1104 هـ) تحقيق: أحمد الحسيني، طبعة مكتبة الأندلس - بغداد، (بلا - ت).

- 7 - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : المجلسي - محمّد باقر (ت 1111 هـ) ، تحقيق ومراجعة وتقديم : الشيخ محمود درياب ومجموعة من العلماء ، طبعة دار التعارف للمطبوعات ، الطبعة الأولى (1421 هـ - 2001 م).
- 8 - بحث بعنوان : (كربلاء ودورها العلمي والمرجعي) : الأسدي - محمّد هادي ، ضمن بحوث كتاب (دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري) ، طبعة مؤسسة الزهراء - الكويت ، الطبعة الأولى ، (بلا - ت).
- 9 - تاريخ آداب اللغة العربية : زيدان - جرجي ، طبعة بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر - بيروت ، مراجعة : محمّد البقاعية ، الطبعة الأولى (1416 هـ - 1996 م).
- 10 - تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري : الطبري - أبو جعفر محمّد بن جرير (ت 310 هـ) ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة روائع التراث العربي - بيروت ، لبنان.
- 11 - تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي - أحمد بن علي (ت 463 هـ) تحقيق : مصطفى عبد القادر ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى (1417 هـ - 1997 م).
- 12 - تاريخ پانصد ساله خاندان شهرستاني (بالفارسية) : هاشمي - محمّد قاسم ، طبعة إصفهان (1423 هـ).
- 13 - تاريخ التشريع الإسلامي : الفضلي - عبد الهادي ، طبعة مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم ، الطبعة الأولى (1414 هـ - 1993 م).
- 14 - تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : الشاهرودي - نور الدين ، طبعة دار العلوم - بيروت ، الطبعة الأولى (1410 هـ - 1990 م).

- 15 - تاريخ فقه وفقهاء (بالفارسية): گرجي - أبو القاسم ، طبعة سازمان مطالعه وتدوين كتب علوم انساني - طهران (1377 هـ).
- 16 - تاريخ كربلاء وحائر الحسين : الكلیدار - عبد الجواد ، طبعة أفسست الشريف الرضي - قم (1418 هـ).
- 17 - تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة : الفيّاض - عبد الله ، قدّم له : السيّد محمّد باقر الصدر ، طبعة مؤسّسة الأعلمي - بيروت ، الطبعة الثانية (1395 هـ - - 1975 م).
- 18 - تاريخ المؤسّسة الدينية الشيعية من العصر البويهي إلى نهاية العصر الصفوي : القزويني - جودت ، طبعة دار الرافدين - بيروت ، الطبعة الأولى (1426 هـ).
- 19 - تراث كربلاء : آل طعمة - سلمان هادي ، طبعة مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الطبعة الثانية (1403 هـ - - 1983 م).
- 20 - تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية : آل قاسم - عدنان فرحان ، طبعة دار السلام - بيروت ، الطبعة الثالثة (1433 هـ - - 2012 م).
- 21 - تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : الحرّ العاملي - محمّد بن الحسن (ت 1104 هـ) ، تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، الطبعة الأولى (1409 هـ).
- 22 - تكملة أمل الآمل : الصدر - حسن (ت 1354 هـ) ، تحقيق : حسين علي محفوظ وآخرون ، طبعة دار المؤرّخ العربي - بيروت (1429 هـ - - 2008 م).

- 23 - الحدائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة : البحراني - يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني (ت 1186 هـ) المقدمة ، نشر علي الآخوندي - النجف الأشرف (1957 م).
- 24 - حديقة الزوراء في سيرة الوزراء : السويدي - عبد الرحمن (ت 1200 هـ) ، تحقيق : عماد عبد السلام رؤوف ، طبعة منشورات المجمع العلمي - بغداد (1423 هـ - 2003 م).
- 25 - الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية : الصالحي - عبد الحسين ، طبعة بيت العلم - بيروت ، الطبعة الأولى (1425 هـ - 2004 م).
- 26 - خاتمة : النوري - ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي الشهير بالمحدث النوري ، طبعة وتحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، الطبعة الأولى (1407 هـ).
- 27 - الدراسة وتاريخها في النجف الأشرف ، موسوعة النجف الأشرف : بحر العلوم - محمد.
- 28 - الدرر النجفية : البحراني - يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي (ت 1186 هـ) ،
طبعة أفست على النسخة الحجرية ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر - قم ، (بلا - ت).
- 29 - الذريعة إلى مصنفات الشيعة : الطهراني آقا بزرك - محسن (ت 1389 هـ) ، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- 30 - رحلة ابن بطوطة : ابن بطوطة - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي (ت 779 هـ) ، شرح وتعليق : طلال حرب ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثانية (1423 هـ - 2002 م).
- 31 - رحلة ابن جبیر : ابن جبیر - محمد بن أحمد الأندلسي (ت 614 هـ) ، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ، (بلا - ت).
- 32 - روضات الجنّات في تراجم العلماء والسادات : الخوانساري - محمد باقر (ت 1313 هـ) ، طبعة مكتبة إسماعيليان - قم (1390 هـ).
- 33 - رياض العلماء وحياض الفضلاء : أفندي - الميرزا عبد الله أفندي الإصفهاني (من أعلام القرن الثاني عشر) ، تحقيق : أحمد الحسيني ، طبعة مكتبة المرعشي - قم (1403 هـ).
- 34 - ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب (بالفارسية) : مدرّسي - محمد علي ، طبعة شفق - تبريز إيران ، الطبعة الثالثة (بلا - ت).
- 35 - السيّد كمال الحيدري : هدّو - حميد مجيد ، طبعة مؤسّسة الهدى - قم (1423 هـ - 2011 م).
- 36 - شهداء الفضيلة : الأميني - عبد الحسين (ت 1390 هـ) طبعة دار الشهاب - قم.
- 37 - طبقات أعلام الشيعة : الطهراني آقا بزرك - محسن (ت 1389 هـ) ، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى (1430 هـ - 2009 م).
- 38 - الطليعة من شعراء الشيعة : السماوي - محمد ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، طبعة دار المؤرّخ العربي - بيروت ، الطبعة الأولى (1422 هـ - 2001 م).

- 39 - الأعلام : الزركلي - خير الدين (ت 1396 هـ) ، طبعة دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الرابعة عشرة (1999 م).
- 40 - الأغاني : الإصفهاني أبو الفرج - علي بن الحسين (ت 356 هـ) تحقيق : عبد علي مهنا ، طبعة دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى (1407 هـ - 1986 م).
- 41 - الغدير في الكتاب والسنة والأدب : الأميني - عبد الحسين (ت 1390 هـ) ، تحقيق : مركز الغدير للدراسات الإسلامية - قم ، الطبعة الأولى (1416 هـ - 1995 م).
- 42 - الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية : ابن الطقطقا - محمد بن علي ابن طبطبا المعروف بابن الطقطقا (ت 709 هـ) ، طبعة دار صادر - بيروت ، (بلا - ت).
- 43 - الفقه في جنوب لبنان : الحسيني - محمد طاهر ، طبعة دار المحجة البيضاء - بيروت ، الطبعة الأولى (1430 هـ - 2009 م).
- 44 - الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الجعفرية : القمي - عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (1359 هـ) ، المطبعة المركزية - طهران (1327 ش).
- 45 - فهرست كتب الشيعة وأصولهم : الطوسي - أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت 460 هـ) ، تحقيق وتقديم : عبد العزيز الطباطبائي ، طبعة مؤسسة آل البيت : لإحياء التراث - قم ، الطبعة الأولى (1420 هـ).
- 46 - قادة الفكر الديني في النجف : الصغير - محمد حسين ، طبعة مؤسسة البلاغ - بيروت ، الطبعة الأولى (1429 هـ - 2008 م).

- 47 - الكامل في التاريخ : ابن الأثير - عز الدين أبي الحسن علي بن محمّد أبي الكرم الجزري (ت 630 هـ) ، تحقيق : علي شيري ، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى (1408 هـ - 1989 م).
- 48 - كربلاء ، ذكريات ولمحات : ميربصري ، بحوث ودراسات حول كربلاء.
- 49 - كربلاء في الأرشيف العثماني : قايا - دليك ، دراسة وثائقية بإشراف وتقديم : د. زكريّا قورشون ، طبعة الدار العربية للموسوعات - بيروت (1428 هـ - 2008 م).
- 50 - لسان العرب : ابن منظور - محمّد بن مكرم بن علي (ت 711 هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى (1408 هـ - 1988 م).
- 51 - لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث : الوردى - علي ، طبعة أفسست المكتبة الحيدرية.
- 52 - لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث : البحراني - يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني الدرازي (ت 1186 هـ) ، تحقيق : محمّد صادق بحر العلوم ، طبعة أفسست مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر (بلا - ت).
- 53 - ماضي النجف وحاضرها : محبوبة - جعفر باقر (ت 1377 هـ) ، طبعة دار الأضواء - بيروت ، الطبعة الثانية (1430 هـ - 2009 م).
- 54 - الإمام الحسين : العلاليلي - عبد الله ، (سموّ المعنى في سموّ الذات ، أو : أشعة من حياة الحسين) ، طبعة دار مكتبة التريبة - بيروت (1972 م).
- 55 - مجلّة لغة العرب : الكرمللي - الأب انستاس ماري ، (مجلّة شهرية أدبية علمية تاريخية) ، طبعة دار الحرية - بغداد (1391 هـ - 1971 م).

- 56 - المدارس العلمية في كربلاء : الأنصاري - رؤوف (بحث منشور ضمن بحوث ندوة دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري) ، طبعة الزهراء - الكويت ، (بلا - ت).
- 57 - مرقد المعارف : حرز الدين - محمّد (ت 1365 هـ) تحقيق : محمّد حسين حرز الدين ، أفسّت الطبعة الأولى ، انتشارات سعيد بن جبير - قم (1992 م).
- 58 - معادن الجواهر ونزهة الخواطر : الأمين - محسن بن عبدالكريم العاملي (ت 1371 هـ) ، طبعة دار الزهراء - بيروت (1403 هـ - 1983 م).
- 59 - معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء : حرز الدين - محمّد (ت 1365 هـ) ، علّق عليه محمّد حسين حرز الدين ، طبعة مكتبة المرعشي - قم (1405 هـ).
- 60 - المعالم الجديدة للأصول : الصدر - محمّد باقر (ت 1401 هـ) ، طبعة المجمع العالمي للإمام الشهيد الصدر ، الطبعة الثالثة (1429 هـ).
- 61 - معجم البلدان : الحموي - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت (ت 626 هـ) ، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (بلا - ت).
- 62 - معجم مقاييس اللغة : ابن فارس - أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ) ، حقّقه : شهاب الدين أبو عمرو ، طبعة دار الفكر - بيروت (1414 هـ).
- 63 - معجم المؤلفين : كحّالة - عمر رضا ، تراجم مصنّفي الكتب العربية ، مكتبة المثنى ، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت (1409 هـ).
- 64 - مع مؤتمّر علماء النجف : عياد عبد السلام رؤوف ، طبعة بغداد.

65 - مقتل الحسين : الخوارزمي - أبي المؤيد الموفق بن أحمد المالكي أخطب خوارزم (ت 568 هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد السماوي ، طبعة مكتبة المفيد - قم ، (بلا - ت).

66 - مقدمة رياض المسائل للسيد علي الطباطبائي : الأصفي - محمد مهدي ، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي - قم ، الطبعة الأولى (1412 هـ).

67 - منتهى المقال في معرفة الرجال : الحائري - أبو علي محمد بن إسماعيل المازندراني (ت 1216 هـ) ، طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، الطبعة الأولى (1416 هـ).

68 - موسوعة طبقات الفقهاء : السبحاني - جعفر ، طبعة دار الأضواء - بيروت ، الطبعة الأولى (1420 هـ - - 1999 م).

69 - موسوعة العتبات المقدسة : الخليلي - جعفر ، طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت ، الطبعة الثانية (1407 هـ - - 1987 م).

70 - زهة الناظر : الحلبي - نجيب الدين يحيى بن سعيد (ت 690 هـ) ، إعداد : السيد أحمد الحسيني ، طبعة الآداب - النجف (1386 هـ).

71 - نهضة الحسين : الشهرستاني - هبة الدين (ت 1386 هـ) ، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ، (بلا - ت).

72 - هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي : الطهراني آقا بزرك - محسن (ت 1389 هـ) طبعة انتشارات ميقات (1403 هـ).

الذكر المحفوظ قراءة جديدة في تاريخ جمع القرآن وما روي في تحريفه (6)

السيد علي الشهرستاني

بعد أن انتهينا من بيان المراحل الثلاث في تاريخ القرآن : 1 - التنزيل ، 2 - الترتيب ، 3 - الجمع والتأليف ، ناقلين الأقوال الأربعة في هذا الأخير حيث قمنا بدراسة الأقوال الثلاثة فيه ، وهي : الجمع على عهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والجمع بعد وفاته بواسطة الإمام علي عليه السلام والجمع في عهد الشيخين ونستأنف البحث هنا :

4 - الجمع في عهد عثمان بن عفان :

المشهور عند غالب المسلمين أن عثمان هو جامع الذكر الحكيم ، لكنهم فسّروا هذا الجمع بمعنى توحيد المصاحف ، وأعطوه صفة الجامع للقرآن ، وإعطاء هذه الصفة يأتي بمعنيين :

الأول : بمعنى تأليف القرآن وتدوينه وجمعه بين الدفتين.

ص: 226

والثاني : بمعنى توحيد المصاحف.

وإليك النصوص في كلا السياقين :

1 - أخرج البخاري والترمذي عن أنس : «أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان - وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق - فأفزع(1) حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردّها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتّى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف ممّا نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ، أنّه سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يقرأ بها ، فالتمسناها ، فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فألحقناها في سورتهاى.

ص: 227

1- قوله : «فأفزع حذيفة» من الإفزع. وفي رواية ابن سعد فرأى.

قال في رواية أبي اليمان: «خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله(صلى الله عليه وسلم) شهادته شهادة رجلين»(2).

زاد في رواية أخرى: «قال ابن شهاب: اختلفوا يومئذ في (التابوت) فقال زيد: (التَّابُوتُ) وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص (التابوت)، فرجع اختلفهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه (التابوت) فإنه بلسان قريش»(3).

2- ابن أبي داوود وابن الأنباري، عن أبي قلابة، قال: «لَمَّا كَانَ فِي خِلاَفَةِ عِثْمَانَ جَعَلَ الْمُعَلِّمُ يَعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، وَالْمُعَلِّمُ يَعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، فَجَعَلَ الْغُلَّامَانِ يَتَلَقَّوْنَ فَيَخْتَلِفُونَ، حَتَّى ارْتَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ، حَتَّى كَفَّرَ بَعْضُهُمْ بِقِرَاءَةِ بَعْضٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عِثْمَانَ، فَجَاءَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَنْتُمْ عِنْدِي تَخْتَلِفُونَ وَتَلْحَنُونَ، فَمَنْ نَأَى عَنِّي مِنَ الْأَمْصَارِ أَشَدَّ اخْتِلَافًا وَأَشَدَّ لِحْنًا، فَاجْتَمَعُوا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فَكَتَبُوا لِلنَّاسِ إِمَامًا.

فقال أبو قلابة: فحدَّثني مالك بن أنس، قال أبو بكر بن داوود: هذا مالك بن أنس جدّ مالك بن أنس، قال: كنت فيمن أملي عليهم فربّما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقّاها من رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ولعلّه أن يكون غائباً أو 7.

ص: 228

1- صحيح البخاري 4/1908 ح 4702، سنن الترمذي 5/284 ح 3104، مسند أبي يعلى 1/92 ح 92.

2- صحيح البخاري 3/1033 ح 2652، 4/1795 ح 4506، مسند أحمد 5/215 ح 21933.

3- انظر سنن الترمذي 5/285، ذيل الحديث 4104، مسند أبي يعلى 1/64 ح 63، سنن البيهقي الكبرى 2/385 ح 3806، 3807.

في بعض البوادي ، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجيء أو يُرسل إليه ، فلمَّا فرغ من المصحف كتب إلى أهل الأمصار : إني قد صنعت كذا وصنعت كذا ، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم (1).

3 - ابن أبي داود ، عن محمد بن سيرين ، قال : « كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه : كفرت بما تقول ، فزُفِع ذلك إلى عثمان بن عفان ، فتعاطم ذلك في نفسه ، فجمع إثني عشر رجلاً من قريش والأنصار ، فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت وسعيد بن العاص ، وأرسل إلى الرِّبعة (2) التي كانت في بيت عمر ، فيها القرآن ، وكان يتعاهدُهم ، فقال محمد : فحدّثني كثير بن أفلح أنّه كان يكتب لهم ، فربّما اختلفوا في الشيء فأخروه ، فسألته لم كانوا يؤخّرونه؟ فقال : لا أدري ، فقال محمد : فظننت فيه ظناً فلا تجعلوه أتم يقيناً ، ظننت أنّهم كانوا إذا اختلفوا في الشيء أخروه ، حتى ينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبوه على قوله» (3).

4 - ابن أبي داود ، عن ابن شهاب ، قال : بلغنا أنّه كان أنزل قرآن كثير فقتل علماءه يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه ، ولم يُعلم بعدهم ولم يُكتب ، 1.

ص: 229

1- المصاحف لابن أبي داود 1/203 - 204 / ح 74 ، 75 ، كنز العمال 2/246 / ح 4776.

2- الرِّبعة : هي الكتب المجتمعة ، وكانت عند حفصة ، فلمَّا جمعها عثمان في المصحف ردّها إليها ولم يحرقها في جملة ما حرقه ممّا سواها ، لأنّها هي بعينها الذي كتبه وإثما رتبّه ، قاله ابن كثير في فضائل القرآن ، فالسؤال : لو كانت هي بعينها الذي كتبه ، فما يعني حرق مروان لها بعد ذلك؟

3- كنز العمال 2/248 / ح 4782 عن المصاحف لابن أبي داود 1/212 / ح 87 - 91.

فلما جمع أبو بكر وعمر وعثمان القرآن ولم يوجد مع أحد بعدهم ، وذلك فيما بلغنا حملهم على أن تتبّعوا القرآن ، فجمعوه في الصحف في خلافة أبي بكر خشية أن يقتل رجال من المسلمين في المواطن معهم كثير من القرآن ، فيذهبوا بما معهم من القرآن ، فلا يوجد عند أحد بعدهم ، فوفّق الله عثمان فنسخ تلك الصحف في المصاحف ، فبعث بها إلى الأمصار وبثّها في المسلمين»(1).

5 - ابن أبي داوود : عن مصعب بن سعد ، «قال : قام عثمان يخطب الناس ، فقال : يا أيّها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن ، تقولون قراءة أبيّ ، وقراءة عبد الله ، يقول الرجل : والله ما تقيم قراءة تك ، فأعزم على كلّ رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به ، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن ، حتّى جُمع من ذلك أكثره ، ثمّ دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم : لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أملاه عليك؟ فيقول : نعم ، فلما فرغ من ذلك عثمان قال : من أكتب الناس؟ قالوا : كاتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زيد بن ثابت ، قال : فأبّي الناس أعرب؟ قالوا سعيد بن العاص ، قال عثمان : فليملّ سعيد وليكتب زيد ، فكتب زيد وكتب معه مصاحف فقرّحها في الناس ، فسمعت بعض أصحاب محمّد يقولون : قد أحسن»(2).

6 - ابن أبي داوود : عن مصعب بن سعد ، قال : «سمع عثمان قراءة 2.

ص: 230

1- كنز العمال 2/247 ح 4778 عن المصاحف لابن أبي داوود 1/208 ح 81.

2- كنز العمال 1/247 ح 4779 عن المصاحف عن ابن أبي داوود 1/208 ح 82.

أبيّ وعبد الله ومعاذ فخطب الناس ، ثمّ قال : إنّما قبض نبيّكم (صلى الله عليه وسلم) منذ خمس عشرة سنة ، وقد اختلفتم في القرآن ، عزمت على من عنده شيء من القرآن سماعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لمّا أتاني به ، فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعسب فيه الكتاب ، فمن أتاه بشيء قال : أنت سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ ثمّ قال : أيّ الناس أفصح؟ قالوا : سعيد بن العاص ، ثمّ قال : أيّ الناس أكتب؟ قالوا : زيد بن ثابت ، قال : فليكتب زيد وليملّ سعيد ، فكتب مصاحف فقسّمها في الأمصار ، فما رأيت أحداً عاب ذلك عليه»(1).

7 - ابن سعد : عن عطاء : «أنّ عثمان بن عفّان لمّا نسخ القرآن في المصاحف أرسل إلى أبيّ بن كعب ، فكان يملّي على زيد بن ثابت وزيد يكتب ومعه سعيد بن العاص يُعربه ، فهذا المصحف على قراءة أبيّ وزيد»(2).

وفيه عن مجاهد أيضاً : «أنّ عثمان أمر أبيّ بن كعب يملّي ، ويكتب زيد بن ثابت ، ويعربه سعيد بن العاص وعبد الرحمان بن الحارث»(3).

8 - ابن أبي داوود ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله وخارجة : «أنّ أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس ، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك ، فأبى حتّى استعان عليه بعمر ، ففعل ، فكانت الكتب عند أبي بكر حتّى توفي ، ثمّ عند عمر حتّى توفي ، ثمّ كانت عند حفصة زوج 0.

ص: 231

1- كنز العمال 2/248 / ح 4780 عن المصاحف لابن أبي داوود 1/209 / ح 83.

2- كنز العمال 2/249 / ح 4789 عن ابن سعد.

3- تاريخ دمشق 34/276 ، كنز العمال 2/249 / ح 4790.

النبي (صلى الله عليه وسلم) فأرسل إليها عثمان فأبت أن تدفعها ، حتى عاهدها ليردّها إليها ، فبعثت بها إليه ، فنسخها عثمان هذه المصاحف ، ثم ردّها إليها فلم تزل عندها ، [حتى أرسل مروان فأخذها فحرقها] قال الزهري : أخبرني سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها المصحف التي كتب فيها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها ، فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسل إليه بتلك المصحف ، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر ، فأمر بها مروان : فشقت ، وقال مروان إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذا المصحف مرتاب أو يقول : إنّه قد كان فيها شيء لم يكتب» (1).

9 - كنز العمال ، عن أبي هريرة : «أنه قال لعثمان لما نسخ المصاحف : أصبت ووفقت ، أشهد لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (إن أشدّ أمّتي حبّاً لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ، يعملون بما في الورق المعلق).

فقلت : أي ورق؟ حتى رأيت المصاحف ، فأعجب ذلك عثمان ، وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف ، وقال : والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبينا» (2).

10 - ابن أبي داوود وابن الأنباري ، عن ابن عباس قال : «قلت لعثمان ابن عفان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المثين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) 4.

ص: 232

1- كنز العمال 2/242 ح 4755 عن المصاحف لابن أبي داوود 1/211 ح 85.

2- كنز العمال 2/249 ح 4796 ، تاريخ دمشق 39/244.

الرَّحِيمِ) ووضعتموهما في السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك؟

فقال عثمان : إنّ رسول الله(صلى الله عليه وسلم) كان ممّا يأتي عليه الزمان تنزل عليه السور ذوات العدد ، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده ، فيقول : ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وتنزل عليه الآيات فيقول : ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أول ما أنزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصّتها شبيهة بقصّتها ، فظننت أنّها منها ، وقُبض رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ولم يبيّن لنا أنّها منها(1) ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ووضعتهما في السبع الطوال(2).

11 - ابن أبي داوود وابن الأنباري ، عن سويد بن غفلة ، قال : «سمعت عليّ بن أبي طالب يقول : يا أيّها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلّا- خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلّا عن ملأ منّا جميعاً ، فقال : ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أنّ بعضهم يقول : قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفراً ، قلنا : فما ترى؟ قال : نرى أن يجمع الناس على مصحف واحد بلا فرقة ، ولا يكون اختلاف ، قلنا : فنعم ما رأيت ، قال : أيّ الناس أفصح وأيّ الناس أقرأ؟ ص.

ص: 233

1- إنّ اتّهام لرسول الله(صلى الله عليه وآله).

2- كنز العمال 2/249 ح 4770 عن شحم دت ن ابن المنذر ، وابن أبي داوود وابن الأنباري معا في المصاحف ، والنحاس في ناسخه ، حب ، وأبو نعيم في المعرفة ، وابن مردويه ، ك ق ص.

قالوا : أفصح الناس سعيد بن العاص ، وأقرأهم زيد بن ثابت ، فقال : ليكتب أحدهما ويملي الآخر ، ففعلا وجمع الناس على مصحف ، قال عليّ : والله لو وليته لفعلت مثل الذي فعل [\(1\)](#).

12 - ابن أبي داوود ، والصابوني في المأتين عن سويد بن غفلة ، قال : «قال عليّ حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعتة» [\(2\)](#).

13 - ابن أبي داوود وابن الأنباري ، عن مصعب بن سعد ، قال : «أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف ، فأعجبهم ذلك ، ولم ينكر ذلك منهم أحد» [\(3\)](#).

14 - ابن أبي داوود وأبو الشيخ في السنّة ، عن عبد الرحمان بن مهدي ، قال : «خصلتان لعثمان بن عفّان ليستا لأبي بكر ولا لعمر ، صبره نفسه حتّى قتل ، وجمعه الناس على المصحف» [\(4\)](#).

15 - ابن أبي داوود ، عن أبي المليح ، قال : قال عثمان بن عفّان حين ر.

ص: 234

-
- 1- كنز العمال 2/247 ح 4777 عن ابن أبي داوود وابن الأنباري في المصاحف كق.
 - 2- كنز العمال 2/249 ح 4791 عن ابن أبي داوود في المصاحف والصابوني في المأتين.
 - 3- كنز العمال 2/246 ح 4773 عن البخاري في خلق أفعال العباد وابن أبي داوود وابن الأنباري في المصاحف.
 - 4- كنز العمال 2/246 ح 4774 عن المصاحف لابن أبي داوود وأبو الشيخ في السنة حل كر.

أراد أن يكتب المصحف : تملي هذيل وتكتب ثقيف»(1).

16 - ابن أبي داوود وابن الأنباري ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي ، قال : «لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه ، فقال : قد أحسنتم وأجملتم ، أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها»(2).

17 - ابن أبي داوود وابن الأنباري ، عن قتادة : «أن عثمان لما رُفِع إليه المصحف قال : إن فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها»(3).

18 - ابن أبي داوود ، عن قتادة ، عن نصر بن عاصم الليثي ، عن عبد الله بن فطيمة ، عن يحيى ابن يعمر قال : «قال عثمان : إن في القرآن لحناً وستقيمه العرب بألسنتها»(4).

19 - ابن أبي داوود وابن الأنباري ، عن عكرمة ، قال : «لما أتى عثمان بالمصحف رأى فيه شيئاً من لحن ، فقال : لو كان المُملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا»(5).

20 - ابن أبي داوود بسنده عن الوليد ، قال : «قال مالك : كان جدِّي مالك بن أبي عامر ممَّن قرأ في زمان عثمان ، وكان يكتب المصاحف»(6). 3.

ص: 235

-
- 1- كنز العمال 2/248 / ح 4783 عن المصاحف لابن أبي داوود 1/215 / رقم 92.
 - 2- كنز العمال 2/248 / ح 4784 عن المصاحف لابن أبي داوود وابن الأنباري.
 - 3- كنز العمال 2/248 / ح 4785 عن المصاحف لابن أبي داوود وابن الأنباري.
 - 4- كنز العمال 2/248 / ح 4786 ، عن المصاحف لابن أبي داوود.
 - 5- كنز العمال 2/249 / ح 4787 ، عن المصاحف لابن أبي داوود وابن الأنباري.
 - 6- المصاحف لابن أبي داوود 1/215 / ح 93.

هذه عشرون نصّاً جنّت بها من المصادر الأصلية عند الجمهور ، وهي كما تراها مضطربة أو معارضة بنصوص أخرى أحياناً ، بل إنّ عملية جمع عثمان للمصحف على قراءة واحدة يعارض ما روي في نزول القرآن على سبعة أحرف الذي شرّع تسهياً على الأمة كما يقولون ، بل يخطئ ما قاله مكّي بن أبي طالب في الإبانة من أنّ الصحابة تعارف بينهم في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) ترك الإنكار على من خالفت قراءته قراءة الآخر ، وذلك لقول النبي (صلى الله عليه وآله) : «أنزل القرآن على سبعة أحرف فأقرؤوا بما شئتم»⁽¹⁾ ، وهو المروي في البخاري عن عمر بن الخطاب ، قال : «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأها رسول الله ، واختلف عمر معه حتّى أتيا رسول الله ، فقال لهم : كذلك أنزلت ، إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأ ما تيسر منه»⁽²⁾.

فلو صحّت نصوص الأحرف السبعة حسبما فسّروه فهو يصحّح ما قاله أمثال : نصر أبي زيد وعابد الجابري وغليوم وأركون وغيرهم ، ومعناه : أنّ الوحي إلهي لكن النصّ بشري يجوز تغييره والزيادة والنقصان فيه ، وهذا الكلام باطل ويخطئه فعل عثمان إذ جمعهم على قراءة واحدة!! فمن جهة يقولون بشرعية تعدّد القراءات ، وأنّ القراءات العشر متواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ومن جهة أخرى يقولون بلزوم وحدة القراءة وعدم 5.

ص: 236

1- راجع الإبانة : 46 - 47.

2- صحيح البخاري 4/1909 ح 4705 من الباب 5.

التخطي عن قراءة زيد بن ثابت ومصحف عثمان!!

فالتعددية في القراءات ، إمّا مطلوبة للشارع تيسيراً على الأمة ، أو أنّها منهيّة عنها خوفاً من وقوع الناس في الاختلاف ، ولا يجوز التهافت بأن يقولوا من جهة بأنّ الله جوّز تعدّد القراءة سعة على الأمة ، ومن جهة أخرى يقولون : إنّ الاختلاف وقع بين أهل العراق والشام حتّى كاد أن يكفر أحدهم الآخر ، أو أنّ المعلّمين اختلفوا في تعليم الصبيان في القراءات وأنّ عثمان جمعهم على حرف واحد رفعاً للاختلاف وكتب مصحفه بشكل يتّمق مع قراءة الجميع ، والآن مع مناقشة بسيطة للنصوص ، نصّاً بعد نصّ :

أمّا النصّ الأوّل ، فيوقفنا على عدّة أمور :

أولاً: أنّ حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان يحارب فيها بجنب أهل الشام وأهل العراق لفتح أرمينية بأذربايجان ، وقد رأى اختلاف المسلمين في القراءة ، فقدم على عثمان بن عفّان يخبره بذلك.

ومعنى هذا النصّ وجود اختلاف بين المسلمين في القراءات على عهد عثمان ، وأنّ قراءة أهل الشام تخالف قراءة أهل العراق ، أو : أنّ قراءة أبيّ بن كعب - التي يقرأ بها أهل الشام - تختلف عن قراءة ابن مسعود التي يقرأ بها أهل الكوفة = العراق ، فالاختلاف لم يكن في تقديم وتأخير السور بل في قراءة الآيات.

ثانياً : إنّ اختلافهم في القرآن كان جزئياً ، ولأجل ذلك قال له : «يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلف في الكتاب اختلاف اليهود

ص: 237

والنصارى»، وهذا يدعوننا للبحث عن الاختلاف الواقع في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، وهل هو في النص أو في الفهم، فقد قال ابن كثير في فضائل القرآن:

«إنَّ اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة، والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعان أيضاً، وليس في توراة السامرة حروف الهمزة، ولا حرف الهاء ولا الياء.

والنصارى أيضاً بأيديهم توراة يسمونها العتيقة، وهي مخالفة لنسختي اليهود والسامرة.

وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة: إنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وهي مختلفة أيضاً اختلافاً كثيراً... وهي مع هذا مختلفة كما قلنا. وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل، ثم هما منسوخان بعد ذلك بعده بهذه الشريعة المحمدية المطهرة»(1).

ثالثاً: إنَّ عثمان طلب من حفصة أن تعطيه الصحف التي كانت عندها كي يستنسخ نسخاً عنها ثم يردّها إليها، وهذا الكلام يؤكّد وجود صحف مكتوبة عند المسلمين قبل جمع عثمان المصاحف، وبمعنى آخر: أن الصحابة الخلفاء (أبا بكر وعمر) كانوا قد دونوا القرآن قبل عثمان بن عفان.

مع التنويه إلى أن الصحف الموجودة بيد حفصة لم تكن من إرثها الشخصي بل هي حقّ للمسلمين، لأنَّ أبا بكر كان قد عمل هذه الصحف ف.

ص: 238

1- فضائل القرآن: 70، باب كتابة عثمان للمصاحف.

للمسلمين ، ثم صارت من بعده في حوزة عمر بن الخطّاب ، فكان من اللازم أن تنقل حفصة تلك الصحف إلى عثمان باعتباره خليفة المسلمين ، ولا داعي لبقائها في يد حفصة ، إلا أن نقول بأنّ صحف حفصة غير ما دوّنه زيد في عهد أبي بكر ، وهذا ما لا يقول به أحد.

رابعاً : إنّ عثمان ألّف لجنة من أربعة أشخاص هم : 1 - زيد بن ثابت 2 - عبد الله بن الزبير 3 - سعيد بن العاص 4 - عبد الرحمن بن الحارث لاستنساخ ما دوّن على عهد الشيخين ، والذي كان موجوداً عند حفصة ، وهؤلاء نسخوها في المصاحف.

ولا يخفى عليك بأنّ هؤلاء جميعهم كانت لهم صلة قرابة بالأمويين وبعثمان على وجه الخصوص.

والسؤال هو : هل أنّهم نسخوها من الصحف كما هي وجعلوها مصاحف؟ أم أنّهم أضافوا إليها بعض القراءات من المصاحف الأخرى؟

فلو قام عثمان بتغيير بعض الآيات في مصحف حفصة فعمله هذا لا يخلو من أحد أمرين : إمّا أن يكون تحريفاً للقرآن ، أو إصلاحاً له.

فإن كان الأوّل فلا-ريب في شناعة فعله في التحريف في كلام الله ، وإن كان الثاني فلا بدّ من الوقوف على موارد التصحيح عنده في مصحف حفصة ، بل لماذا لا يعامل مصحفها بما عامل به مصاحف سائر الصحابة كالحرق والتمزيق ، وحينما لا نرى تلك المعاملة مع مصحف حفصة علمنا أنّ مصحفه هو نسخة أخرى لمصحف حفصة!!

وأراد الأستاذ أبو زهرة أن يدّعي في المعجزة الكبرى بأنّ مصحف

عثمان لم يكن نسخاً لنسخة حفصة ، بل أخذوا نسختها لمطابقتها ، قال : «ولقد قال الطبري : إنّ الصحف التي كانت عند حفصة جعلت إماماً في هذا الجمع الأخير ، ويقول القرطبي : «هذا صحيح» . ومعنى صحّته أنّه بعد الجمع الذي قام به زيد بأمر عثمان ، وعاونه المؤمنون الحافظون ، قد روجع على مصحف حفصة ، وكانت هي المقياس لصحّته ، فبالمقابلة بينهما بعد الجمع تبين صحّتهما بصفة قاطعة لا ريب فيها . فكانت هذه الإمامة ، حتّى ظنّ أنّه نُسخ منها .

إلى أن قال : إنّ الإمام العظيم عثمان قد كتب المصحف خالياً من التّقط والشكل ، كما كان المصحف الموجود عند حفصة خالياً من التّقط والشكل ، ولم يكن تقط وشكل إلاّ بعد ذلك . ولكن لماذا خلا من ذلك ؟

ثمّ أجاب أبو زهرة عن ذلك بالقول :

والجواب عن ذلك : إنّ القرآن له قراءات مختلفة هي سبع قراءات ، وليست هي الحروف كما ذكرنا من قبل ، ولكي يكون المكتوب محتملاً لهذه القراءات المروية بطرق متواترة كلّها ، كان لا بدّ أن يكون غير منقوط ولا مشكول ، كما ذكرنا في اختلاف القراءة في (أنفسكم) ، وكما ذكرنا في اختلاف القراءة في (فتبينوا) ، وما كان يمكن أن يحتمل النصّ القراءتين إذا كان منقوطاً ومشكولاً .

ومن جهة أخرى : إنّ الأساس في تواتر القرآن هو الحفظ في الصدور لا- في السطور ، حتّى لا يعتريه المحو والإثبات ، فلو كان القرآن منقوطاً ومشكولاً لاستغنى طالب القرآن عن أن يقرئه مقرئ ، فلا يكون التواتر

الصحيح الذي يقتضي الإجازة ممّن أقرأه ، ولقد جاء التحريف في الكتب الأخرى لاعتمادها على المكتوب في السطور ، لا المحفوظ في الصدور»(1).

هذا ما علّله ، ومعناه صحّة كلا القراءتين وإن اختلفتا في المعنى ، فمعنى (أَوْلَا مَسْتُمْ النِّسَاءَ) يختلف عن (أو لمستم النساء).

وهناك سؤال آخر : لماذا لم يُعتمد مصحف عائشة واعتمد مصحف حفصة؟

أجابوا عنه بأنّ عثمان اعتمد مصحف عائشة كذلك ، وقد كتب إلى الأمصار اعتماده على ذلك ، فلو صحّ ذلك فلماذا لا يكون في مصحف عثمان قراءتهما وما كانتا تدعوان الناس إليه ، مثل زيادة (والعصر) في قوله تعالى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُصَلُّونَ) وهي صلاة العصر [وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ] وأمثالها؟

فكلّ ذلك يؤكّد بأنّ أصل المصحف الراجح اليوم هو مصحف رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما تواترت عليه الأمة وهو ليس بمصحف حفصة ولا مصحف عائشة ولا مصحف أبي بكر ولا عمر ولا مصحف عثمان ولا مصحف زيد ، وقد يمكننا أن نقول بأنّه مصحفهم جميعاً أسوة بباقي مصاحف المسلمين الجامعين له.

خامساً : إنّ توجيه عثمان خطابه للقرشيين : «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا» 2.

ص: 241

معناه أنّ قراءة زيد لم تكن هي القراءة المعتمدة عند المسلمين آنذاك ، وهذا يخالف القول المشهور بأنّ عثمان جمعهم على قراءة زيد بن ثابت ، بدعوى أنّه حضر العرضة الأخيرة!!

ويؤيّد المدّعى ما جاء في رواية أخرى عن ابن شهاب بأنّهم اختلفوا في (التابوت) فقال زيد (التابوه) وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص (التابوت) فرجع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه (التابوت) فإنّه بلسان قريش.

سادساً : بعد نسخ اللّجنة الرباعية لمصحف حفصة ردها عثمان إليها ، فلماذا ردها ولم يحرقها كما حرق مصاحف الصحابة؟ بل من هم أعضاء اللّجنة ، هل المذكورون الأربعة أم ما جاء في كتاب المقنع للداني ، وفيه عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عبّاس مع حذف اسم سعيد بن العاص(1).

سابعاً : أرسل عثمان بخمس نسخ أو ست أو ثمان إلى الأمصار ، ثمّ أمر بحرق سواها من الصحف والمصاحف ، فالسؤال : هل المصحف المرسل إلى الأمصار هو مصحف عثمان بن عفّان ، أم أنّه مصحف الشيخين الذي كان عند حفصة ، أم أنّه مصحف ثالث مؤلّف من مجموع مصاحف الصحابة؟ وإذا كانت مصاحف عثمان تقع الاختلافات بينها حسبما أتى بها ابن أبي داود في كتابه المصاحف.

ثامناً : ادّعى زيد بن ثابت أنّه فقد آية من سورة الأحزاب ثمّ وجدها مع خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة ، ومعنى كلامه عدم وجود هذه الآية في 4.

ص : 242

1- المقنع للداني : 4.

مصحف حفصة المستنسخ عنه ، وهو يؤكد نقصان الصحف الموجودة عند حفصة ، وهو مما يتطلب تكميلها.

وقد فرّق ابن حجر بين أبي خزيمة وبين خزيمة فقال : «عن أبي خزيمة أنه الذي وجد عنده آخر سورة التوبة (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) ، بخلاف خزيمة الذي وجد عنده آية الأحزاب (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) ثم قال الحافظ في شرحه :

هذا يدلّ على أنّ زياداً لم يكن يعتمد في جمع القرآن على علمه ولا يقتصر على حفظه لكنّ فيه إشكال ، لأنّ ظاهره أنّه اكتفى مع ذلك بخزيمة وحده ، والقرآن إنّما يثبت بالتواتر ، والذي يظهر في الجواب أنّ الذي أشار إليه أنّه فقده أي فقد وجودها مكتوبة لا فقد وجودها محفوظة ، بل كانت محفوظة عنده وعند غيره ، ويدلّ على هذا قوله في حديث جمع القرآن : فجعلت أتتبعه من الرقاع والعسب»(1).

تاسعاً : إذا كان عثمان بن عفان من كتّاب الوحي على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) حسب ادّعاء الذهبي في معرفة القراء الكبار(2) ، فلم لا يكتب المصحف بنفسه ، بل أين ذهب مصحفه ، بحيث لا نرى له أثراً في جمع القرآن؟ هـ.

ص: 243

1- فتح الباري 8/518.

2- انظر الطبقة الأولى منه.

وكذا الحال بالنسبة إلى زيد ، فإذا كان قد جمع القرآن من الرقاع وكان من الكتبة والحفظة على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فلماذا لا يعتمد ما جمعه عند كتابة المصحف؟

ومن الطريف الإشارة إلى الشبهات السبع التي أثيرت حول جمع القرآن والتي ذكرها الزرقاني في مناهل العرفان ، والتي كان من بينها الشبهة التي أثيرت حول حذف الصحابة آيات من القرآن ، وسعي عمر لإضافة سورتي الحفد والخلع وآية رجم الشيخ والشيخة ، ودعوى إسقاط الإمام علي عليه السلام آية المتعة من القرآن ، قال الزرقاني :

«ثالثاً: إنّ الصحابة حذفوا من القرآن كلّ ما رأوا المصلحة في حذفه ، فمن ذلك آية المتعة ، أسقطها عليّ بن أبي طالب بئّة ، وكان يضرب من يقرؤها ، وهذا ممّا شتّت عائشة به فقالت : إنّه يجلد على القرآن ، وينهى عنه ، وقد بدّله وحرفه»(1).

إنّ إسقاط الإمام علي عليه السلام آية المتعة افتراءً لم يقله غير الزرقاني ، بل آية المتعة كانت موجودة في القرآن واستدلّ بها الصحابة وأئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وهي غير سورتي الحفد والخلع - اللتين تناقلتهما كتب أهل السنة كثيراً ، والموجودتين ضعيفاً عند الشيعة أيضاً - بعكس دعوى حذف آية المتعة من القرآن والتي كان يعمل بها الصحابة على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثمّ من بعده ، والتي استدّلوا بها في احتجاجاتهم ، فلا نرى خبيراً بهذا المضمون عند الشيعة ، 4.

ص: 244

وإن كان هذا الخبر موجوداً عند أهل السنة فهو شاذّ ومردود ، فنحن نعيد كلام الزرقاني على نفسه حيث قال : «بأنّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أحرص الناس على الاحتياط للقرآن ، وكانوا أيقظ الخلق في حراسة القرآن ، ولهذا لم يعتبروا من القرآن إلا ما ثبت بالتواتر ، وردّوا كلّ ما لم يثبت تواتره لأنّه غير قطعي ويأبى عليهم دينهم وعقلهم أن يقولوا بقرآنية ما ليس بقطعي ... لأنّ المسلمين [الشيعة] كانوا ولا يزالون أكرم على أنفسهم من أن يقولوا في كتاب الله بغير علم ، وأن ينسبوا إلى الله ما لم تقم عليه حجة قاطعة ، وأن يسلكوا بالقرآن مسلك الكتب المحرّفة والأناجيل المبدّلة. وإنا نذكّر هؤلاء بتلك الكلمة التي يردّونها هم ، وهي : من كان بيته من زجاج فلا يرجمنّ الناس بالحجارة»(1).

أمّا النصّ الثاني :

فلا نرى فيه اسم حذيفة كساع لرفع الاختلاف ، بل نرى الاختلاف بين المعلّمين ويسبب ذلك الاختلاف كاد أن يكفّر بعضهم البعض الآخر منهم لقراءته ، وهذا هو الذي أزم عثمان أن يخطب في الصحابة طالباً منهم أن يكتبوا مصحفاً إماماً.

كما نرى في النصّ الثاني أنّ جدّ مالك بن أنس أخبر عن الصحابة وأنهم كانوا يتحرّون العرضة الأخيرة عند اختلافهم فينتظرون الرجل الذي قد 9.

ص: 245

تلقي الآية من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولعله كان غائباً أو في بعض البوادي فينتظرونه يأتي فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويبقون المشكوك إلى أن يأتي ليأخذوا منه، وأن عثمان لما فرغ من كتابة المصحف كتب إلى الأمصار: (إني قد صنعت كذا وصنعت كذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم)، وهذا العمل من قبل عثمان خطير، لأن الذي قد محاه عثمان قد لا يصل إلى الكتبة للمصاحف فيبقى في مصاحفهم ما ليس في مصحف عثمان وهم على اعتقاد بأن ما عندهم قرآن وبذلك تتعدّد المصاحف، وقد يكون من هذا الباب جاء اعتقاد بعض الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب بأن آية الرجم وسورتي الحفد والخلع من القرآن وهي ممّا حذفه عثمان من مصحفه، قال العلامة الحلبي في تذكرة الفقهاء: «روى واحد من الصحابة سورتين، إحداهما اللهم إنا نستعينك ونستغفرك... والثانية: اللهم إياك نعبد ولك نصلي، فقال عثمان: اجعلوهما في القنوت، ولم يثبتهما في المصحف»⁽¹⁾.

وباعتقادي إن الاختلاف عند تعليم المعلم - بحد ذاته - وإن ارتقى من الغلمان إلى المعلمين ثم إلى الأمة لا - يوجب التكفير، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) والأصحاب كانوا يعلمون الناس القرآن في المسجد وفي غيره وقيل عنهم بأنهم كانوا يختلفون! ولا سبب لتكفير بعضهم الآخر.

نعم، إن هناك قراءات باطلة شرعت بجنب القراءات الصحيحة، وهذا هو الذي سبب تكفير بعضهم البعض الآخر، أي أنهم خلطوا عملاً متقنات.

ص: 246

1- تذكرة الفقهاء 3/263، استحباب رفع اليدين بالقنوت.

صحيحاً بعمل ضعيف آخر ، فضاعت أو كادت أن تضيع القراءة الشائعة المشهورة والتي عرفوها على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين تلك القراءات الباطلة الأخرى.

فلا اختلاف ولا تكفير بين الصحابة الكبار ، فأحدهم يصلّي خلف الآخر ، بل قل : إنّ أحدهم كان يقَدِّم الآخر ليصلّي به ، فأليك ما رواه ابن أبي داود بسنده عن عبد الأعلى بن الحكم الكلابي ، قال :

«أتيت دار أبي موسى الأشعري فإذا حذيفة بن اليمان وعبدالله بن مسعود وأبو موسى الأشعري فوق إجار(1) لهم ، فقلت : هؤلاء - والله - الذين أريد ، فأخذت أرتقي إليهم ، فإذا غلام على الدرجة فمنعني ، فنازعته ، فالتفت إليه بعضهم قال : خلّ عن الرجل! فأتيتهم حتّى جلست إليهم ، فإذا عندهم مصحف أرسل به عثمان وأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه.

فقال أبو موسى : ما وجدتم في مصحفي هذا من زيادة فلا تنقصوها وما وجدتم من نقصان فاكتبوه.

فقال حذيفة : كيف بما صنعنا؟ والله ما أحد من أهل هذا البلد يرغب عن قراءة هذا الشيخ - يعني ابن مسعود - ولا أحد من أهل يمن يرغب عن قراءة هذا الشيخ - يعني أبا موسى الأشعري - وكان حذيفة هو الذي أشار على عثمان بجمع المصاحف على مصحف واحد ، ثمّ إنّ الصلاة حضرت ، فقالوا لأبي موسى : تقدّم فإنّا في دارك ، فقال : لا أتقدم بين يدي ابن مسعود ، ر.

ص: 247

1- الإجار : بالكسر والتشديد ، السطح الذي ليس حوله ما يرد الساقط عنه. لسان العرب 1/32 مادة أجر.

فتنازعوا ساعة ، وكان ابن مسعود بين حذيفة وأبي موسى فدفعاه حتّى تقدّم فصلّى بهم»(1).

أمّا النصّ الثالث : فهو يشبه النصّ الثاني إلا أنّ فيه اسم أبيّ بن كعب والذي توفّي في سنة 24 على المشهور ، أي قبل تدوين المصاحف الذي كان في حدود سنة 30 للهجرة.

كما فيه أنّ عثمان جمع إثني عشر رجلاً من قريش والأنصار ، في حين أنّ العدد الذي أناط بهم هذه المهمة في غالب المصادر هم أربعة لا إثنا عشر.

وفي النصّ أيضاً بأنّ محمّد بن سيرين احتمل أن يكون سبب تأخيرهم في تثبيت الآيات هو وقوفهم على الذين حضروا العرضة الأخيرة من الصحابة ، في حين ترى أنّ هذا الاحتمال صار أمر يقينياً يعتمد في الاستدلال لزيد بن ثابت ، ولوراجعت كتب القراءات لرأيت وجود قراءات تخالف قراءة زيد ، وهي تؤكد بأنّ قراءة زيد لم تكن طبقاً للعرضة الأخيرة ، وذلك لعدم أخذهم بها.

فابن مسعود مثلاً كان يرى نفسه هو الأولى أن يسند إليه جمع القرآن لأنّه حضر العرضة الأخيرة ، ولا يصحّ ما قاله الزرقاني : «بأنّ اعتراض ابن مسعود كان منصباً على طريقة تأليف لجنة الجمع لا على صحّة نفس الجمع».

مع أنّ كلمة ابن مسعود السالفة لا تدلّ على أكثر من أنّه كان يكبر زيداً 7.

ص: 248

بزمّن طويل ، إذ كان عبدالله مسلماً وزيد لا يزال ضميراً مستتراً في صلب أبيه ، وليس هذا بمطعن في زيد ، فكم ترك الأوّل للآخر ، ولو كان الأمر بالسن لاختلّ كثير من نظام الكون ...»(1) لأنّ العمر بما هو عمر ليس له مدخلية في الترجيح ، ولو اعتمد ذلك لاختلّ حقاً نظام الكون ، وهذا ما فعلوه وشاهدناه في تقديمهم أبابكر على عليّ بن أبي طالب لكونه أكبر سنّاً من الإمام عليّ ، فالسؤال : كيف تقدّمون أبابكر على عليّ بدعوى أنّه أسنّ ، وهنا تقولون إنّ السن ليست بمرجّح . والمتأمل في نصوص ابن مسعود يرى معيار الكفاءة هي المنظورة في كلماته لا السن ، ولا لكونه كان في صلب أبيه الكافر ، بل كان يريد القول بأنّ الأرجحية له لسابقته في الإسلام ، وشهادة النبيّ (صلى الله عليه وآله) بحسن قراءته ، ولكونه حضر العرصة الأخيرة ، وأمثالها .

بل كيف يصحّ للمسلم أن يقول لأخيه المسلم : كفرت ، ورسول الله(صلى الله عليه وآله) كان قد أجاز قراءة القرآن على سبعة أحرف كما يقولون؟! فلا بدّ لنا من تصحيح إحدى الروايتين .

ثمّ ما المقصود ممّا قالوه في لزوم الأخذ عن أحدثهم عهداً بالعرصة الأخيرة؟ هل يعنون العرصة الأخيرة التي مات بعدها رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟ أم العرصة الأخيرة من كلّ عام؟ أي بعد اللقاء الثنائي بين جبرئيل الأمين والصادق الأمين في رمضان من كلّ عام .

فإن قالوا بأنّ مقصود ابن سيرين هو أنّهم كانوا إذا اختلفوا في الشيء 7 .

ص: 249

أخروه حتى ينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة التي مات بعدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فهذا غير صحيح ، لأن القرآن نزل منجماً طوال ثلاثة وعشرين عاماً ، وأن الصحابة كانوا يقرؤون بسوره وآياته أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد أنسوا به ، فلا يُعقل أن يكون مكان الآيات في السور مختلفاً فيه بين الصحابة وغير معلوم حتى لقاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ربه .

فالآيات في السور كان معلوم موضعها في كل عام بعد العرضة الأخيرة ، وإن الصحابة كانوا يكتبون الآيات في السور ما قبلها وما بعدها ويدعون موضع الاختلاف إلى أن يأتي الذي سمعها من رسول الله فيقرر مكانها .

أما النصوص الرابعة والخامسة والسادسة فهي صريحة بأن الجمع للقرآن كان جمع كتابة لا توحيد للقراءات كما يقولون .

ففي النص الرابع : نرى إشارة من ابن شهاب الزهري إلى كلام عمر ابن الخطاب ، لقوله (بلغنا) ، والذي أُولِّ وصَّحَّحَّ بأنه إشارة إلى تفسير النازل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتأويله لا إلى أصل القرآن ؛ لقول ابن شهاب : «فقتل علماؤه يوم اليمامة ... الذين كانوا قد وعوه ولم يعلم بعدهم ولم يكتب» . وقد نقل الزرقاني ما نسب إلى ابن عمر من قوله : «لا يقولن أحدكم : أخذت القرآن كله ، وقد ذهب منه كثير ، ولكن ليقول : قد أخذت ما ظهر منه» ثم قال معلماً : «هي نسبة خاطئة كاذبة وعلى فرض صحتها فهي موقوفة وليست

بمرفوعة إلى النبيّ ، وعلى فرض رفعها فهي معارضة للأدلة القاطعة المتوافرة في تواتر القرآن وسلامته من التغيير والزيادة والنقصان ،
ومعارض القاطع ساقطٌ مهما كانت قيمة سنده في خبر الواحد»(1).

لكن نقول : إذا كانت تلك الأمور التي لم تكتب هي تفسير للقرآن وليست بقرآن فلماذا هم يعدونها قرآنا في الأخبار ، فيقول الخبر : (فلما جمع أبوبكر وعمر وعثمان القرآن ولم يوجد مع أحد بعدهم ...) إلى أن يقول : (فجمعوه في الصحف في خلافة أبي بكر خشية أن يقتل رجال من المسلمين في المواطن ، معهم كثير من القرآن ، فيذهبوا بما معهم من القرآن ، فلا يوجد عند أحد بعدهم ...)

إنهم يعدّون الضائع قرآنا ، وبكلامهم هذا يمهّدون لطرح شبهة على القرآن والقول بأنّ القرآن الحالي لا يتضمّن جميع ما أنزل وما كان مسطوراً في اللوح المحفوظ.

وفي النصّ الخامس : تأكيد على كون الجمع جمع كتابة إذ فيه : (فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتّى جُمع من ذلك أكثره) لا جميعه! ثمّ يستمرّ الراوي بالقول :

(ثمّ دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم : لسمعت رسول الله وهو أملاه عليك؟ فيقول : نعم ، فلما فرغ من ذلك عثمان قال : من أكتب 0.

ص: 251

الناس؟ قالوا : كاتب رسول الله زيد بن ثابت ، قال : فأَيُّ الناس أعرب؟ قالوا : سعيد بن العاص) ، فهذا النصُّ يذكّرنا بما تساءلناه سابقاً عن جملة (من أكتب الناس؟ ومن أعرب الناس؟) وهل هي من أقوال عمر بن الخطّاب أم من أقوال عثمان بن عفّان؟ ومتى صدرت هذه الجملة هل في عهد عمر أو في عهد عثمان ، أو أنّها تكرّرت في عهدهما معاً ، أو أنّها صدرت من أحدهما ونسبت إلى الآخر أيضاً.

وقبله أشار إلى أنّ عثمان قام خطيباً في الناس وقال : (يا أيّها الناس عهدكم بنببيكم منذ ثلاث عشرة ، وأنتم تمترون في القرآن ، تقولون : قراءة أبيّ ، وقراءة عبد الله ، يقول الرجل : والله ما نقيم قراءتك ، فأعزم على كلّ رجل منكم كان معه من كتاب الله شيءٌ لما جاء به ...).

وفيه إشارة إلى أنّ الجمع جمع كتابة وتدوين لا توحيد للقراءة كما يقولون.

كما فيه إشارة إلى أنّ الاختلاف قد حدث بعد عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولم يكن له عين ولا أثر في عهده الشريف ، لقوله : (عهدكم بنببيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن).

وقد يمكن أن يُجاب على ما قالوه بأنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) هو الذي أراد أن يمترون بالقرآن ويختلفوا فيه لحديث الأحرف السبعة!

وهو الآخر يشير إلى وجود قراءات ومصاحف عند الصحابة بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأنّ عثمان يريد السيطرة عليها لقوله : (على كلّ رجل منكم كان معه من كتاب الله شيءٌ لما جاء به فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه

القرآن)، وهو يشابه موقف عمر بن الخطاب في المنع من كتابة الحديث، فعن القاسم بن محمد بن أبي بكر: «إنَّ عمر بن الخطاب بلغه أنَّه قد ظهرت في أيدي الناس كتب، فاستنكرها وكرهها، وقال: أيُّها الناس! إنَّه قد بلغني أنَّه قد ظهرت في أيديكم كتب فأحبَّها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقينَّ أحد عنده كتاب إلاَّ أتاني به، فأرى فيه رأبي.

قال: فظنُّوا أنَّه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار!!

ثمَّ قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب»(1).

وهذا ما أشار إليه برتون من أنَّ التمسك بقول مصاحف الصحابة كان للمقابلة مع مصحف عثمان أو الفرار منه، كما أنَّ ما جاء من روايات جمع الشيخين للقرآن فقد وضعت مواجهة لجمع عثمان(2).

وبهذا فقد اتَّضح بأنَّ جمع القرآن مرَّ بثلاث مراحل حسبما قاله الزرقاني:

1 - عهد النبيِّ فكان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاصَّ من سورها، ولكن مع بعثرة الكتابة وتفرُّقها بين عُسب وعظام وحجارة ورقاع ونحو ذلك حسبما تبيَّسِر أدوات الكتابة، وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التوثُّق للقرآن، وإن كان التعويل أيَّامئذ كان على الحفظ 4.

ص: 253

1- تقييد العلم: 52، وانظر الطبقات الكبرى 5/188، وتاريخ الإسلام 7/220 - 221، وسير أعلام النبلاء 5/59 وفيهم: مثناة كمثناة أهل الكتاب.

2- انظر خاورشناسان وجمع وتدوين قرآن: 114.

2 - عهد أبي بكر فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابه في صحف مرتب الآيات أيضاً ، مقتصراً فيه على ما لم تنسخ تلاوته مستوثقاً له بالتواتر والإجماع ، وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعاً مرتباً خشية ذهاب شيء منه بموت حملته وحفظه .

3 - عهد عثمان فقد كان عبارة عن نقل ما في تلك الصحف في مصحف واحد إمام ، واستنساخ مصاحف منه ترسل إلى الآفاق الإسلامية ... (1).

أما النص السادس : ففيه مضافاً إلى اضطراب عثمان في كلامه ، فأبي ابن كعب ومعاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود إنما كانوا قد سمعوا قراءة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو لا-؟ فإن كانوا قد سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعرضوا قراءتهم عليه وصححها فلا معنى (صلى الله عليه وآله) لقوله : «إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة وقد اختلفتم في القرآن...» لأنّ بعد التأكد من إقراء رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا- معنى لقوله : «عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله لما أتاني به ، فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعصب فيه الكتاب...».

فإن قيل بأنهم لم يسمعوا القرآن من رسول الله ، فهذا باطل تردّه النصوص الكثيرة الموجودة في كتب الفريقين ، لأنّ أبي بن كعب ومعاذ بن ر .

ص : 254

جبل وعبدالله بن مسعود قد عُدّوا ضمن الجامعين للقرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعثمان نفسه يقرّ بهذه الحقيقة ولا ينكرها، فما يعني تشكيكه بكلامهم واعتراضه على اختلافهم مع أنّ هذا هو من موارد نزول القرآن على سبعة أحرف عنده؟!!

وكيف يتّهم أياً سيّد القراء، وابن مسعود الذي شهد رسول الله بأنّه كان يقرأ القرآن غصّاً طريّاً كما أنزل (1)، ومعاذ الذي قال عنه عبدالله بن عمرو بن العاص: «سمعت رسول الله يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وسالم [مولي أبي حذيفة]، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب» (2).

بل لماذا التأكيد على صغار الصحابة أمثال زيد وسعيد بن العاص وتناسي دور أبي بن كعب وابن مسعود ومعاذ وغيرهم من أعيان الصحابة؟

بل كيف يمكننا تصديق هذا الخبر مع أنّ المعروف عن أبي بن كعب أنّه مات في سنة (24 هـ) أي أوائل خلافة عثمان، ومعاذ بن جبل الذي مات في طاعون عمواس سنة (17 هـ).

بل ماهي خصوصية هذه الأسماء الثلاثة؟ ولماذا لا ينقل مصعب بن سعد - راوي الخبر - سماع عثمان لقراءة عائشة وحفصة (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وهي العصر وقوموا لله قانتين).

أوراق عمر: غير المغضوب عليهم وغير الضالين، أو قراءته بآية رجم الشيخ والشيخة. 4.

ص: 255

1- تاريخ بغداد 4/326.

2- صحيح البخاري 4/1912 ح 4713 الباب 8، صحيح مسلم 4/1913 ح 2464.

أو قراءة أبي بكر : وجاءت سكرة الموت بالحق .

أو قراءة غيرهم بغيرها ، فلماذا سمع قراءة أبي وابن مسعود ومعاذ ولم يسمع قراءة غيرهم؟ بل كيف بعثمان يخطب بالناس على أثر سماعه قراءة أكابر الصحابة الذين شهد بفضلهم وصحة قراءتهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) أليست قراءتهم هي قراءة صحيحة طبقاً للأحرف السبعة التي يقولون بها؟ فما يعني مطالبتهم أن يأتوه بما عندهم من القرآن حتى جعل الرجل يأتي باللوح والكتف والعصب.

ألا يدلّ هذا النصّ وأمثاله على وجود الكتابة على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، وأنه لم ينحصر بالحفظ كما يقولون ، مع التأكيد على أنّ الجملة الموجودة في آخر الرواية : (فما رأيت أحداً عاب ذلك عليه) غير صحيحة وغير واقعية ، لأنّ الكثير من الصحابة قد عابوا على عثمان فعله في المصاحف وفي غيره ، بل كتب أهل المدينة إلى من بالأمصار : أن أقدموا فقد أحدث من خلفكم - أو خليفتمكم - دين محمّد ، إلى غيرها من العبارات التي سنأتي بنصوصها في آخر البحث في مبحث (توحيد المصاحف).

أمّا النصّ السابع : فهو لا يتفق من جهة مع رواية أبي العالية التي جئنا بها في عهد أبي بكر وأنّ أبي بن كعب كان قد جمع القرآن على عهد الأوّل.

فإن أريد بالنصّ أنّ عثمان لما نسخ القرآن في المصاحف أرسل إلى ورثة أبي أن يأتوه بمصحفه ، فهذا لا يتفق مع كونه مملياً على زيد وزيد يكتب ومعه سعيد بن العاص يعربه.

ص: 256

وإن قيل بأنَّ أياً كان حياً إلى وقت كتابة المصاحف - وهو غير صحيح - فهل كان أبي يملئ من مصحفه أو من حفظه؟ وعلى كلا التقديرين يكون المصحف الراجح هو مصحف أبي بن كعب وليس بمصحف زيد بن ثابت، أو القول بأنه مصحفهما معاً، فلماذا يحشر زيد مع أبي بن كعب؟ وهل الكاتب بمنزلة المملي؟ والناسخ والمعرب بمنزلة المملي للقرآن؟ وهل يمكن نسبة المصحف إلى الناسخ أو إلى المعروض عليه القرآن والقاري والمعرب؟

أما النص الثامن: فهو صريح بأنَّ القرآن كان قد جمع في قرايطس على عهد أبي بكر، وقد كانت عنده حتى توفي، ثم كانت عند حفصة بنت عمر - زوج النبي (صلى الله عليه وآله) - فأرسل إليها عثمان فأبى أن تدفعها إليه حتى عاهدها ليردنها إليها، فبعثت بها إليه، فنسخها عثمان ثم ردها إليها، فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها، فلم تعطه حتى ماتت، فأخذها من عبدالله بن عمر، فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف مصاحف الأئمة التي أنفذها عثمان إلى الآفاق(1).

فما يعني ما حكاه الزهري عن سالم بن عبدالله: (أنَّ مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها المصحف التي كُتبت فيها القرآن فتأبى حفصة أن تعطية إياها...) فهل كان يرسل إليها قبل طلب عثمان مصحفها أو بعده؟

فإن كان قبل طلب عثمان فلماذا تعطية لعثمان ولا تعطية لمروان؟ 7.

ص: 257

وإذا كان بعد انتهاء عمل عثمان فما يعني إصراره على الوقوف على المصحف تارة أخرى؟ فهل في مصحف حفصة ما يخالف مصحف عثمان، أو في مصحف عثمان ما لا يرضاه مروان؟ ولماذا يشقّ مروان أو يحرق ذلك المصحف في حين لم يشقه أو يحرقه عثمان؟ وهل الموجود بأيدينا هو ما يوافق مصحف حفصة أو ما يوافق مصحف عثمان؟

وهل مسألة حرق المصاحف كانت مسألة سياسية مروانية أم سياسية عثمانية؟

قال الدكتور محبّ الدين عبد السبحان واعظ في هامش تحقيقه لكتاب المصاحف للسجستاني(1) : «وخلاصة الأمر : أنّ عثمان بن عفّان رضي الله عنه أمر بتحريق المصاحف العامّة ، ومروان حرق الصحف التي كتبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت عند حفصة» ، وهذا ما قرّره الحافظ في فتح الباري 9 : 21 ، وانظر : فضائل القرآن لابن كثير 68 ، 77.

وأما النصّ التاسع : فهو حديث موضوع ، لأنّ الصحف المدونة والمجموعة على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) أو المجموعة من بعده لا- ارتباط لها بمصطلح الورق المعلّق ، بل الورق المعلّق يذكّرنا بالمعلّقات السبع وأمثالها في الجاهلية ، والتي كانت تعلّق على الكعبة ، وليس بين تلك وما يريده عثمان من شبه ، وأين كانت تعلّق تلك الأوراق؟ ولماذا يقال لها (المعلّق) ولا 7.

ص: 258

1- انظر هامش المصاحف 1/197.

يقال لها : (الورق المكتوب) أو (المجموع) أو (المطوي)؟! أليس في هذا محاباةً إلى ما يريده عثمان من تحكيم الأسس الأموية؟ ثم لماذا يعطي عثمان أبا هريرة عشرة آلاف؟ وهل أعطاه إياها من بيت المال أو من ماله الشخصي؟ وهل كانت استحقاقاً و عرفاناً لحقه أو لأنه أدخل السرور على قلبه؟

بل ما تعني رواية أبي هريرة لهذا الحديث في عهد عثمان بن عفان وعدم روايته في عهد الشيخين ، هل لكثرة المصاحف في عهد عثمان وندرتها أو قلتها في عهد من سبقه أم لشيء آخر؟ إنها تساؤلات تريد إجابة.

أما النص العاشر : فهو يؤكد على عدة أشياء :

1 - عدم إشراف رسول الله(صلى الله عليه وآله) على ترتيب جميع القرآن ، وأن جمع القرآن الحالي هو من عثمان لا من رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فقال ابن كثير في فضائل القرآن : «... وكان عثمان والله أعلم رتب السور في المصحف وقدم السبع الطوال وثنى بالمئين ... إلى أن يقول :

فُهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقى عن النبي ، وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته ، فإن نكسه أخطأ خطأ كبيراً.

وأما ترتيب السور فمستحب الاقتداء بعثمان ، والأولى إذا قرأ أن يقرأ متوالياً كما قرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين ، وتارة بسبغ

ص: 259

وهل أذاك حديث الغاشية ، فإن فرّق جاز...»(1).

2- إمكان تغيير السور من قبل الصحابي.

3- اعتراض ابن عباس - من علماء أهل البيت عليهم السلام - على عمل عثمان لا قبول أهل البيت عليهم السلام به.

4- وجود كتابة للصحف على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإشرافه على وضع الآيات في السور.

5- ادعاء عثمان بأنه هو الذي لم يكتب البسملة قبل براءة ، مع أننا ذكرنا عن الإمام علي عليه السلام أنّ البسملة لم تنزل في هذه السورة على وجه الخصوص لأنها سورة عذاب.

وأما النصّ الحادي عشر : ففيه دعاوى كثيرة ، منها :

1 - نهى الإمام عليّ من انتقاد عثمان في حرقه للمصاحف.

2 - وإقراره لفعله وأنه ما فعل إلاّ عن رأي منّا جميعاً.

3 - وقوله : (والله لو وليت لفعلت الذي فعل).

وكلّها دعاوى غير صحيحة ، لأنّ نفس الأمة ثارت عليه لإحداثاته ، ومن أهمّها إحراقه للمصاحف ، وقد سُمّي ب- : (حرق المصاحف) ، فانظر إلى تاريخ الطبري وغيره لتقف على حقيقة الأمر.

كما أنّ قوله : (إنّه ما فعل الذي فعل إلاّ عن ملاء منّا جميعاً). فهو الآخر 3.

ص: 260

1- فضائل القرآن لابن كثير : 73.

غير صحيح ، إذ كيف يكون الفعل ناشئاً عن رأي لهم جميعاً ، ونحن نرى خروج الصحابة عليه وتجويزهم قتله حسبما سنذكره بعد قليل .

نعم ، قد تصحّ الفقرة الأخيرة منه والتي مفادها جمع الأمة على قراءة واحدة وهي قراءة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فهذا ما يتمناه كلّ مسلم ، أمّا تجويز حرق المصاحف فلا يجيزه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ولا يرضى به غيره من الصحابة الأجلاء .

بقي شيء : وهو التأكيد على عدم صحّة ادّعاء عثمان بأنّ من اعتقد أنّ قراءته خير من قراءة غيره من الصحابة فإنّ ذلك يكاد أن يكون كفراً ، لأنّه يخالف ما رووه عن رسول الله من أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ، وتجويزهم قراءة الآيات ما لم تُصيّر آية رحمة آية عذاب وأمثالها .

أمّا النصّ الثاني عشر : فهو كذب يقيناً ، لأنّه لو أراد محو المصاحف لأماثها بالماء ، لأنّ كلام الله لا يحرق ، وأنّ رسول الله لم يسمح بحرق التوراة المحرّفة فكيف يسمح الإمام بحرق القرآن المنزل من السماء على صدر النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله)؟!

وقد قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن حين مناقشته للحلولية والحشوية ما يشير إلى أنّ عثمان بن عفّان بحرقه للمصاحف قد فارق الدين ، وإن كان هو بصدد الدفاع عنه وأنّ حرقه للمصاحف ليس حرقاً لكلام الله! لكنّه لم يتمكّن أن ينكر بأنّ ذلك إهانة وتعدّ ، فقال :

«يقال لهم [أي للحلولية والحشوية] : ما تقولون في كتاب الله تعالى ،

أيجوز أن يذاب ويمحى ويحرق؟ فإن قالوا: نعم، فارقوا الدين»(1).

أمّا النصّ الثالث عشر والرابع عشر: فقد وضّحناهما فيما سبق، ولا أدري كيف أعجب الصحابة حرق المصاحف ولم ينكر أحد منهم على عثمان، ونحن نرى أهل مصر يعترضون عليه لتمزيقه المصاحف، وقد سمّوه ب-: حرّاق المصاحف).

أمّا النصّ الخامس عشر: فإذا كان صحيحاً فلماذا لا يأخذ عثمان بقراءة ابن مسعود الهذلي، وكتابة فلان الثقفى، بل يترك الأمر إلى زيد الأنصاري و...!

بل ما تعني هاتان الكلمتان هذيل وثقيف عنده؟!

وأمّا النصّ السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر: فهو لا يستقيم، وقد تكون مثلبة للخليفة وليست بمنقبة، لأنّه لم يرفع ذلك النزر القليل من اللّحن في المصحف ولم يعيّن لجنة لرفعه، وقد تركه للعرب كلّ العرب من زمانه إلى زماننا هذا لتُغيّر فيه، ولم يحدّده بالصحابة والتابعين القريبين إلى عصر النصّ، وهذا ما وضّحناه في الصفحات اللاحقة. 5.

ص: 262

1- الجامع لأحكام القرآن 1/55 وانظر الحديث في صحيح مسلم 4/2197 ح 2865.

وأما النصّ التاسع عشر : فهو يشابه النصّ الخامس عشر ، وهو يشير إلى عدم تحقّق أمنية عثمان في الجمع ، وأنّه لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا اللّحن ، والخليفة بعدم إناطته الأمر بهاتين القبيلتين يدين نفسه من حيث لا يشعر ، لأنّه هو الذي قصّر في تحقيق هذه الأمنية.

وأما النصّ العشرون : فليس فيه ما يستحقّ التعليق عليه.

توحيد المصاحف :

المصحف العثماني والأحرف السبعة :

إنّ توحيد المسلمين على قراءة واحدة هي أمنية كلّ مسلم ، وهدفٌ مقدّس يرجوه كلّ الصحابة ، وخصوصاً بعد توسّع الاختلاف بينهم في القراءات ، إذ عرفت بأنّ هذا الاختلاف كان سببه الخليفة عمر بن الخطّاب ، حيث روّج فكرة الأحرف السبعة وسمح بالقراءة بأيّ شكل كان ما لم تصبح آية رحمة آية عذاب ، مع اتّخاذه سياسة عدم توحيد القراءات وكتابة المصحف الإمام ، قال بهذه الرؤية ومدرسة أهل البيت عليهم السلام خالفته ، أو قل كذّبه ، لأنّ القرآن نزل من عند الواحد على رجل واحد ولسان واحد ، دلالة على عدم رضاهم بتعدّد القراءات ، ولأنّ الاختلاف بين المسلمين في القراءة لا يمكن تصوره على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنّه (صلى الله عليه وآله) كان قد أقرّاهم القرآن كما أنزل عليه (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) فما كان يتجاوز عشر آيات

ص: 263

حتى يعلمهم إياها ، وقد عيّن جمعاً من الصحابة لإقرائهم ، كما أنّه كان يحب أن يسمع قراءتهم ، كلّ ذلك دقّة في الضبط.

أمّا توحيد المصاحف في عهد عثمان ، فقد اشتهر في كتب التاريخ بأنّ حذيفة بن اليمان هو الذي اقترح على عثمان توحيد المصاحف ، وفي بعض النصوص أنّه قال لسعيد بن العاص - بعد الرجوع من غزوة في بقاع أرمينية وأذربيجان - : «لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً ، لئن ترك الناس ليختلفنّ في القرآن ثمّ لا- يقومون عليه أبداً ، قال : وماذا؟ قال : رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أنّ قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم ، وأنّهم أخذوا القراءة عن المقداد ، ورأيت أهل دمشق يقولون : إنّ قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم ، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك ، وأنّهم قرؤوا على ابن مسعود ، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك ، وأنّهم قرؤوا على أبي موسى ، ويسمّون مصحفه (لُباب القلوب). فلَمّا وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذّروهم ما يخاف ، فوافق أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) وكثير من التابعين.

وقال له أصحاب ابن مسعود : ما تنكر؟ ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حذيفة ومن وافقه ، وقالوا : إنّما أنتم أعراب ، فاسكتوا فإنكم على خطأ. وقال حذيفة : والله لئن عشت لآتينّ أمير المؤمنين ولأشيرنّ عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك.

فأغلظ له ابن مسعود ، فغضب سعيد وقام ، وتفرّق الناس ، وغضب

حذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى...»(1) إلى آخر الخبر.

ويروي ابن داوود : أنّ ناساً كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية ، فإذا قرأها قال : فاتّي أكفر بهذه. ففشا ذلك في الناس واختلفوا في القرآن»(2).

إذن ، فالمصاحف كانت موجودة على عهد الشيخين ، وقد كان الاختلاف مشهوداً بينها في العصور المتأخرة عن عصر الرسول(صلى الله عليه وآله) ، كما أنّ ثقافة كتابتها كانت موجودة أيضاً ، حتى قيل بأنّ ابن مسعود كان يملّي المصاحف في الكوفة عن ظهر قلب في خلافة عمر(3) ، وأنّ أهل الشام سافروا إلى المدينة في خلافة عمر ليُكتب لهم مصحفٌ(4) ، وأنّ أبا الدرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ومعهم المصحف الذي جاء به أهل دمشق ليعرضوه على أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعليّ وأهل المدينة(5).

ويروي أبو عبيد : «أنّ عمر بن الخطّاب وجد مع رجل مصحفاً قد كتبه بقلم دقيق ، فقال : ما هذا؟ فقال : القرآن كلّهُ. فكره ذلك وضربه ، وقال : عظّموا كتاب الله ، قال : وكان عمر إذا رأى مصحفاً عظيماً سرّ به»(6).

فأمنية جمع المسلمين على مصحف واحد هي أمنية كلّ مسلم ، وهي مشروعة ، وخصوصاً بعد الوقوف على اختلافهم في القراءات ، لكنّ السؤال : ف.

ص: 265

1- انظر الكامل في التاريخ 3/8 في ذكر غزو حذيفة وأمر المصاحف.

2- المصاحف 1/206 / ح 80 ، تاريخ المدينة 2/121 / ح 1725.

3- انظر المصاحف 2/509 / ح 412.

4- نفس المصدر 2/562 / ح 521.

5- نفس المصدر 2/559 / ح 516.

6- فضائل القرآن/398 باب كتاب المصاحف.

هل وُفق الخليفة عثمان بن عفّان لتحقيق هذه الأمنية؟ أم أنه بمنهجية الخاطئة واعتماده على صغار الصحابة ومشكوكيهم - كابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمان بن الحارث وزيد بن ثابت - وتركه الأخذ بمصاحف عليّة الصحابة - أمثال: ابن مسعود وعليّ بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب وأبي موسى الأشعري - قد أثر على عمله وخدش فكرة توحيد المصاحف بين المسلمين؟

ولأطرح السؤال بالصيغة التي طرحها الزرقاني في مناهل العرفان ، إذ قال : «هل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم لها وجودٌ في المصاحف العثمانيّة [أم أنّها حُصرت في حرف واحد اعتمده عثمان]؟⁽¹⁾ ، فقال :

ذهب جماعةٌ من الفقهاء والقراء المتكلمين إلى أنّ جميع هذه الأحرف موجودةٌ بالمصاحف العثمانيّة ، واحتجّوا بأنّه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء منها ، وأنّ الصحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانيّة من الصحف التي كتبها أبو بكر ، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك ، ومعنى هذا أنّ الصحف التي كانت عند أبي بكر جمعت الأحرف السبعة ، ونقلت منها المصاحف العثمانيّة بالأحرف السبعة كذلك.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنّ المصاحف العثمانيّة مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط ، ة.

ص: 266

1- أي أنّ الزرقاني أراد أن يطرح ما قاله القوم في مصحف أبي بكر أراد أن يطرحه في مصحف عثمان وأنّه جمع طبقاً للأحرف السبعة.

جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي (صلى الله عليه وآله) على جبريل متضمنة لها.

وذهب ابن جرير الطبري ومن لفّ لفّه إلى أنّ المصاحف العثمانية لم تشتمل إلا على حرف واحد من الحروف السبعة ، وتأثروا في هذا الرأي بمذهبهم في معنى الحروف السبعة ، وما التزمه فيه من أنّ هذه السبعة كانت في صدر الإسلام أيام الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وخلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان ، ثم رأت الأمة بقيادة عثمان أن تقتصر على حرف واحد من السبعة جمعاً لكلمة المسلمين ، فأخذت به وأهمل كلّ ما عداه من الأحرف الستة ... لكنّ الزرقاني بتّ برأيه وقال :

إنّ المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلّها ، ولكن على معنى أنّ كلّ واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلاً أو بعضاً ، بحيث لم تخل المصاحف من مجموعها على حرف منها رأساً.

ثمّ بيّن الوجوه السبعة في القرآن وتهجّم على الذين قالوا :

بأنّ (الباقى الآن حرف واحد من السبعة التي نزل عليها القرآن ، أمّا الستة الأخرى فقد ذهبت ولم يعد لها وجود ألبتة ... وادّعوا إجماع الأمة على أن تثبت على حرف واحد ، وأن ترفض القراءة بجميع ما عداه من الأحرف الستة ، وأنّى يكون لهم هذا الإجماع ولا دليل عليه؟ هنالك احتالوا على إثباته بورطة ثالثة ، وهي القول بأنّ استنساخ المصاحف في زمن عثمان كان إجماعاً من الأمة على ترك الحروف الستة والاقتصار على حرف واحد هو الذي نسخ عثمان المصاحف عليه ...).

ثم وثق كلامه بطرح سؤال :

كيف يوافق أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ضياع ستة حروف نزل عليها القرآن دون أن يُبقوا عليها ، مع أنها لم تُنسخ ولم تُرفع؟ وفي حين أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قرّر بقوله وفعله أنه لا يجوز لأحد أياً كان أن يمنع أحداً أياً كان من القراءة بحرف من السبعة أياً كان ، فقد صوّب قراءة كل من المختلفين ، وقال لكل : (هكذا أنزلت) ، وضرب في صدر أبي بن كعب حين استصعب عليه التسليم بهذا الاختلاف في القراءة ...

وقصارى القول أننا نربأ بأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يكونوا قد وافقوا أو فكروا فضلاً عن أن يتأمروا على ضياع أحرف القرآن الستة دون نسخ لها ، وحاشا عثمان أن يكون قد أقدم على ذلك وتزعمه!

وكيف ينسب إليه هذا؟ والمعروف أنه نسخ المصاحف من الصحف التي جمعت على عهد أبي بكر قبل أن يدبّ النزاع في أقطار الإسلام بسبب اختلاف حروف القراءة في القرآن ، فكانت تلك الصحف محتملةً للأحرف السبعة جميعاً ، وموافقةً لها جميعاً ، ضرورة أنه لم يحدث وقتئذ من النزاع والشقاق ما يدعو إلى الاختصار على حرف واحد في رأيهم ، ولم يثبت أن الصحابة تركوا من الصحف المجموعة على عهد أبي بكر حرفاً واحداً فضلاً عن ستة حروف ، ولو كان ذلك لنقل إلينا متواتراً ؛ لأنه ممّا تتوافر الدواعي على نقله تواتراً.

ثم كيف يفعل عثمان ذلك وهو الذي عرف أن علاج الرسول لمثل هذا النوع الذي دبّ في زمانه كان بجمع الناس وتقريرهم على الحروف السبعة ،

لا بمنعهم عنها كلاً ولا بعضاً.

ثم كيف يفعل عثمان ذلك ، وتوافقته الأمة ، ويتم الاجتماع؟ ثم يكون خلاف في معنى الأحرف السبعة مع قيام هذا الإجماع؟ أي كيف تُجمع الأمة على ترك ستة أحرف وإبقاء حرف واحد؟ ثم يختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة على أربعين قولاً ، ويكادون يتفقون - رغم خلافهم هذا - على أن الأحرف السبعة باقية ، مع أن الإجماع حجة عند المسلمين ، وبه ينجلي ظلام الشك عن وجه اليقين!!

ولنفرض جدلاً أن نزاع المسلمين في أقطار الأرض أيام خلافة عثمان قضى عليه أن يجمع المسلمين على حرف واحد في القراءة ، فلماذا لم تسمح نفسه الكريمة بإبقاء الستة الأحرف الباقية للتاريخ لا للقراءة؟ مع أن الضرورة تقدّر بقدرها ، وهذه الستة الأحرف لم تنسخ لا تلاوة ولا حكماً حتى تذهب بجرّة قلم كذلك ، ثم يبخل عليها بالبقاء للتاريخ وحده في أعظم مرجع وأقدس كتاب ، وهو القرآن الكريم ، على حين أن الصحابة حفظوا للتاريخ آيات نسخت تلاوتها ونُسخت أحكامها جميعاً ، وعلى حين أنهم حفظوا قراءات شاذة في القرآن ، ثم نُقلت إلينا وكتب لها الخلود إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم ، بل نقلوا إلينا أحاديث منسوخة ، وتناقل العلماء أحاديث موضوعة ، ونصّوا على حكم كل منها وعلى إهمال العمل بها»(1).

قال الزرقاني (ت 1369 هـ - / 1948 م) : «بكل ذلك كي يمهد للقارئ ف.

ص: 269

1- مناهل العرفان 1/118 - 125 ، وانظر كلام السيوطي في الاتقان 1/130 (تنبيه) آخر مبحث اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف.

شرعية اختلاف مصاحف عثمان المرسله إلى الأنصار ، وأنها كانت مقصودة للحفاظ على الأحرف الستة الباقية ، وأنها امتداد للحفاظ على الأحرف السبعة التي رجاها عثمان من أخذه بمصحف أبي بكر ، وأنه يعني الاختيار الذي سمح به رسول الله للأمة في الأخذ به ، لكن كلامه باطل ، يشهد على بطلانه : الشهرة بين المسلمين بأنه جمعهم على قراءة زيد بن ثابت ، وأن ابن مسعود وغيره اختلفوا معه لهذا الغرض .

فلو كانت قراءة ابن مسعود وأمثاله مما يرتضيه الخليفة ، فما هو السبب للمعارضة مع جمع عثمان؟

ألم يكن سبب اعتراض ابن مسعود على عثمان هو تبنيّه لقراءة زيد فقط وترك مصحف ابن مسعود وقراءته؟ وألم يقولوا في سبب تبني عثمان لحرف زيد هو حضوره العرضة الأخيرة؟ وألم يؤكد ابن مسعود بأنه هو الذي حضر العرضة الأخيرة قبلاً لذلك ، وألم وألم؟!!

ولكي تعرف الحقيقة إليك بعض الروايات والأقوال في تبني عثمان لحرف واحد من الأحرف السبعة لا جميعها :

أخرج ابن شبة (ت 262 هـ) ، عن توبة بن أبي فاختة ، عن أبيه ، قال : بعث عثمان إلى عبد الله أن يدفع المصحف إليه ، فقال : ولم؟ قال : لأنه كتب القرآن على حرف زيد ...»(1).

وفي (المقنع) للداني (ت 444 هـ) : «فجمع عثمان الناس على هذا 1.

ص: 270

1- تاريخ المدينة 2/124 / ح 1741.

المصحف ، وهو حرف زيد»(1). وفي آخر : «وعثمان الذي جمع المصاحف على مصحف واحد»(2).

وقال أيضاً في سبب اختلاف مرسوم المصاحف :

«إنَّ أبا بكر كان قد جمعه أولاً على السبعة الأحرف التي أذن الله عزَّ وجلَّ للأمة في التلاوة بها ، ولم يخصَّ حرفاً بعينه ، فلمَّا كان زمان عثمان ووقع الاختلاف بين أهل العراق وأهل الشام في القراءة وأعلمه حذيفة بذلك ، رأى هو ومن بالحضرة من الصحابة أن يجمع الناس على حرف واحد من تلك الأحرف وأن يُسقط ما سواه ، فيكون ذلك ممَّا يرتفع به الاختلاف ويوجب الاتِّفاق ، إذ كانت الأمة لم تؤمر بحفظ الأ-حرف السبعة ، وإنَّما خُيِّرت في أيِّها شاءت لزمته وأجزأها ، كتخييرها في كفَّارة اليمين بالله بين الإطعام والكسوة والعتق ، لا أن يجمع ذلك كلُّه ، فكذلك السبعة الأحرف»(3).

وقال أبو عمرو : «... وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ السبعة أحرف التي أُشير إليها في الحديث ، ليس بأيدي الناس فيها إلاَّ حرف زيد بن ثابت الذي جمع عثمانُ عليه المصاحف»(4).

ونقل الزركشي (ت 794 هـ) كلام المحاسبي ، وفيه : «ولمَّا احتيج إلى جمع الناس على قراءة واحدة ، وقع الاختيار عليها في أيام عثمان ، فأخذ ر.

ص: 271

1- المقنع : 6.

2- المقنع : 8.

3- المقنع : 120.

4- البرهان 1/222 النوع الحادي عشر.

ذلك الإمام ونسخ في المصاحف التي بعث بها إلى الكوفة ، وكان الناس متروكين على قراءة ما يحفظون من قراءاتهم المختلفة حتى خيف الفساد ، فجمعوا على القراءة التي نحن عليها. قال : والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك ، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام «...»(1).

وعلل الطبري الأمر بشكل آخر ، فقال :

«فإن قال : فما بال الأحرف الستة غير موجودة إن كان الأمر في ذلك

على ما وصفت وقد أقره رسول الله(صلى الله عليه وآله) أصحابه وأمر بالقراءة بهنّ وأنزلهنّ الله من عنده على نبيّه(صلى الله عليه وآله)؟ ، أنسخت فزُفعت؟ فما الدلالة على نسخها ورفعها؟ أم نسيتها الأمة؟ فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه ، أم ما القصة في ذلك؟

قيل له : لم تنسخ فترفع ، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها ، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأيّ تلك الأحرف السبعة شاءت ، كما أمرت إذا هي حنثت في يمين وهي موسرة أن تكفر بأيّ الكفارات الثلاث شاءت ، إما بعتق أو إطعام أو كسوة ، فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير بأيّ الثلاث شاء المكفر كانت مصيبة حكم الله مؤدية في ذلك الواجب عليها من حقّ الله ، ف.

ص: 272

1- البرهان 1/239 النوع الثالث عشر : نسخ القرآن في المصاحف.

فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته وخُيِّرَت في قراءته بأيّ الأحرف السبعة شاءت ، فرأت لعلّة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد وقراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية(1) ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أُذن له في قراءته به.

فإن قال : وما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف واحد دون سائر الأحرف الستة الباقية؟...»(2).

إلى أن يقول :

«وجمعهم على مصحف واحد أو حرف واحد ، وحرقت ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه ، وعزم على كلّ من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه ، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ، ورأت أنّ فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فتُركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعةً منها له ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملّتها ، حتّى دُرست من الأمة معرفتها وتعقّت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعُقُوق آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها(3) ، من غير جحود منها صحّتها نة

ص: 273

1- كيف يرفض القراءة بالأحرف الستة وهي مسموحة من قبل رسول الله(صلى الله عليه وآله) حسبما يقولون.

2- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري 1/20 طبعة دار المعرفة.

3- إنّ السياسة هي التي أعفتها ، مع أنّ بعض الناس كانوا يقرؤون بها في الأزمنة

وصحة شيء منها، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها، فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية»(1).

كانت هذه بعض النصوص، والمتروك منها أكثر من هذا بكثير، فعثمان ابن عفان كان يريد أن يحلّ المشكلة باعتماده حرفاً، وهو حرف زيد، لكنّه وقع في مشكلة أكبر منها، وهي مخالفة قراءة زيد مع قراءات الآخرين، أو قل عدم قبول الآخرين بقراءته، لأنّهم أعلم وأقدم إسلاماً منه، فادّعى الحكّام حينئذ بأنّ زيداً حضر العرضة الأخيرة رفعاً لهذا الاختلاف وترجيحاً لقراءته على قراءات الآخرين، لكنّ ابن مسعود وغيره كانوا يرون أنّهم هم الذين حضروا العرضة الأخيرة، وبمعنى آخر: أنّ دعوى حضور العرضة الأخيرة لزيد بن ثابت كان في الإطار الذي احتموا به، وقد نُقض من قبل ابن مسعود، كما نقض باستمرار الخلاف بين المسلمين في القراءات القرآنية بعد جمع عثمان للمصاحف.

إنّ هذا التفسير وهذه الأقوال هي التي سمحت للمستشرق جون.ة.

ص: 274

1- جامع البيان في تفسير القرآن 1/22 طبعة دار المعرفة.

جيلكرايست(1) أن يقول : «إنّ الغاية الحقيقية من فرض مصحف زيد هو القضاء على السلطة السياسية التي كان يتمتع بها بعض قراء القرآن في الأمصار التي كان عثمان يفتقد فيها شيئاً من المصادقية بسبب السياسة التي كان ينتهجها ، حيث إنّ كان يعين أقرباءه من بني أمية أعداء محمّد كعمّال على حساب الصحابة الذين ظلوا [أوفياء] لمحمّد طيلة حياتهم»(2).

ثمّ جاء جيلكرايست ليردّ كلام أحد العلماء المسلمين الذين اعتبروا الهدف من إرجاع الصحابة إلى مصحف زيد هو توحيدهم على قراءة واحدة ، فقال :

«لو كان الخلاف في القراءات فهذا مرجعه النصّ المنطوق ، ولا يظهر في النصّ المكتوب ، لكنّ عثمان أمر بإحراق نصوص مكتوبة خاصة ، وإنّ الفترة التي جمع فيها القرآن لم يكن هناك تشكيل للكلمات ولا حروف مقطعة» .2.

ص: 275

1- ردّ أقوال هذا المستشرق ثلاثة من علماء أفريقيا الجنوبيّة ، والذين ردّوه هم : 1 - كوكب الصديق في مقال له : (قول الداعية المسيحي الكذاب : القرآن ليس كلام الله) والمطبوع في مجلّة البلاغ سنة 1986 . 2 - عبد القادر عبد الصمد في مقال : (كيف جمع القرآن) ، طبع سنة 1986 . 3 - مولانا ديزاي في مقال : (القرآن فوق كلّ اتّهام) طبع سنة 1987 . فالمستشرق طبع كتابه تاريخ القرآن History of Quran the textual سنة 1981 ، ثمّ نشر بعد ذلك كتاباً آخر سنة 1984 بعنوان (دلائل أو شواهد على جمع القرآن Evidences for the collection of Quran).

2- مجلّة المصباح العدد الخامس ربيع 1432 / 2011 ص 122.

ثم يصل إلى نتيجة بحثه ويقول: «إن مشروع عثمان صحيح، وإنه جمع المسلمين على نص قرآني واحد، لكنه سبب ضياع الكثير من المصاحف الأخرى التي لها نفس مصداقية مصحف زيد وكانت شائعة ومقبولة عند فئة عريضة من المسلمين، بدليل أن المسلمين عابوا على عثمان إسقاطه المصاحف الأخرى مع ما لها من الموثوقية والشرعية ما لم يكن يتمتع به مصحف زيد»⁽¹⁾.

وعليه فلو كان جمع عثمان هو ما أجمع عليه المسلمون في عهده وقد كان عن ملئهم، فلا معنى لانتشار الاختلاف بينهم من بعده، إلا أن نقول بأن منهجيته هي التي أدت إلى ذلك، فقد قال ابن الجزري (ت 833 هـ) بعد أن أتى بخبر ابن عباس الناص على أن ابن مسعود هو الذي شهد العرضة الأخيرة:

«... فشهد عبد الله يعني ابن مسعود ما نُسخ منه وما بُدِّل، فقراءة عبد الله الأخيرة؛ وإذ قد ثبت ذلك فلا إشكال أن الصحابة كتبوا في هذه المصاحف ما تحقَّقوا أنه القرآن، وما علموه استقرَّ في العرضة الأخيرة، وما تحقَّقوا صحته عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ممَّا لم ينسخ، وإن لم تكن داخلية في الأخيرة؛ ولذلك اختلفت المصاحف بعض اختلاف، إذ لو كانت العرضة الأخيرة فقط لم تختلف المصاحف بزيادة ونقص وغير ذلك»⁽²⁾.

وعليه، فإنَّ انتخاب حرف زيد من بين الأحرف قد وسَّع الخلاف بين 2.

ص: 276

1- المصدر السابق.

2- النشر في القراءات العشر 1/32.

الصحابة ، لا أنه قلله كما يقولون ، لأن كل واحد من الصحابة يكتسب شرعية مصحفه من النبي (صلى الله عليه وآله) ويدعي أن قراءته هي القراءة المتواترة عنه؟

عثمان ودعوى اللحن في القرآن :

والأهم من ذلك أن زيد بن ثابت كان من الأنصار ، والأنصار رُموا باللحن في كلامهم من قبل عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان أيضاً قال : «إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها».

فلو كان عثمان قد وقف على وجود اللحن في المصحف - وقد وقف - كان عليه أن يرفعه ، لا أن يتركه للعرب كي يقوموه ، أو أن يعطي لأمثال الحجاج الجرأة كي يغيروا ما في المصحف ، بتبرير وجود اللحن فيه.

فقول عثمان (أرى فيه لحناً) ، وعدم تحديد مظان وجوده في القرآن ، يعني إعطاء صك مفتوح للعرب في أن يغيروا جميع القرآن لا أن يغيروا مفردات خاصة فيه.

فاللحن في القرآن لا يقصد به اللهجة (1) مطلقاً كما يقولون ، بل هو الخطأ في الإعراب كما قاله سعيد بن جبير :

«في القرآن أربعة أحرف لحن : (والصابئون) و (والمقيمين) و (فأصدق) ا.

ص: 277

1- كان نقراً (لَا يَصْدُرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً) لا يضرركم كيدهم ، أو (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) إِنَّا انطيناك الكوثر ، أو (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) إِذَا بَحْتَر مَا فِي الْقُبُورِ ، و (حَتَّى حِينٍ) عَتَّى حِينٍ ، وأمثالها.

وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) و (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ كَذَّابٌ)»(1).

فقوله تعالى في سورة المائدة الآية 69 : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) يجب أن تكون (الصابئين) بالنصب ، وقد جاءت هذه الآية بالنصب في سورة الحج الآية 17 : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) ، فما الذي أدى إلى نصبها في سورة الحج ورفعها في سورة المائدة؟ كما أنها جاءت في سورة البقرة الآية 62 : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) بالنصب.

وهكذا هو حال الآية 162 من سورة النساء ، والتي أولها : (لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) ، إذ تجب أن تكون : (والمقيمون) بالرفع ، لكنهم عللوا النصب بأنه على الاختصاص ، أي : وأمدح المقيمين ، وهو تعليلٌ عليلٌ .

وقد سئل أبان بن عثمان : «كيف صارت (لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) 1.

ص: 278

1- أخرجه ابن أبي داود في المصاحف 1/230 / ح 111.

مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ما بين يديها وما خلفها رفع وهي نصب؟

قال : من قِبَلِ الكُتَّابِ ، كُتِبَ ما قَبْلَها ، ثم قال : ما أَكْتُبُ؟ قال : اكتب المقيمِينَ الصلاة. فكتب ما قيل له«(1).

«كما سئلت عائشة عن اللَّحْنِ الوارد في قوله : (إِنَّ هَذَا نِ لَسَّ احِرَّانِ) ، وقوله عَزَّ من قائل : (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ، وقوله عَزَّ وجل : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ) ، فقالت : يابن أخي هذا من عمل الكُتَّابِ ، أخطؤوا في الكتاب«(2).

فكان يجب أن تقرأ : (إِنَّ هَذِينَ لِساحِرانِ) ، مثلما قرأ به أبو عمرو ويعقوب.

ونحوه قوله تعالى في سورة المنافقين الآية 10 : (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) ، يراد بذلك أنه يجب أن يكون (فأصَّدَّقَ وأكون من الصالحين) ، وهي قراءة أبي عمرو.

العرب وتصحيحها للرسم العثماني :

هذا وقد علَّل الداني (ت 444 هـ) - بعد تضعيفه ما روي عن عثمان من وجود اللَّحْنِ في القرآن ، وأنَّ العرب ستقوم المصحف - بأنَّ المقصود من 1.

ص: 279

1- المصاحف 1/233 / ح 112.

2- مناهل العرفان 1/271.

الخبر بأنَّ العرب تقرأ الرسم العثماني صحيحاً وإن كان مكتوباً خطأ(1)، إذ قال :

«قلت : هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة ولا يصحَّ به دليل ، من جهتين :

إحدهما : أنَّه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل ، لأنَّ ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئاً ولا رأياه ، وأيضاً فإنَّ ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان ؛ لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ومكانه من الإسلام وشدة اجتهاده في بذل النصيحة واهتمامه بما فيه الصلاح .»

ص: 280

1- وهذا ما قالوه في النسخة المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وفيه : (كتبه علي بن أبو طالب) ، وأتوا بشواهد عليه ، منها قول الصفدي كان بعض الناس يكتبون : علي بن أبو طالب ، لكن كانوا يتلفظونه علي بن أبي طالب ، انظر الوافي بالوفيات 1/51 فصل في الهجاء. وقال الكتاني في (التراتب الإدارية 11/155) : بأنَّ قريش كانت لا تغيّر تلفظ الكلمة في الرفع والنصب والجر ، يعني كانت تقرأ : أبو طالب ، تبت يدا أبو لهب. وقال ابن الأثير في (النهاية 1/20) مادة أبا والزمخشري في الفائق 1/14 في حرف الهمزة مع الباء في حديث وائل بن حجر : من محمّد رسول الله إلى المهاجر بن أبو أمية. وقال الدكتور حميدالله حيدر آبادي : رأيت في جنوب جبل سلع مكتوباً : أنا علي بن أبو طالب ، وهذا يدلُّ على أنَّ الأعلام المركبة (كأبي طالب) كان يُعامل معها كالأعلام المفردة. لكنني لا أقبل هذا الكلام وأراه مجانفاً للحقيقة ، وقد وُضع لتصحيح لحن الصحابة ، وعلي بن أبي طالب منه براء.

للأمة، فغير ممكن أن يتولّى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأختيار الأتقياء الأبرار نظراً لهم ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم، ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنًا وخطأً يتولّى تغييره من يأتي بعده ممّن لا شكّ أنّه لا يدرك مداه ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده، هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله ولا يحلّ لأحد أن يعتقده.

فإن قال: فما وجه ذلك عندك لو صحّ عن عثمان؟

قلت: وجهه أن يكون عثمان أراد باللّحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم، إذ كان كثير منه لو تلي على حال رسمه لانقلبت بذلك معنى التلاوة وتغيّرت ألفاظها، ألا ترى قوله: (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ)، (وَلَا وَضَعُوا)، (وَمِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ)، و (سَأُورِيكُمْ)، و (الرَّبُّوَا)، وشبهه ممّا زيدت فيه الألف والياء والواو في رسمه، لو تلاه تال لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخطّ لصيرّ الإيجاب نفيًا ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله، فأتى من اللّحن بما لا خفاء به على من سمعه مع كون رسم ذلك كذلك جائزاً مستعملاً، فأعلم عثمان إذ وقف على ذلك أنّ من فاته تمييز ذلك وعزبت معرفته عنه ممّن يأتي بعده سيأخذ ذلك عن العرب، إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم، فيعرفونه بحقيقة تلاوته ويدلّونه على صواب رسمه، فهذا وجهٌ عندي، والله أعلم»(1).5.

ص: 281

1- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار: 115.

إنّ هذا الوجه المذكور مجرد فرض واحتمال ، وكلام عثمان أعمّ منه وأشمل.

ثمّ إنّ الإشكال باق على حاله ؛ إذ لماذا لا يُصحّح الرسم بشكل بعيد عن الالتباس؟ خصوصاً في المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار!

إنّ القرآن هو كتاب الله للمسلمين جميعاً ولا يختصّ بالعربي ، فلو قبلنا كلامك في العربي فماذا تقول في الذي لا يعرف بحقيقة تلاوته اليوم والذي يقرأ القرآن على الإملاء الجديد؟ وحتى أنّ قراءة الهندي والفارسي والإنجليزي القرآن بالرسم العثماني تربكه لأنّه يرى زيادة في (لأذبحنه) لا يراها في (لأعذبنه)؟

بلى ، إنّ الرسم العثماني القديم قد يغيّر معنى بعض الألفاظ ، كما تراه في كلام حكاة الباري عن تهديد سليمان للهدد في قوله : لأذبحنّه والتي وردت بأداتي التوكيد : لام القسم ونون التوكيد الثقيلة ، تقرأها في المصحف الراجح اليوم : (لأأذبحنّه)(1) ، بصورة نفي الذبح لا تأكيده ، مع أنّ قوله تعالى : (لأعذبنّه) مرسومة حسب النطق تماماً بأداتي توكيدها ، فما السبب في اختلاف هذين الرسمين وتناقض هاتين الكلمتين؟! وما هي حجة القراء والمتمسكين بالرسم القديم في هذا؟

فإذا كانت تُقرأ (لأذبحنّه) ، فلماذا تُكتَب : (لأأذبحنّه)؟ وما الفرق بينها 1.

وبين (لَاَعْدَابَهُ) القرآنية، إنهم قالوا في جواب هذا الإشكال: إنه إشارة إلى أن الذبح لم يحصل، فجوأنا أن التعذيب لم يحصل أيضاً، فما الفارق بينهما؟

كما نرى أن الرسم القديم يُلبس الأمر على القارئ، وخصوصاً بعد علمنا بعدم تنقيط المصاحف على عهد عثمان.

فالقارئ لا يمكن أن يفرّق بين لفظة (يَا صَالِح) ولفظة (يَصْلِح)، أو بين (لَيْسُوا) و (لَيْسُوا)، أو بين (صَافَات) و (صَفَّت)، وأمثالها.

ومثلها كلمة (عَتَوَا)، فتارةً تكتب مع ألف (1) وأخرى بغيرها (2)، مع أن كلمتي (أَتَوْا) و (دَعَوْا) قد وردت في السورة نفسها مع ألف (3)، فما المبرر في كتابتها في الآية 21 من سورة الفرقان بدون ألف، وكتابتها في الآية 77 من سورة الأعراف مع الألف؟

بل ما الداعي لإثبات ألف بعد الواو في سورة فاطر (يَدْعُوا حِزْبَهُ) مع أنها ليست بواو جماعة ولا داعي لزيادتها، في حين تحذف الألف من الآية 61 من سورة البقرة: (وَبَاءٌ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ)، ومن الآية 116 من سورة الأعراف: (وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)، والآية 51 من سورة الحج، والخامسة من سورة سبأ: (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ)، مع أنها جاءت بصيغة الجمع، والتي يجب أن تكون مع الألف. .

ص: 283

1- سورة الأعراف: 77 (وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ)، سورة الأعراف: 166 (فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ)، سورة الذاريات: 44 (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ).

2- سورة الفرقان: 21 (وَعَتَوْا عُنُوتًا كَبِيرًا).

3- سورة الفرقان: 13 (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا)، سورة الفرقان: 40 (أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ).

وقد تجيء كلمة (يمح) تارةً بدون الواو (1) وأخرى معها (2)، أو (شيء) و (لشيء) - بفتح اللام - فإنها تكتب في جميع مواضع المصحف بغير ألف، بخلاف (لشيء) - بكسر اللام - ، فتارةً تكتب بغير ألف (3) وأخرى معها (4).

ونحوه (نعمة الله)، فتارةً تكتب بالتاء المربوطة (5) وأخرى بالتاء المبسوطة (6)، ومثله (سنة) (7)، و (جنة) (8)، و (لعنة) (9).

فلماذا تكتب (امرات عمران) و (بقيات الله)، أو (فطرت الله)، أو (شجرت الزقوم)، أو (مغصيت الرسول)، أو (رحمت الله) بالتاء المبسوطة، في حين نرى هذه الكلمات تكتب بالتاء المربوطة في أماكن أخرى، بل لماذا تكتب (بسطة) بالسين في سورة البقرة الآية 247، وبالصاد في سورة الأعراف الآية 96. ة.

ص: 284

- 1- سورة الشورى : 24 (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ).
- 2- سورة الرعد : 39 (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ).
- 3- سورة النحل : 40 (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).
- 4- سورة الكهف : 23 (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا).
- 5- كما في سورة المائدة : 7 (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ).
- 6- كما في سورة البقرة : 231 (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ).
- 7- فقد جاءت بالتاء المربوطة في سورة الفتح : 23، وبالتاء الممدودة ثلاث مرات في سورة الأنفال : 38، وسورة فاطر : 43، وسورة غافر : 85.
- 8- فقد جاءت بالتاء المربوطة في جميع القرآن، إلا في الآية 89 من سورة الواقعة.
- 9- فقد جاءت بالتاء الممدودة في سورة آل عمران : 61، وفي كثير من مواضع المصحف الشريف بالتاء المربوطة.

وهكذا الحال بالنسبة إلى كلمتي (ابن) و (أم) ، فتارةً نراهما منفصلتين (1) وأخرى مجتمعتين (2) ، ومثلها كتابة أن لا (ألاً) وعن ما (عمّا) وفي ما (فيما) وأين ما (أينما) وكلّ ما (كلّما) ولكي لا (لكيلاً) وعن من (عمّن) وأن لن (ألن) وأن لم (ألّم) ، فقد تُكتب متّصلةً في أماكن ومنفصلةً في أماكن أخرى.

بل كيف يجوز جعل التأكيد نفيًا ، وكيف يكون رسم ذلك جائزًا في القرآن؟ ولو أُجيز فما الفائدة من قراءته؟ وأليس الله قد حلّل وحرم أموراً بألفاظ وقال : (قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)؟ وأليس النكاح مثل السفاح ، وقد أحلّ الله النكاح بألفاظ خاصة؟ لا طبقاً للتوافق ورضى الطرفين ، فما يعني تجويزه القراءة بأيّ شكل كان؟

ولو كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد سمح بتغيير كلام الله - والعياذ بالله - شريطة أن لا تصير آية رحمة آية عذاب ، فهل يجيز (صلى الله عليه وآله) جعل التأكيد والقسم في (لَأُذِيحَنَّهُ) نفيًا للذبح أيضاً؟

فما الضابطة في كلّ تلك الأمور؟ بل لماذا لو أنقص كاتب المصحف ألفاً من قوله : (لِشَأْيٍ) فصارت موافقةً للإملاء الجديد (لشيء) ، أو أضاف ألفاً في قوله تعالى : (طغين) فجعلها (طاغين) لكان من الكافرين ، أو زاد ألفاً في (سموت) وكتبها كما هي مكتوبة في سورة فصّلت الآية 12 : (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) لكان من المخلّدين في الجحيم؟).

ص: 285

1- كما في سورة الأعراف: 150 (قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعُّونِي).

2- كما في سورة طه : 94 (قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي).

بل ما السرّ في كتابة (تُغْنِ) في سورة القمر بدون الياء(1)، وفي سورة يونس معها؟(2) إنّي لا- أريد أن آتي بكلّ ذلك ، فهو كثير في المصحف الشريف الراجح ، بل أريد أن أوكد بأنّ رسم المصحف العثماني ليس بتوقيفيّ كما يقولون ، والذهاب إلى ذلك ليس بخدش في القرآن الكريم بل عدم القبول بتوقيفية الرسم ، وأنّ من لم يعتقد بذلك الرسم والخطّ فهو ليس بكافر ولا فاسق ، بل إنّه يؤكّد صحّة كلام رسول الله(صلى الله عليه وآله) بأنّ أمّته أمّة أمّية لا تعرف القراءة والكتابة وأنّ أصحابه لا يفوقون الأجيال الأخرى في الخط والكتابة ، لقوله : «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ»(3).

فإذا كان الكاتب يخطأ - كما قالت عائشة(4) - ، والأمة أمّية لا تعرف الكتابة ، وفي المصحف يوجد لحن كما جاء عن سعيد ابن جبير وقوله : في القرآن أربعة أحرف لحن : (والصابئون)(5) ، (والمقيمين)(6) ، و (فَأَصَدَّقَ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ)(7) ، و (إِنْ هَذَا إِلَّا لِسَاحِرٍ رَّجُلٍ) (8) ، وأمثال ذلك - فلماذا هذا التهويل في لزوم التعبد برسم المصحف؟ هـ.

ص: 286

-
- 1- سورة القمر : 5 (فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ).
 - 2- سورة يونس : 101 (وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالتُّذُرُ).
 - 3- صحيح البخاري 2/675 / 1814 ، صحيح مسلم 2/761 / 1080.
 - 4- التفسير الكبير 22/65 ، تفسير القرطبي 11/216.
 - 5- كما في آية 69 من سورة المائدة.
 - 6- كما في الآية 162 من سورة النساء.
 - 7- في الآية 10 من سورة المنافقين.
 - 8- كما في الآية 63 من سورة طه.

مع التنبيه والتأكيد على أنّ هذه الاختلافات والخروج عن المألوف في النظام الإملائي ، لا يُحدث خللاً في القرآن ولا يمسّ بصحّة قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(1) ، وإنّما يثبت عدم توقيفية الخطّ ، وأنّ ما قالوه هو مغالاةٌ وتعسفٌ ليس إلاّ.

وخير دليل على عدم توقيفية الرسم العثماني هو اختلاف زيد مع غيره في كتابة كلمة (التابوت) هل هي بالتاء المبسوطة أم بالمربوطة؟ فلو كان الرسم توقيفياً لما اختلفوا؟

نعم إنّ مسألة التأكيد على الرسم العثماني فيه مغالاة ، فقال الدكتور صبحي الصالح :

«وأما مسألة احترام وتقدير العمل الذي قام به عثمان وتفضيل اتباع سبيله في كتابة المصحف فهي شيءٌ ، والقول بأنّ هذا العمل توقيفي شيءٌ آخر»(2). بل اعتبر الأستاذ الدكتور ما قالوه من توقيفية الكتابة أنّه إفراطٌ بعيد عن المنطق.

وقد أشار الدكتور طيار التي قولاً إلى ظاهرة الغلوّ فقال :

«... من يزعم أنّ الصحابة يفوقون الأجيال التالية في أمور الزراعة وتربية الحيوان والفلك والحساب والهندسة والطب ، ومن يقول أنّهم كانوا يجيدون الخطّ والكتابة أكثر من الأجيال التي أعقبتهم ... - حتّى يقول - : 6.

ص: 287

1- سورة الحجر : 9.

2- مباحث في علوم القرآن : 275 - 280 ، نقلاً عن مقدّمة المصحف المنسوب لعليّ : 56.

وبناءً على ما ذكرنا فإن الصحابة خير أمة أخرجت للناس ، وتمتّعهم بالصفات الحميدة وشرف مكانتهم ، باعتبارهم الجيل المثالي الذي صاحب الرسول ، أمر لا يقتضي بالضرورة أن يكونوا ممّن يجيدون الخطّ والكتابة بدرجة لا قصور لها.

فالواقع أنّ طريقة الإملاء التي استخدمها الصحابة لم تكن قد بلغت حدّ الانضباط العلميّ الأوفى بحسب البحوث التي قام بها رجال العلم حول الموضوع»(1).

وقد كان الدكتور طيّار قد انتقد قول ابن فارس في توقيفية الإملاء المستخدم في المصاحف سابقاً بقوله :

«... ولا يمكننا أن نتصوّر أنّ النبيّ محمّد طلب من كتاب الوحي مثلاً أن يكتبوا كلمة (إبراهيم) بدون الياء دائماً (إبراهيم) في سورة البقرة ، وأن يكتبوها بالياء (إبراهيم) في كافة السور»(2).

إذن خطأ الكتاب ووجود اللحن في القرآن هو ممّا يؤدي الآخرين ، وأنّ ابن تيميّة أراد التشكيك فيما روي عن عثمان بالسماح للعرب أن يقرّوا القرآن بقوله :

«هذا خيرٌ باطل لا يصحّ من وجوه :

أحدهما : إنّ الصحابة كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات ، 6.

ص: 288

1- المصحف الشريف المنسوب لعليّ بن أبي طالب (نسخة صنعاء) : 59 ونحن سنوضح هذا الأمر أكثر ممّا قلناه هنا في آخر الكتاب (توحيد المصاحف).

2- المصحف الشريف المنسوب لعليّ بن أبي طالب (نسخة صنعاء) : 56.

فكيف يقرّون اللّحن في القرآن ، مع أنّه لا كلفة عليهم في إزالته.

والثاني : إنّ العرب كانت تستقبح اللّحن غاية الاستقباح في الكلام ، فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف.

والثالث : إنّ الاحتجاج بأنّ العرب ستقيمه بالسنتها غير مستقيم ، لأنّ المصحف الكريم يقف عليه العربيّ والعجمي.

والرابع : أنّه قد ثبت في الصحيح أنّ زيد بن ثابت أراد أن يكتب (التابوت) بالهاء على لغة الأنصار ، فمنعوه من ذلك ، ورفعوه إلى عثمان وأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش ، ولما بلغ عمر أنّ ابن مسعود قرأ : (عتى حين) على لغة هذيل ، أنكر ذلك عليه وقال : أقرئ الناس بلغة قريش ، فإنّ الله تعالى إنّما أنزله بلغتهم ولم يُنزله بلغة هذيل...»(1).

أقول لابن تيميّة :

أولاً : ألم يكن ابن مسعود من كبار الصحابة ، ومن المسارعين إلى الاعتراض على عثمان في إناطة أمر القرآن بصغار الصحابة؟ والقائل : «يا معشر المسلمين ، أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويولّأها رجل ، والله لقد أسلمتُ وإنّه لفي صلب أبيه كافر»(2) ، وقوله : «وكيف يأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأتُ من في رسول الله(صلى الله عليه وآله) بضعاً وسبعين سورة ، وإنّ زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان...»(3). وأمثال ذلك. 6.

ص: 289

1- شرح شذور الذهب : 50 - 51.

2- المصاحف 1/190 ح 63 ، تاريخ دمشق 33/139.

3- المصاحف 1/186 ح 55 ، تاريخ دمشق 33/136.

بل كيف يغلب ابن مسعود هواه - وهو سادس الصحابة - فيقول لعثمان معترضاً على تولية زيد بن ثابت لكتابة المصحف: «أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويولأها رجل؟» (1).

ألم يقل ابن مسعود لحذيفة: «أما إنني إذا لم أظلمهم، وما من كتاب الله آية إلا أعلم حيث نزلت وفيما نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لرحلت إليه» (2).

وقد وُفِيَ ابن مسعود بما قاله، وأخذ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما بعد السبعين من السور التي أخذها من في رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد مرّ قوله في ذلك سابقاً.

والم يُثِرُ أهل مصر على عثمان لحرقه المصاحف (3)؟

ص: 290

1- سنن الترمذي 5/285 أخرجه الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة.

2- المصاحف 1/181 / ح 49.

3- جاء في المصاحف بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: لما نزل أهل مصر الجحفة يعاتبون عثمان صعد عثمان المنبر فقال: جزاكم الله يا أصحاب محمد عني شراً، أذعتم السيئة وكنتمم الحسنة وأغرستم بي سفهاء الناس، أيكم يأتي هؤلاء القوم فيسألهم ما الذي نتموا؟ وما الذي يريدون؟ ثلاث مرات فلا يجيبه أحد. فقام علي رضي الله عنه: فقال: أنا، فقال عثمان: أنت أقربهم رحماً وأحقهم بذلك، فأتاهم فرحبوا به وقالوا: ما كان يأتينا أحد أحب إلينا منك. فقال: ما الذي نتمتم؟ قالوا: نعمنا أنه محا كتاب الله عز وجل، وحمى الحمى، واستعمل أقاربه وأعطى مروان مائتي ألف وتناول أصحاب النبي.

وَألم يستنجد الصحابةُ بإخوانهم في الأمصار ضجراً من أعمال عثمان؟ ففي (تاريخ الطبري : حوادث سنة 34) : «لَمَّا كانت سنة أربع وثلاثين ، كتب أصحاب رسول الله بعضهم إلى بعض أن أقدموا ، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد»(1).

وفي رسالة من المدينة من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) إلى من بالآفاق ، جاء فيها : «إنكم إنمَّا خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله تطلبون دين محمد ، فإن دين محمد قد أفسده من خليفكم [وفي الكامل : خليفتم] ، وترك ... ، فأقيموا دين محمد»(2).

إذن ، فالصحابه لم يكتفوا بالاعتراض على وجود اللحن في القرآن وحرقت عثمان للمصاحف ، بل إنهم وقفوا أمام سياسات عثمان وإحداثاته المتكررة الأخرى ، وكانوا من المسارعين في ذلك ، حتى أهدروا دمه ، مؤكدين بأنه (أحدث) و (غير) و (بدل) في الدين ، وهذه اصطلاحات شرعية تؤكد إدخال في الدين ما ليس فيه ، وقد ذكر البلاذري في أنسابه : «أن طلحة خاطب عثمان بقوله : إنك أحدثت أحداثاً لم يكن الناس يعهدونها...»(3).

وجاء في شرح النهج : «أن الزبير كان يقول عن عثمان : اقتلوه ، فقد م.

ص: 291

1- تاريخ الطبري 2/644 ، أحداث سنة 34.

2- تاريخ الطبري 2/644 ، والكامل في التاريخ 3/58.

3- أنساب الأشراف 5/156 باب في أمر المسييرين من أهل الكوفة إلى الشام.

بدل دينكم»(1).

وقال ابن مسعود - مضافاً إلى اعتراضاته التي مرّت - : «وما أرى صاحبكم إلا وقد غيّر وبدّل ، أبغزل سعد بن أبي وقاص ويولّي الوليد بن عقبة؟»(2).

وقال عمرو بن العاص لعمر بن ياسر : «فلم قتلتموه؟ قال عمّار : أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه»(3).

وفي الإمامة والسياسة ، قال سعد بن أبي وقاص : «وأمسكنا نحن ، ولو شئنا دفعنا عنه ، ولكنّ عثمان غيّر وتغيّر»(4).

وقد شبّهته عائشة بنعثل اليهودي وكفّرتة ، وقالت : «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»(5).

وأمثال هذه النصوص كثيرة في كتب التاريخ والحديث ، كلّها تؤكّد عدم ارتياح الصحابة وأمّهات المؤمنين من أفعال عثمان ومسارعتهم إلى إنكار منكراته ، وعلى رأسها حرقه للمصاحف.

وثانياً : صحيح أنّ العرب كانت تستقبح اللّحن غاية الاستقبح في الكلام ، وقد جاء عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قوله : «أنا من قريش ونشأت في بني 7.

ص: 292

1- شرح نهج البلاغة 9/36 شرح الخطبة 137.

2- أنساب الأشراف 6/146 في أمر عبد الله بن مسعود.

3- صفين : 339 - عنه : شرح نهج البلاغة 8/22 باب عود إلى أخبار صفين.

4- الإمامة والسياسة 1/48.

5- تاريخ الطبري 3/12 ، الامامة والسياسة 1/52 ، الفتوح 2/437.

سعد ، فأنى لي اللحن»(1).

وصحيح أن عثمان العربي استقبح ذلك ، لكنّه في نفس الوقت أخطأ في حلّ المشكلة ، لعدم تصحيحه تلك المفردات لإيكال الأمر إلى العرب لتقويمه وتصحيحه.

كما أن عائشة وابن عباس العربيّين حملا اللحن في القرآن على خطأ الكتّاب ، وقد حُكي عن أبي بكر قوله : «لئن أقرأ فأسقط ، أحب إليّ من أن أقرأ فالحن»(2).

إذن العرب كانت تستقبح اللحن وتسعى لبيان وجه له عندهم ، إلا أن هذا بعينه يرد على عثمان نفسه لإقراره بوجود اللحن وتركه الأمر للعرب وعدم سعيه لإزالته ، مع أنه لا كلفة عليه ولا على غيره من الصحابة في إزالته.

منشأ اللحن :

ولنا أن نساءل عن اللحن الذي شاهده في المصحف ، هل كان قد عرفه وسمعه أيام رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، أم أنه أمرٌ حادث طارئ؟ فلو كان - والعياذ بالله - هو ممّا شاهده وسمعه على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقد كان موجوداً في المصحف الذي جمعه على عهده(صلى الله عليه وآله) ، فيكون المصحف بذلك هو القراءة الصحيحة فلا يجوز تغييره.

وإن كان أمراً حادثاً وطارئاً في العصور التالية ، فكان عليه حذفه وأن لا ق.

ص: 293

1- المزهر 2/341.

2- المصدر السابق.

يخاف في ذلك لومة لائم.

وقد يمكننا جمعاً بين القولين أن نقول بأن ما قيل عن عثمان من أنه جمع القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير صحيح؛ وذلك لعدم ثبوت جمعه القرآن بنفسه، بل عدم تصحيحه ما رآه من لحن في المصحف المجموع وإرجاعه إلى العرب كي يصحّحونه، لأنه لو كان قد أقرأ بعض التابعين حقاً لكانت قراءة هؤلاء هي الصحيحة والمعتمدة ولا تترك في الأزمنة اللاحقة، لكننا نرى الشيء الكثير قد ورد في قراءة عبد الله بن عامر المنسوبة إلى عثمان والمتروكة اليوم عند المسلمين.

أجل، إنَّ العصبية والغلوّ في الصحابة وإعطائهم هالة من التقديس لا يسمح بمناقشة ما نُسب إلى عثمان، فاستمع لما يقوله علماء مدرسة الخلافة، قال القرطبي: «بأنَّ أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كلٌّ منهم عزا قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله لم يستثن من جملة القرآن شيئاً، فأسند عاصم قراءته إلى عليّ وابن مسعود، وأسند ابن كثير قراءته إلى أبيّ، وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أبيّ، وأمّا عبد الله بن عامر فإنه أسند قراءته إلى عثمان، وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول الله وأسانيد هذه القراءات متّصلة ورجالها ثقات، قاله الخطابي»(1).

وقال الزركشي: «فائدة: قيل: قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة 9.

ص: 294

1- الجامع لأحكام القرآن 1/59.

إلى أبيّ ، وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفّان ، وقراءة عاصم وحمزة والكسائي إلى عثمان وعلي وابن مسعود»(1).

وقال الدكتور حسين عطوان في الفصل الخامس من كتابه القراءات القرآنية في بلاد الشام : «أجمع علماء القراءات على أنّ المغيرة بن أبي شهاب المخزومي كان شيخ ابن عامر المقدم في القراءة»(2).

لكنّ ابن جرير الطبري شكّ في ذلك وضعّفه ، وأخرج ابن عامر من القراء السبعة ، لأنّ قراءته قراءة شاذة غير متواترة لا يعرف مصدرها وأصلها ولا يتّصل سندها برسول الله ، وأنّ من أخذ القراءة عنه ومن أخذوها عنه مغمورون مجهولون ، يقول(3) : «زعم بعضهم أنّ ابن عامر قرأ على المغيرة عن عثمان ، وهذا غير معروف ، لأنّنا لا نعلم أحداً ادّعى أنّه قرأ على عثمان ، ولو كان سبيله في الانتصاب لأخذ القرآن كان لا شكّ قد شارك المغيرة في القراءة عليه غيره ، وفي عدم مدّعي ذلك دليل واضح على بطلان قول من أضاف قراءة ابن عامر إلى المغيرة ، والذي حكى ذلك رجل مجهول لا يعرف بالنقل ولا بالقرآن ، يقال له : عراك بن خالد ، ذكره عنه هشام بن عمّار ، ولا نعلم أحداً روى عنه غير هشام».

ونقض ابن الجزري قول ابن جرير الطبري نقضاً وعدّه من هفواته 5.

ص: 295

1- البرهان 1/338.

2- السبعة في القراءات : 85 - 86 ، والنشر 1/135 - 144 ، غاية النهاية 1/424 / الترجمة 1790 ، وتهذيب التهذيب 5/240 / الترجمة 470.

3- غاية النهاية 2/الترجمة 3635.

وسقطاته ، مدلياً بحجج العلماء التي تثبت تهافته وبطلانه ، وتبين ما فيه من أوهام وأحكام فاسدة أظهرها تغافله عن تعليم عثمان القرآن لغير واحد من المشهورين وطمسه له وتجهيله لعراك بن خالد المري ، وإنكاره لمعرفته بالقراءة وإتقانه لها ، وتغاضيه عن تعلم كثير من القراء عليه(1).

يقول(2) : «انظر إلى هذا القول الساقط من هذا الإمام الكبير ، لا جرم كان الإمام الشاطبي يحذّر من قول ابن جرير هذا. قال السخاوي : وهذا قول ظاهر السقوط ، فقلوه : «لا نعلم أحداً قرأ على عثمان» ، غير صحيح.

فإنّ أبا عبد الرحمن السلميّ(3) قرأ عليه وروى أنّه علّمه القرآن ، وقرأ أيضاً على عثمان أبو الأسود الدؤلي(4) ، وروى الأعمش عن يحيى بن وثاق عن زر عن عثمان(5) ، ثمّ لا يمتنع أن يكون عثمان أقرأ المغيرة وحده لرغبة المغيرة في ذلك ، أو أراد عثمان أن يخصّه».

ثمّ فتح الدكتور عطوان فصلاً تحت عنوان (نقد الطبري والزمخشري لقراءة ابن عامر)(6).

ومعناه أنّ ما قالوه عن عثمان في القراءات ليس بثابت يقيناً ، بل يمكن 2.

ص: 296

1- انظر : تلاميذه في القراءة في غاية النهاية 1/511/الترجمة 2113.

2- غاية النهاية 2/306.

3- أثبتنا في هذه الدراسة عدم صحة ذلك تحت عنوان (عدم أخذ السلميّ عن غير علي).

4- هذا لم يثبت حسب تحقيقنا.

5- وهذا لم يثبت أيضاً ، وسنقدّم دراسة مستقلة عن الأخيرين إن شاء الله.

6- انظر : القراءات القرآنية في بلاد الشام : 332.

الخدش فيه ، وقد خدش بعضه إمام المفسرين الطبري ، كما أعلمنا النص السابق من أن رجوع قراءة عاصم وحزمة والكسائي إلى عثمان فيه كلام ، وكل ذلك يعلمنا بأن هناك تهويلاً لمكانة عثمان في جمع القرآن ، وأنه كان متعمداً في اللحن وترك اللحن في القرآن ، ولا يستبعد أن يكون الأ-مويون هم خلف ذلك ، كما لا يستبعد أنهم ولكي يشركوا علياً معهم ، ادّعوا نسبة اللحن إليه عليه السلام مع أنه إمام النحو والعربية باعتراف الجميع ، فقد قال ابن كثير في فضائل القرآن : «قد تقف على مصاحف وُضعت طبقاً للمصحف العثماني ، ويقال : كتبه علي بن أبو طالب ، وهذا لحن فاحش لا يصدر من أشرف الناس والذي علّم النحو لأبي الأسود الدؤلي».

ثم كُتب في هامش الكتاب - ولا أعلم الهامش لمن ، هل هو لمحمد رشيد رضا أم لغيره؟ - : «هذا غلط ، ويدلّ على أن كاتبه أعجمي ، وقد يكون من زنادقة الفرس».

فإني بكلامي هذا لا أريد أن أبتّ بذلك ، بل أقول : لا يستبعد أن يكونوا قد وضعوا ذلك ، لأنه يصحّ قولنا : علي بن أبو طالب ، على الحكاية ، وذلك أن (أبو طالب) علم في محلّ جرّ للإضافة ، وهذا غير اللحن الذي أشار إليه سعيد بن جبير وعائشة وابن عباس وغيرهم والموجود في المصحف.

والداني بعد أن ناقش المروي عن عائشة قال :

«على أن أم المؤمنين مع عظيم محلّها وجليل قدرها واتّساع علمها ومعرفتها بلغة قومها ، لحنّت الصحابة وخطأت الكتبة ، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللّغة موضعهم الذي لا يجهل ولا ينكر ، هذا ما لا يسوغ ولا

وجاء في فتوح البلدان بأن كاتب أبي موسى الأشعري كتب إلى عمر: «من أبو موسى... فكتب إليه عمر: إذا أتاك كتابي هذا فاضرب كاتبك سوطاً وأعزله عن عملك»(2).

بلى، إن العربي لا يرتضي وجود اللحن في كلامه، فكيف يرضى المسلم وجود ذلك في كتاب ربه، وهو المأمور بتلاوته في صلاته والأخذ بأحكامه.

فإذا كان عمر وعثمان لا يرتضيان وجود اللحن في الكلام العربي، فكيف يتركانه إلى العرب كي يقوموه؟ إنه سؤال نطلب إجابته من أتباع ابن تيمية على وجه الخصوص!

وثالثاً: إن ما قاله ابن تيمية هو كلامنا وكلام كل معترض على عثمان، فالإشكال يرد على عثمان وعلى المدافعين عنه لا على من اعترض عليه، فإن الأعجمي حينما يقرأ القسم والتأكيد نفيًا في قوله تعالى: (لَأَذْبَحَنَّهُ) ب- (لَأَذْبَحَنَّهُ)، فعلى من يقع هذا الخطأ؟ أليس الرسم العثماني هو الذي أدى به إلى أن يقرأ القرآن بخلاف مراد الله تعالى؟ وأليس كان سببه عثمان بن عفان ولجنته التي أسسها والتي ادّعي بأنهم من أفصح وأكتب العرب؟! وبعد هذا فلا يُستبعد أن يقرأ الأعجمي القرآن بوجه يظهر فيه الكفر والخروج عن الدين، فما هو الحل؟ 6.

ص: 298

1- المقنع: 119.

2- فتوح البلدان 1/341، أخبار القضاة 1/286.

ورابعاً : إنّ اختلاف زيد مع غيره في كتابة (التابوت) بالهاء أو بالتاء ، أو أنّ كتابة البسملة مع الألف كما في سورتي العلق والواقعة (أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ) ، وقوله تعالى : (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ) أو بدونها (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) كما في أوائل السور ، لا يضرب بقدر ما يضرب كتابة وقراءة (حَتَّى يَطْهَرْنَ) و (حَتَّى يَطْهَرْنَ) ، أو قراءة قوله : (لَا مَسَّ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) ب- (لمستم النساء) ، فإنّ القراءة بهكذا قراءات مغيّرة للمعنى تماماً ، ثمّ تجويز ذلك هو الذي يسيء إلى الدين وأحكامه ، لا كتابة (التابوت) بالهاء أو التاء.

نعم ، إنّ عثمان بن عفّان زعم أنّه كان يريد أن يوحد الأمة ، لكنّه في الواقع كان أراد أن يرقع ما فتقه سابقه في مشكلة أهم من سابقتها ، لكنّ الصحابة رغم رفضهم لمنهج عثمان التزموا بمصاحفه حفاظاً على النصّ القرآني ، فإنّ ابن مسعود لما أراد عثمان إبعاده من الكوفة أوصى أصحابه بضرورة عدم التنازع في القرآن وعدم ترك قراءته ، لأنّ القرآن - رغم خطأ منهجيّة عثمان في توحيده - لا يتغيّر ، فجاء في تفسير الطبري بسنده عن علقمة النخعي قال :

«لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودّعهم ، ثمّ قال : لا تنازعوا في القرآن ، فإنّه لا يختلف ولا يتلاشى ولا يتغيّر لكثرة الرد ، وإنّ شريعة الإسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ، ولو كان شيء من الحرفين ينهي عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف ، ولكنّه جامع ذلك كلّ لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ولا شيء من شرائع الإسلام ، ولقد رأيتنا تتنازع فيه عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فيأمرنا فنقرأ عليه ، فيخبرنا أن كلّنا

محسن ، ولو أعلم أحداً أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبتَه حتى أزداد علمه إلى علمي ، ولقد قرأت من لسان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سبعين سورة ، وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كلِّ رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أنني محسن ، فمن قرأ قراءتي فلا يدعنها رغبةً عنها ، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعته رغبة عنه ، فإنه من جحد بآية جحد به كله» (1).

فانظر إلى حرص ابن مسعود على وحدة الكلمة في القرآن ، مع إيمانه بصحة ما عنده من القراءة وخطأ ما عندهم ، وهكذا الأمر تراه عند الإمام علي عليه السلام الذي قال : لا- يهاج القرآن بعد هذا اليوم ، فقد قال ابن الجزري : «ولذلك اختلفت المصاحف عن بعض المصاحف ، إذ لو كانت العرصة الأخيرة فقط لم تختلف المصاحف بزيادة ونقص وغير ذلك وتركوا ما سوى ذلك ، ولذلك لم يختلف عليهم اثنان حتى إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لَمَّا ولي الخلافة بعد ذلك لم ينكر حرفاً ولا- غيره ، مع أنه هو الراوي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتم» (2).

نعم ، إن إعطاء عثمان هذه الإجازة لعموم العرب هي التي جرأت الحجاج بأن يغيّر الرسم العثماني ، كما أنه هو الذي أعطى للآخرين أن يغيروا 3.

ص: 300

1- جامع البيان في تفسير القرآن 1/27 - 28 بتحقيق الشيخ خليل الميس ، طبعة دار الفكر.

2- النشر في القراءات العشر 1/33.

التلاوة القرآنية بالقياس وموافقة العربية من وجه (1) وأن يتوسّعوا في ذلك ، وذلك تحت طائلة (الاختيار في القراءة) ، بمعنى أن رسول الله لمّا قال : نزل القرآن على سبعة أحرف ، قد أجاز لهم أن يختاروا من بينها ، ولأجله شرّع تعدّد القراءات ، ولو راجعت كتاب المصاحف لابن أبي داوود السجستاني (ت 316 هـ) لرأيتَه قد عقد باباً تحت عنوان : ما غيّر الحجاج في مصحف عثمان ، فروى فيه بإسناده عن عوف بن أبي جميلة ، أن الحجاج بن يوسف الثقفي (ت 95 هـ) غيّر في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً.

صورة

الذكر المحفوظ قراءة جديدة في تاريخ جمع القرآن (٦) ٣٠١

التلاوة القرآنية بالقياس وموافقة العربية من وجه^(١) وأن يتوسّعوا في ذلك ، وذلك تحت طائلة (الاختيار في القراءة) ، بمعنى أن رسول الله لمّا قال : نزل القرآن على سبعة أحرف ، قد أجاز لهم أن يختاروا من بينها ، ولأجله شرّع تعدّد القراءات ، ولو راجعت كتاب المصاحف لابن أبي داوود السجستاني (ت ٣١٦ هـ) لرأيتَه قد عقد باباً تحت عنوان : ما غيّر الحجاج في مصحف عثمان ، فروى فيه بإسناده عن عوف بن أبي جميلة ، أن الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥ هـ) غيّر في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً.

السورة	الموجود في مصحف عثمان (سابقاً)	ما غيّر الحجاج
البقرة: ٢٥٩	لم يتسنّ	لم يتسنّه
المائدة: ٤٨	شريعةً ومنهاجاً	شريعةً ومنهاجاً
يونس: ٢٢	ينشركم في البرّ والبحر	يسيركم في البرّ والبحر
يوسف: ٤٥	أنا أتاكم بتأويله	أنا أنبئكم بتأويله
المؤمنون: ٨٩، ٨٧، ٨٥	سيقولون لله	سيقولون الله ^(٢)

(١) في النشر في القراءات العشر ١٧/١ قال أبو طاهر بن أبي هاشم في كتابه البيان : وقد نبغ نابغ في عصرنا ، فزعم أن كل ما صحّ عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف ، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها ، فابتدع بدعة ضلّ بها عن قصد السبيل .

(٢) ذكر ابن أبي داوود في المصاحف ٤٦٣/١ / ٣٤٨ بسنده عن عوف ابن جميلة ما غيّر الحجاج في مصحف عثمان . . . وكانت في المؤمنين (سيقولون لله) [ثلاث مرات ، أي في الآيات ٨٥ و ٨٧ و ٨٩] ثلاثهن ، فجعل الأخيرين : الله الله .

لل

- 1- في النشر في القراءات العشر 1/17 قال أبو طاهر بن أبي هاشم في كتابه البيان : وقد نبغ نابغ في عصرنا ، فزعم أنّ كلّ ما صحّ عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف ، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها ، فابتدع بدعة ضلّ بها عن قصد السبيل.
- 2- ذكر ابن أبي داوود في المصاحف 1/463 / 348 بسنده عن عوف ابن جميلة ما غيّر الحجاج في مصحف عثمان : ... وكانت في المؤمنين (سيقولون لله) [ثلاث مرات ، أي في الآيات 85 و 87 و 89] ثلاثهن ، فجعل الأخيرين : الله الله.

من المرجومين	من المخرجين	الشعراء: ١١٦
من المخرجين	من المرجومين	الشعراء: ١٦٧
معيشتهم	معاشهم	الزخرف: ٣٢
غير آسن	غير ياسن	محَمَّد: ١٥
فالذين آمنوا منكم وأنفقوا	فالذين آمنوا منكم وأنفقوا	الحديد: ٧
وما هو على الغيب بضنين	وما هو على الغيب بظنين	التكوير: ٢٤

وقد أضاف الزرقاني شيئاً آخر عن الحجاج، فقال: «لَمَّا قام الحجاج بنصرة بني أمية لم يبق مصحفاً إلا جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة قد نزلت فيهم وزاد فيه أشياء ليست منه، وكتب ستة مصاحف جديدة بتأليف ما أراه ووجه بها إلى مصر والشام ومكة والمدينة والبصرة والكوفة، وهي القرآن المتداول اليوم، وعمد إلى المصاحف المتقدمة فلم يُبق منها نسخة إلا أغلى لها الخلل وطرحها فيه حتى تقطعت، وإنما رام بما فعله أن يتزلف إلى بني أمية فلم يبق في القرآن ما يسوءهم»^(١).

ونحن نردّ هذا الكلام ونرفضه، لأنّ الحجاج وال صغير على رقعة من البلاد الإسلامية، فهو أصغر من أن يستطيع تبديل قرآن كل المسلمين. وهذا الكلام لأنّه يسيء إلى القرآن الكريم، وإن صحت أخبار التحريف والزيادة

﴿ أقول : أرجع هذا في المصحف الراجح إلى ما نقل عن مصحف عثمان سابقاً دون تغيير .

(١) مناهل العرفان ١/ ١٨٤ .

وقد أضاف الزرقاني شيئاً آخر عن الحجاج، فقال: «لَمَّا قام الحجاج بنصرة بني أمية لم يبق مصحفاً إلا جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة قد نزلت فيهم وزاد فيه أشياء ليست منه، وكتب ستة مصاحف جديدة بتأليف ما أراه ووجه بها إلى مصر والشام ومكة والمدينة والبصرة والكوفة، وهي القرآن المتداول اليوم، وعمد إلى المصاحف المتقدمة فلم يُبق منها نسخة إلا أغلى لها الخلل وطرحها فيه حتى تقطعت، وإنما رام بما فعله أن يتزلف إلى بني أمية فلم يبق في القرآن ما يسوءهم»^(١).

ونحن نردّ هذا الكلام ونرفضه، لأنّ الحجاج وال صغير على رقعة من البلاد الإسلامية، فهو أصغر من أن يستطيع تبديل قرآن كل

المسلمين. وهذا الكلام لأنه يسيء إلى القرآن الكريم ، وإن صحّت أخبار التحريف والزيادة 4.

ص: 302

1- مناهل العرفان 1/184.

والنقصان في المجاميع الحديثية فهي أخبار آحاد لا تقاوم المتواتر المشهور ، سواء وردت في كتب الشيعة أو في كتب أهل السنة ، ولا يُستبعد أن تكون قد رويت أمثال هذه الأخبار في القرآن للتشجيع على الحجاج السفاك الظالم المعروف بظلمه في التاريخ ، ولو صحَّ بأنه غير لكان على القراء - بعد انتهاء حكمه - الرجوع إلى القراءة الصحيحة.

إنَّ وجود هكذا أخبار في المصاحف للسجستاني وغيره هي التي أعطت المبرر لأمثال كازانوا أن يقول بأنَّ القرآن ألف في القرنين الثاني والثالث الهجري وبأمر عبد الملك بن مروان ، أو أن يقول ونزبرو بأنَّ القرآن أخذ من أقوال النبيِّ ولا يمكن إدعاء تواتره إلا في أوائل القرن الثالث الهجري ، لأنَّه مثل الكتب السماوية الأخرى التي لم تُؤلَّف إلا بعد تأليف الفقه والشريعة عندهم(1).

وهذا الباب الذي فتحه أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطَّاب هو الذي فتح الباب لأبي بكر البغدادي الخليفة الداعشي لأن يعلن اليوم - وعند كتابة هذه السطور - عزمه على إعادة كتاب الله وترتيبه لما فيه من الأغلاط!!

وباعتقادنا أنَّ تعاهد المسلمين لهذا القرآن بحروفه وكلماته ونظمه وترتيبه حتَّى العصر الحاضر أمَّةٌ عن أمَّة - رغم تنازعهم وتباين وجهات

.6

ص: 303

1- خاورشناسان وجمع وتدوين القرآن : 114 عن : John Wansbrough, Quranic Studies, Oxford, 1977. Berg, The Implications of and opposition to the Methodes and theories of John Wansbrough in the Method and study of .Religion 1977 p. 6

نظرهم - يؤكد وحدة النصّ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنهم توارثوه يداً بيد ، وأنت إذا لاحظت المصاحف القديمة وقارنتها مع المصاحف الحاضرة المخطوطة والمطبوعة لرأيتهما متّحدة في الأسلوب والخطّ وثبت الكلمات في بنيتها وصورتها ، وإنّ هذا لدليل على وحدة النصّ عند المسلمين في جميع الأدوار ، الأمر الذي يكشف عن حرص الأُمَّة الشديدة على حراسة كتابها المجيد ، غير منكرين بأنّ منهجيّة الخلفاء قد أثرت عليه في الجملة ، لكن لم تؤثر عليه أثراً ذا بال.

قال عبيدة السلماني (ت 73 هـ) : «القراءة التي عرضت على النبيّ (صلى الله عليه وسلم) في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرأها الناس اليوم».

وقال خلّاد بن يزيد الباهلي (ت 220 هـ) : «قلت ليحيى بن عبد الله بن أبي مليكة : إنّ نافعاً حدّثني عن أبيك عن عائشة أنّها كانت تقرأ : (إذ تَلْقُونَهُ) بكسر اللام وضمّ القاف ، وتقول : إنّها من (وَلَقِ الكَذِب)!

فقال يحيى : ما يضرك أن تكون سمعته عن عائشة ، وما يسرنّي أنّي قرأتها هكذا ، ولي كذا وكذا!

قلت : ولم؟ وأنت تزعم أنّها قد قرأت!

قال : لأنّه غير قراءة الناس ، ونحن لو وجدنا رجلاً يقرأ بما ليس بين اللّوحين ما كان بيننا وبينه إلاّ التوبة أو نضرب عنقه. نجي به نحن عن الأُمَّة عن الأُمَّة عن النبيّ عن جبرئيل عن الله عزّ وجل ، وتقولون أنتم : حدّثنا فلان الأعرج ، عن فلان الأعمى! أنّ ابن مسعود يقرأ ما بين اللوحين ، ما أدري ماذا؟ إنّما هو والله ضرب العنق أو التوبة».

انظر إلى هذا الوصف الجميل عن تواتر النصِّ وأصالته ، ترويه أمة عن أمة عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ، لا فلان عن فلان!

وقال محمد بن صالح (ت 168 هـ) : «سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو ابن العلاء : كيف تقرأ : (لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ)؟ فقال : (لا يعذب) بالكسر. فقال له الرجل : كيف؟ وقد جاء عن النبي(صلى الله عليه وسلم) : (لا يعذب) ، بالفتح! فقال له أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذي قال : سمعت النبي(صلى الله عليه وسلم) ما أخذت عنه ، أو تدري ما ذاك؟ لأني أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة.

هذه الرواية كسابقتها في جعل ما جاءت به العامة معياراً لمعرفة القراءة الصحيحة عن الشاذة»(1).

وعليه ، فقد يكون هذا الاختلاف هو من قبيل ما لخصه الزركشي في البرهان - عن ابن قتيبة - وأنه كان في إطار تغيير إعراب الكلمة في حركات بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الخط ، نحو : (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)(2) و (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) ، و (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ)(3) بتشديد القاف ، و (تَلَقَّوْنَهُ) بالتخفيف ، و (ادْكُرْ بَعْدَ أُمَّه)(4) و (بَعْدَ أُمَّة) بهمزة وميم مفتوحتين 5.

ص: 305

-
- 1- التمهيد لمحمد هادي معرفة 2/149 و 150 والخبرين في المرشد الوجيز : 137 - 138 ومناهل العرفان 1/312.
 - 2- سورة سبأ : 19.
 - 3- سورة النور : 15.
 - 4- سورة يوسف : 45.

أو من قبيل تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغيّر معناها ولا يغيّر صورة الخطّ بها في رأي العين ، نحو : (كَيْفَ نُشِيدُهَا) (1) و (نُسِرْهَا) ، و (فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) (2) و (فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) ، و (يَقْضَى الْحَقُّ) (3)؟ و (يَقْضِي الْحَقُّ).

أو من قبيل الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتابة ولا يغيّر معناها ، نحو : (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً) (4) و (إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً) ، و (كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) (5) و (كَالصُوفِ الْمَنْفُوشِ).

أو من قبيل الاختلاف في الكلمة بما يُزيل صورتها في الخطّ ويزيل معناها ، نحو : (الْم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) (6) في موضع (الْم * ذَلِكَ الْكِتَابِ) (7) ، و (طَلَحَ مَنْصُودًا) (8) و (طَلَعَ مَنْصُودًا).

أو من قبيل الاختلاف بالتقديم والتأخير ، نحو : ما روي عن أبي بكر أنه قرأ عند الموت : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ) وهي (جَاءَتْ سَكْرَةُ 9.

ص: 306

1- سورة البقرة : 259.

2- سورة سبأ : 23.

3- سورة الأنعام : 57.

4- سورة يس : 29.

5- سورة القارعة : 5.

6- سورة السجدة : 1 و 2.

7- سورة البقرة : 1 و 2.

8- سورة الواقعة : 29.

أو من قبيل الاختلاف بالزيادة والنقص في الحروف والكلم ، نحو : (وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) (2) و (وما عملت) من غير ضمير ، و (نعجةً أنثى) (3) ، وأمثالها ..

فهذه الاختلافات موجودة في القرآن ولا يمكن إنكارها ، وقد أرجعها الزركشي إلى سبعة أوجه كما عرفت.

وبما أن أئمة أهل البيت عليهم السلام كان لا يمكنهم تغيير الرسم العثماني لمعاداة الحكومات لهم كما لا يمكنهم تصحيح جميع قراءات الناس التي اعتادوا عليها منذ زمن ، فقد اعطوا شيعتهم قاعدة عامة بعدم تخطي القراءة الرائجة عند المسلمين - رغم اختلافهم معها - حفاظاً على وحدة الكلمة في القرآن الكريم ، وقد تكون قراءة عاصم (ت 127 هـ) و نافع (ت 169 هـ) هما القراءتان الراجحتان عندهم ، وذلك لرواجهما في عصر الأئمة عليهم السلام أو لرواجها في المناطق التي كثر فيها الموالون لهم.

فقراءة نافع كانت في المدينة والإمام الصادق؟ كان فيها وفي الكوفة أيضاً ، وقراءة عاصم وحمزة الزيّات (ت 156 هـ) والكسائي (ت 189 هـ) كانت في الكوفة ، وهي موطن شيعتهم ، أمّا قراءة عامر (ت 118 هـ) فقد كانت في الشام وقراءة ابن كثير (ت 120 هـ) فقد كانت في مكّة ، فلم يعهد وجود ن.

ص: 307

1- سورة ق : 19.

2- سورة يس : 35.

3- انظر : البرهان في علوم القرآن 1/334 - 336 النوع الثاني والعشرون.

شيعة لأهل البيت عليهم السلام في الشام ومكة آنذاك.

إذن ، ترجيح قراءتي عاصم ونافع على غيرهما لكون عاصم (ت 127 هـ) قد عاصر الإمام الصادق عليه السلام (ت 148 هـ) في الكوفة وكانت قراءته هي الرائجة آنذاك في الكوفة موطن موالى الأئمة عليهم السلام بخلاف نافع (ت 169 هـ) والكسائي (ت 189 هـ) ، فهما وإن لم يكونا قد عاصرا الإمام الصادق؟ لكن قراءتهما كانت رائجة في البلدان التي يقطنها الشيعة ، إذ أقرّ الإمام الكاظم عليه السلام (ت 183 هـ) قراءتهما.

أمّا حمزة الزيات الذي أخذ قراءته عن الإمام الصادق عليه السلام فقد بقيت قراءته رائجة في الكوفة وأمضيت من قبل المعصوم.

أمّا قراءة ابن عامر وابن كثير ، فرغم أنّهما عاصرا الإمامين الباقر (ت 114 هـ) والصادق (ت 148 هـ) عليهما السلام ، إلا أنّ قراءتهما انتشرت في بلدان لا يقطنها شيعة أهل البيت عليهم السلام في ذلك الوقت ، فلا يمكن تعميم جواب الإمام عليه السلام للسائل عما يقرأ به الناس.

ولهذا تبقى قراءة عاصم الكوفيّة والممضاة من قبل الإمام الصادق عليه السلام ، وقراءة نافع المدنيّة والممضاة من قبل الإمام الكاظم عليه السلام هما الأقرب لقراءة أهل البيت عليهم السلام ، لا أنّها هي هي ، وهذا يوضّح ما حكاه الشهيد الثاني عن جماعة من القراء أنّهم قالوا : «ليس المراد بتواتر السبع والعشر أنّ كلّ ما ورد في هذه القراءات متواتر ، بل المراد انحصار التواتر الآن فيما نُقل من هذه

ص: 308

القراءات ، فإنَّ بعض ما نُقل عن السبعة شاذَّ فضلاً عن غيرهم»(1).

وعليه ، فعثمان بمنهجيتِه عمَّق الخلاف بين المسلمين فضلاً عن أن يكون قد وحَّدهم على قراءة واحدة كما يدَّعون ، وكيفيك أن تتأمَّل فيما رواه عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، إذ قال : «لَمَّا فُرِغَ من المصحف أُتِيَ به عثمان ، فنظر فيه فقال : قد أحسنتم وأجملتم ، أرى شيئاً من لحن سنقيمه بالسنتنا»(2).

وما رواه عكرمة ، قال : «لما كُتبت المصاحف عُرضت على عثمان ، فوجد فيها حروفاً من اللّحن ، فقال : لا تغيروها ، فإنَّ العرب ستغيروها ، أو قال : ستعربها بالسنتها ، لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد هذه الحروف»(3).

يكفيك أن تتأمَّل في مثل هذه النصوص لتراها صريحة بأنَّ اللّحن ليس في جميع المصحف ، بل في بعضه ، لقوله : «أرى شيئاً سنقيمه بالسنتنا» ، أو : «فوجد فيها حروفاً من اللّحن» ، وهذا الشيء القليل كان يمكن رفعه وردمه ولا يجوز تركه حتّى يزداد يوماً بعد يوم إلى أنَّ يصل إلى عشرات القراءات ، لأنَّ عثمان بتركه تصحيح الملحون فتح المجال للعرب للتغيير في القرآن ، لكن أئى لهم ذلك ، إذ بقي النصّ القرآني واحداً في جميع الأدوار وعند جميع المذاهب لم يزل ولا يزال باقياً حتّى يوم النشور. ف.

ص: 309

1- الحدائق الناضرة 8/95 - 96 عن سبط الشهيد.

2- تاريخ المدينة 2/129 /ح 1673 ، باب كتابة القرآن وجمعه.

3- الإقتان 1/536 /ح 3483 ، عن ابن الأنباري في المصاحف.

قال ابن الجزري : «ثم إنَّ القراء بعد هؤلاء كثروا وتفرَّقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أممٌ بعد أمم ، عُرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم ، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف ، وكثر بينهم لذلك الاختلاف ، وقَلَّ الضبط ، واتَّسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحقِّ ، فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الاجتهاد ، وبيَّنوا الحقَّ المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميَّزوا بين المشهور والشاذِّ ، والصحيح والفاذِّ ، بأصول أصمِّ لموها وأركان فصمِّ لموها...»(1).

بلى ، إنَّ ابن مجاهد اختار سبع قراءات من عشرات موجودة آنذاك ، وقد اعترض عليه بعض معاصريه ومن جاء من بعده لترجيحه بعضها على البعض الآخر ، مشكِّكاً في أن يكون ما يخالفها شاذّاً.

وقد عني العلماء في العصور المتأخِّرة بالقراءات الشاذَّة والمفردة عناية متباينة ، فمنهم من جمعها وحصرها ، ومنهم من اختار الغريب منها ، ومنهم من ضعَّفها ورفضها ، ومنهم من أوجز القول في تخريجها وتعليلها ، ومنهم من أسهب في الكشف عن وجوهها واحتجَّ لها.

وقد كُتبت كتبٌ في شواذِّ القراءات ومعاني القرآن ، كما اهتمَّ النحويُّون واللغويُّون بالشاذِّ ، فقد ذكر سيبويه في كتابه بعض القراءات الشاذَّة وشرحها وأعربها وتبَّه على الفرق بينها وبين قراءة الجماعة واحتجَّ لها معتمداً في ذلك 9.

ص: 310

على العربية ومقدار موافقة القراءة الشاذة للشائع في الأساليب واللغات(1).

كما حفظ ابن منظور غير قليل من القراءات الشاذة في لسان العرب ، وروى كثيراً من آراء النحويين واللغويين واعتمادهم على القراءات الشاذة ، وقال ابن الجزري : « لا زال الناس يؤلفون في كثير القراءات وقليلها ، ويروون شاذها وصحيحها ، بحسب ما وصل إليهم أو صح لديهم ، ولا ينكر أحدٌ عليهم ، بل هم في ذلك متبعون سبيل السلف ، حيث قالوا : القراءة سنّة متبعة ، يأخذها الآخر عن الأول ، وما علمنا أحداً أنكر شيئاً قرأ به الآخر إلا ما قدمنا عن ابن شنبوذ ، لكنّه خرج عن المصحف العثماني ، وللناس في ذلك خلافٌ كما قدمناه ... »(2).

كلّ ذلك يؤكّد بأنّ عثمان بن عفّان لم يكن موقفاً في عمله.

وقد كتب أبو العباس المراكشي الشهير بابن البّناء (ت 721 هـ) كتاباً باسم عنوان الدليل في مرسوم خطّ التنزيل ، وكذا الزركشي قد أجاب عن بعض إشكالات الرسم والنحو واللّحن الموجودة في القرآن الكريم - في النوع الخامس والعشرين من البرهان - ، لكنّ غالب الإجابات في الكتابين منقوضة بأمور أخرى ، لأنّ الصحابة لم يذكروا العلة التي كتبوا من أجلها المصحف بذلك الشكل ، والذي اشتُهر فيما بعد بالرسم العثماني ، فإنّ الكتابة للرسم لم ينظروا إلى العلل النحويّة والصرفية التي استنبطت فيما بعد ، من قبيل ما قاله الزركشي ، كما أنّهم لم يلحظوا الأمور الباطنيّة التي لحظها ابن البّناء المراكشي 5.

ص: 311

1- القراءات القرآنية في بلاد الشام : 80.

2- النشر 1/35.

في كتابه لهم.

فإذن لا إشكال بأن الصحابة خطأؤون ، ويمكن أن يلحنوا في القرآن أيضاً رسماً وقراءة ، كما أنهم ادّعوا اختلاف الصحابة في القراءة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنه (صلى الله عليه وآله) أقرّ قراءاتهم ، حتى اشتدّ ذلك بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكفر بعضهم بعضاً.

وبهذا فقد اتّضح لك بأن وراء كلّ هذا الاختلاف الخلفاء الثلاثة لا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فهو (صلى الله عليه وآله) ألزم المسلمين بالقراءة (بما علّموا) ، وكان لا يرتضي اختلافهم في الآيات والصور ويستاء من ذلك ، لأنه كان قد علّمهم الصحيح من القراءة ، كما جاء صريحاً في قوله تعالى : (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) ، وقوله تعالى : (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) ، وأنّ الاختلاف بين الصحابة لم ينشأ في عهده (صلى الله عليه وآله) كما يدّعون ، بل نشأ من بعده في عهد الثلاثة جرّاء منهجهم المغلوط في جمع القرآن واعتمادهم الشاهدين ، وبما أنّ الشهود كانوا يختلفون في النقل فكانت القراءات تختلف في ما بعد أكثر ممّا سبق ، وهكذا الحال بالنسبة إلى بعض الصحابة ، فقد كان أحدهم يصرّ إدخال جملة على أنّها آية من كتاب الله والآخر لا يرتضيها ، وقد اشتدّ هذا الأمر وعظم خطره في عهد عمر بن الخطاب الذي استفاد من حديث الأحرف السبعة للقول بشرعية القراءات ، ولا يستبعد أن يكون مروان بن الحكم حرق مصحف حفصة بعد وفاتها لكي لا ترجّح قراءة على قراءة أخرى.

نعم ، تنبّه عثمان وسعيد بن جبير وعائشة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين إلى وجود اللحن في القرآن بعد جمع عثمان للمصاحف ،

ص: 312

وعزوه إلى الخطأ من قبل الكتّاب ، فإنّ وجود هذا الخطأ عندهم يؤكّد عدم عصمتهم ، وأنّهم كانوا قد نشؤوا في أمة أمّية لا تعرف الكتابة والقراءة حسب تعبير رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولو ثبت هذا الكلام - وهو الثابت - فلا يمكن أن نجعل كتابتهم المخالفة لقواعد الإملاء والنحو رسماً توقيفياً منزلاً من قبل الله بحيث لا يجوز للمسلم مخالفته.

فمخالفة الكتاب كان لا يستسيغها الفراء (ت 207 هـ) ، إذ قال : «اتباع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب وقراءة القراء أحبّ إليّ من خلافه»(1) ، لكنّه مع ذلك تحدّث عن زيادة الألف بعد اللام في قوله تعالى : (لأذبحته) وغيرها ، وأراد أن يعذرهم بقوله : «وذلك أنّهم لا يكادون يستمرّون في الكتاب على جهة واحدة ، ألا ترى أنّهم كتبوا (فَمَا تُغْنِ التُّدْر) (2) بغير ياء ، (وَمَا تُغْنِي الآياتُ والتُّدْر) (3) بالياء ، وهو من سوء هجاء الأوّلين»(4).

وكذلك صرّح ابن قتيبة (ت 276 هـ) بأنّ ما جاء في رسم المصحف مخالفاً للمشهور - من قواعد الهجاء عند الكتّاب - قد جاء من باب الخطأ وليس يعني القرآن نفسه فقال :

«... ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كلّ خطأ وقع في 9.

ص: 313

1- معاني القراء 2/293.

2- سورة القمر : 54.

3- سورة يونس : 101.

4- رسم المصحف لغانم قدوري : 270 ، معاني القرآن 2/293 ، وانظر 1/439.

كتابة المصحف من طريق التهجي ، وقد كتب في الإمام (إنّ هذان لساحران)(1) بحذف ألف التثنية(2) ، وكذلك ألف التثنية تحذف من هجاء هذا المصحف في كلّ مكان مثل : (قال رجلان)(3) ، و (فأخران يقومان مقامهما)(4) ، وكتب كتاب المصحف : الصلوة ، الزكوة ، الحيوية ، بالواو ، وأتبعناهم في هذه الأحرف خاصة على التيمّن بهم ، ونحن لا نكتب : القطة والقناة والفلاة إلاّ بالألف ، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه ، وكتبوا : الربوا بالواو ، وكتبوا : (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا)(5) ، فمال بلام مفردة ..«(6) وهذا أكثر في المصحف من أن نستقصيه.

وقال في تأويل مختلف الحديث عن مدى معرفة عبد الله بن عمرو بن العاص بالكتابة وجهل غيره بها : «وكان غيره من الصحابة أمّيين لا يكتب منهم إلاّ الواحد والإثنان ، وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي».

وقد تناول ابن كثير موضوع إملاء المصاحف ، فقال :

«وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جداً ... وقيل : أول من تعلمه من الأنبار قوم من طي ... ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب ... والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المكتوبة ثم هذبها أبو علي بن مقلة الوزير ، 8.

ص: 314

1- سورة طه : 63.

2- أي : هذن.

3- سورة المائدة : 23.

4- سورة المائدة : 107.

5- سورة المعارج : 36.

6- انظر تأويل مشكل القرآن : 57 - 58.

وصار له في ذلك نهج وأسلوب في الكتابة ... والغرض أنّ الكتابة لَمَّا كانت ذلك الزمان لم تُحکم جيّداً وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى ، وصنّف الناس في ذلك»(1).

وقال الأستاذ غانم قدّوري : «يفهم من قول ابن كثير (ت 774 هـ) أنّ الكتابة لَمَّا كانت في ذلك الزمان لم تُحکم جيّداً وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى»(2).

وأطنب ابن خلدون (ت 808 هـ) في بيان هذا الأمر فقال : «... فكان الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسّط ، لمكان العرب من البداوة والتوحّش وبعدهم عن الصنائع ، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الإجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ، ثمّ اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبرّكاً بما رسمه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخير الخلق من بعده المتلقّون لوحيه من كتاب الله وكلامه ، كما يُقتفى لهذا العهد خطّ وليّ أو عالم تبرّكاً ويُتبع رسمه خطأ أو صواباً ، وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ، فأتبع ذلك ، وأُثبت رسماً ، وتبّه العلماء بالرسم على مواضعه. ولا تلتفتنّ في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفّلين من أنّهم كانوا محكمين لصناعة الخطّ ، وأنّ ما 9.

ص: 315

1- فضائل القرآن : 39 باب كتابة عثمان للمصاحف.

2- هامش رسم المصحف : 208 - 209 عن فضائل القرآن : 39.

يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكّلها وجه ، ويقولون في مثل زيادة الألف في (لاأذبحنه) : أنّه تنبيه على أنّ الذبح لم يقع ، وفي زيادة الياء في (باييد) أنّه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك ممّا لا أصل له إلاّ التحكّم المحض ، وما حملهم على ذلك إلاّ اعتقادهم أنّ في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلّة إجادة الخطّ ، وحسبوا أنّ الخطّ كمال فنزّهوهم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجارة من رسمه ، وذلك ليس بصحيح.

ثمّ يستمرّ ابن خلدون في بيان أنّ الخطّ ليس بكمال في حقّ الصحابة لأنّ الخطّ من جملة الصنائع المدنية المعاشية ، والكمال في الصنائع إضافي ، وليس بكمال مطلق ، إذ لا يعود على الذات في الدين ولا في الخلال ، وإنّما يعود إلى أسباب المعاش ، وبحسب العمران والتعاون عليه ، لأجل دلالة على ما في النفوس»(1).

إذن خطأ الكتّاب في الرسم والقراءة لا- يمكن إنكاره ، وهو يبيّن بأنّ الرسم القرآني لم يكن كألواح موسى منزلةً من قبل الله تعالى ، وأنّ التأكيد على توقيفية الرسم عند القوم لم يكن حبّاً بكلام الله والحفاظ على قدسيّته أو احتراماً لإقرار رسول الله(صلى الله عليه وآله) لرسم الخطّ ، لأنّهم أحرقوه بدعوى الحفاظ على المصلحة العامة للمسلمين ، بل إنّ تأكيدهم على الرسم جاء لانتسابه إلى ع.

ص: 316

1- انظر مقدمة ابن خلدون 1/419. وقد قام الأستاذ محمّد حسن أبو الفتوح بجمع آراء ابن خلدون في رسم المصحف في كتاب أسماه (ابن خلدون ورسم المصحف) ، فليُراجع.

عثمان بن عفان ، ولا أستبعد أن يكون الأمويون هم وراء طرح مثل هكذا أفكار ، لأنهم قالوا بأنّ حرب بن أمية هو الذي علّم العرب الكتابة ، وأنّ عمر ابن الخطّاب ومن بمكة من قرّش تعلّموا الكتابة من حرب الأموي(1) ، وأنّ عثمان بن عفان الأموي وحده قد جمع المصاحف ووحدّها ، وأنّ عبد الملك ابن مروان هو الذي أعجم المصاحف ، وأنّ أبا الأسود الدؤلي كتب النحو استجابةً لطلب زياد ابن أبيه(2) ، إلى غيرها من عشرات المسائل التي ترفع بضيق بني أمية دون غيرهم من القبائل العربية.

فإنّهم أخذوا ينسبون كلّ الأمور إلى الأمويين ، وفي المقابل قالوا عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) : إنّه كان لا يعرف القراءة والكتابة - والعياذ بالله - وإنّ كتاب الله لم يكن مدوّناً على عهده(صلى الله عليه وآله) ، وإنّ الصحابة حفظوه في الصدور ولم يكتبوه في السطور ، وإنّ الإمام عليّاً عليه السلام ترخّم على أبي بكر لجمعه القرآن بين اللّوحين ، مع أنّه عليه السلام الجامع للقرآن - حسب ما عرفت من خلال هذه الدراسة - ونسبوا إليه قوله دفاعاً عن حرق عثمان للمصاحف : «لو كنت لفعلت مثل الذي فعل ، و...».

وإليك الآن بعض الروايات المؤكّدة لتصحيف بعض الكتاب لآي الذكر حسب اعتراف الصحابة وأمهات المؤمنين :

(منها ما في مسند أحمد عن أبي خلف مولى بن جُمَح «أنّه دخل مع 2.

ص: 317

1- المصاحف 1/153 / تحت ذيل الحديث 13 ، وفيه : وتعلّمه معاوية من عمّه سفيان ابن حرب.

2- مناهل العرفان 1/281 - 282.

عبيد بن عمير على عائشة ، فقال : جئت أسألك عن آية في كتاب الله تعالى ، كيف كان رسول الله؟ يقرؤها (صلى الله عليه وسلم) قالت : آية آية؟ قال : (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) (1) ، أو (وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا) ، فقالت : أيتهما أحب إليك؟ قلت : والذي نفسي بيده لأحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً ، قالت : أيهما؟ قلت : (وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا) ، فقالت : أشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كذلك كان يقرؤها ، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حُرّف».

وما أخرجه ابن جرير ، وسعيد بن منصور في سننه من طريق سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس «في قوله : (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا) (2) ، قال : إنما هي خطأ من الكاتب ، (حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا). أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ (هو) - فيما أحسب - مما أخطأت به الكتاب».

وما أخرجه ابن الأنباري من طريق عكرمة ، عن ابن عباس «أنه قرأ : (أفلم يتبين الآذنين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) ، فقيل له : إنها في المصحف : (أفلم يبين) (3) ، فقال : أظن الكاتب كتبها وهو ناعس».

وما أخرجه سعيد بن منصور ، من طريق سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس «أنه كان يقول في قوله تعالى : (وَقَضَى رَبُّكَ) (4) : إنما هي (ووصى) .3

ص: 318

1- سورة المؤمنين : 60.

2- سورة النور : 27.

3- سورة الرعد : 31.

4- سورة الإسراء : 23.

ربك)، التزقت الواو بالصّاد»(1).

فإنّ هذه النصوص تؤكّد عدم توقيفية الخط وأنه عمل بشري يمكن خطأ الكتاب فيه.

عثمان يفرّق الرسم في المصاحف المرسلة إلى الأمصار :

إنّ الداني أرجع سبب اختلاف مصاحف عثمان المرسلة إلى الأمصار إلى عثمان نفسه لا إلى الكتاب ، فقال :

«فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف؟ قلت : السبب في ذلك عندنا أنّ أمير المؤمنين عثمان لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر في رسمها لغة قريش - دون غيرها ممّا لا يصحّ ولا يثبت - نظراً للأمة واحتياطاً على أهل الملة ، وثبت عنده أنّ هذه الحروف من عند الله عزّ وجلّ كذلك منزلة ومن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) مسموعة ، وعلم أنّ جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكّن إلاّ بإعادة الكلمة مرّتين ، وفي رسم ذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به ، وفرّقها في المصاحف لذلك ، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها ، لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عزّ وجلّ وعلى ما سمعت من رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار»(2).5.

ص: 319

1- الاتقان 1/542 / ح 3499 ، مناهل العرفان 1/269 ، الشبهة الخامسة.

2- المقنع للداني : 115.

كما أشار ابن أبي داوود السجستاني إلى اختلاف خطوط المصاحف(1).

إذن ، اختلاف القراءات ، واختلاف الرسم القرآني ، والحفاظ على وجود اللحن في القرآن ، كلّها ممّا كان يعرفها عثمان قبل تعميم نسخ (المصحف الإمام) إلى الأمصار ، فهو لم يرفع الاختلاف ، بل حافظ عليه وفرّقه بين النسخ المرسلّة إلى الأمصار ، فجاءت في بعضها مثبتة وفي بعضها الآخر محذوفة ، مع تركه تصحيح أمر اللحن إلى العرب كي تقومه ، وهذا فيه ما فيه ، فعلى أيّ شيء يمكن حمل عمل عثمان هذا مع وقوفه على الصحيح منه؟ أليس في هذا تحكيم للخلاف وتوسيع دائرته لجميع العرب وفي جميع الأزمان؟

فالصحابة الأجلّاء - وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام - لم يتركوا عثمان على حاله ، بل سعوا بأقوالهم وأفعالهم أن يصحّحوا مساره صوتاً للكاتب العزيز ، وقد اعترف الألويسي بأنّ وجود أمثال الإمام علي عليه السلام هو الذي أبعث القرآن عن التحريف وسقوط شيء منه ، فقال :

«... وبعد انتشار هذه المصاحف بين هذه الأمة المحفوظة ، لاسيّما الصدر الأوّل الذي حوى من الأكابر ما حوى ، وتصدّر فيه للخلافة الراشدة عليّ المرتضى ، وهو باب العلم لكلّ عالم ، والأسد الأشدّ الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء بعد من القرآن ، وإلاّ لوقع الشكّ في كثير من ضروريّات هذا الدين الواضح البرهان»(2).3.

ص: 320

1- راجع : المصاحف 1/418 باب اختلاف خطوط المصاحف.

2- روح المعاني 1/23.

كما وقعت قبل قليل على وصية ابن مسعود لأصحابه لما أراد الخروج من الكوفة بأمر عثمان في عدم التنازع في القرآن وقوله: «فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ولا يتغير لكثرة الرد»، وتأكيده عليهم: «أن لا يدعوا قراءته رغبةً عنها، ومن قرأ على شيء من تلك الحروف فلا يدعنه رغبةً عنه، فإنه من جحد بأية جحد به كله»، فابن مسعود قال بهذا الكلام وقبله كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد قال قوله: «لا يهاج القرآن بعد يومنا هذا»، حفاظاً على وحدة الكلمة في القرآن الكريم.

قال الزرقاني في مناهل العرفان:

«ثم جاء علي رضي الله عنه فلاحظ العجمة تحيف على اللغة العربية، وسمع ما أوجس منه خيفةً على لسان العرب، فأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع بعض قواعد لحماية لغة القرآن من هذا العبث والخلل، وخط له النخطط وشرع له المنهج؛ وبذلك يمكننا أن نعتبر أن علياً رضي الله عنه قد وضع الأساس لما نسميه علم النحو، ويتبعه علم إعراب القرآن»⁽¹⁾.

عرفنا إذن أن الإمام علياً رضي الله عنه وأبا الأسود الدؤلي كان لهما الدور الأهم في الحفاظ على القرآن الكريم ورفع العجمة عنه، إذ بتتقيط الإعراب قد ربط الإمام بين القرآن المتلو والمصحف المكتوب، كما عرفنا بأن واضع قواعد النحو هو أبو الأسود الدؤلي بأمر الإمام علي عليه السلام، لا أنه واضعه بطلب زياد بن أبيه، كما يدعيه الآخرون. 3.

ص: 321

يضاف إلى ما قالوه شيء آخر، وهو أنّ المصحف العثماني لم يكن منقوطةً، وذلك ما مكن أن يُقرأ بكل ما يمكن من وجوه القراءات فيها، لأنّ تجريد المصحف من النقط يجعله يحتمل قراءة الكلمة بوجهين (بشراً) (نشراً)، و (ما ننزل) أو (ما تنزل) أو (ما تُنزل)، أو (تركنا عليه) أو (بركنا عليه)، وأمثال ذلك، بيد أنّ المؤرّخين يختلفون، فمنهم من يرى أنّ الإعجام (التنقيط) كان معروفاً قبل الإسلام (1) ولكن تركوه عمداً في كتابة المصاحف للمعنى السابق، ومنهم من يرى أنّ التنقيط لم يعرف إلا في العصور المتأخرة وقد وضع على يد أبي الأسود الدؤلي، وهذا الذي قالوه من عدم تنقيط المصاحف يعمّق الخلاف بين المسلمين ولا يوحدهم، فافقرأ تبرير الداني ودعواه بأنّ الصحابة وأكابر التابعين أجمعوا على ترك تنقيط المصاحف ثم جدّوا لتنقيطه، قال بذلك تعليقا على قول قتادة (بدووا فنقطوا ثم خمّسوا ثم عشّروا) :

«... وإتّما أخلى الصّددر منهم المصاحف من ذلك ومن الشكل، من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللّغات، والفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها، والقراءة بما شاءت منها، فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نَقْطَها وشكّلها» (2).

وردّ ابن الجزري (ت 833 هـ) نفس المعنى حين قال : 3.

ص: 322

1- انظر : رسم المصحف لغانم قدّوري : 468.

2- المحكم في نقط المصاحف : 3.

«ثم إن الصحابة لما كتبوا تلك المصاحف جرّدها من النقط والشكل ، ليحتمله ما لم يكن في العرصة الأخيرة ممّا صحّ عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) وإثما خلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخطّ الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوّين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين»(1).

وعليه فإنّ دعوى تفريق عثمان اختلاف رسم الخطّ الموجود قبل عهده على المصاحف المرسلّة ، ودعوى إجماع الصحابة وأكابرهم على عدم تنقيط المصاحف ، وأمثال ذلك ، يردها ما حكاه الداني عن ابن عبّاس من أنّه كان يرى لزوم البتّ في القراءة القرآنية وعدم جواز المصالحة والمداهنة على ذلك.

روى الداني عن خلف بن إبراهيم بن محمّد قال : «نا أحمد بن محمّد ، قال : نا عليّ بن عبد العزيز ، قال : نا القاسم بن سلام ، قال : نا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس أنّه قرأ : (عباد الرحمن) ، قال سعيد : قلت لابن عبّاس : إنّ في مصحفني : (عند الرحمن) ، فقال : امحها واكتبها (عباد الرحمن).

ألا ترى ابن عبّاس رحمه الله قد أمر سعيد بن جبير بمحو إحدى القراءتين وإثبات الثانية ، مع علمه بصحّة القراءتين في ذلك وأنّهما منزلتان من عند الله تعالى ، وأنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قرأ بهما جميعاً وأقرأ بهما أصحابه ، غير أنّ التي 3.

ص: 323

أمره بإثباتها منهنما كانت اختياره ، إمّا لكثرة القارئين بها من الصحابة ، وإمّا لشيء صحّ عنده عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) أو أمر شاهده من عليّة الصحابة.

فلو كان جمع القراءات وإثبات الروايات والوجوه واللغات في مصحف واحد جائزاً ، لأمر ابن عباس سعيداً بإثباتهما معاً في مصحفه بنقطة يجعلها فوق الحرف الذي بعد العين وضمة أمام الدال ، دون ألف مرسومة بينهما ، إذ قد تسقط من الرسم في نحو ذلك كثيراً لخفتها ، وتترك النقطة التي فوق ذلك الحرف ، والفتحة التي على الدال ، فتجتمع بذلك القراءتان في الكلمة المتقدّمة ، ولم يأمره بتغيير إحداهما ومحوها ، وإثبات الثانية خاصّة. فبان بذلك صحّة ما قلناه وما ذهب إليه العلماء من كراهة ذلك ، لأجل التخليط على القارئ والتغيير للمرسوم»(1).

قلت : الأمر لم يكن كما قاله الداني ، بل إنّ ابن عباس كان يريد البتّ بإحدى القراءتين ، وأنّه (عباد الرحمن) لا غير ، وعلى سعيد بن جبير أن يمحو (عند الرحمن) ، فلو صحّ هذا فلماذا لا يأمر ابن عباس بتفريق اختياراته الأخرى على المصاحف الأخرى كما فعله عثمان.

إذن ، عدم تنقيط المصاحف هو عامل مهمّ لتعميق الاختلاف وتشديده ، لا أنّه عامل لتوحيد الأمة كما يقولون ، إذ على الصحابي أن يبتّ ويقطع بالأمر لا أن يتركهم يقرؤون حيثما شاءوا ما لم تُصير آية رحمة آية عذاب. قال القيسي (437 هـ) في الإبانة عن معاني القراءات : 1.

ص : 324

1- المحكم في نقط المصاحف : 21.

«وكان المصحف إذ كتبه لم ينقّطوه ، ولم يضبطوا إعرابه ، فتمكّن لأهل كلّ مصر أن يقرؤوا الخطّ على قراءتهم التي كانوا عليها ممّا لا يخالف صورة الخطّ.

فقرأ قومٌ مصحفهم : (من كلّ حدّب) بالحاء والباء على ما كانوا عليه ، وقرأ الآخرون : (من كلّ جدّث) بالجيم والثاء على ما كانوا عليه ، وقرأ قوم : (يقصّ الحق) بالصاد على ما كانوا عليه ، وقرأ قوم : (يقض الحق) بالضاد على ما كانوا عليه.

وكذلك ما أشبه هذا ، لم يخرج أحدٌ في قراءته عن صورة خطّ المصحف.

فهذا سبب جمع المصحف وسبب الاختلاف الواقع في خطّ المصحف»(1).

وجود مصاحف للصحابة بعد حرق عثمان لها :

رغم كلّ ما تقدّم ورغم اعتماد عثمان على صغار الصحابة لأمر تدوين القرآن ، ورغم إحراقه للمصاحف ، رغم كلّ ذلك بقيت مصاحف كثير من الصحابة محفوظة منتشرة بين المسلمين ؛ لأنّ منهج عثمان الخاطي جعل كبار الصحابة وأتباعهم ينشرون قراءاتهم بين المسلمين بدون أيّ خوف ووجل ، ويوصون أصحابهم بأن يغلّوا مصاحفهم أو أن يحافظوا على ما أخذوه منهم ، 9.

ص: 325

1- الإبانة عن معاني القراءات : 68 - 69.

لأنّهم أخذوا القرآن من في رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة، ولا يجوز لهم التفريط بذلك، ومعناه أنّهم لا يجوزون اعتماد المصحف العثماني، لأنّ الكلّ يعلم بأنّ قراءة ابن مسعود وأبيّ بن كعب وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وغيرهم كانت رائجة في القرون الأربعة الأولى - أي بعد انتشار مصحف عثمان - وأنّ مصاحف هؤلاء كانت موجودة ومتداولة بين أيدي الناس، رغم سعي الخلفاء إلى حصر الأمة بالأخذ بمصحف عثمان دون غيره، وإليك بعض النصوص الدالة على ذلك :

جاء في تاريخ الإسلام للذهبي : «بأنّ بعض الهاشميين(1) قصدوا الشيخ المفيد (ت 413 هـ) شيخ الشيعة، وتعرّض به تعرّضاً امتعض منه تلامذته، فثاروا واستنفروا أهل الكرخ وصاروا إلى دار القاضي أبي محمّد الأصفهاني والشيخ أبي حامد الإسفراييني فسبّوهما ... وأحضر مصحف ذكروا أنّه مصحف ابن مسعود وهو يخالف المصاحف، فجمع له القضاة والكبار، فأشار أبو حامد [الإسفراييني] والفقهاء بتحريفه، ففعل ذلك بمحضهم، وبعد أيّام كتب إلى الخليفة بأنّ رجلاً حضر المشهد(2) ليلة نصف شعبان ودعا على من أحرق المصحف وشتمه، فتقدّم بطلبه فأخذ، فرُسم بقتله، فتكلّم أهل الكرخ في أمر هذا المقتول لأنّه من الشيعة، ووقع القتال بينهم وبين أهل البصرة وباب الشعير ونهر القلائين، وقصد أهل الكرخ دار أبي حامد.

ص: 326

1- أي : العباسيين.

2- والمقصود من المشهد هو مشهد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قريب بغداد.

فانتقل عنها...»(1).

وجاء في الكامل في التاريخ : «بأنَّ كلَّ الناس عرف فضل هذا الفعل [جمع عثمان للمصاحف] ، إلا ما كان من أهل الكوفة ، فإنَّ المصحف لمَّا قدم عليهم فرح به أصحاب النبيّ (صلى الله عليه وسلم) ، وإنَّ أصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا الناس...»(2).

كما حكى ابن النديم عن الفضل بن شاذان (ت 260 هـ) قوله : «وجدت في مصحف عبد الله بن مسعود تأليف سور القرآن على هذا الترتيب : البقرة ، النساء ، آل عمران...»(3) وهو يدلُّ على وجود مصحف لابن مسعود في متناول أيدي الناس في القرن الثالث الهجري ، وأنَّه لا يختلف ترتيبه عمَّا في أيدي الناس اليوم.

وقال أيضاً حكايةً عن الفضل بن شاذان : «كان تأليف السور في قراءة أبي بن كعب في البصرة في قرية يقال لها قرية الأنصار على رأس فرسخين عند محمّد بن عبد الملك الأنصاري ، أخرج إلينا مصحفاً وقال : هو مصحف أبيّ ، روينا عن آبائنا ، فنظرت فيه فاستخرجت أوائل السور وخواتيم الرسل وعدد الآية ، فأؤله فاتحة الكتاب ، البقرة ، النساء ، آل عمران ، الأنعام ، 9.

ص: 327

1- تاريخ الإسلام للذهبي 27/237 والبداية والنهاية 11/339 ، وفيه : فأشار أبو حامد والفقهاء بتحريقه بدل بتحريفه.

2- الكامل في التاريخ 3/9 في حوادث سنة 30 هـ.

3- الفهرست : 39.

الأعراف ، المائدة التي التبت وهي يونس ...»(1)، وهذا النص هو الآخر يشير إلى وجود مصحف أبي في البصرة ، وأنه كُتب حسب ترتيب المصحف الراجح اليوم ، وأن ابن شاذان قد شاهده هناك.

وفي تفسير الطبري : «حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا يحيى بن عيسى ، قال : حدّثنا نصير بن أبي الأشعث ، قال : حدّثني حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه ، قال : أعطاني ابن عباس مصحفاً ، فقال : هذا على قراءة أبي . قال أبو كريب : قال يحيى : فرأيت المصحف عند نصير فيه : (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)»(2).

وفيه أيضاً بالسند المتقدم : «أعطاني ابن عباس مصحفاً ، فقال : هذا على قراءة أبي بن كعب . قال أبو كريب : قال يحيى : رأيت المصحف عند نصير ، فيه : (ووصى ربك) يعني وقضى ربك»(3).

فهذان الخبران يدلان على أنّ مصحفاً كان على قراءة أبي عند ابن عباس ، وقد أعطاه لأيمن بن ثابت ، المكّي بأبي ثابت الثعلبي الكوفي(4).

وأيمن الكوفي أخبر ابنه حبيب بن أبي ثابت(5) ، والأخير أخبر نصير بن 9.

ص: 328

1- الفهرست : 40.

2- تفسير الطبري 5/12.

3- تفسير الطبري 15/63.

4- تهذيب الكمال 3/442 / الترجمة 597 ، 33/167 ، اسمه أيمن بن ثابت روى عن عبدالله بن عباس وعن غيره ، روى عنه أبو يعفور الصغير.

5- والذي مات في سنة 122 في ولاية يوسف بن عمر ، كما في تهذيب الكمال 5/358 / الترجمة 1079 ، وفي الطبقات 6/320 مات سنة 119.

أبي الأشعث الأسدي الكوفي الكناسي بذلك(1)، وأن يحيى بن عيسى الفاخوري الرملي الكوفي (ت 321 هـ) حدّث أبا كريب بذلك ، وهو يشير إلى أنّ المصحف بقي موجوداً بيد المسلمين حتّى أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث ، وقد نقل أخباره يحيى الفاخوري الذي عاش في القرن الرابع الهجري.

وفي النصّ الآتي ما يدلّ على وجود مصحف أبي بن كعب بيد المسلمين قبل ذلك التاريخ ، لأنّ الكسائي (ت 189 هـ) كان قد شاهده في القرن الثاني الهجري ، فقرأ ما جاء في المقنع للداني (ت 444 هـ) : «... وقال الكسائي : رأيت في مصحف أبي بن كعب (وللرجال) كتابها (وللرجل) ، و (جاءتهم رسلهم) و (جياتهم) ، و (جاء أمر ربك) (وجيا)»(2).

وممّا يؤكّد وجود مصحف ابن مسعود بأيدي الناس بعد جمع عثمان ما جاء في الكامل في التاريخ في حوادث سنة (95 هـ) قول الحجاج بن يوسف : «... ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أمّ عبد - يعني ابن مسعود - إلاّ ضربت عنقه ، ولأحكّتها من المصحف ولو بصلع خنزير. وقد ذكر ذلك عند الأعمش فقال : وأنا سمعته يقول ، فقلت في نفسي : لأقرأنها على رغم أنفك»(3).

وفي تهذيب التهذيب ترجمة عقبة بن عامر : «... قلت : قال أبو سعيد 5.

ص: 329

1- تهذيب الكمال 29/368 /الترجمة 6412.

2- المقنع : 66.

3- الكامل في التاريخ 4/285 حوادث سنة 95.

ابن يونس : كان قارئاً عالمياً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان شاعراً كاتباً ، وكانت له السابقة والهجرة ، هو أحد من جمع القرآن ، ومصحفه بمصر إلى الآن على غير التأليف الذي في مصحف عثمان ، وفي آخره بخطه : وكتبه عقبه بن عامر بيده»(1).

وقد حكى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام - في العصور الأولى - قراءة أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وأن مصحف الإمام كان موجوداً عندهم.

إذن قراءة ابن مسعود وأبي وعلي بن أبي طالب وابن عباس كانت موجودة في البلدان الإسلامية في القرون الأربعة الأولى ، وإن قراءة ابن مسعود كانت أكثر انتشاراً في الكوفة من قراءة زيد (قراءة المصحف الرائج) ، فقد أخرج ابن مجاهد بسنده عن عمران ، عن الأعمش (ت 148 هـ) ، قال :

«أدركت أهل الكوفة ، وما قراءة زيد فيهم إلا كقراءة عبد الله [بن مسعود] فيكم اليوم ، ما يقرأ بها إلا الرجل والرجلان»(2).

وعن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : «كان عبد الله يقرأنا في المسجد ، ثم يجلس بعده نثبت الناس ، فلم تزل قراءة عبد الله بالكوفة لا يعرف الناس غيرها»(3).

وذكر الذهبي في معرفة القراء الكبار بأن سعيد بن جبير (ت 95 هـ) كان يؤم الناس في شهر رمضان ، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود ، وليلة 7.

ص: 330

1- تهذيب التهذيب 7/42.

2- السبعة في القراءات لابن مجاهد : 67.

3- السبعة : 67.

وفي تفسير الطبري : «حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سالم : أنّ سعيد بن جبير كان يقرأ القرآن على حرفين»(2).

وقال الأستاذ عزّة دروزة في كتابه القرآن المجيد : «كان لكلّ من أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود - وهما صحابيّان وعالمان في القرآن - مصحف ، وإنّ ترتيب سور كلّ منهما مغاير لترتيب الآخر من جهة ، ومغاير لترتيب سور المصحف العثماني المتداول من جهة أخرى ، وإنّ في أحدهما زيادة وفي أحدهما نقصاً ، وإنّ المصحفين ظلّوا موجودين يُقرءان إلى ما بعد عثمان بمدة طويلة»(3).

تجوز المسلمون الأخذ بما يخالف مصحف عثمان :

فكلّ هذه النصوص تؤكّد وجود هذه القراءات بين المسلمين رغم إصرار الحكومات على الأخذ بمصحف عثمان بن عفّان دون غيره ، فعلى أيّ شيء يدلّ شيوع هذه الظاهرة وتجوز القراءات المختلفة من قبل أئمة القراء ثمّ الاختيار من بينها؟ بل تجاوز الأمر إلى أن ينسبوا كتاباً إلى أبي حنيفة فيه قراءات ما أنزل الله فيها من سلطان ؛ قال أبو العلاء الواسطي : «إنّ الخزاعي وضع كتاباً في الحروف نسبه إلى أبي حنيفة ، فأخذت خطّ الدارقطني 9.

ص: 331

1- معرفة القراء الكبار 1/69 ، غاية النهاية 1/305 /الترجمة 1340.

2- تفسير الطبري 1/18.

3- القرآن المجيد لدروزة : 429.

وجماعة أنّ الكتاب موضوع لا أصل له»(1). ثم أخذ ابن الجزري يعدّ بعض تلك القراءات الباطلة والمخالفة لأبده البديهيّات ، فإذا كان الشذوذ يعني مخالفة القراءات السبع ، فابن الجزري هو أوّل المجيزين للشاذ ، لأنّه كتب النشر في القراءات العشر ، وقد صنّف قبله وبعده أئمة آخرون كالقاسم بن سلام حيث صنّف كتاباً جمع فيه قراءة خمسة وعشرين إماماً ، وإسماعيل بن إسحاق البغدادي جمع قراءة عشرين إماماً ، وهكذا ألّف كتب في القراءات الثلاثة عشر أو الأربعة عشر أو العشرين أو ...

كما نقلوا لنا عن محمّد بن الحسن المعروف بابن مقسم العطار ، ومحمّد بن أحمد بن أيّوب بن شنبوذ (ت 328 هـ) ، أنّهما كانا يقرءان بالشواذ التي تخالف رسم الإمام ، فنقموا عليهما لذلك وبالغوا [في ذلك] وعزّروا ابن شنبوذ(2) ، فإنّه كان يقرأ في المحراب في بعض صلواته بحروف مروية عن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب تخالف مصحف عثمان بن عفّان(3). فاستدعاه الوزير ابن مقلّة في سنة (323 هـ) ، وأحضر القضاة والفقهاء والقراء وفي مقدّماتهم ابن مجاهد ، فاعترف بما نُسب إليه بكلّ جرأة ودافع عمّا يعتقد به ، ولم يتراجع عما هو عليه إلاّ تحت ضرب السياط ، إذ أمر الوزير بضربه أسواطاً وحبسه ، وهو يدعو على الوزير بأن يقطع الله يده ويشتت شمله ، حتّى استتابوه عن تلك التلاوة قسراً ، وقد كُتّب عليه ذلك بمحضر ، 0.

ص: 332

1- النشر في القراءات العشر 1/16.

2- سير أعلام النبلاء 15/265 / الترجمة 113.

3- تاريخ بغداد 1/280.

واستجيب دعاؤه على الوزير فقطعت يده وذاق الذل.

وكلامي هذا لا يعني بأنني أحبذ القراءة بالشاذ والنادر أو أجيزه، فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام أكدوا على لزوم القراءة بما يقرأ به الناس وعدم الخروج عن المشهور عندهم، لكنّ سؤالي: إن لم يكن ذلك جائزاً، فلماذا يجيزه مالك بن أنس وغيره؟ قال الزركشي في البرهان:

«وذكر ابن وهب في كتاب الترغيب من جامعه، قال: قيل لمالك: أتري أن تقرأ مثل ما قرأ عمر بن الخطاب: (فأمضوا إلى ذكر الله) (1)، قال: جائز، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أنزل القرآن على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه). ومثل (يعلمون) و (تعلمون)؟ قال مالك: لا. أرى باختلافهم بأساً، وقد كان الناس ولهم مصاحف. قال ابن وهب: سألت مالكا عن مصحف عثمان، فقال لي: ذهب. وأخبرني مالك قال: أقرأ عبد الله بن مسعود رجلاً: (إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم) (2)، فجعل الرجل يقول: [طعام] اليتيم، فقال: طعام الفاجر. فقلت لمالك: أتري أن يقرأ بذلك؟ قال: نعم، أرى أن ذلك واسعاً» (3).

بل كيف به يجيز ما تركه المسلمون، والذي صُدر من أجله ابن شنبوذ لاحقاً؟ بل ما الفائدة من جمع عثمان الصحابة على حرف واحد، وترى التابعين لا يأخذون به؟ فقال ابن وهب: سألت مالكا عن مصحف عثمان، ع.

ص: 333

1- سورة الجمعة: 9.

2- سورة الدخان: 43 و 44.

3- البرهان في علوم القرآن 1/222 النوع الحادي عشر - الأحرف السبعة.

فقال لي : ذهب.

فلو كان الشاذّ منهياً عنه ، فلماذا يؤلّف فيه بدءاً بابن جنّي في المحتسب إلى آخرين جاؤوا من بعده وما يعني ذلك؟ وهل الشاذّ يعني تخطّي القراءات السبعة أم القراءة بما يخالف المتواتر؟

ولم لا يرضى ابن جنّي إخراج بعض القراءات من القرآن ويرجو بتأليفه المحتسب الحسبة والمثوبة والقربى لله كما يدلّ عليه اسم الكتاب ، ألاّ يدافع ابن جنّي بعمله هذا عما سُمّي شاذّاً ويقول عنه بأنّه :

«محفوف بالروايات من أمامه وورائه ، ولعلّه أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه.

نعم وربّما كان فيه ما تطف صناعته ، وتعنّف بغيره فصاحته ، وتمطوه قوي أسبابه ، وترسوبه قدم إعرابه ، ولذلك قرأ بكثير منه من جاذب ابن مجاهد عنان القول فيه ، وما كنه عليه ، وراذه إليه ، كأبي الحسن أحمد بن محمّد بن شنبوذ ، وأبي بكر محمّد بن الحسن بن مقسم ، وغيرهما ممّن أدّى إلى رواية استقواها ، وأنحى على صناعة من الإعراب رضيها واستعلاها.

ولسنا نقول ذلك فسحاً بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم ، أو تسويغاً للعدول عمّا أقرّته الثقات عنهم ، لكنّ غرضنا منه أن نُري وجه قوّة ما يُسمّى الآن شاذّاً ، وأنّه ضارب في صحّة الرواية بجرانه ، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه ، لئلا يُري مُري (1) أنّ العدول عنه إنّما هون.

ص: 334

1- أي لئلا يظن ظان.

غَضُّ منه أو تهمة له ...

إلى أن يقول :

إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه ، ونتابع من يتبع في القراءة كلَّ جائر رواية ودراية ، فإننا نعتقد قوَّة هذا المسمَّى شاذًّا ، وأنَّه ممَّا أمر الله تعالى بتقبُّله وأراد منَّا العمل بموجبه ، وأنَّه حبيبٌ إليه ومرضيٌّ من القول لديه .

نعم ، وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه إعراباً وأنهض قياساً ، إذ هما جميعاً مرويان مسندان إلى السلف ، فإن كان هذا قادحاً فيه ومانعاً من الأخذ به ، فليكوننَّ ما ضعف إعرابه ممَّا قرأ بعض السبعة به هذه حاله ...

ولعمري إنَّ القارئ به من شاعت قراءته واعتيد الأخذ عنه ، فأما أن نتوقَّف عن الأخذ به لأنَّ غيره أقوى إعراباً منه فلا ، لما قدَّمنا ، فإذا كانت هذه حاله عند الله (جلَّ وعلا) وعند رسوله المصطفى ، وأولى العلم بقراءة القرآن ، وكان من مضى من أصحابنا لم يضعوا للحجج كتاباً فيه ولا أولوه طرفاً من القول عليه ، وإنَّما ذكروه مروياً مسلماً مجموعاً أو متفرقاً ، وربَّما اعتموا الحرف منه فقالوا القول المقنع فيه»(1).

وبهذا فقد اتَّضح لك أنَّ اختلاف مصاحف عثمان المرسله إلى الأمصار ومنهجية عثمان في توحيد المصاحف قد وسَّعت الشرخ بين المسلمين ، ولم 4.

ص: 335

توصلنا إلى الوحدة في القراءة ، وأنّ هذا الاختلاف بقي سارياً إلى العصور اللاحقة ، وقد عقد ابن أبي داوود السجستاني (ت 316 هـ) باباً بعنوان (اختلاف مصاحف الأمصار التي نُسخت من الإمام) ، ذكر فيه رواية عن عليّ ابن حمزة الكسائي اختلاف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة ، وفيه : «فأما أهل المدينة فقرأوا في البقرة : (وأوصى بها إبراهيم) ، وأهل الكوفة وأهل البصرة : (وَوَصَّى بِهَا) بغير ألف». ثم أخذ يعدّد تلك الأمور الواحد تلو الآخر(1) ، ثم ذكر عن سليمان بن مسلم بن جمار أنّ أهل المدينة يخالفون الإثني عشر حرفاً التي هي مكتوبة في مصحف عثمان بن عفّان ، فيقرؤون بعضها بزيادة وبعضها بنقصان ، ثم أخذ يذكر تلك الموارد الواحد تلو الآخر(2).

وفي الحديث رقم (133) من كتاب المصاحف ذكر السجستاني عن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار اختلاف أهل الشام وأهل المدينة وأهل العراق ، ثم أخذ يعدّها(3).

وروى في الحديث رقم (134) عن أبي حفص عمرو بن عثمان الحمصي بأنّ أهل الشام كانوا يقرؤون بكذا وكذا .. وأخذ يذكرها(4).

وفي حديث رقم (135) ذكر ما اختلف فيه أهل المدينة وأهل العراق 4.

ص: 336

1- المصاحف 1/253 / ح 130.

2- المصاحف 1/261 / ح 132.

3- المصاحف 1/261 / ح 133.

4- المصاحف 1/262 / ح 134.

من حروف القرآن الواحد تلو الآخر(1).

وفي حديث (137) ذكر اختلاف (إمام) أهل الشام و (إمام) أهل العراق ، وفي حديث (138) ذكر ما جاء في (إمام) أهل الشام و (إمام) أهل الحجاز ، وهكذا..(2)

وعليه ، فالاختلاف بين مصحفي أهل المدينة والعراق - كما قالوا - كان في إثني عشر حرفاً ، وبين مصحفي أهل الشام والعراق كان نحو أربعين حرفاً ، وبين مصحفي أهل الكوفة والبصرة في خمسة أحرف ، مع التنويه إلى أن كل كلمة من هذه الاختلافات كانت تسبب اختلافات أخرى لأجل عدم التنقيط ، وما كان يفعله أهل العربية بالقرآن من إعطاء وجه داعمة لهذا أو ذاك ، كل ذلك ممّا وسّع الشرح ودعاهم للاختيار من بينها.

نعم ، إن عثمان بن عفّان - وبمنهجيّته الخاطئة في المصاحف - قد شرعن الاختلاف بين المسلمين ، لأنّه لو كان يريد الأخذ بالقراءة الواحدة لكان عليه التصدّي بنفسه لذلك والبتّ بقراءة واحدة وحذف القراءات الأخرى ، أمّا التذبذب والخوف من الآخرين واتّخاذه القرار الضعيف والإقدام الخجول ، والسماح بالأخذ بجميع القراءات بجنب ما يعتمده من القراءة ، قد أثر على عملية توحيد المصاحف ، فانقلب عمل عثمان من عمل يدّعي أنّه إيجابي إلى عمل سلبي يضرّ بالقرآن وحجّيته ، لأنّ الاختلاف بهذه الطريقة وشرعنة هذا الخلاف بقواعد ومبرّرات أخذ يزداد شيئاً فشيئاً ، حتّى صار 8.

ص: 337

1- المصاحف 1/263 / ح 135.

2- المصاحف 1/272 / ح 138.

الاختلاف في القراءات هو المنفذ الرئيسي الذي دخله أعداء الدين للمساس بإعجاز القرآن.

وبهذه المناسبة نستطرف ما ذكره السيّد ابن طاووس (ت 644 هـ) وهو بصدد تفنيد ما نسبته أبو علي الجبائي (ت 235 هـ) إلى الشيعة الإمامية من القول بالتحريف ، قال :

«كلُّ ما ذكرته من طعن وقداح على من يذكر أنّ القرآن وقع فيه تبديل وتغيير ، فهو متوجّه على سيّدك عثمان ، لأنّ المسلمين أطبقوا على أنّه جمع الناس على هذا المصحف الشريف ، وحرّف وأحرق ما عداه من المصاحف ، فلولا اعتراف عثمان بأنّه وقع تبديلاً وتغيير من الصحابة ما كان هناك مصحف محرّف ، وكانت تكون متساوية.

ويقال له : أنت مقرّ بهؤلاء القراء السبعة وهم مختلفون في حروف وحركات وغير ذلك ، ولولا اختلافهم لم يكونوا سبعة ، بل كانت هناك قراءة واحدة ... فمن ترى ادّعى اختلاف القرآن وتغيّره؟ أنتم وسلفكم لا الرافضة على حدّ تعبيركم! ومن المعلوم من مذهبنا أنّ القرآن واحد نزل من عند واحد ، كما صرّح بذلك إمامنا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.

ويقال له : إنّك ادّعت في تفسيرك أنّ (بسم الله الرحمن الرحيم) ليست من القرآن ولا ترونها آية من القرآن ، وهي مائة وثلاث عشرة آية في المصحف الشريف تزعمون أنّها زائدة وليست من القرآن ، وأنّ عثمان هو الذي أثبتّها فيه على رأس السور فصلاً بين السورتين ، فهل هذا إلاّ اعتراف منك يا أبا علي بزيادتكم أنتم في المصحف الشريف زيادةً لم تكن من

قال ابن طاووس بهذا الكلام لأنه الواقف على اختلاف القراءات عندهم ، وأنه يمكن أن يقرأ بأشكال مختلفة ، كمثل ما روي عن ورقاء ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ قوله تعالى : (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظرونا نَقْتَسِمُ مِنْ تَوَارِكُمْ) : (للذين آمنوا أمهلونا) ، (للذين آمنوا آخرون) ، (للذين آمنوا ارقبونا)(2).

وقيل عنه بأنه كان يقرأ قوله تعالى : (كُلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَشْوًا) : (مَرَّوَا فِيهِ) ، (سَعُوا فِيهِ)(3) ، فإن تجويز ذلك هو معنى آخر لما افتراه ابن أبي سرح - أخو عثمان من الرضاة - من أن رسول الله كان يقول له : أكتب : (سميع عليم) ، فكان يكتب : (عليم حكيم) ، ورسول الله كان يمضيهما(4).

التوقف على الرسم العثماني :

وبعد كل هذا نعيد السؤال مرة أخرى : إذا كنا ملزمين بالتعبّد بالهجاء القديم والرسم العثماني وعدم تنقيط المصحف ، فلماذا نُنمّق المصحف وأدخلت فيه إشارات وعبارات لم يرض بها الأقدمون؟ أي أننا أدخلنا عليه ما 4.

ص: 339

1- سعد السعود : 144 - 145 بتصرف.

2- الاستذكار لابن عبد البر 2/483.

3- التمهيد لابن عبد البر 8/291.

4- تاريخ دمشق 29/34.

كرهه الأولون ، ولم يفتوا به ، لمصلحة رأيها وحكمة تبينها.

وإذا سُمح لنا بكتابة القرآن طبق الإملاء الجديد وترك القديم ، فما يعني ما قالوه عن توقيفية الرسم العثماني وأن من تخطى عنه فهو كافر؟

بل ما هي قيمة هذه الضوابط الثلاثة التي ذكرها في العصور المتأخرة للقراءة الصحيحة؟ والتي قالوا عنها بأنها شروط لو فقد أحدها لأصبحت القراءة شاذة لا يصح القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها ، وتسقط عن كونها قرآناً رأساً ، سواء كانت من السبعة أم من غيرها ، والشروط المذكورة هي :

1 - ما وافق العربية من وجه.

2 - ما وافق رسم أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

3 - ما صحّ سنده وتواترت القراءة به.

فشيوع القراءة بين المسلمين وصحة إسنادها وتلقي الأئمة لها بالقبول هو الأصل الأصيل والركن الأقوم لصحة القراءة ، أما الشرطان الآخرا من موافقة العربية والرسم العثماني فهما تبعا لا أصليان ، وإليك كلام بعض علماء الجمهور في هذا الباب :

قال الشيخ موفق الدين الكواشي (ت 680 هـ) : «كل ما صحّ سنده واستقام مع جهة العربية ، وافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبع المنصوص عليها ، ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرقين. فعلى هذا الأصل يبني من يقول : القراءات عن سبعة كان أو سبعة آلاف ، ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة ؛ ولا يقرأ بشيء

ص: 340

من الشواذ؛ وإنما يذكر ما يذكر من الشواذ؛ ليكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجحاً.

وقال مكّي القيسي (ت 437 هـ): وقد اختار الناس بعد ذلك، وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: قوّة وجه العربيّة، وموافقته للمصحف، واجتماع العامّة عليه، والعامّة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة، فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار. وربما جعلوا العامّة ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم؛ فقراءة هذين الإمامين أولى القراءات، وأصحّها سنداً وأفصحها في العربيّة، ويتلوها في الفصاحة خاصّة قراءة أبي عمرو والكسائي.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: كلّ قراءة ساعدها خطّ المصحف، مع صحّة النقل فيها، ومجيئها على الفصح من لغة العرب، فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختلف أحد هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة، أشار إلى ذلك جماعة من الأئمّة المتقدّمين، ونصّ عليه الشيخ أبو محمّد مكّي بن أبي طالب القيرواني في كتاب مفرد صنّفه في معاني القراءات السبع، وأمر بالحقاقه بكتاب الكشف، وذكره شيخنا أبو الحسن في كتابه جمال القراءة⁽¹⁾.

وقال ابن الجزري (ت 833 هـ): «كلّ قراءة وافقت العربيّة ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها، فهي القراءة 1.

ص: 341

الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلّ ركنٌ من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم؛ هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف»(1).

هذه هي الأصول الثلاثة التي لحظوها في القراءة الصحيحة، فلنناقشها أصلاً أصلاً.

فالركن الأول - أعني موافقة اللغة العربية - وإن كان ركناً أصيلاً في الغالب عندهم، إلا أنه يستلزم أن تكون القواعد العربية أصيلة مع كثرة الاختلاف فيها، وهي بلا شك لم تكن أسبق من نصّ القرآن، بل إنّ هذه القواعد مستقاة من لغة العرب والاستعمال، ولا نصّ أوثق من القرآن، فإخضاع النصّ القرآني - المتقدم على القواعد - للقواعد العربيّة المتأخّرة زمنًا ممّا لا يستساغ علمياً.

وقد حكى البغدادي أنّ النحاة في عصر أبي عمرو بن العلاء (ولد 68 - توفي 154 هـ) أنكروا على القراء - بعضاً من قراءاتهم - ففزع أحدهم إلى أبي عمرو بن العلاء قائلاً له: «إنّ أصحاب النحو يلحنوننا... فقال له: هي جائزة أيضاً لا نبالي إلى أسفل حركتها أو إلى فوق»(2). علماً أنّ أبا عمرو بن العلاء 7.

ص: 342

1- النشر في القراءات العشر 1/13.

2- خزانة الأدب للبغدادي 4/397.

هو ممّن انتهت إليه مشيخة الإقراء والنحو في البصرة في عصره.

نعم ، إنّ بعض علماء العربيّة كانوا عارفين بالقراءات القرآنية ، وكان لهم اختيار في القراءة ، لكن لم يؤخذ باختيارهم لعدم صحّة سنده ، فهذا عيسى ابن عمر الثقفي (ت 149 هـ) كان عالماً بالنحو على مذهب أهل البصرة ، غير أنّه كان له اختيار في القراءة على مذاهب العربية ، يفارق قراءة العامّة ، ويستنكرها الناس ، وكان الغالب عليه حبّ النصب ما وجد إلى ذلك سبيلاً⁽¹⁾ ، فلم يؤخذ باختياره .

ومثله ابن محيصة (ت 123 هـ) ، الذي يقول عنه ابن مجاهد : كان ابن محيصة عالماً بالعربية ، وكان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه .. يُروى عن مجاهد⁽²⁾ أنّه كان يقول : ابن محيصة يبني ويرصص في العربية ، يمدحه بذلك ... ولم يجمع أهل مكّة على قراءات ، كما أجمعوا على قراءة ابن كثير .

والسبب في ذلك واضح ، صرّح به ابن مجاهد بأكثر ممّا سبق ، فقد ذكر ابن الجزري عن ابن مجاهد أنّه قال : وكان لابن محيصة اختيار في القراءة على مذهب العربية ، فخرج به عن إجماع أهل بلده ، فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير لإتباعه⁽³⁾ .

وقد عرفت بأنهم شدّدوا النكير على ابن شنبوذ ومحمّد بن الحسن بن 8.

ص: 343

1- غاية النهاية 1/613 / الترجمة 2498.

2- هو مجاهد بن جبر ، أحد أعلام التابعين.

3- غاية النهاية 2/167 / الترجمة 3118.

مقسم العطار البغدادي (ت 354 هـ) ، الذي عرف عنه أنه من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين ، وأعرفهم بالقراءات ، مشهورها وغريبها وشاذها ، وذكر ابن النديم له عدداً غير قليل من الكتب ، نصّ على ثلاثة عشر منها ياقوت في معجمه ، أغلبها في علوم القرآن وتفسيره.

إذن لا- يمكن أن ننكر بأنّ بعض تأويلات واستدلالات هؤلاء من أهل العربية قد أثر على القراء ، وقد يكون هذا هو مقصود قول الإمام الصادق عليه السلام حينما قال : «أصحاب العربية يحرفون الكلم عن مواضعه»⁽¹⁾ ، أو ما جاء على لسان الإمام الباقر عليه السلام : «ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة»⁽²⁾.

إذن ، مقياس موافقة القراءة القرآنية للعربية والنحو كان متأخراً ، ولا يمكن اعتماده أصلاً أساسياً ، وقد ذكرنا أمثلة على بقاء اللحن في القراءة القرآنية في عهد الخلفاء الثلاثة ، وأنّ شرط الموافقة للعربية كان ممّا وضعه الداني ، ثمّ أضاف ابن الجزري على شرط موافقة القراءة للعربية عبارة : (ولو بوجه) ، وذلك تحسّياً لما سلكه النحاة واستنبطوه من قواعد شطّت كثيراً عن الجادة ، ومُلئت تأويلاً وتمحُّلاً ، فجاءت الأوجه الإعرابية المختلفة لموقع المفردة في الجملة ، وقد بيّن ابن الجزري هذا بقوله : وقلنا في الضابط - ولو بوجه - نريد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً ، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضرّ مثله ، إذا كانت القراءة ممّا شاع وذاع ، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح ، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم. 2.

ص: 344

1- مستدرك الوسائل 4/280 / ح 4701.

2- الكافي 2/630 / ح 12.

لكنّ الباقلاّني (ت 403 هـ) في كتابه الانتصار لم يرض ذلك ، فقال : «ظنّ بعض المشتغلين بعلم الكلام : أنّه يسوغ إعمال الرأي والاجتهاد في إثبات قراءة ، وأوجه ، وأحرف ، إذا كانت تلك الأوجه صواباً في العربية ، وممّا يسوغ التكلّم بها ، ولم تقم حجة بأنّ النبيّ (صلى الله عليه وسلم) قرأ تلك المواضع ... وأبى ذلك أهل الحقّ وأنكروه وخطّأوا من قال بذلك وصار إليه»(1).

وبهذا فقد عرفت بأنّ الذي عليه الأئمّة من علماء الأئمّة في القراءة والعربية : أنّ القراءات لا يجوز فيها القياس. قال أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) : «ليس كلّ ما جاز في قياس العربية تسوغ التلاوة به ، حتّى ينضم إلى ذلك الأثر المستفيض بقراءة السلف له وأخذهم به ، لأنّ القراءة سنّة متبعة»(2).

فعلماء القراءات من خلال هذه الأقوال أرادوا تأكيد أنّ التواتر هو الأصل الأصيل في القراءات لا موافقة العربيّة والرسم العثماني ، وهو الصحيح الذي لا غبار عليه.

أمّا الركن الثاني ، أعني الموافقة مع رسم خط المصحف العثماني ، فأيهما المقصود؟ هل موافقة مصحف عثمان المختصّ به ، أو موافقة مصحف المدينة المودع في مسجدها ، أو موافقة أحد المصاحف السنّة العثمانية المرسلة إلى الأمصار على ما فيها من اختلاف؟

فمصحف عثمان الأم الذي كان يقرأ فيه لم يكن في معرض نظر عامّة الناس حتّى يُعتمد ، ولم يثبت كلّ ما قالوه عنه ، بل ترى الاختلاف واضحاً في 0.

ص: 345

1- الانتصار 1/69 ، تمهيد ، وانظر الاتقان 1/210 / القول 1058.

2- الحجة في علل القراءات السبع 1/5 ، وينظر : البحر المحيط 1/30.

رسم الخطّ في النسخ المنسوبة إلى عثمان ، وأهمّ تلك النسخ ستّة :

- 1 - نسخة مصحف طشقند في اوزبكستان.
- 2 - مصحف قصر طوب قاضي في اسطنبول.
- 3 - نسخة المشهد الحسيني بمصر.
- 4 - نسخة متحف الآثار التركية باسطنبول.
- 5 - النسخة الموجودة في مكتبة الدائرة الهندية في انجلترا ، والتي أخذت من مكتبة مغول امبراطور الهند في دلهي.
- 6 - نسخة مكتبة معهد الشقيقات في سانت بترسبورغ.

أمّا دعوى موافقته لمصحف الإمام الذي كان في وعاء المسجد النبوي ، فقد أخفاه آل عثمان ضنّاً به.

وأما موافقته للمصاحف الخمسة أو السبعة المرسلة إلى الأمصار ، فلم يعد لها وجود قبل أن ينتهي القرن الأوّل الهجري ، لأنّ المصاحف أخذت في تطوّر وتحسّن في خطّها ونقطها وتشكيلها في أيام الحجاج بن يوسف.

حكى أبو أحمد العسكري في كتاب (التصحيف) : «أنّ الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفّان نيّفاً وأربعين سنة ، إلى أيّام عبد الملك ابن مروان ، ثمّ كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ...» (1).

ويحدّثنا محرز بن ثابت مولى مسلمة بن عبد الملك ، عن أبيه ، قال : ي.

ص: 346

1- وفيات الأعيان 2/32 عن كتاب التصحيف لأبي أحمد العسكري.

«كنت في حرس الحجاج ابن يوسف ، فكتب الحجاج المصاحف - منقطة ، ومشكلة ، ومخمسة ، ومعشرة ، على يد نصر بن عاصم الليثي ، وصاحبه يحيى بن يعمر ، تلميذي أبي الأسود الدؤلي - ، ثم بعث بها إلى الأمصار ، وبعث بمصحف إلى المدينة ، فكره ذلك آل عثمان ، فقبل لهم : أخرجوا مصحف عثمان ليقرأ ، فقالوا - ضنأ به - : أصيب المصحف يوم مقتل عثمان .

قال محرز : وبلغني أن مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان .

قال : فلما استخلف المهدي العباسي ، بعث بمصحف إلى المدينة ، فهو الذي يقرأ فيه اليوم ، وعزل مصحف الحجاج ، فهو في الصندوق الذي دون المنبر»(1).

قال ابن زبالة : حدثني مالك بن أنس - إمام المالكية - قال : «أرسل الحجاج إلى أمهات القرى بمصاحف ، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير ، وهو أول من أرسل بالمصاحف إلى القرى ، وكان هذا المصحف في صندوق عن يمين الأستوانة التي عملت علماً لمقام النبي (صلى الله عليه وآله) ، وكان يفتح في يوم الجمعة والخميس ، ويقرأ فيه إذا صلّيت الصبح . فبعث المهدي بمصاحف لها أثمان ، فجعلت في صندوق ، ونُحِّي عنها مصحف الحجاج ، فوضعت عن يسار السارية ، ووضعت لها منابر كانت تقرأ عليها ، وحمل مصحف الحجاج في صندوقه ، فجعل عند الأستوانة التي عن يمين المنبر»(2) . د .

ص : 347

1- تاريخ المدينة 1/9 / ح 10 .

2- وفاء الوفا للسهمودي 2/667 و 668 باب بعث المصاحف إلى المساجد .

قال ابن وهب : «سألت مالكا عن مصحف عثمان ، فقال : ذهب»(1). ويروي الشاطبي عن مالك أنه قال : «إن مصحف عثمان تعيب فلم نجد له خبراً بين الأسيخ»(2).

وفي كلامه هذا : إنه حاول العثور عليه فلم يستطع ، الأمر الذي يدلّ على انقطاع أثره من صفحة الوجود بالكلية ، وإلاّ فلو كان له وجود لما كان يختفي عن مثل مالك(3).

وعليه ، فإنّ هذه الموافقة قد تحتمل قراءة رفضت من جمهور القراء ، مثل قراءة (مليك) بدل (مالك) أو (ملك) ، على ما هو مذكور في كتب الشواذ ، وقد تكون صحيحة.

وهذا الشرط هو الآخر لم يكن موجوداً على عهد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ولا على عهد الخليفين الأول والثاني كما هو معلوم ، وإنّما هو أمر حادث في عهد الخليفة عثمان أو من بعده.

ثمّ إنك قد عرفت بأنّ عثمان أراد أن تكون نسخه المرسلّة إلى الأمصار مختلفة فيما بينها ، كي يحافظ على ما نزل به من عند الله وأقرّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) حسبما بُرّر ذلك لعثمان ، مؤكّدين في كلامهم أنّ على المسلم المحافظة على الرسم العثماني وإن لم يتفق مع قواعد الكتابة والهجاء ، وجاء فيه أشياء 3.

ص: 348

1- البرهان في علوم القرآن 1/222.

2- وفاء الوفا 2/669 / باب بعث المصاحف إلى المساجد.

3- انظر : التمهيد في علوم القرآن 2/133.

خارجة عن إرادة الكاتب من جرّاء القلم وكثرة الحبر وما شابه ذلك(1).

كما ينقض أصالة هذا الركن عندهم هو الفهم السائد الذي كانوا يؤكّدون عليه بأنّ نقل القرآن كان حفظاً في الصدور لا كتابة على السطور ، فلو كان كذلك فما يعني التأكيد على الرسم العثماني ولزوم المطابقة له؟ أليس هناك مفارقة بين الأمرين؟

أمّا الركن الثالث وهو الأصل الأصيل والركن المعتمد في القراءات وهو صحّة السند إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتواتر القراءة به ، فالذي ينكر تواتر القراءات لا يعني أنّه ينكر تواتر القرآن ، إذ أنكر جمعٌ غفير من أعلام الجمهور تواتر القراءات كأبي شامة في المرشد الوجيز ، وابن الجزري في النشر في القراءات العشر ، والسيوطي في الاتقان ، وغيرهم ، كما أنكر كثير من علماء الإماميّة ذلك كصاحب الحدائق(2) ، وصاحب الجواهر(3) ، وصاحب مفتاح الكرامة(4) ، وغيرهم ، وقد أشار بعض علماء الشيعة المعاصرين كالسيّد الخوئي إلى أدلّة القائلين بتواتر القراءات ليفنّدها ، مؤكّداً بأنّ التشكيك في تواتر القراءات لا يعني تشكيكاً في تواتر القرآن ، كما أنّ أدلّة تواتر القرآن لا تُثبت تواتر القراءات ولا يمكن تسرية أحدهما إلى الآخر ، وإنّ احتجاج كلّ قارئٍ من السبعة أو العشرة على صحّة قراءته ، وإعراضه عن قراءة الآخر هو 1.

ص: 349

1- انظر النشر في القراءات العشر 2/128 / باب الوقف على مرسوم الخط.

2- الحدائق الناظرة 8/95 - 100.

3- جواهر الكلام 9/293 ، بيان ما هو معتبر في القراءة.

4- مفتاح الكرامة 7/221.

دليل على عدم تواتر القراءات عندهم ؛ لأنه لو كان متواتراً عندهم لما جاز لهم تركه ، بل لما استوجب تركهم لقراءات أقرانهم تقسيقهم بل ربّما تكفيرهم.

إنّ اهتمام الصحابة والتابعين كان دائماً بتواتر القرآن لا بتواتر كفيّة قراءته ، خصوصاً مع يقيننا بأنّ بعض القراءات جاءت وفقاً للاجتهاد ، وقد أثر عليها علماء العربيّة ، وأنّ بعضها أخذ سماعاً من الأحاد وهو ليس بمتواتر ، وهذا ممّا لا يمكن أن ينكره أحد.

وعليه ، فالدليل لو صحّ لكانت جميع القراءات متواترة لا السبعة والعشرة منها فقط ، إذ لا ترجيح للسبعة على غيرها ، كما جاء هذا في كلام أعلامهم.

وأما ما استدّلوا به على تواتر القراءات وأنّها لو لم تكن لما كان القرآن متواتراً ، فقد أجاب عنه السيّد الخوئي بالقول :

« 1 - إنّ تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات ، لأنّ الاختلاف في كفيّة الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها ، ولهذا نجد أنّ اختلاف الرواة في بعض ألفاظ قصائد المتنبّي - مثلاً - لا يصادم تواتر القصيدة عنه وثبوتها له ، وإنّ اختلاف الرواة في خصوصيات هجرة النبيّ لا ينافي تواتر الهجرة نفسها.

2 - إنّ الواصل إلينا بتوسط القراء إنّما هو خصوصيات قراءاتهم ، وأمّا أصل القرآن فهو واصل إلينا بالتواتر بين المسلمين ، وينقل الخلف عن السلف ، وتحقّقهم على ذلك في صدورهم وفي كتاباتهم ، ولا دخل للقراء في ذلك أصلاً ، ولذلك فإنّ القرآن ثابت التواتر حتّى لو فرضنا أنّ هؤلاء القراء السبعة أو العشرة لم يكونوا موجودين أصلاً ، وعظمة القرآن أرقى من أن

تتوقّف على نقل أولئك النفر المحصورين»(1).

كما أنّ ما استدلّوا به من أنّ القراءات لو لم تكن متواترة لكان بعض القرآن غير متواتر، مثل : ملك ومالك ، ونحوها.

فجوابه : إن صحّ المدعى - وهو غير صحيح كما تقدّم - فيجب القول بتواتر جميع القراءات لا اختصاصه بالسبعة أو العشرة ، ولا سيّما بأنّ بين تلك القراءات ما هو أسمى من السبعة ، ولا ترجيح للسبعة عليها كما اعترف بذلك كثير من الأعلام ، وإليك بعضها :

قال أحمد بن عمار المهدي : «لقد فعل مسيّع هذه السبعة ما لا ينبغي له ، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كلّ من قلّ نظره أنّ هذه القراءات هي المذكورة في الخبر ، وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة ...»(2).

وقال الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم بن محمّد القراب في الشافي : التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا ستّة ، وإنّما هو من جمع بعض المتأخّرين لم يكن قرأ بأكثر من السبع ، فصنّف كتاباً وسماه كتاب السبعة ، فانتشر ذلك في العامة ...»(3).

وقال الإمام أبو محمّد مكّي : «قد ذكر الناس من الأئمّة في كتبهم أكثر من سبعين ممّن هو أعلى رتبةً وأجلّ قدراً من هؤلاء السبعة ... فكيف يجوز ..

ص: 351

1- البيان في تفسير القرآن : 158.

2- ...

3- ...

أن يظنّ ظانّ أنّ هؤلاء السبعة المتأخّرين قراءة كلّ واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها؟! هذا تخلف عظيم ، أكان ذلك بنصّ من النبيّ؟ أم كيف ذلك؟ وكيف يكون ذلك؟ والكسائي إنّما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره - وكان السابع يعقوب الحضرمي - فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة ونحوها الكسائي موضع يعقوب«(1). هذا أولاً.

وثانياً: إنّ اختلاف القراءات قد يبعدنا عن القراءة الصحيحة بعض الشيء ، لكنّه لا يخرجنا عن أصل القرآن ، لأنّ مادّة القرآن واحدة وإن اختلف في الهيئة والإعراب.

مع التأكيد على أنّ القراءات قد تكون من اجتهادات القراء أو تمحّلات أهل العربية ، فلا يمكن الاعتماد عليها لعدم ثبوت كونها روايات ، وحتّى لو ادّعي كونها روايات ورواتها ثقات فلم يثبت أنّ جميعها كانت كذلك ، وإنّ تعارض بعض القراءات مع الأخرى يسقطها من الحجّية ، لأنّ تخصيص بعضها بالأخذ دون غيرها ترجيح بلا مرجّح ، وقد حكى صاحب الجواهر عن الشيخ الطوسي في تبيانه : إنّ المعروف من مذهب الإمامية والتطلّع في أخبارهم ورواياتهم أنّ القرآن نزل بحرف واحد على نبيّ واحد ، غير أنّهم أجمعوا على جواز القراءة ، فإنّ الإنسان مخيّر بأيّ قراءة شاء ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها«(2).

وقال الأستاذ الأكبر في حاشية المدارك : «لا يخفى أنّ القراءة عندنا ..

ص: 352

1- انظر البرهان 1/329.

2- ...

نزلت بحرف واحد ، والاختلاف جاء من قبل الرواية ، فالمتواتر ...»(1) إلى آخر ما نقلناه عنه سابقاً.

وقال الإمام الباقر عليه السلام في خبر زرارة : «إنَّ القرآن واحد نزل من عند الواحد ، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة».

وقال الصادق عليه السلام في صحيح الفضيل لما قال له : «إنَّ الناس يقولون : إنَّ القرآن على سبعة أحرف : (كذب أعداء الله ، ولكِنَّه نزل على حرف من عند الواحد ...)(2).

وقد حكى البحراني عن المحدث الكاشاني قوله في كتاب الصافي بعد نقل الخبرين المذكورين :

«والمقصود منهما واحد ، وهو أنَّ القراءة الصحيحة واحدة ، إلاَّ أنَّه عليه السلام لما علم أنَّهم فهموا من الحديث الذي رووه صحَّة القراءات جميعاً مع اختلافها كذبهم. انتهى».

ويقرب من ذلك ما رواه في الكافي أيضاً في الصحيح إلى المعلّى بن خنيس ، قال : «كنا عند أبي عبد الله عليه السلام ومعنا ربيعة الرأي ، فذكر القرآن ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضال. فقال ربيعة الرأي : ضال؟ فقال : نعم. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : أمّا نحن فنقرأ على قراءة أبي»(3) ..

ص: 353

1- ...

2- جواهر الكلام 9/294.

3- ...

قال في كتاب الوافي: «والمستفاد من هذا الحديث أنّ القراءة الصحيحة هي قراءة أبيّ، وأنّها الموافقة لقراءة أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّها اليوم غير مضبوطة عندنا، إذ لم تصل إلينا قراءته في جميع ألفاظ القرآن انتهى»(1).

«أقول(2): لعلّ كلامه عليه السلام في آخر الحديث إنّما وقع على سبيل التنزيل والرعاية لربيعه الرأي، حيث إنّ معتمد العامة في وقته تلافياً لما قاله في حقّ ابن مسعود وتضليله له مع أنّه عندهم بالمنزلة العليا ولا سيّما في القراءة، وإلّا فإنّهم عليهم السلام لا يتبعون أحداً وإنّما هم متبعون لا تابعون ...

إلى أن يقول: ثمّ إنّ الذي يظهر من الأخبار أيضاً هو وجوب القراءة بهذه القراءات المشهورة، لا من حيث ما ذكره من ثبوتها وتواترها عنه عليه السلام بل من حيث الاستصلاح والتقوية.

فروى في الكافي بسنده إلى بعض الأصحاب، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جُعِلت فداك، إنّنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا، اقرؤوا كما تعلّمتم، فسيجيء من يعلمكم.

وروى فيه بسنده إلى سالم بن سلمة، قال: قرأ رجلٌ على أبي عبد الله عليه السلام - وأنا أستمع - حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس! فقال أبو عبد الله عليه السلام: كُفَّ عن هذه القراءة! اقرأ كما يقرأ الناس حتّى يقوم القائم ... الحديث. ق.

ص: 354

1- ...

2- والكلام لصاحب الحدائق.

وبالجملمة ، فالنظر في الأخبار وضم بعضها إلى بعض يعطي جواز القراءة لنا بتلك القراءات رخصة ، وإن كانت القراءة الثابتة عنه عليه السلام إنما هي واحدة.

وإلى ذلك أيضاً يشير كلام شيخ الطائفة المحقة قدس سره في التبيان حيث قال : إن المعروف من مذهب الإمامية والتطلع في أخبارهم ورواياتهم أن القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد ، غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء ، وأن الإنسان مخير بأي قراءة شاء قرأ ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها. انتهى.

ومثله أيضاً كلام الشيخ أمين الإسلام الطبرسي في كتاب مجمع البيان ، حيث قال : الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على القراءة المتداولة بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة ، والشائع في أخبارهم عليهم السلام أن القرآن نزل بحرف واحد. انتهى.

وكلام هذين الشيخين (عطر الله مرقديهما) صريح في رد ما ادّعاه أصحابنا المتأخرون (رضوان الله عليهم) من تواتر السبع أو العشر ، على أن ظاهر جملة من علماء العامة ومحققى هذا الفن إنكار ما ادّعي هنا من التواتر أيضاً...

ثم قال البحراني : ويؤيد ذلك ما نقله شيخنا المحدث الصالح عبد الله ابن صالح البحراني ، قال : سمعت شيخي علامة الزمان وأعجوبة الدوران يقول : إن جار الله الزمخشري ينكر تواتر السبع ويقول : إن القراءة الصحيحة التي قرأ بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنما هي في صفتها ، وإنما هي واحدة ، والمصلي لا

تبراً ذمته من الصلاة إلا إذا قرأ بما وقع فيه الاختلاف على كل الوجوه ، كمالك ومالك وصراط وسراط وغير ذلك. انتهى.

وهو جيد وجيه بناء على ما ذكرنا من البيان والتوجيه ، ولولا ما رخص لنا به الأئمة عليهم السلام من القراءة بما يقرأ الناس لتعین عندي العمل بما ذكره»(1).

إذن فمنهج مدرسة الإمامة وأئمة أهل البيت عليهم السلام والمخلصين من الصحابة والتابعين هو الذي حافظ على القرآن رغم انتهاج مدرسة الخلافة المسار الخاطئ والمؤذي إلى تحريفه ، بل - فوق كل ذلك - أن إرادة الله قد تعلقت بحفظ كتابه ودينه من التحريف.

فهم وكما قال الإمام الباقر لسعد الخير : «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده ، فهم يروونه ولا يراعونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية»(2).

وفي آخر : «ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيق حدوده ، وأقامه إقامة القدح ، فلا كثر الله هؤلاء من حملة القرآن»(3).

وعليه ، فهذا القرآن هو قرآن الله وقرآن رسوله(صلى الله عليه وآله) وقرآن جميع الصحابة ، والذي رُتب على عهد رسول الله وجمع بيد وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأن حجته عندنا جاءت بالتواتر ، ولاهتمام النبي(صلى الله عليه وآله) والمسلمين به ، وأن الاختلاف في القراءات لم يؤثر شيئاً على مادته وهيئته ، 1.

ص: 356

1- الحدائق الناظرة 8/98 - 102.

2- الكافي 8/53 / ح 16.

3- الكافي 2/627 / ح 1.

لأن أصل القرآن وتواتره يختلف عن كيفية قراءته ، فهو حجة عندنا ونقرأ به في صلواتنا ، وقد أفتى علماء الإمامية بوجوب قراءة الحمد وسورة أخرى في الصلاة ، فلو كان محرّفاً لم تصحّ فتياهم ، كما أنّهم لا يختلفون مع الآخرين في براءة ذمّة من استتوجر لقراءة القرآن ثمّ قرأ في هذا المصحف ، ومعناه أنّهم لا يختلفون مع الآخرين في حجّية هذا القرآن ، لأنّه لو جاز التحريف في آية واحدة لأمكن جريان التحريف في جميع القرآن ، ولبطل كلام الله بأنّه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والعياذ بالله!

والأسمى من كلّ ذلك أن نجعله معياراً شاخصاً لرفع التعارض بين أخبار أئمّتنا ، فما وافق كتاب الله نأخذ به ، وما خالفه نظرّحه ونضرب به عرض الجدار ، وقد كتب علماؤنا كتباً كثيرة في تفسير القرآن ومفاهيمه وعلومه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسّلام على أشرف خلقه وسيدّ أنبيائه المرسلين محمّد ، وآله الطيّبين الطاهرين الغرر الميامين.

ص: 357

1 - القرآن الكريم

2- المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام (نسخة صنعاء) : دراسة وتحقيق : د. طيار آلي قولا ج ، طبعة محققة ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية - استانبول 2011 م.

3- آلاء الرحمن في تفسير القرآن : للبلاغي النجفي محمّد جواد (ت 1352 هـ) ، مطبعة العرفان - لبنان 1933 م.

4- الإبانة عن معاني القراءات : للقيسي ، مكّي بن أبي طالب حموش (ت 437 هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر - القاهرة.

5- الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ) ، تحقيق : سعيد المندوب ، دار الفكر ، الطبعة الأولى - لبنان 1416 هـ - 1996 م.

6- إثبات الوصية : للمسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346 هـ) ، منشورات المكتبة الرضوية - قم ، بالأوفسيت عن طبعة المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

7- أجوبة مسائل جار الله : لشرف الدين ، السيّد عبد الحسين الموسوي (ت 1377 هـ) ، مطبعة العرفان - صيدا 1953 م.

- 8 - الآحاد والمثاني : لأبي بكر الشيباني ، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت 287 هـ) ، تحقيق : د. باسم فيصل أحمد الجوابرة ، دار الراية ، الطبعة الأولى - الرياض 1411 هـ - 1991 م.
- 9 - الأحاديث المختارة : للمقدسي ، محمّد بن عبد الواحد بن محمّد الحنبلي (ت 643 هـ) ، تحقيق : عبد الملك بن عبدالله بن دهب ، مكتبة النهضة ، الطبعة الأولى - مكّة المكرمة 1410 هـ .
- 10 - الاحتجاج على أهل اللجاج : للطبرسي ، أحمد بن علي بن أبي طالب (من اعلام القرن السادس الهجري) ، تحقيق : محمّد باقر الخراسان ، مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الثانية - لبنان 1403 هـ .
- 11 - الأحرف السبعة للقرآن : لأبي عمرو الداني ، عثمان بن سعيد (ت 444 هـ) ، تحقيق : د. عبد المهيمن طحان ، نشر مكتبة المنارة ، الطبعة الأولى - مكة المكرمة 1408 هـ .
- 12 - الإحكام في أصول الأحكام : لابن حزم الأندلسي ، علي بن أحمد بن حزم (ت 456 هـ) ، دار الحديث ، الطبعة الأولى - القاهرة 1404 هـ .
- 13 - أحكام القرآن : للجصاص ، أحمد بن علي الرازي (ت 370 هـ) ، تحقيق : محمّد الصادق قمحاوي . دار إحياء التراث العربي - بيروت 1405 هـ .
- 14 - أخبار القضاة : لوكيع ، محمّد بن خلف بن حيان (ت 306 هـ) ، عالم الكتب - بيروت .
- 15 - الإرشاد : للمفيد ، أبي عبدالله ، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت 413 هـ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث ، دار المفيد ، الطبعة الثانية ، بيروت 1414 هـ - 1993 م .

- 16 - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : للقسطلاني ، أبي العباس ، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 923 هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 17 - الاستبصار فيما اختلف من الأخبار : للشيخ الطوسي ، محمد بن الحسن (ت 460 هـ) ، تحقيق : السيد حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الرابعة ، طهران 1390 هـ.
- 18 - الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار : لابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت 463 هـ) ، تحقيق : سالم محمد عطا / محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت - 2000 م.
- 19 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ، يوسف بن عبدالله بن محمد (ت 463 هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، الطبعة الأولى - بيروت 1412 هـ.
- 20 - أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت 630 هـ) نشر إسماعيليان - طهران ، بالأوفسيت عن دار الكتاب العربي - لبنان.
- 21 - أسرار التكرار في القرآن : للكرماني ، محمود بن حمزة بن نصر (المتوفى بعد سنة 500 هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، الطبعة الثانية - القاهرة 1396 هـ.
- 22 - الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي الشافعي (ت 852 هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، الطبعة الأولى - بيروت - 1412 هـ - - 1992 م.

23 - أضواء على السنة المحمّدية = دفاع عن الحديث : محمود أبو رية ، منشورات الأعلمي - بيروت.

24 - اعتقادات الصدوق = الاعتقادات في دين الإمامية : للشيخ الصدوق ، محمّد ابن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت 381هـ) ، تحقيق : عصام عبد السيّد ، دار المفيد ، الطبعة الثانية ، بيروت 1414هـ.

25 - إعراب القرآن : للنّحاس ، أبي جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل (ت 338 هـ) ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة - بيروت 1409 هـ - 1988 م.

26 - إعلام الموقعين عن رب العالمين : للزرعي ، أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر ابن أيّوب بن سعد الدمشقي (ت 751 هـ) ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل - بيروت 1973 م.

27 - الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء : للكلاعي ، أبي الربيع سليمان بن موسى الأندلسي (ت 634 هـ) ، تحقيق : د. محمّد كمال الدين عزّ الدين علي ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى - بيروت 1417هـ.

28 - إكمال الدين وإتمام النعمة : للصدوق ، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت 381 هـ) ، مؤسّسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى - قم 1405هـ.

29 - الأم : لأبي عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ) ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة - بيروت - 1393.

30 - الأمالي : للشيخ الصدوق ، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي ، (ت 381 هـ) ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة ، نشر مؤسّسة البعثة ، الطبعة الأولى - قم 1417هـ.

- 31 - الأمالي : للشيخ الطوسي ، محمّد بن الحسن ، أبي جعفر (ت 460 هـ) ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، نشر مؤسسة البعثة ، الطبعة الأولى - قم 1414هـ.
- 32 - الأمالي : للشيخ المفيد ، أبي عبدالله ، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت 413 هـ) ، تحقيق : حسين الأستاذ ولي ، علي أكبر الغفاري ، دار المفيد للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت 1414هـ - 1993م.
- 33 - الإمامة والسياسة : لابن قتيبة ، أبي محمّد ، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت 276 هـ) ، تحقيق : طه محمّد الزيني ، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه.
- 34 - الانتصار للقرآن : لأبي بكر الباقلاني ، محمّد بن الطيب (ت 403 هـ) ، تحقيق : د. محمّد عصام القضاة ، دار الفتح - عمّان / دار ابن حزم - بيروت ، الطبعة الأولى 1422هـ (الانترنتية).
- 35 - الأنساب : للسمعاني ، أبي سعيد ، عبد الكريم بن محمّد ابن منصور التميمي (ت 562 هـ) ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر ، الطبعة الأولى - بيروت 1998م.
- 36 - أنساب الأشراف : البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279 هـ) ، تحقيق : د. سهيل زكار / د. رياض زركلي ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، بيروت 1417 هـ - 1996م.
- 37 - الأوائل : لأبي هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395 هـ) ، وضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1997م.

- 38 - اوائل المقالات : للشيخ المفيد ، أبي عبدالله ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت 413هـ) ، تحقيق : الشيخ إبراهيم الأنصاري ، دار المفيد ، الطبعة الثانية - بيروت 1414هـ.
- 39 - الإيضاح : لابن شاذان ، الفضل بن شاذان الأزدي (ت 260هـ) ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني الأرموي ، مؤسسة الطباعة والنشر لجامعة طهران ، الطبعة الأولى - إيران.
- 40 - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : للمجلسي ، الشيخ محمد باقر (ت 1111هـ) ، مؤسسة الوفاء ، الطبعة الثانية - بيروت 1403هـ.
- 41 - البحر الرائق شرح كنز الدقائق : لابن نجيم المصري ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد الحنفي (ت 970هـ) ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية - بيروت.
- 42 - البداية والنهاية : لابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت 774هـ) ، مكتبة المعارف - بيروت.
- 43 - البرهان في علوم القرآن : للزركشي ، محمد بن بهادر بن عبدالله ، (794هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة - بيروت 1391هـ.
- 44 - بصائر الدرجات في فضائل آل محمد : للصفار ، محمد بن الحسن بن فروخ القمي (ت 290هـ) ، الحاج ميرزا حسن كوجه باغي ، منشورات الأعلمي 1404هـ - - طهران.
- 45 - بلاغات النساء : لابن طيفور ، أبي الفضل بن أبي طاهر (ت 380هـ) ، مكتبة بصيرتي قم.
- 46 - البيان في تفسير القرآن : السيد أبو القاسم الخوئي (ت 1411هـ) ، دار الزهراء للطباعة ، الطبعة الرابعة - بيروت 1395هـ.

- 47 - البيان في عدّ آي القرآن : لأبي عمرو الداني ، عثمان بن سعيد الأموي (ت 444 هـ) ، تحقيق : غانم قدّوري الحمد ، مركز المخطوطات والتراث ، الطبعة الأولى - الكويت 1414 هـ - - 1994م.
- 48 - تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدي ، محمّد مرتضى الحسيني (ت 1205 هـ) ، تحقيق : مجموعة من المحقّقين ، دار الهداية.
- 49 - تاريخ ابن خلدون = كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر : لابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمّد الحضرمي (ت 808 هـ) ، دار القلم ، الطبعة الخامسة - بيروت 1984م.
- 50 - تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر : لأبي الفداء ، إسماعيل بن نور الدين (ت 732 هـ) ، تحقيق : محمود ديوب ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1417 هـ.
- 51 - تاريخ الإسلام : للذهبي ، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ) ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى - بيروت 1407 هـ - - 1987م.
- 52 - تاريخ أسماء الثقات : لابن شاهين ، عمر بن أحمد أبو حفص الواعظ (ت 385 الطبعة الأولى) ، تحقيق : صبحي السامرائي ، الدار السلفية ، الطبعة الأولى - الكويت 1404 هـ - - 1984.
- 53 - التاريخ الأوسط : للبخاري ، محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل ، أبي عبد الله الجعفي (ت 256 هـ) ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الأولى - حلب ، القاهرة 1397 هـ - - 1977م.

54 - تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ، أبي بكر ، أحمد بن علي (ت 463هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت.

55 - تاريخ الخلفاء : للسيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ) ، تحقيق : محمّد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة - مصر 1371هـ - 1952م.

56 - تاريخ دمشق : لابن عساكر ، أبي القاسم ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي (ت 571هـ) ، تحقيق : محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر - بيروت 1995 م.

57 - تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك : للطبري ، أبي جعفر محمّد بن جرير (ت 310هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت.

58 - تاريخ القرآن : لتيودور نولدكه ، تعديل : فريديريش شفالي ، نقله إلى العربية : د. جورج تامر ، الطبعة الأولى - بيروت 2004.

59 - تاريخ القرآن : للدكتور عبد الصبور شاهين ، إشراف : داليا محمّد إبراهيم ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة - مصر 2007 م.

60 - تاريخ القرآن الكريم : لمحمّد طاهر الكردي ، نشر : محمّد يغمور ، مطبعة الفتح - جدة - الحجاز 1365 هـ.

61 - التاريخ الكبير : للبخاري ، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبي عبد الله الجعفي (ت 256هـ) ، تحقيق : السيّد هاشم الندوي ، دار الفكر.

62 - تاريخ المدينة المنورة = أخبار المدينة المنورة : لابن شبة ، عمر بن شبة النميري البصري (ت 262هـ) ، تحقيق : علي محمّد دنلدل / ياسين سعد الدين بيان ، دار الكتب العلمية - بيروت 1417هـ - 1996م.

ص: 365

63 - تاريخ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت 284 هـ) ، دار صادر - بيروت.

64 - تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ) ، تحقيق : أحمد صقرا ، دار التراث ، الطبعة الثانية - القاهرة 1393 هـ.

65 - التبيان في تفسير القرآن : للطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت 460 هـ) ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإعلام الإسلامي - إيران 1209 هـ.

66 - تحف العقول عن آل الرسول : لابن شعبة الحرّاني ، الحسن بن علي بن الحسين (من أعلام القرن الرابع) ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الثانية - قم 1404 هـ.

67 - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : للمباركفوري ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت 1353 هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت.

68 - تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل : لأبي زرعة ، ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين أبي زرعة العراقي (ت 820 هـ) ، تحقيق : عبد الله نواره ، مكتبة الرشد - الرياض - 1999 م.

69 - تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري : للزيعلي ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد (ت 762 هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى - الرياض 1414 هـ.

70 - تذكرة الحفاظ : للذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت.

- 71 - تذكرة الفقهاء: للعلامة الحلّي، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسيدي (ت 726هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى - قم 1414هـ- (طبعة جديدة).
- 72 - التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبوية: للكتّاني، عبد الحيّ (ت 1382 هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
- 73 - التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي الكلبي، محمّد بن أحمد بن محمّد الغرناطي (ت 741 هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة - لبنان - 1403هـ - - 1983م.
- 74 - تغليق التعليق على صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمّد (ت 852 هـ)، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القرقي، المكتب الإسلامي، دار عمّار الطبعة الأولى - بيروت، عمان 1405 هـ.
- 75 - تفسير ابن أبي حاتم = تفسير القرآن: للرازي، عبد الرحمن بن محمّد بن إدريس (ت 237 هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا.
- 76 - تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، دار الفكر - بيروت 1401 هـ.
- 77 - تفسير البحر المحيط: لأبي حيّان الأندلسي، محمّد بن يوسف (ت 745 هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى - لبنان / بيروت - 1422 هـ - - 2001 م.
- 78 - تفسير البغوي: للحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، (ت 516هـ)، تحقيق: خالد عبدالرحمن الك، دار المعرفة - بيروت.

79 - تفسير الثعلبي : لأبي إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت 427 هـ) ، تحقيق : أبي محمد بن عاشور / نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت 1422هـ.

80 - تفسير جوامع الجامع : للطبرسي ، أبي علي الفضل بن الحسن (ت 548 هـ) ، تحقيق ونشر : مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى - قم 1420 هـ.

81 - تفسير الشهرستاني = مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار : لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت 458 هـ) ، تحقيق : محمد علي آذرشب ، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط ، الطبعة الأولى - طهران 2008 م.

82 - تفسير الطبري = جامع البيان : للطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت 310 هـ) ، دار الفكر - بيروت 1405هـ- ، دار المعرفة - بيروت 1403 هـ.

83 - تفسير العياشي : للعياشي ، محمد بن مسعود السلمي (ت 320 هـ) ، تحقيق : السيد هاشم المحلّاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.

84 - تفسير فرات الكوفي : لفرات بن إبراهيم (ت 352 هـ) ، تحقيق : محمد كاظم ، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، الطبعة الأولى - طهران 1410هـ.

85 - تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبدالله القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ) ، دار الشعب - القاهرة.

86 - تفسير القمّي : للقمّي ، أبي الحسن ، علي بن إبراهيم (من أعلام القرنين الثالث والرابع الهجري) ، تحقيق : السيد طيب الموسوي الجزائري ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة - قم 1404هـ.

- 87 - التفسير الكبير = مفتاح الغيب : للفخر الرازي ، محمّد بن عمر التميمي الشافعي (ت 606 هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1421هـ - 2000م.
- 88 - تفسير الكشاف = الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري ، أبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت 583 هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 89 - تفسير كنز الدقائق : للميرزا محمّد المشهدي (ت 1125 هـ) ، تحقيق ونشر : مؤسّسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، قم 1410 هـ.
- 90 - تفسير مجمع البيان : للطبرسي ، أبي علي الفضل بن الحسن (ت 548 هـ) ، تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيين ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الأولى ، بيروت 1415 هـ - 1995 م.
- 91 - تفسير الميزان : للطباطبائي ، للعلامة السيّد محمّد حسين (ت 1412 هـ) ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية - قم المقدّسة.
- 92 - تفسير نور الثقلين : للشيخ الحويزي ، علي بن جمعة العروسي (ت 1112 هـ) ، تحقيق : السيّد هاشم الرسولي ، مؤسّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة - قم 1412 هـ.
- 93 - تقييد العلم : للخطيب البغدادي ، أحمد بن علي (ت 463 هـ) ، دار إحياء السنّة النبوية.
- 94 - التمهيدي في علوم القرآن : للشيخ محمّد هادي معرفة ، مطبعة مهر - قم 1398 هـ.

- 95 - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت 463 هـ) ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمّد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب 1387 هـ .
- 96 - التنبيه والإشراف : للمسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، (ت 346 هـ).
- 97 - توجيه النظر إلى أصول الأثر : للشيخ طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي (ت 1338 هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، الطبعة الأولى - حلب 1416 هـ - 1995 م.
- 98 - التوحيد : للشيخ الصدوق ، أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت 381 هـ) تحقيق ، السيّد هاشم الحسيني الطهراني ، ط جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم - إيران.
- 99 - تهذيب الأحكام : للطوسي ، محمّد بن الحسن (ت 460 هـ) ، تحقيق : حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثالثة - طهران 1364 هـ - ش.
- 100 - تهذيب الأسماء واللغات : للنووي ، محي الدين بن شرف (ت 676 هـ) ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، بيروت - 1996.
- 101 - تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، أبي الفضل أحمد بن علي الشافعي (ت 852 هـ) ، دار الفكر ، الطبعة الأولى - بيروت 1404 هـ - 1984 م.
- 102 - تهذيب الكمال : للمزي ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبي الحجّاج (ت 720 هـ) ، تحقيق : د. بشار عوّاد معروف ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، بيروت 1400 هـ - 1980 م.

- 103 - تهذيب اللغة : للأزهري ، أبي منصور محمد بن أحمد (ت 370 هـ) ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى - بيروت 2001 م.
- 104 - الثقات : لابن حبان البستي التميمي ، أبي حاتم ، محمد بن حبان بن أحمد (ت 354 هـ) ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، الطبعة الأولى 1395 هـ - - 1975 م.
- 105 - الجامع : لمعمر بن راشد الأزدي (ت 153 هـ) ، تحقيق : حبيب الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية - بيروت 1403 هـ - (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج 10).
- 106 - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر (ت 911 هـ) ، دار الفكر ، الطبعة الأولى - بيروت 1401 هـ.
- 107 - الجرح والتعديل : للرازي ، أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس (ت 237 هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى - بيروت 1271 هـ - - 1952 م.
- 108 - الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم : للحميدي ، محمد بن فتوح (ت 1095 هـ) ، تحقيق : د. علي حسين البوّاب ، دار ابن حزم ، الطبعة الثانية - لبنان 1423 هـ - - 2002 م.
- 109 - جمال القراء وكمال الإقراء : للسخاوي ، أبي الحسن علي بن محمد الهمداني المصري (ت 643 هـ) ، تحقيق : عبد الحق عبد الدايم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى - بيروت 1419 هـ.
- 110 - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام : للشيخ محمد حسن النجفي (ت 1266 هـ) ، تحقيق : الشيخ عباس القوجاني ، الشيخ علي الآخوندي ، دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الأولى - طهران 1392 هـ.

- 111 - الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: للشيخ يوسف البحراني (ت 1186 هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
- 112 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للأصبهاني، أبي نعيم أحمد بن عبدالله (ت 430 هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة - بيروت 1405هـ.
- 113 - خاورشناسان وجمع وتدوين قرآن كريم (كتاب فارسي): لفروغ پارسا معاصر، پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگي - طهران 1390 ش.
- 114 - خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب: للبغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1039 هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي / اميل بديع اليقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى - بيروت 1998 م.
- 115 - الخصال: للصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت 381 هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، جماعة المدرسين، الطبعة الأولى - قم 1403 هـ.
- 116 - خصائص الأئمة: للشريف الرضي، أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (ت 406 هـ)، تحقيق: الدكتور محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية - الأستانة الرضوية - مشهد 1406 هـ.
- 117 - الخصائص الكبرى: للسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر (ت 911 هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت 1405هـ - 1985 م.
- 118 - الدر المنثور: للسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ)، دار الفكر - بيروت - 1993 م.
- 119 - دلائل الإمامة: للطبري الصغير الشيعي، أبي جعفر، محمد بن جرير بن رستم (أوائل القرن الخامس الهجري)، تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى - قم 1413 هـ.

- 120 - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : للبيهقي ، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458هـ) ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث ، الطبعة الأولى ، بيروت - القاهرة 1408 هـ .
- 121 - الذريعة إلى تصانيف الشيعة : للشيخ آقا بزرك طهراني (ت 1389هـ) ، دار الأضواء ، الطبعة الثالثة - بيروت 1403 هـ .
- 122 - ذم الكلام وأهله : للهروي ، أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري (ت 481 هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن عبد العزيز الشبل ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى - المدينة المنورة 1418 هـ .
- 123 - رجال البرقي : للشيخ أبي جعفر ، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت 274هـ) ، تحقيق : جواد القمي الأصفهاني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى - قم 1419 هـ .
- 124 - رجال الكشي = اختيار معرفة الرجال : للطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت 460هـ) ، مع تعليقات ميرداماد الأسترآبادي ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم 1404 هـ .
- 125 - رجال النجاشي : لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت 450هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامية ، الطبعة الخامسة - قم 1416 هـ .
- 126 - رسائل الشهيد الثاني (طبعة حجرية) : للعاملي ، زين الدين علي الجعبي (ت 965هـ) ، الناشر : منشورات مكتبة بصيرتي - قم .
- 127 - رسالة في الرد على الرافضة : لمحمد بن عبد الوهاب (ت 1206 هـ) ، تحقيق : تحقيق الدكتور / ناصر بن سعد الرشيد ، مطابع الرياض - الطبعة الأولى - الرياض .
- 128 - رسم المصحف : غانم قدوري الحمد ، نشر اللجنة الوطنية ، الطبعة الأولى - بغداد 1982 م .

- 129 - تفسير روح البيان : للبروسوي ، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي (ت 1137 هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 130 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الآلوسي : لآلوسي ، أبي الفضل شهاب الدين السيّد محمود (ت 1270 هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 131 - زاد المسير في علم التفسير : لابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي بن محمّد الجوزي (ت 597 هـ) ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة - بيروت 1404هـ.
- 132 - زاد المعاد في هدي خير العباد : للزرعي ، محمّد بن أبي بكر ، أبي عبد الله (ت 751 هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة / مكتبة المنار الإسلامية - بيروت / الكويت ، الطبعة الرابعة عشر 1407 هـ - - 1986م.
- 133 - الزاهر في معاني كلمات الناس : لابن الأنباري ، أبو بكر محمّد بن القاسم (ت 328 هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى - بيروت 1412 هـ - - 1992م.
- 134 - سبل الهدى والرشاد : للصالح الشامي ، محمّد بن يوسف (ت 942 هـ) ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود / الشيخ علي محمّد معوض ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1414 هـ - - 1993م.
- 135 - سعد السعود : لابن طاووس ، علي بن موسى (ت 664 هـ) ، منشورات الرضي - قم.
- 136 - السقيفة وفدك : للجوهري ، أبي بكر ، أحمد بن عبد العزيز البصري البغدادي (ت 323 هـ) ، تحقيق : الدكتور الشيخ محمّد هادي الأميني ، شركة الكتبي للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية - بيروت 1413 هـ - - 1993م.

- 137 - سنن ابن ماجه : لأبي عبدالله القزويني ، محمد بن يزيد (ت 275 هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر - بيروت .
- 138 - سنن أبي داود : لأبي داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث الأزدي (ت 275 هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر - بيروت .
- 139 - سنن البيهقي الكبرى : لأبي بكر البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت 458 هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز - مكة 1414 هـ - 1994 م .
- 140 - سنن الترمذي = الجامع الصحيح : للترمذي ، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279 هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي - بيروت 1357 هـ .
- 141 - سنن الدارقطني : للدارقطني ، أبي الحسن علي بن عمر البغدادي (ت 385 هـ) ، تحقيق : السيد عبدالله هاشم يماني المدني ، دار المعرفة - بيروت 1386 هـ - 1966 م .
- 142 - سنن الدارمي : للدارمي ، أبي محمد ، عبدالله بن عبدالرحمن (ت 255 هـ) ، تحقيق : فؤاد أحمد زمزلي ، خالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى - بيروت 1407 هـ .
- 143 - سنن سعيد بن منصور : لسعيد بن منصور الخراساني (ت 227 هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الدار السلفية ، الطبعة الأولى - الهند 1403 هـ - 1982 م / وطبعة ثانية ، تحقيق : د. سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد ، دار العصيمي - الرياض 1414 هـ .
- 144 - السنن الكبرى : للنسائي ، لأبي عبدالرحمن النسائي ، أحمد بن شعيب (ت 303 هـ) ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري / سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1411 هـ - 1991 م .

- 145 - سنن النسائي = المجتبي من السنن : للنسائي ، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت 303 هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، الطبعة الثانية - حلب 1406 هـ - - 1986 م.
- 146 - سيرة ابن إسحاق = كتاب السير والمغازي : لمحمد بن إسحاق بن يسار (ت 151 هـ) ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار الفكر الطبعة الأولى 1398 هـ.
- 147 - سيرة ابن كثير = السيرة النبوية : لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774 هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت 1396 هـ - - 1976 م.
- 148 - سير أعلام النبلاء : للذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748 هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط / محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة - بيروت 1413 هـ.
- 149 - السيرة الحلبيية في سيرة الأمين المأمون : للحلبي ، علي بن برهان الدين الحلبي (ت 1044 هـ) ، دار المعرفة - بيروت 1400 هـ.
- 150 - السيرة النبوية = سيرة ابن هشام : للحميري المعافري ، عبد الملك بن هشام ابن أيوب ، (ت 218 هـ) ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، الطبعة الأولى - بيروت 1411 هـ.
- 151 - الشافي في الإمامة : للسيد المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي البغدادي (ت 436 هـ) ، تحقيق : عبد الزهراء الخطيب ، مؤسسة إسماعيليان ، الطبعة الثانية - قم 1410 هـ.
- 152 - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار : للقاضي النعمان المغربي ، أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت 363 هـ) ، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلالى ، مؤسسة النشر الإسلامى ، الطبعة الثانية - قم 1414 هـ.

- 153 - شرح أصول الكافي : للمازندراني ، المولى محمد صالح (ت 1081هـ) ، تحقيق : الميرزا أبو الحسن الشعراني / السيد علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى - بيروت 1421هـ.
- 154 - شرح الزرقاني على موطأ مالك : للزرقاني ، محمد بن عبد الباقي بن يوسف (ت 1122هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1411هـ.
- 155 - شرح السنّة : للبخاري ، الحسين بن مسعود الفراء (ت 516هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش ، المكتبة الإسلامي ، الطبعة الثانية - دمشق 1983م (بي دي اف).
- 156 - شرح شذور الذهب : لابن هشام النحوي ، أبي محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري (ت 761هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين.
- 157 - شرح مشكل الآثار : لأبي جعفر الطحاوي ، أحمد بن محمد بن سلامة (ت 321هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى - بيروت 1408هـ - 1987م.
- 158 - شرح النووي علي صحيح مسلم : للنووي ، أبي زكريا ، يحيى بن شرف بن مري (ت 676هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية - بيروت 1392هـ.
- 159 - شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد ، عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت 656هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى - 1378هـ.
- 160 - شعب الإيمان : للبيهقي ، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت 458هـ) ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1410هـ.

- 161 - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل : للحاكم الحسكاني ، عبيدالله بن عبدالله بن أحمد (من أعلام القرن الخامس ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، الطبعة الأولى - طهران 1411 هـ .
- 162 - الشيعة والقرآن : إحسان إلهي ظهير ، نشر : إدارة ترجمان السنة ، الطبعة الأولى - لاهور - باكستان 1403 هـ .
- 163 - الصاحبي في فقه اللغة : لابن فارس ، أبي الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ) ، تحقيق : السيّد أحمد صقر ، نشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة 1977م (كتب سيّد علي).
- 164 - الصحاح = تاج اللّغة وصحاح العربية : للجوهري ، إسماعيل بن حمّاد (ت 393 هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة - بيروت 1407 هـ - 1987م .
- 165 - صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان الفارسي) : لأبي حاتم التميمي البستي ، محمد بن حبان بن أحمد (ت 354 هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية - بيروت 1414 هـ .
- 166 - صحيح ابن خزيمة : للسلمي النيسابوري ، أبي بكر ، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت 311 هـ) ، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي - بيروت 1390 هـ - 1970م .
- 167 - صحيح البخاري : للبخاري ، أبي عبدالله ، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت 256 هـ) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1407 هـ - 1987م .

168 - صحيح مسلم : للقشيري النيسابوري ، أبي الحسين ، مسلم بن الحجاج (ت 261 هـ) ، تحقيق : محمّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

169 - طبّ الأئمّة : لابن سابور الزيّات (ت 401 هـ) ، منشورات الشريف الرضي ، الطبعة الثانية - إيران 1411 هـ.

170 - طبقات ابن سعد = الطبقات الكبرى : لمحمّد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت 230 هـ) ، دار صادر - بيروت.

171 - طبقات الفقهاء : لأبي إسحاق الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف (ت 476 هـ) ، تحقيق : خليل الميس ، دار القلم - بيروت.

172 - علل الشرائع : للصدوق ، أبي جعفر ، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت 381 هـ) ، تحقيق : السيّد محمّد صادق بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف 1385 هـ.

173 - العلل ومعرفة الرجال : لأحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني (ت 241 هـ) ، تحقيق : وصيّ الله بن محمّد عبّاس ، دار الخاني ، الطبعة الأولى - بيروت 1408 هـ.

174 - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : للعيني ، بدر الدين محمود بن أحمد (ت 855 هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

175 - عيون أخبار الرضا عليه السلام : للصدوق ، أبي جعفر ، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت 381 هـ) ، تحقيق : الشيخ حسن الأعلمي ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت 1404 هـ.

176 - الغارات : للثقفّي ، أبي إسحاق ، إبراهيم بن محمّد الكوفي (ت 283 هـ) ، تحقيق : السيّد جلال الدين المحمّد ، طبع بالأوفسيت في مطابع بهمن.

- 177 - غاية المرام في شرح شرائع الإسلام : لراشد الصيمري ، مفلح بن الحسن (ت حدود 900 هـ) ، تحقيق : جعفر الكوثراني العاملي ، دار الهادي ، الطبعة الأولى - بيروت 1420 هـ .
- 178 - غاية النهاية في طبقات القراء : للجزري ، أبي الخير محمد بن محمد (ت 833 هـ) ، عني بنشره : ج. برجستراسر ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة - بيروت 1982 م .
- 179 - الغدير في الكتاب والسنة والأدب : للأمني ، عبدالحسين بن أحمد (ت 1392 هـ) ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الرابعة - بيروت 1397 هـ .
- 180 - غريب الحديث : لأبي عبيد ، القاسم بن سلام الهروي (ت 223 هـ) ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى - بيروت 1396 هـ .
- 181 - الغريبين في القرآن والحديث : للهروي ، أبي عبيد أحمد بن محمد (ت 401 هـ) ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، المكتبة العصرية - صيدا 1999 م (مكتبة).
- 182 - الفائق في غريب الحديث : للزمخشري ، محمود بن عمر (ت 583 هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية - لبنان .
- 183 - فتح الباري شرح صحيح البخاري : للعسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر (ت 852 هـ) ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة - بيروت .
- 184 - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : للشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت 1255 هـ) ، دار الفكر - بيروت .
- 185 - الفتنة ووقعة الجمل : لسيف بن عمر الضبي الأسدي (ت 200 هـ) ، تحقيق : أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، الطبعة الأولى - بيروت 1391 هـ .

- 186 - الفتوح : لابن أعثم الكوفي ، أبي محمّد أحمد بن أعثم (ت 314 هـ) ، تحقيق : علي شيري ، دار الأضواء ، الطبعة الأولى - بيروت 1411 هـ .
- 187 - فتوح البلدان : للبلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ) ، تحقيق : رضوان محمّد رضوان ، دار الكتب العلمية - بيروت - 1403 هـ .
- 188 - الفتوحات المكيّة : لابن العربي ، أبي عبد الله محمّد بن علي (ت 638 هـ) ، دار صادر - بيروت .
- 189 - الفردوس بمأثور الخطاب : للدليمي ، أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمداني ، الملقب : ب (إلكيا) (ت 509 هـ) ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1406 هـ - 1986 م .
- 190 - الفصل في الملل والأهواء والنحل : لابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد (ت 456 هـ) ، أبي محمّد ، مكتبة الخانجي - القاهرة .
- 191 - فضائل الصحابة : لأحمد بن حنبل الشيباني (ت 241 هـ) ، تحقيق : د. وصيّ الله محمّد عبّاس ، مؤسّسة الرسالة ، الطبعة الأولى - بيروت 1403 هـ - 1983 م .
- 192 - فضائل القرآن : لابن الضريس ، محمّد بن أيوب البجلي (ت 294 هـ) ، تحقيق : عروة بدير ، دار الفكر ، الطبعة الأولى - سورية 1978 م .
- 193 - فضائل القرآن : لأبي عبيد ، القاسم بن سلام الهروي (ت 224 هـ) ، تحقيق : مروان العطية ، محسن خرابة ، وفاء تقي الدين ، دار ابن كثير - دمشق - بيروت .
- 194 - فضائل القرآن : لابن كثير ، أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت 700 هـ) ، تحقيق : أبو إسحق الحويني الأثري ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الأولى - القاهرة 1416 هـ .

- 195 - فضائل القرآن : للمستغفري ، أبي العباس جعفر بن محمد (ت 432 هـ) ، تحقيق : د. أحمد بن فارس السلّوم ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى - لبنان 2006 م.
- 196 - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : للشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت 1250 هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة - بيروت 1407 هـ .
- 197 - فواتح الرحموت (بهامش المستصفي للغزالي) : للكنوي الهندي ، عبد العلي محمد بن نظام الدين (ت 1225 هـ) ، طبعة دار صادر بالأوفسيت عن المطبعة الأميرية ببولاق - مصر 1324 هـ - (الطبعة الأولى).
- 198 - الفهرست : للشيخ الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت 460 هـ) ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، مؤسسة نشر الفقاهة - قم 1417 هـ - ، الطبعة الأولى / وطبعة أخرى : تحقيق : أحمد عبدالسلام ، دار الكتب العلمية - بيروت 1415 هـ - ، الطبعة الأولى.
- 199 - فهرست ابن النديم : لأبي الفرج ، محمد بن أبي يعقوب البغدادي (ت 438 هـ) ، تحقيق : رضا - تجدد.
- 200 - فيض القدير شرح الجامع الصغير : للمناوي ، عبدالرؤف محمد بن علي الشافعي (ت 1031 هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الأولى - مصر 1356 هـ .
- 201 - القرآن الكريم وروايات المدرستين : للسيد مرتضى العسكري ، نشر شركة التوحيد للنشر ، الطبعة الأولى 1996 م.
- 202 - القرآن في الإسلام : للسيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1412 هـ) ، تعريب : السيد أحمد الحسيني .

203 - قرب الإسناد : للحميري ، أبي العباس ، عبدالله بن جعفر القمي (من اعلام القرن الثالث) ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم 1413هـ.

204 - القواعد والإشارات في أصول القراءات : لابن أبي الرضا الحموي ، أحمد بن عمر بن محمد (ت 791 هـ) ، تحقيق : د. عبد الكريم محمد الحسن بكار ، دار القلم ، الطبعة الأولى - دمشق 1406 هـ.

205 - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : للذهبي ، محمد بن أحمد أبي عبد الله الدمشقي (ت 748 هـ) ، تحقيق : محمد عوامة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، الطبعة الأولى - جدة 1413 هـ - 1992 م.

206 - الكافي : للكليبي ، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت 329 هـ) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الخامسة - طهران 1363 هـش.

207 - الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، أبي الحسن ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630 هـ) ، تحقيق : عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية - بيروت 1415 هـ.

208 - الكامل في ضعفاء الرجال : لابن عدي ، أبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني (ت 365 هـ) ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة - بيروت 1409 هـ - 1988 م.

209 - كتاب الألفين : للعلامة الحلبي ، حسن بن المطهر (ت 726 هـ) ، نشر : مكتبة الألفين - الكويت 1405 هـ - 1985 م.

210 - كتاب الزهد : لابن المبارك ، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي (ت 181 هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية - بيروت.

- 211 - كتاب السبعة في القراءات : لابن مجاهد ، أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمي البغدادي (ت 324 هـ) ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الثانية - القاهرة 1400 هـ .
- 212 - كتاب سليم بن قيس : لسليم بن قيس الهلالي (ت 76 هـ) ، تحقيق : محمّد باقر الأنصاري الزنجاني .
- 213 - كتاب صفّين : للمنقري ، نصر بن مزاحم (ت 212 هـ) ، تحقيق : عبدالسلام محمّد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة ، الطبعة الثانية - القاهرة 1382 هـ .
- 214 - كتاب المصاحف : لابن أبي داود السجستاني ، أبي بكر عبد الله بن سليمان الأشعث (ت 316 هـ) ، تحقيق : د. محبّ الدين عبد الله السبحان ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الثانية ، بيروت 1423 هـ .
- 215 - كشف الحجب والأستار : للسيد إعجاز حسين الكنتوري (ت 1286 هـ) ، الطبعة الثانية ، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم المقدّسة 1409 هـ .
- 216 - كشف الخفاء : للعجلوني ، إسماعيل بن محمّد (ت 1162 هـ) ، تحقيق : أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة - بيروت 1405 هـ .
- 217 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاج خليفة ، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرّومي الحنفي (ت 1067 هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت - 1413 هـ - - 1992 م .
- 218 - كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين : للعلامة الحلّي ، الحسن بن يوسف ابن المطهر (ت 726 هـ) ، تحقيق : حسين الدراكاهي ، الطبعة الأولى 1411 هـ .
- 219 - الكفاية في علم الرواية : للخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبي بكر (ت 436 هـ) ، تحقيق : أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية - المدينة المنورة .

- 220 - الكنى والألقاب : للشیخ عباس القمى (ت 1359 هـ) ، تقديم : محمد هادي الأمينى ، مكتبة الصدر - طهران.
- 221 - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : للمتمى الهندي ، علاء الدين علي المتمى بن حسام الدين الهندي (ت 975 هـ) ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1419 هـ - - 1998 م.
- 222 - لباب النقول في أسباب النزول : للسيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل (ت 911 هـ) ، دار إحياء العلوم - بيروت.
- 223 - لطائف الإشارات لفنون القراءات : للقسطلاني ، أبي العباس ، أحمد بن محمد (ت 923 هـ) ، تحقيق : عامر السيد عثمان / د. عبد الصبور شاهين ، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة 1972 م.
- 224 - مباحث في علوم القرآن : للدكتور صبحي الصالح.
- 225 - المبسوط : للسرخسي ، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت 483 هـ) ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت.
- 226 - المجالسة وجواهر العلم : للدينوري ، أبي بكر ، أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي (ت 333 هـ) ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى - بيروت 1423 هـ - - 2002 م.
- 227 - مجمع البحرين : للطريحي ، فخر الدين (ت 1085 هـ) ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، مكتب النشر الثقافة الإسلامية ، الطبعة الثانية 1408 هـ.
- 228 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيتمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت 807 هـ) ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت 1407 هـ.
- 229 - المجموع شرح المهذب : للنووي ، محيي الدين بن شرف (ت 676 هـ) ، دار الفكر - بيروت 1997 م.

- 230 - المحاسن : للبرقي ، أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد (ت 274 هـ) ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الإسلامية - طهران 1370 هـ .
- 231 - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : للراغب الأصفهاني ، أبي القاسم ، الحسين بن محمد بن المفضل ، تحقيق : عمر الطباع ، دار القلم - بيروت 1420 هـ - 1999 م .
- 232 - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : لابن جنبي ، أبي الفتح ، عثمان بن جني (392 هـ) ، تحقيق : علي النجدي / عبد الحلیم نجار / عبد الفتاح إسماعيل ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة 1415 هـ .
- 233 - المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية الأندلسي ، أبي محمد عبد الحق بن غالب (ت 546 هـ) ، تحقيق : عبدالسلام عبدالشافی محمد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - لبنان 1413 هـ - 1993 م .
- 234 - المحكم في نقط المصاحف : لأبي عمرو الداني ، عثمان بن سعيد (ت 444 هـ) ، تحقيق : محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 2004 م .
- 235 - المحلّي : لابن حزم الأندلسي ، أبي محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت 456 هـ) ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة - بيروت .
- 236 - مختصر بصائر الدرجات : للحلي ، عزّ الدين الحسن بن سليمان (من اعلام القرن التاسع) ، نشر الطبعة الحيدرية ، الطبعة الأولى - النجف الأشرف 1370 هـ .
- 237 - مختصر التحفة الإثني عشرية : للدهلوي (ت 1239 هـ) ، اختصره وهذبّه محمود شكري الأوسي (ت 1270 هـ) ، تحقيق : محبّ الدين الخطيب ، نشر المطبعة السلفية - القاهرة 1373 هـ .

- 238 - مختصر في شواذ القرآن : لابن خالويه ، أبي عبد الله الحسين بن أحمد الهمداني اللغوي (ت 370 هـ) ، مكتبة المتنبى - القاهرة.
- 239 - المدخل إلى السنن الكبرى : للبيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي أبي بكر (ت 458 هـ) ، تحقيق : د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت 1404 هـ.
- 240 - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز : لأبي شامة المقدسي ، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665 هـ) ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1424 هـ - 2003 م.
- 241 - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : للقاري ، علي بن سلطان محمد (ت 1014 هـ) ، تحقيق : جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت 1422 هـ - 2001 م.
- 242 - مذاهب التفسير الإسلامي : لاجتنس جولد تسهر ، ترجمه الدكتور عبد الحليم النجار ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثني ببغداد ، القاهرة 1374 هـ - / 1955 م.
- 243 - المزهري في علوم اللغة وأنواعها : للسيوطي ، جلال الدين (ت 911 هـ) ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1418 هـ - 1998 م.
- 244 - المسائل السروية : للشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت 413 هـ) ، تحقيق : صائب عبد الحميد ، دار المفيد ، الطبعة الثانية - بيروت 1414 هـ.
- 245 - المستدرک علی الصحیحین : للحاکم النیسابوری ، محمد بن عبدالله ، (ت 405 هـ) ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1411 هـ - 1990 م.

- 246 - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل : للنوري الطبرسي ، الشيخ ميرزا حسين (ت 1320هـ) ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، الطبعة الأولى المحققة - قم 1408هـ.
- 247 - مسند أبي يعلى : لأبي يعلى الموصلي ، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت 307 هـ) ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى - دمشق 1404 هـ - - 1984 م.
- 248 - مسند ابن الجعد : للجوهري ، علي بن الجعد بن عبيد البغدادي (ت 230 هـ) ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر ، الطبعة الأولى - بيروت 1410 هـ - 1990 م.
- 249 - مسند أحمد : لأحمد بن حنبل ، أبي عبدالله الشيباني (ت 241 هـ) ، مؤسسة قرطبة - مصر.
- 250 - مسند البزار : للبزار ، أبي بكر ، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت 292 هـ) ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن / مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى - بيروت ، المدينة 1409 هـ.
- 251 - مسند الربيع = الجامع الصحيح : للأزدي ، الربيع بن حبيب البصري (من أعيان المائة الثانية للهجرة) ، تحقيق : محمد إدريس / عاشور بن يوسف ، دار الحكمة / مكتبة الاستقامة ، الطبعة الأولى - بيروت / سلطنة عمان - 1415 هـ.
- 252 - مسند الشافعي : لمحمد بن إدريس ، أبي عبد الله الشافعي (ت 204 هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 253 - مسند الشاميين : للطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني (ت 360 هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى - بيروت 1405 هـ - - 1984 م.

- 254 - مسند الطيالسي : لسليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي (ت 204 هـ) ، دار المعرفة - بيروت.
- 255 - مشكاة المصابيح : للخطيب التبريزي ، محمّد بن عبد الله العمري (ت 741 هـ) ، تحقيق : محمّد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة - بيروت 1985م.
- 256 - المصنف : للصنعاني ، أبي بكر عبد الرزاق بن همام (ت 211 هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية - بيروت 1403هـ.
- 257 - مصنف ابن أبي شيبة : للكوفي ، أبي بكر بن أبي شيبة ، عبدالله بن محمّد (ت 235هـ) ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى - الرياض 1409هـ.
- 258 - المعارف : لابن قتيبة الدينوري ، أبي محمّد عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ) ، تحقيق : د. ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة.
- 259 - معالم العلماء : لابن شهر آشوب ، مشير الدين أبي عبدالله محمّد بن علي (ت 588 هـ) ، قم - إيران.
- 260 - معاني الأخبار : للصدوق ، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت 381 هـ) ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم 1379 هـ.
- 261 - المعتصر من المختصر من مشكل الآثار : أبي المحاسن يوسف بن موسى الحنفي (ت 803 هـ) ، عالم الكتب / مكتبة المتنبّي / مكتبة سعد الدين - بيروت / القاهرة / دمشق.
- 262 - المعجزة الكبرى : لمحمّد أبو زهرة ، نشر دار الفكر العربي.
- 263 - معجم الأديب = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : للحموي ، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت 626 هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1411هـ - 1991م

- 264 - المعجم الأوسط : للطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت 360 هـ) ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين - القاهرة 1415 هـ .
- 265 - معجم القراءات القرآنية : للدكتور أحمد مختار ، والدكتور عبد العال سالم ، أسوة للنشر ، إيران 1991 م .
- 266 - المعجم الكبير : للطبراني ، أبي القاسم ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت 360 هـ) ، تحقيق : حمدي بن المجيد السلفي ، مكتبة الزهراء ، الطبعة الثانية - الموصل 1404هـ - - 1983م .
- 267 - المعرفة والتاريخ : للفسوي ، أبي يوسف ، يعقوب بن سفيان (ت 280 هـ) ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية - بيروت 1419هـ - - 1999م .
- 268 - معرفة الثقات : للعجلي ، أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت 261 هـ) ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، مكتبة الدار ، الطبعة الأولى - السعودية 1405 هـ .
- 269 - معرفة القراء الكبار : للذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ) ، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرنؤوط ، صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى - بيروت 1404 هـ .
- 270 - المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني : للمقدسي الحنبلي ، ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد (ت 620 هـ) ، دار الفكر ، الطبعة الأولى - بيروت 1405 هـ .
- 271 - مفتاح الكرامة : للسيد محمد جواد العاملي (ت 1226 هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد باقر الخالصي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، الطبعة الأولى - قم 1419 هـ .

- 272 - مفردات ألفاظ القرآن : للراغب الأصفهاني ، أبي القاسم الحسين بن محمد (ت 425 هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم - دمشق.
- 273 - مقالات الإسلاميين : لأبي الحسن الأشعري ، علي بن إسماعيل (ت 330 هـ) ، تحقيق : هلموت ريتز ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة - بيروت.
- 274 - مقدّمتان في علوم القرآن : لابن عطية الأندلسي ، أبي محمد عبد الحق بن غالب (ت 546 هـ) ، تحقيق أرثر جيفري ، نشر السنّة المحمّدية - القاهرة.
- 275 - المنقح : لأبي عمرو الداني ، عثمان بن سعيد (ت 444 هـ) ، تحقيق : محمد أحمد دهمان ، دار الفكر ، تصوير عن الطبعة الأولى ، دمشق 1983 م.
- 276 - مناقب ابن شهر آشوب : لمشير الدين أبي عبدالله بن علي (ت 588 هـ) ، تحقيق : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، المكتبة الحيدرية - النجف 1276 هـ.
- 277 - المناقب : للموقّ الخوارزمي ، الموقّ بن أحمد بن محمد المكيّ (ت 568 هـ) ، تحقيق : الشيخ مالك المحمودي ، مؤسّسة النشر الإسلامي ، الطبعة الثانية - قم 1414 هـ.
- 278 - مناهل العرفان في علوم القرآن : للزرقاني ، محمد عبد العظيم (1367 هـ) ، دار الفكر ، الطبعة الأولى - لبنان 1416 هـ - 1996 م.
- 279 - المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال : للذهبي ، أبي عبد الله محمد بن عثمان (ت 748 هـ) ، تحقيق : محبّ الدين الخطيب.
- 280 - منح الجليل على مختصر الشيخ خليل : لمحمد عيش ، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد المالكي (ت 1299 هـ) ، دار الفكر - بيروت - 1409 هـ - 1989 م.
- 281 - منع تدوين الحديث : للسيد علي الشهرستاني ، مؤسّسة الرافد ، الطبعة الرابعة - قم 1430 هـ.

- 282 - منهاج السنة النبوية : لابن تيمية الحرّاني ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم الحرّاني (ت 728هـ) ، تحقيق : د. محمّد رشاد سالم ، مؤسّسة قرطبة ، الطبعة الأولى 1406هـ.
- 283 - الموافقات في أصول الشريعة : للشاطبي ، إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي (ت 790 هـ) ، تحقيق : عبد الله دراز ، دار المعرفة - بيروت.
- 284 - موطأ الإمام مالك : لمالك بن أنس الأصبحي ، أبي عبدالله (ت 179هـ) ، تحقيق : محمّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - مصر.
- 285 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي ، شمس الدين محمّد بن أحمد (ت 748 هـ) ، تحقيق : علي محمّد معوض / وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى - بيروت 1995م.
- 286 - لسان العرب : لابن منظور ، محمّد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت 711 هـ) ، دار صادر ، الطبعة الأولى - بيروت.
- 287 - لسان الميزان : لابن حجر العسقلاني ، أبي الفضل ، أحمد بن علي بن حجر (ت 852 هـ) ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية - الهند ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثالثة - بيروت 1406هـ - 1986م.
- 288 - الناسخ والمنسوخ = قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن : للكرمي ، مرعي بن يوسف بن أبي بكر (1033 هـ) ، تحقيق : سامي عطا حسن ، دار القرآن الكريم - الكويت 1400 هـ.
- 289 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي ، أبي المحاسن ، يوسف الأتابكي (ت 874 هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر.

- 290 - نصوص في علوم القرآن : للسيد علي الموسوي الدارابي (معاصر) ، مجمع البحوث الإسلامية ، الطبعة الثانية - مشهد 1429 هـ .
- 291 - نفحات الأزهار : للسيد علي الميلاني ، (معاصر) ، مطبعة مهر - قم 1414 هـ .
- 292 - النشر في القراءات العشر : لابن الجزري ، أبي الخير محمد بن محمد ، (ت 833 هـ) ، تحقيق : علي محمد الضبياع ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- 293 - نوادر الأصول : للترمذي ، محمد بن علي بن الحسن ، أبي عبد الله (ت 255 هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل - بيروت - 1992 م .
- 294 - نور القبس المختصر من المقتبس : للمرزباني ، أبي عبيد الله محمد بن عمران (ت 384 هـ) ، اختصار أبو المحاسن اليعموري (ت 673 هـ) ، تحقيق : رودلف زلهاميم ، نشر فرانتس شتاينر بفيسبان - المانيا 1964 م .
- 295 - النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير ، أبي السعادات ، المبارك بن محمد الجزري (ت 606 هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي / محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت 1399 هـ - 1979 م .
- 296 - نهج البلاغة (ما جمعه الشريف الرضي (ت 406 هـ) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام) : تحقيق : الشيخ محمد عبده ، دار الذخائر - إيران 1412 هـ .
- 297 - الوافي : للفيض الكاشاني ، محمد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود (ت 1091 هـ) ، تحقيق : ضياء الدين الحسيني الأصفهاني ، مكتبة أمير المؤمنين ، الطبعة الأولى - أصفهان 1406 هـ .
- 298 - الوافي بالوفيات : للصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ) ، تحقيق : أحمد الأرنبوط / تركي مصطفى ، دار إحياء التراث - بيروت 1420 هـ - 2000 م .

299 - وسائل الشيعة: للحرّ العاملي، الشيخ محمد بن الحسن (ت 1104هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية - قم 1414هـ.

300 - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: للسهمودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الشافعي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد المجيد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى - بيروت 1419هـ.

301 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلّكان، أبي العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان.

302 - ينابيع المودة لذوي القربى: للقندوزي، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت 1294هـ)، تحقيق: سيّد علي جمال أشرف الحسيني، دار أسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1416هـ.

تاريخ

- ورجال

أحمد عليّ مجيد الحلّي النجفيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على من بعثه لخير الأمم ، أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين أولي العلم من خلقه الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وبعد :

السادة (آل الخرسان) من الأسر النجفيّة الموسويّة الشريفة ، التي جمعت بين شرف العلم وخدمة الحرم العلويّ المطهر ، وقد نبغ فيهم علماء وأدباء ووجهاء... وما عساني أن أكتب عنهم وقد ذكروا في قديم الزمان

ص: 395

وحاضره ، فقد وصف تقيّ الدين أحمد بن عليّ المقرئيّ (ت 845 هـ) في خطه جدّهم السيّد أبا الحسن معصوماً في قصّة مشهورة حدثت مع طلائع ابن رزيك (ت 556 هـ) بأنّه : «إمام مشهد عليّ رضي الله عنه يومئذ»⁽¹⁾.

وقال ابن شدقم (كان حيّاً سنة 1090 هـ) عنه ما نصّه : «إنّ أبا الحسن معصوماً كان في المشهد الغرويّ كبيراً جليلاً عظيماً ، ذا جاه وعزّ واحترام وسكينة»⁽²⁾.

وفي بطون الكتب - خاصّة كتب النسب والتراجم - جملة من أحوالهم وآثارهم وما يتعلّق بنسبهم الوضّاح ، وأورد بعضها فصلاً كاملاً عن هذه الأسرة العريقة وعلمائها ، وقد أعرضت عن الإطناب بذكرها مكتفياً بالإرجاع إليها ، وبذكر طائفة منها في مصادر هذا البحث ؛ وآثرت الحديث عن مكتبتهم خاصّة ، التي وقّفتها الله تعالى لفهرستها في خزنة الحرم العلويّ بمدة أقصاها ثلاثمائة ساعة متفرّقة على ستة أشهر بين إقبال وإدبار.

وقد أوكل أمر فهرستها إليّ الدكتور عليّ خصيّر حجّج مشكوراً ، وكان ذلك في (شهر صفر من سنة 1435 هـ) ، وبحسب مشروعى لفهرسة مخطوطات النجف الأشرف قمت بذلك من بين ثمانية أعمال مطبوعة ومخطوطة سبقت هذا الفهرس ، باشرت العمل بالفهرسة في الخزنة العلويّة 7.

ص: 396

-
- 1- أورد القصّة المقرئيّ في : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : 85/4 ، وابن شدقم في : تحفة الأزهار : 297/3 ، والعلامة الأمينيّ (ره) في : كتابيه الغدير : 4/348 ، وشهداء الفضيلة : 61.
 - 2- تحفة الأزهار : 3/297.

بعد منتصف شهر ربيع الأول ، وانتهيت منه في منتصف شهر رمضان المبارك من تلك السنة ، وبعملي هذا أرجو أن أكون قد وفقت في خدمة التراث الإسلامي ، وخدمة بلدي النجف الأشرف ، وخدمة هذه الأسرة العريقة التي تربطني معها رابطة الجوار ، فعند انتقال والدي من الحلة إلى النجف الأشرف سنة (1396 هـ) كان محل إقامتنا في منزل يقع في زقاق البهّاش من محلة المشراق المقابل للحرم العلوي المطهر من جهة الركن الشمالي الشرقي ، وكان بجوار منزلنا منزل خادم الحرم العلوي الوجيه السيد مهدي ابن السيد علي ابن السيد أحمد الخرسان وغيره من صلحاء البلد ، وكنا نتنعم بعطفه الأبوي على أسرتنا ويأغداق النعم ، وزادت الأواصر بيننا قوة يوم ذهب رجال هذا البيت نتيجة ظروف الحرب العراقية الإيرانية بين سجن وتهجير وحرب وتشريد وموت ففترقوا أيدي سباً ، وصرنا نتعاهد علويات الدار الصالحات وننتهل من ندير معرفتهنّ وأدبهنّ العالي ، ومن خلال هذا البيت تعرّفت على جملة من رجالات هذه الأسرة الصالحة ، وزادت الأواصر بيننا بحضور في مجلس العلمين السيدين اللذين يعجز القلم عن أداء حقهما عليّ : آية الله المحقق السيد محمد مهدي وآية الله السيد محمد رضا الخرسان - أدام الله بقاءهما - ، فقد حضرت المجلس العلمي للأول منذ سنة (1415 هـ) وليومك هذا لا أفارق مجلسه العلمي إلا لعارض من سفر أو مرض ، فلجنا به في السنة الواحدة مائة يوم أو أكثر ينعقد فيها مجلسه ، تتوزع بين جمعة أو وفاة إمام أو

أيام المحرم الثلاثة عشر الأولى وشهر رمضان كاملاً (1).

وحضرت المجلس العلمي للثاني منذ سنة (1425 هـ)، ولجنابه أيضاً هذا العدد من المجالس في السنة سوى الأيام الأولى من المحرم، وقد ورد في الأثر: «إنّ آباءك ثلاثة: من ولدك، ومن علمك، ومن زوجك، وخير الآباء من علمك» (2)، فأسأل الله تعالى أن أكون باراً بهما ما بقيت الحياة فيّ، وأن أكون باراً لكلّ من علمني حرفاً واحداً في مسيري العلمي هذا، وأرى أنّي أطببت في سرد حديث ينفع في تاريخ مدينة عريقة تعيش في دمي.

وبعد هذا أعرض بين أيديكم منهج ما كتبه عن المكتبة وتاريخها ورجالها، وعن المفقود منها، وعدد مجلداتها ومجاميعها ونسخها، شافعاً ذلك بالمصادر وبما موجود على نسخ المكتبة الخطية، وتعرضت لتاريخها من خلال ذكر رجالها وما آلت إليه عندهم من الزيادة والنقصان، وحصرت تاريخها بين سنة (1217 هـ) - السنة التي تملك فيها مؤسسها النسخة ذات الرقم 15 - وسنة (1431 هـ) - السنة التي انتقلت فيها إلى الخزانة العلوية الواقعة في حرم سيدي ومولاي علي بن أبي طالب عليه السلام -، وأمّا رجالها الذين آلت المكتبة إليهم فقد قسّمت ذكرهم على النحو التالي، ومجموعهم أحد عشر رجلاً: 2.

ص: 398

1- وقد تحدّثت عن مجلسه الشريف بتفصيل أكثر في مقدّمة كتاب (المجالس الحسينية) للشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله، وفي خاتمته، وقد طبع بتحقيقي في مكتبة الروضة العباسية مرتين، فليراجع.

2- ينظر: جامع السعادات: 3/112.

أولاً : مؤسس المكتبة : آية الله العظمى السيد حسن ابن السيد علي الموسوي الخراساني (1200 - 1265هـ).

ثانياً : واقف المكتبة : العلامة السيد عباس ابن السيد حسن الموسوي الخراساني (ت بعد سنة 1269هـ).

ثالثاً : الموقوفة عليهم : فقد وقفها السيد عباس الخراساني على الثلاثة الآتي ذكرهم وذرياتهم ، وهم :

1 - أخوه : الحجّة السيد موسى ابن السيد حسن الموسوي الخراساني (ت 1321هـ).

2 - أخوه الآخر : الحجّة السيد محمد حسين ابن السيد حسن الموسوي الخراساني (ت 1322هـ).

3 - ولده : العلامة السيد محمد ابن السيد عباس الموسوي الخراساني (كان حيّاً سنة 1313هـ).

رابعاً : وأما ذريّاتهم فهم :

1 - الحجّة السيد عبد الرسول ابن السيد محمد حسين الخراساني (ت 1361هـ).

2 - آية الله السيد عبد المرتضى ابن السيد موسى الخراساني (ت 1361هـ) وذريه.

3 - آية الله السيد حسن ابن السيد عبد الهادي ابن السيد موسى الخراساني (ت 1405هـ) وذريه.

ص: 399

4 - الحجة السيّد محمد صالح ابن السيّد عبد الرسول ابن السيّد محمد حسين الخرسان (ت 1426هـ) وذريته.

5 - آية الله المحقق السيّد محمد مهديّ ابن السيّد حسن الخرسان (ولد سنة 1347هـ) وذريته.

6 - آية الله السيّد محمد رضا ابن السيّد حسن الخرسان (ولد سنة 1352هـ) وذريته.

وطريقة ذكر كلّ واحد منهم هي أن أذكر النصوص التي نصّت على أنّ المكتبة كانت عنده ، ثمّ أذكر آثاره التي استخرجتها من على نسخ المكتبة ، مع ذكر مصادر ترجمته بالهامش ، وبعد ذلك ذكرت المفقود من المكتبة ، وعدد مجلداتها ومجاميعها ونسخها ، فدونك ذلك :

(أولاً)

مؤسس المكتبة :

هو آية الله العظمى السيّد حسن ابن السيّد عليّ ابن السيّد شكر بن مسعود - الملقّب عيشي - ابن إبراهيم بن الحسن الموسويّ الخرسان النجفيّ (1200 - 1265هـ) من أجلّاء علماء عصره ، فقيه ، عابد(1). -

ص: 400

1- ترجم له في : الحصون المنيعه : 2/522 ، مجموعة السيّد جعفر الخرسان (مخطوط -

وهذا ثبت بالنصوص التي ذكرت المكتبة وما يتعلّق بمؤسّسها ، ربّته بحسب وفيات من ذكرها ثمّ المعاصرين :

أ - قال الشيخ جعفر محبوبه (ره) (ت 1378هـ) عند ترجمته : «... وكانت له خزانة كتب نفيسة ، يوجد حتّى اليوم بعض مخطوطاتها»(1).

ب - وقال (ره) عند ترجمة ولده السيّد عبّاس الخرسان : «... اقتنى كتباً كثيرة نفيسة جيّدة تلقّاها عن والده ، وقد أوقفها على أخويه السيّد محمّد حسين والسيّد موسى وعلى ولده السيّد محمّد سنة (1269هـ) ، ويوجد اليوم جملة منها وعليها خطّه بصورة وقفها عند أحفاد أحفاده»(2).

ص : 401

1- ماضي النجف وحاضرها : ج 4 (السادة الموسويّون - آل الخرسان / مخطوط).

2- ماضي النجف وحاضرها : ج 4 (السادة الموسويّون - آل الخرسان / مخطوط).

ج - قال الشيخ محمد عليّ اليعقوبيّ (ره) (ت 1385هـ) في ترجمة الشيخ عليّ عوض : «... ومن مشاهيرها في القرن الماضي الحاجّ محمد عوض ... وكانت عند الحاجّ المذكور مكتبة قيّمة تحتوي على كثير من كتب الفقه والأصول والتاريخ والأدب ، ممّا يدلّ على أنّ الرجل من ذوي الفضل والأدب ، وكلّ كتبه بيعت بعد وفاته في النجف على عهد العلامة الشهير صاحب الجواهر قدّس سرّه ، فصار أكثرها في حيازة العالم الشريف السيّد حسن آل الخرسان ، وعليها خطوط مالکها الأوّل الحاجّ محمد عوض»(1).

د - الشيخ اليعقوبيّ وقال رحمه الله في ترجمة ولده السيّد عبّاس الخرسان : «... وهو الذي وقف مكتبة والده القيّمة بعد وفاته على أولاده ما تعاقبوا وتناسلوا ، كما نوهت عنها في ترجمة الشيخ عليّ عوض الحلّيّ في ج 3 ص 110 من كتابنا البابلّيات»(2).

هـ - قال الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ (ره) (ت 1389هـ) عند ترجمته : «... وكانت للمترجم مكتبة نفيسة في النجف أوقفها بعد وفاته ولده السيّد عبّاس عليّ أخويه العالمين : السيّد موسى والسيّد محمد حسين ابني حسن ، وابنه محمد بن عبّاس ، وذريّتهم ما تعاقبوا وتناسلوا ، وبعدهم لعالم من علماء الاثني عشرية في النجف الأشرف ، وكتب الوقفية بخطّه وتاريخها (1269هـ) ، وقد رأيت بقيّة تلك الكتب وذكرتها في مظانّها من الذريعة ، وقد .»

ص: 402

1- البابلّيات : 110/3.

2- ديوان الشيخ عبّاس الملاّ عليّ : 92 (هامش).

ذكرها ولدي عليّ نقيّ سلّمه الله في فهرس المكتبات المنقول عنها في الذريعة الذي ألحقه بالجزء 8 ص 298(1).

و- وقال الشيخ الطهراني رحمه الله عند ترجمة ولده السيّد عبّاس الخرسان : «... وكان المترجم له من أهل الفضل والكمال ، أوقف جملة من كتب والده في سنة (1269هـ) ، وكتب الوقفية عليها بخطّه ، وجعلها وفقاً لأخويه السيّد موسى والسيّد محمّد حسين ابني السيّد حسن ولولده ، السيّد محمّد بن عبّاس ، ولذريّتهم ما تعاقبوا ، وبعد الانقراض للفرقة الناجية الاثني عشرية ، وقد رأيت بعضها عند السيّد حسن بن السيّد عبد الهادي بن السيّد موسى المذكور»(2).

ز- قال محمّد عليّ جعفر التميمي (ت بعد 1386هـ) في ترجمة ولده السيّد عبّاس الخرسان : «... وكان من هواة الكتب ، فجمع كثيراً منها وضعها إلى ما وصل إليه من كتب خزانة السيّد والده رحمه الله ، وأضاف إليها مكتبة آل عوض الحلّيين ، فإنّه اشتراها منهم يوم أتوا بها إلى النجف الأشرف ، وزاحمه عليها العلامة السيّد محمّد بحر العلوم صاحب البلغة ، وينقل بعض الشيوخ قصّته (ظ - قصّة) في هذا الشأن جرت بينهما [وفي الهامش : ورد ذكرها في قلائد العقيان] ، ثمّ إنّ العلامة السيّد عبّاس رحمه الله أوقفها على أخيه الحجّة السيّد موسى وأخيه العلامة السيّد محمّد حسين ولولده العلامة 6.

ص: 403

1- طبقات أعلام الشيعة : 10/338 ، وعنه الدرر البهية : 1/317.

2- طبقات أعلام الشيعة : 11/686.

السيد محمد ، وكتب على ظهر جلّها صورة وقفها ، وفي بعضها شهادة الفاضلين الشيخ محمد بن عبيد الخادم(1) والشيخ محمد بن الشيخ عليّ الخياط ، وتاريخ وقفها في سنة (1269 هـ) ، ومما يؤسف له أنّ تلك الخزانة النفيسة احترقت بعده ، ولم يبقَ منها إلا ما انتشل من لهيب النار ، والموجود منها اليوم يضمّ طائفة من النفائس النادرة التي عزّ مثلها في سائر المكتبات ، وعلى بعضها خطوط بعض العلماء كالمجلسي رحمه الله ، فإنه يوجد على جزء من التهذيب للشيخ - رحمه الله - يحتوي على المزار وبعض الكتب الأخرى ، وفي آخرها تصحيح ومقابلة النسخة سماعاً على العلامة المجلسي رحمه الله ، وذلك بخطه الشريف(2) ، وهناك آثار نفيسة أخرى على ظهور بعضها الآخر أعرضنا عن ذكرها لطول المقام(3).

ح - قال الشهيد الأستاذ عبد الرحيم محمد عليّ (ره) (ت 1400هـ) : «مكتبة السيد مهديّ الخراسان : أسسها السيد حسن بن عليّ آل الخراسان الموسويّين ، كان معاصراً لصاحب الجواهر ، سكن بغداد بالتماس بعض 7.

ص: 404

1- هو الشيخ محمد بن عبيد آل عنوز الذي شهد على وقفية المكتبة سنة (1269هـ) ، وقد عرفت ذلك باستعارته من السيد موسى الخراسان مجموعة من الكتب ، والاستعارة موجودة على النسخة ذات الرقم (58) ، والخادم نسبة إلى خدمة الحرم العلويّ، فال عنوز ممّن تشرفوا بخدمة الحرم العلويّ، وله ترجمة وافية في: معارف الرجال: 2/351، ماضي النجف وحاضرها: 1/274، شعراء الغريّ: 309/10، مشاهير المدفونين في الحرم العلويّ: 309 الرقم 403.

2- إشارة إلى النسخة ذات الرقم (118) من فهرسنا هذا.

3- مشهد الإمام: 707.

تجّارها ، وتوفّي بها في عام (1265هـ) ، وانتقلت الكتب بعده إلى أكبر أولاده السيّد عبّاس ، فزاد عليها وأوقفها في حدود (1300هـ)(1) على أخيه السيّد موسى المتوفّي (1321هـ) ، وابنه السيّد محمّد ، وأخيه السيّد محمّد حسين ، وفي زمانهم احترقت أكثر مخطوطات المكتبة ، وبعدهم انتقلت إلى السيّد عبد الهادي بن موسى المذكور ، ثمّ إلى ولده السيّد حسن ، ثمّ ولده السيّد مهديّ ابن الحسن الخرسانيّ(2).

ط - قال الشيخ محمّد هادي الأمينيّ (ره) (ت 1421هـ) عند ترجمته : «... وكانت له خزانة كتب نفيسة»(3).

ي - وقال الأستاذ عليّ نقيّ المنزويّ (ت 1431 هـ) في ملحق الذريعة ج 8 : «مكتبة آل خرسان : أسّسها السيّد حسن بن عليّ من آل [ال] -خرسان الموسويّين القاطنين في النجف ، كان معاصراً لصاحب الجواهر ، سكن بغداد بالتماس بعض تجّارها ، وتزوّج هناك ، ومات بها في (1265هـ) ، وحمل جثمانه إلى النجف ، ودفن في مقبرتهم ، وانتقلت الكتب بعده إلى أكبر أولاده السيّد عبّاس ، فزاد عليها وأوقفها في (حدود 1300هـ)(4) على أخيه السيّد ظ.

ص : 405

1- كذا ، وتاريخ الوقفيّة كما على النسخ الموجودة هو سنة (1269 هـ) ، وقد كتبها السيّد عبّاس الخرسانيّ بخطّه ، وهذا يؤيد أنّه استند إلى قول المنزويّ الآتي ، فلاحظ.

2- آفاق نجفيّة : 20/344.

3- معجم رجال الفكر والأدب في النجف : 2/487.

4- كذا ، وتاريخ الوقفيّة كما على النسخ الموجودة هو سنة (1269 هـ) ، وقد كتبها السيّد عبّاس الخرسانيّ بخطّه ، فلاحظ.

موسى المتوفى (1321هـ)، وابنه السيد محمد، وأخيه السيد محمد حسين، وفي زمانهم احترقت أكثر مخطوطات المكتبة، وبعدهم انتقلت إلى السيد عبد الهادي بن موسى المذكور، ثم إلى ولده السيد حسن، ثم ولده السيد مهديّ ابن الحسن المعاصر المولود (1340هـ)«(1).

ك - وقال أيضاً في ملحق طبقات أعلام الشيعة ج 6 : «مكتبة آل خراسان : أسسها السيد حسن بن عليّ (1200 - 1265هـ) من آل خراسان [ظ - الخراسان] الموسويين القاطنين في النجف. كان معاصراً لصاحب الجواهر، سكن بغداد بالتماس بعض تجارها، وتزوج هناك، ومات بها، وحمل جثمانه إلى النجف، ودفن في مقبرتهم، وانتقلت الكتب بعده إلى أكبر أولاده السيد عباس، فزاد عليها وأوقفها في حدود (1300هـ)«(2) على أخويه العالمين : موسى ومحمد حسين ابني الحسن، وعلى ابنه محمد بن عباس وذريتهم، وبعدهم على علماء النجف، وكتب الوقفية عام (1269هـ)، فتولّى المكتبة بعده أخوه السيد موسى (ت 1321هـ) ثم أخوه محمد حسين (م - 1322هـ) ثم ابنه عبد الرسول (م - 1361هـ) وبعده السيد حسن، ثم السيد مهديّ بن الحسن آل خراسان، وراجع الكرام البررة : 337 - 338«(3). ته

ص: 406

1- الذريعة : 8/297 الرقم 54، وتاريخ ولادة السيد محمد مهديّ الخراسان الصحيح هو سنة (1347هـ) كما كتب هو بقلمه في كتابه مقدمات تراثية.

2- مرّ تصحيح ذلك، فلاحظ.

3- طبقات أعلام الشيعة : 6/166، وقد أوردت هذا النصّ على الرغم من مشابهته

ل - وكتب العلامة المحقق السيّد محمد مهديّ الخرسانيّ (معاصر) على النسخة ذات الرقم (68) من فهرسنا هذا: «... وهو من بقيّة مكتبة آل عوض كما يظهر من آخره، وهو بقلم محمد بن درويش بن عوض الحلبيّ التي اشتراها المرحوم السيّد الجد الأعلى كما هو مذكور عن مشايخ الأسرة، وقد أشار إلى ذلك المرحوم الشيخ يعقوبيّ في كتابه البابليّات عند ذكر آل عوض».

م - وفي موسوعة طبقات الفقهاء عند ترجمته: «وأسس مكتبة نفيسة»⁽¹⁾.

ن - قال الدكتور السيّد حسن السيّد عيسى الحكيم (معاصر) عند ترجمة ولده السيّد عبّاس الخرسانيّ: «... فاضلاً جليلاً، ومن وجوه أهل العلم في عصره، ومن هواة جمع الكتب، فقد ضمّ إلى مكتبة أبيه مجموعة قيّمة...»⁽²⁾.

آثاره في المكتبة:

وأما ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره فهو عشر نسخ، ظ.

ص: 407

1- موسوعة طبقات الفقهاء: 13/186 الرقم 4041.

2- المفصل في تاريخ النجف الأشرف: 5/315، وذكر أكثر من هذا عن المكتبة، ولم أورد له لكونه يشابه ما ذكره التميميّ في كتابه (مشهد الإمام) الآنف الذكر، فلاحظ.

فقد تملك النسخ ذوات الأرقام التالية: (4) وتاريخ تملكه (22 شوال سنة 1237هـ)، و (15) وتاريخ تملكه سنة (1217هـ)، و (42)، و (48)، و (62)، و (70)، و (118)، كتب التملك على هذه النسخ السبع بخطه ظاهراً.

والنسخ ذوات الأرقام التالية: (71)، و (80)، و (95)، و (129)، كتب التملك عليها ولده السيد عباس.

علماً أنّ النسخة ذات الرقم (15) كتب عليها وقيمتها بخطه، ونصّها: (قد أوقف السيد أمين الحكيم هذه الرسالة الشريفة على الحقير حسن الخرسان وأولاده وأولاد أولاده وأولاد أولاده ما تعاقبوا وتناسلوا للانتفاع بها، وإذا انقرضوا والعياذ بالله... القابل من الشيعة الاثني عشرية، الراجي عفوريه المئان حسن الخرسان)، وختمه الدائري: (حسن الموسوي الخرسان 1217).

فيكون مجموع ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره عشر نسخ كما ذكرت آنفاً، وتاريخ الختم الموجود على النسخة ذات الرقم (15) المذكور آنفاً يدل على اهتمامه بالكتب وعمره (17) سنة، فتاريخ ولادته سنة (1200 هـ) وتاريخ الختم سنة (1217هـ) [\(1\)](#)، وعليه فيمكن القول بأن هذا،

ص: 408

1- ذكر السيد محمد صادق آل بحر العلوم في الدرر البهية ج 1 ص 316 أنه ولد حدود سنة (1200 هـ) على سبيل التقريب، ويساعده تاريخ الختم هذا، وما ذكره السيد رضا ابن علي الغريفي البحراني في الشجرة الطيبة ص 108 من أنه رأى نسب السيد علي بن إسماعيل بن محمد الغياث وقد وقع عليه الشيخ حسين نجف بتاريخ سنة (1325هـ)،

التاريخ هو أقدم تاريخ وصل إلينا لتأسيس مكتبة السادة آل الخرسان وإلا فقد يكون تأسيسها أسبق ، لكن لم تقف على وثيقة تثبت ذلك ؛ إذ إن المكتبة احترقت كما سيأتي.

(ثانياً)

واقف المكتبة :

العلامة السيّد عباس ابن السيّد حسن ابن السيّد عليّ الموسويّ الخرسانيّ النجفيّ (ت بعد سنة 1269 هـ) ، من أهل الفضل والكمال(1).

قد أجمعت المصادر على أنّ السيّد عباس زاد على مكتبة والده السيّد حسن الخرسان ، وأوقفها بتاريخ (3 جمادى الأولى سنة 1269هـ)(2) على أخيه السيّد موسى وولده السيّد محمّد وأخيه السيّد محمّد حسين وذريّتهم ما تعاقبوا وتناسلوا ، فإذا انقرضوا فعلى الفرقة الاثني عشرية على أنّ التولية تكون بيده مادام حيّاً ثمّ للأرشد فالأرشد ، وشهد بذلك الشيخ محمّد ابن الشيخ عليّ الخياط والشيخ محمّد بن عبید الخادم ، كما جاء على (35) نسخة ط.

ص: 409

-
- 1- ترجم له في : طبقات أعلام الشيعة : 11/686 الرقم 1246 ، و 1117/15 ، ماضي النجف وحاضرها : ج 4 (السادة الموسويّون - آل الخرسان/ مخطوط) ، ديوان الشيخ عباس الملاّ عليّ : 92 (هامش) ، مشهد الإمام : 707 ، مشاهير المدفونين في الصحن العلويّ : 149 الرقم 188 ، المفصل في تاريخ النجف : 5/315.
 - 2- تاريخ اليوم والشهر من الوقفية ظهر في النسختين (9) و (50) فقط.

من فهرسنا هذا ، منها سبع نسخ على وفقيتها شهادة الشيخ محمد ابن الشيخ علي الخياط والشيخ محمد بن عبيد الخادم ، والأخير من آل عنوز كما في النسخة ذات الرقم (58).

وقد ذكرت آنفاً نبذة من جهود السيّد عباس الخرسان في رقد المكتبة ووقفها ، وهو ما ذكره الشيخ آقا بزرك الطهراني والشيخ محمد عليّ اليعقوبي والشيخ جعفر محبوبه والمنزوي والتميمي والأستاذ عبد الرحيم محمد عليّ والسيّد حسن الحكيم ، وأزيد على نصوصهم نصّين عثرت عليهما ، الثاني منهما يشير إلى أنّ المكتبة كانت معروفة باسمه ، وهما :

أ - قال الشيخ آقا بزرك الطهراني (ره) عند ترجمة السيّد عبد الرسول الخرسان : «... والسيّد عباس الذي ذكرناه في الجزء الثاني ص 686 وهو صاحب المكتبة النفيسة التي أوقفها في سنة (1269هـ) وقد ذكرنا كثيراً من مخطوطاتها في الذريعة»⁽¹⁾.

ب - قال السيّد مرتضى مدرّس كيلاني (ت بعد 1382هـ) في كتابه تاريخ النجف عند تعداد مكاتب النجف الأشرف ما معرّبه : «مكتبة السيّد عباس الخرسان : موجودة عند السيّد عبد الرسول الخرسان ، وهي غير عموميّة ، وأهل الفضل يستفيدون منها بالإجازة منه»⁽²⁾. ب.

ص: 410

1- طبقات أعلام الشيعة : 1117/15.

2- مجلّة بهارستان : 8/933 ، وقد نشر فيها فصل المكتبات النجفيّة من أصل الكتاب.

وأما ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره فهو (37) نسخة ، منها (32) نسخة عليها وقفيتها للكتب بخطه وهي النسخ ذوات الأرقام التالية : (4) ، و (5) ، و (6) ، و (9) ، و (26) ، و (30) ، و (35) ، و (40) ، و (47) ، و (50) ، و (51) ، و (52) ، و (54) ، و (58) ، و (62) ، و (64) ، و (65) ، و (70) ، و (75) ، و (80) ، و (84) ، و (92) ، و (95) ، و (106) ، و (113) ، و (115) ، و (119) ، و (121) ، و (122) ، و (126) ، و (129) ، و (130).

ومنها (3) نسخ كتب وقفيتها السيّد محمّد صالح السيّد عبد الرسول الخرسان ، وهي الوقفية نفسها التي كتبها السيّد عبّاس الخرسان نفسه ، وهي النسخ ذوات الأرقام التالية : (27) ، و (78) ، و (82) ، كتب بعضها بتاريخ سنة (1363هـ).

ومنها نسخة واحدة كتب عليها السيّد محمّد مهديّ الخرسان أنّها من موقوفات السيّد عبّاس الخرسان وهي النسخة ذات الرقم (103) ، ومنها نسخة واحدة عليها تملكه ، فيكون مجموع ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره (37) نسخة كما ذكرت آنفاً ، وقال محمّد عليّ جعفر التميمي (ت بعد 1386هـ) عند ترجمته : «وكان من هواة الكتب ، فجمع كثيراً منها وضعها إلى ما وصل إليه من كتب خزّانة السيّد والده رحمه الله ، وأضاف إليها مكتبة آل عوض الحلّيين ، فإنّه اشتراها منهم يوم أتوا بها إلى النجف الأشرف وزاحمه عليها العلامة السيّد محمّد بحر العلوم

ومجموع ما وصل إلينا من نسخ مكتبة آل عوض الحلّيين (7) نسخ عليها تملك الشيخ محمّد ابن الشيخ درويش ابن المرحوم عوض الحلّي ، تاريخ التملك على بعضها سنة (1247هـ) ، وبعضها مجاميع ، وأرقامها : (9) ، و (61) ، و (62) ، و (68) ، و (95) ، و (107) ، و (129)(2).

(ثالثاً)

الموقوفة عليهم :

قد ذكرت آنفاً وقفية السيّد عباس الخرسان لمخطوطات المكتبة على ثلاثة ، وذلك من خلال المصادر وما موجود على نسخ المكتبة ، وهم :

1 - أخوه : الحجّة السيّد موسى ابن السيّد حسن الموسويّ الخرساني (ت 1321هـ) ، عالم ، فقيه ، مؤلف (3). د

ص : 412

1- مشهد الإمام : 707.

2- رأيت نسخة من كتاب (الدروس الشرعية) للشهيد الأوّل (ت 786هـ) في متحف صحن الإمام الحسين عليه السلام عليها تملك درويش بن محمّد فطم الحلّي بتاريخ سنة (1142هـ) ، ولا أعلم أنّ المالك لها مع تقارب العصر والبلد هل له صلة بالشيخ درويش آل عوض الحلّي أم لا؟ وذكرته هنا للفائدة وخصوصاً أنّ ابن فطم هذا لم يُترجم له في كتب التراجم ، فلاحظ.

3- ترجم له في : طبقات أعلام الشيعة : 17/401 الرقم 533 ، وفيه أنّه توفّي سنة (1321 هـ) ، وهذا هو الصحيح ؛ لأنّ المصادر أجمعت على أنّ أخاه السيّد محمّد

ويكفي في إثبات مآل المكتبة إليه وقفيّة الكتب التي كتبها أخوه السيّد عبّاس الخرسان ، وما تقدّم من النصوص التي لا موجب لتكرارها خوف الإطالة.

آثاره في المكتبة :

وأما ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره فهو (9) نسخ ، منها (7) عليها خطّه ، وهي النسخ ذوات الأرقام التالية : (25) ، و (51) ، و (58) ، و (64) ، و (76) ، و (95) ، و (96) ، و (98) ، و (118) ، ودونك تفصيل ذلك :

أ - النسخة ذات الرقم (25) كتابه (مرجّح الميزان) الذي كتبه بخطّه.

ب - النسختان ذواتا الرقمين (51) و (95) كتب عليهما ما نصّه : (نعم هذا من جملة كتب الوقف التي بقيت عند المحروس محمّد وهو عندي ، حرّر في 20 ج 1 / 1276هـ) (1) ، وختمه البيضويّ : له

ص: 413

1- على النسخة ذات الرقم (65) عبارة الظاهر أنّها للسيّد نفسه لمشابتها ما مذكور أعلاه ونصّها : (نعم هذا من كتب السيّد المرحوم الوقف التي عند المحروس بالله

ج - النسخة ذات الرقم (58) عليها استعارة الشيخ محمد بن عبيد عنوز (ت 1288هـ) (1) اثني عشر كتاباً من السيد موسى الخرسان ، ونصّ العبارة : (قد استعار منّي الشيخ محمد بن عبيد عنوز : جلد حدائق ، وجلد دروس ، وجلد غريب القرآن ، وجلد تنزيه الأئمة للمرتضى ، وجلد حاشية ملا خليل ، وجلداً في الأخلاق ، ورسالة الشهيد الثاني في جلد ، وجلد فقه مسائل متفرقة ، وجلد شرح خلاصة الحساب ، وجلداً لغة يشتمل على أبواب ، وجلداً فيه رسالتان في علم الرجال ، وكتاباً صغيراً مصنّفه عجميّ ونصفه روايات ، المجموع اثنا عشر كتاباً. نعم استعرت ذلك من الأخ جناب السيد موسى وبقه الله تعالى ، الأقلّ محمد عنوز. وصل جميع ذلك : موسى الخرسان).

د - النسخة ذات الرقم (64) عليها عبارة كتبها الشيخ محمد حسين الأعسم (ت 1288هـ) نصّها : (استعرت من أخي وسيدي السيد موسى [الخرسان] ثمانية مجلّدات : أصول كافي ، وكتاب مزار ، وجلدين شرح تجريد ، ووافية ، ومختصراً ، [و] مطوّلاً ، وجلداً آخر صغيراً في العقائد. الأقلّ 3.

ص: 414

1- هو محمد بن عبيد الخادم الذي شهد على وقيّة المكتبة سنة 1269هـ- ، وله ترجمة وافية في : معارف الرجال : 2/351 ، ماضي النجف وحاضرها : 1/274 ، شعراء الغريّ : 309/10 ، مشاهير المدفونين في الحرم العلويّ : 309 الرقم 403.

محمد حسين الأعسم ، عند شيخ حسين الدجيلي مختصر عضدي).

هـ - - النسخة ذات الرقم (76) عليها عبارة كتبها السيد نفسه ونصّها : (أمانة لجناب الأجل حاجي محمد ... خلف المرحوم جناب حاجي ... هو مع جملة كتب كاتب عليها ... يدي لفظة أمانة ، حرّرت هذا وأنا الأقل موسى الخرسان).

و - النسخة ذات الرقم (96) كتب في آخرها : (بتاريخ 14 جمادى الأولى سنة [1277هـ] أنّ الشيخ أحمد [ابن الشيخ محمد ابن الشيخ الملا بري آل] سميّسم توفي في يوم الجمعة 12 جمادى الأولى من تلك السنة).

ز - النسخة ذات الرقم (98) وقفها السيد عليّ ابن السيد إبراهيم ابن السيد حسين ابن السيد عليّ الخرسان عليه ، ونصّ الوقفية : (هو الواقف على الضمائر ، قد أوقف هذا الكتاب سيّد عليّ الخرسان وفقاً خاصاً على ابن عمّه سيّد موسى ابن سيّد حسن الخرسان ، وثوابه لوالده المرحوم ، ومن بعده عليّ أخيه محمد حسين ومن بعده عليّ ذراريّ الذكور من بعدهم الملاّتيّ منهم. عليّ الخرسان في ذي؟ سنة 1281 هـ).

ح - النسخة ذات الرقم (118) عليها العبارة : (الكتب التي استعرتها من سيّد موسى : تهذيب ، وفقهه ، وشرائع ، وابن داود).

فيكون مجموع ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره (9) نسخ كما ذكرت آنفاً ، وممّا يؤسف له أنّ تلك الخزانة النفيسة احترقت في زمانه ولم يبق منها إلاّ ما انتشل من لهيب النار ، والأوراق الأربع الأولى من

النسخة ذات الرقم (31) يظهر عليها آثار ذلك الحريق(1).

2- أخوه الآخر: الحجّة السيّد محمّد حسين ابن السيّد حسن الموسويّ الخرساني (ت 1322هـ)، عالم، فقيه، ورع(2).

ويكفي في إثبات مآل المكتبة إليه وقفية الكتب التي كتبها أخوه السيّد عباس الخرساني، وما تقدّم من النصوص التي لا موجب لتكرارها خوف الإطالة.

آثاره في المكتبة:

وأما ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره فهو نسخة واحدة فقط، وهي ذات الرقم (96) وقد استنسخها بنفسه بتاريخ ذي القعدة سنة 1265هـ.

3- ولده: العلامة السيّد محمّد ابن السيّد عباس الموسويّ الخرساني (كان حيّاً سنة 1313هـ)، عالم، فاضل(3). 8.

ص: 416

1- ينظر عن احتراق المكتبة: الذريعة: 8 / 297، جامع الأنساب: 16، مشهد الإمام: 707، آفاق نجفية: 20/344، المفصل في تاريخ النجف الأشرف: 315/5.

2- ترجم له في: طبقات أعلام الشيعة: 14/566 الرقم 989، معارف الرجال: 2/256 الرقم 341، ماضي النجف وحاضرها: ج 4 (السادة الموسويّون - آل الخرساني/ مخطوط)، مشهد الإمام: 710، معجم رجال الفكر والأدب في النجف: 2/486، مشاهير المدفونين في الصحن العلويّ: 282 الرقم 365.

3- ترجم له في: مشهد الإمام: 708.

ولا دليل في إثبات مآل المكتبة إليه سوى وقفية الكتب التي كتبها والده السيد عباس الخرسان ، ووجود ذكر له على بعض النسخ.

آثاره في المكتبة :

وأما ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره فهو (5) نسخ ، وهي النسخ ذات الأرقام التالية : (37) ، و (51) ، و (65) ، و (95) ، و (132) ، ودونك تفصيل ذلك :

أ - النسخة ذات الرقم (37) ، عليها العبارة : (هذه إعارة من المرحوم سيّد محمّد الخرسان).

ب - النسختان ذواتا الرقمين (51) و (95) كتب عليهما ما نصّه : (نعم هذا من جملة كتب الوقف التي بقيت عند المحروس محمّد وهو عندي ، حرّر في 20 ج 1 / 1276هـ) ، وختمه البيضويّ : (موسى الخرسان الموسويّ).

ج - النسخة ذات الرقم (65) عليها العبارة : (نعم هذا من كتب السيّد المرحوم الوقف التي عند المحروس بالله محمّد ، حرّر في 26 ج 1 سنة 1313 هـ) ، والظاهر أنّ كاتبها هو عمّه السيّد موسى الخرسان ومنها نعلم أنّ حياته امتدت إلى هذا التاريخ ، وإلا فإنّ الموجود في كتاب (مشهد الإمام) أنّه كان حيّاً سنة (1288هـ).

د - النسخة ذات الرقم (132) عليها العبارة : (إلى جناب الأجلّ الأكرم ،

ص: 417

المكرّم الأحشم ، جناب مولانا سيّدنا محمّد الخرسان سلّمك الله بالنبوي وآله الطاهرين ، وكفاك شرّ الخلق أجمعين ، المحبّ هاشم ابن شيخ موسى).

والسيّد محمّد هذا لم يعقب من الذكور سوى السيّد عبد الله رحمه الله الذي كان منثأً ولم يعقب سوى بنتين.

ومن آثار السيّد عبد الله في المكتبة : النسخة ذات الرقم (104) عليها عبارة استعارة السيّد محمّد الحسيني العاملي كُتباً من السيّد عبد الله بن محمّد الخرسان ونصّها : (باسم الله ، نعم قد استعرت من يد أخينا السيّد عبد الله نجل المرحوم السيّد سيّد محمّد الخرسان ستّة مجلّات كتب : جلدان وقف خاصّ أحدهما في علم الرجال والآخر في علم الحكمة ، وثلاثة أُر ، اثنان ملك له ، أحدهما أصول والآخر كذلك تأليف الشيخ نصّار (ره) ، والثالث حقائق ملاً محسن الفيض ، والسادس في الأخلاق والعرفان ، وأنا الأقلّ محمّد الحسيني العاملي في 21 ربيع الثاني سنة 137 [كذا ، والظاهر أنّها سنة (1307هـ)].

فلعلّ هذه الكتب المستعارة هي من نسخ المكتبة المفقودة.

(رابعاً)

المكتبة وذريّة الثلاثة الموقوفة عليهم :

قد تقدّم سابقاً أنّ السيّد عبّاس أوقف المكتبة على أخيه السيّد موسى

ص: 418

وأخيه السيّد محمّد حسين وولده السيّد محمّد وذريّتهم ما تعاقبوا وتناسلوا ، فإذا انقرضوا فعلى الفرقة الاثني عشرية على أنّ التولية تكون بيده مادام حيّاً ثمّ للأرشد فالأرشد ، وقد سبق ذكر الثلاثة الموقوفة عليهم ، وجاء دور ذكر ذراريّ السادة الثلاثة الذين انتهت إليهم المكتبة بالتعاقب :

1 - الحجّة السيّد عبد الرسول ابن السيّد محمّد حسين ابن السيّد حسن الخرسان (ت 1361هـ) ، من الأجلّاء الأتقياء(1).

ذكر انتهاء المكتبة إليه ثلاثة من الأعلام ، وإليك نصوصهم :

أ - قال الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ (ره) عند ترجمته : «... والسيّد عبّاس الذي ذكرناه في الجزء الثاني ص 686 وهو صاحب المكتبة النفيسة التي أوقفها في سنة (1269هـ) ، وقد ذكرنا كثيراً من مخطوطاتها في (الذريعة) ، وقد كان المترجم له من أهل الأخلاق الفاضلة والصلاح والتقى ، وكانت داره ملتقى العلماء والأفاضل ، وكان مبعجلاً له احترام وسمعة حسنة بين الأعلام ، وكانت عنده بقايا كتبهم الموقوفة وقد أطلعت عليها عنده»(2).

ب - قال الأستاذ عليّ نقويّ المنزويّ (ت 1431 هـ) في ملحق طبقات أعلام الشيعة ج 6 : «مكتبة آل خرسان ... فتولّى المكتبة بعده أخوه السيّد موسى (م- 1321هـ) ثمّ أخوه محمّد حسين (م- 1322هـ) ثمّ ابنه عبد الرسول 7.

ص: 419

-
- 1- ترجم له في : طبقات أعلام الشيعة : 1117/15 الرقم 1626 ، ماضي النجف وحاضرها : ج 4 (السادة الموسويّون - آل الخرسان/ مخطوط) ، مشهد الإمام : 717 ، مشاهير المدفونين بالصحن العلويّ : 172 الرقم 217.
- 2- طبقات أعلام الشيعة : 1117/15.

(ت 1361هـ)، وبعده السيّد حسن، ثم السيّد مهديّ بن الحسن آل خرسان»(1).

ج - قال السيّد مرتضى مدرّس كيلاني (ت بعد 1382هـ) في كتابه تاريخ النجف عند تعداد مكتبات النجف الأشرف ما معرّبه : «مكتبة السيّد عبّاس الخرسان : موجودة عند السيّد عبد الرسول الخرسان ، وهي غير عموميّة ، وأهل الفضل يستفيدون منها بالإجازة منه»(2).

آثاره في المكتبة :

وأما ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثار السيّد عبد الرسول الخرسان فهو (9) نسخ ، وبعضها كتب بخطّه ، وهي ذوات الأرقام التالية : (4) ، و (27) ، و (41) ، و (54) ، و (91) ، و (111) ، و (115) ، و (116) ، و (121) ، ودونك تفصيل ذلك :

أ - النسخة ذات الرقم (4) استعارها الشيخ هادي المرزّه منه.

ب - النسخة ذات الرقم (27) استعارها مهديّ؟ منه.

ج - النسخة ذات الرقم (41) استعارها الشيخ هادي المرزّه والشيخ عبد المنعم الكاظميّ منه.

د - النسخة ذات الرقم (54) بعض أوراقها كتبها في سنة (1354هـ). ب.

ص : 420

1- طبقات أعلام الشيعة : 6/166.

2- مجلّة بهارستان : 8/933 وقد نشر فيها فصل المكتبات النجفيّة من أصل الكتاب.

هـ - - النسخة ذات الرقم (91) استعارها؟ منه في سنة (1339هـ).

و - النسخة ذات الرقم (111) استعارها محمد نجف منه في 12 شهر صفر سنة (1341هـ).

ز - النسخة ذات الرقم (115) استعارها مهديّ نعمة منه في سنة (1339 هـ).

ح - النسخة ذات الرقم (116) كتب عليها بخطّه أنّه نظر فيها.

ط - النسخة ذات الرقم (121) استعارها؟ منه في سنة (1339هـ).

ملحوظة : قال الأستاذ عليّ نقّي المنزويّ (ت 1431 هـ) في ملحق الذريعة ج 8 : «مكتبة آل خرسان ... وفي زمانهم احترقت أكثر مخطوطات المكتبة ، وبعدهم انتقلت إلى السيّد عبد الهادي بن موسى المذكور ، ثمّ إلى ولده السيّد حسن ، ثمّ ولده السيّد مهديّ بن الحسن المعاصر ...»⁽¹⁾ ، ومنه أخذ الشهيد الأستاذ عبد الرحيم محمد عليّ (ره) لتشابه النصّ بينهما⁽²⁾ ، ثمّ صحّح المنزويّ هذا النصّ في ملحق طبقات أعلام الشيعة ج 6 قائلاً : «مكتبة آل خرسان ... فتولّى المكتبة بعده أخوه السيّد موسى (ت 1321هـ) ، ثمّ أخوه محمد حسين (ت 1322هـ) ، ثمّ ابنه عبد الرسول (ت 1361هـ) ، وبعده».

ص : 421

1- الذريعة : 8/297 الرقم 54.

2- ينظر : آفاق نجفيّة : 20/344 ، وقد مرّ نصّ كلامه سابقاً.

السيد حسن ، ثم السيد مهدي بن الحسن آل خراسان»(1).

وعلى هذا لم أجد من ذكر أنّ المكتبة انتهت إلى السيد عبد الهادي الخراسان (ت 1377هـ) بعد والده السيد موسى سوى هذا النص الذي يخلو من التثبت ، ولذا لم أذكره في رجالات المكتبة ، ومما يؤيد ذلك أنّي لم أجد أثراً له على نسخ المكتبة.

2 - آية الله السيد عبد المرتضى ابن السيد موسى الخراسان (ت 1361هـ) ، عالم ، فاضل ، تقي(2).

لم أجد من ذكر أنّ المكتبة انتهت إليه بعد والده السيد موسى الخراسان ، لكن آية الله السيد محمد مهدي الخراسان - دامت بركاته - أخبرني بذلك ، وثبته على الورق حين مطالعته لهذه السطور ، فجزاه الله تعالى خير جزاء المحسنين.

3 - آية الله السيد حسن ابن السيد عبد الهادي ابن السيد موسى الخراسان (ت 1405هـ) ، عالم ، فاضل ، مجتهد ، جليل ، متبّع ، محقق ، ورع ، عابد(3). 4

ص: 422

1- طبقات أعلام الشيعة : 6/166 ، والنص مع تشابهه مع السابق لكنني أوردته للزيادة والتغيير الحاصلين فيه ، فقد صرح في الطبقات أنّه أورد هذا الملحق مع زيادة وتصحيح ، فلاحظ.

2- ترجم له في : ماضي النجف وحاضرها : ج 4 (السادة الموسويون - آل الخراسان/ مخطوط) ، مشهد الإمام : 718.

3- ترجم له في : طبقات أعلام الشيعة : 1118/15 ، ماضي النجف وحاضرها : ج 4

انتهت إليه المكتبة - بحسب التواريخ التي على النسخ - بعد وفاة السيّد عبد الرسول الخرسان ، وقد ذكر انتهاء المكتبة إليه ثلاثة من الأعلام : الشيخ آقا بزرك الطهراني ، وولده الأستاذ عليّ نقيّ المنزويّ ، والسيّد محمّد عليّ الروضاتيّ (ت 1433هـ)(1).

وأضيف إلى ذلك ما سمعته من العلامة المحقّق السيّد محمّد مهديّ الموسويّ الخرسان - دامت بركاته - ، وهو ما مضمونه : (أنّه كلّما وجدت في كتاب الذريعة ذكراً لأية نسخة من مكتبة آل الخرسان فقصدته أنّه كان الشيخ الطهرانيّ رحمه الله يأتي من سامراء إلى النجف وينزل عند والدي - السيّد حسن الخرسان - ويصعد لمكتبتنا ويسجّل منها لكتابه الذريعة ، وكانت مهمّتي أن أملاً له (الكازة)(2) نفطاً وقت المغرب لعدم وجود الكهرباء حينها وأصعد بها له ، وكان من عادته أن لا يتعشى ، وتنفذ الكازة من النفط في منتصف الليل).

ص: 423

1- ينظر عن مآلها إليه : طبقات أعلام الشيعة : 6/166 ، 11/687 ، الذريعة : 8/297 الرقم 54 ، جامع الأنساب : 156 ، وقد ذكرتها سابقاً سوى قول السيّد الروضاتيّ فإنّه أشار إلى ذلك.

2- هي السراج النفطيّ الذي يُقال له باللهجة النجفيّة العاميّة أيضاً : (اللّالة).

مرّة أخرى فأملأها ثانية فتنفد إلى الفجر ، فيخرج إلى الحرم العلويّ للصلاة والزيارة ، وبعدها يرجع إلى الدار فيفطر بالقليل من الطعام ويهجع هنيهة ، ثم يباشر الكتابة مرّة أخرى).

آثاره في المكتبة :

وأما ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره فهو نسختان ، وهما ذواتا الرقمين التاليين : (98) و (121) ، ودونك تفصيل ذلك :

الأولى كتب عليها عنوان النسخة بخطّه ، والثانية استعارها منه الشيخ محمّد بن صادق الخليليّ (ت 1388هـ) بتاريخ (1376هـ).

4 - الحجّة السيّد محمّد صالح ابن السيّد عبد الرسول ابن السيّد محمّد حسين الخرسان (ت 1426هـ) ، عالم ، فاضل(1).

آلت إليه المكتبة بعد وفاة والده السيّد عبد الرسول الخرسان (ت 1361هـ) بحسب التواريخ التي على النسخ.

آثاره في المكتبة :

وأما ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره فهو (12) نسخة ، وهي ذوات الأرقام التالية : (18) ، و (20) ، و (27) ، و (33) ، و (34) ، و (35) ، و (56) ، و (62) ، و (78) ، و (82) ، و (104) ، و (105) ، ودونك تفصيل ذلك : 8.

ص: 424

1- ترجم له في : طبقات أعلام الشيعة : 15/1118 ، ماضي النجف وحاضرها : ج 4 (السادة الموسويّون - آل الخرسان/ مخطوط) ، مشهد الإمام : 718.

أ - النسخة ذات الرقم (18) عليها تملّكه.

ب - النسخة ذات الرقم (20) الأوراق الست الأولى منها ظاهراً كتبها بنفسه.

ج - النسختان ذواتا الرقمين (27) و (82) كتب عليهما وقيّة السيّد عبّاس الخرسان للمكتبة بتاريخ سنة 1363هـ.

د - النسخة ذات الرقم (33) أتمّ نقصها بتاريخ (18 جمادى الأولى سنة 1363هـ).

هـ - النسخة ذات الرقم (34) أتمّ نقصها بتاريخ (17 شهر ربيع الأوّل سنة 1366هـ).

و - النسخة ذات الرقم (35) كتب عليها عنوان النسخة.

ز - النسخة ذات الرقم (56) بعض أوراقها ظاهراً كتبها بنفسه.

ح - النسخة ذات الرقم (62) كتب على أولها تاريخ النسخة.

ط - النسخة ذات الرقم (78) كتب عليها وقيّة السيّد عبّاس الخرسان للمكتبة.

ي - النسختان ذواتا الرقمين (104) و (105) كتب على كلّ منهما عنوان النسخة وتاريخها.

5 - آية الله المحقّق السيّد محمّد مهديّ ابن السيّد حسن الخرسان ،

ص: 425

ولد سنة (1347هـ)، عالم، مؤلف، محقق، ورع (1).

انتهت إليه المكتبة بعد وفاة والده السيد حسن الخرسان في (12 جمادى الأولى سنة 1405 هـ)، وقد ذكر ذلك: الأستاذ عليّ نقيّ المنزويّ، والسيد محمّد عليّ الروضاتيّ (ت 1433هـ) (2).

وبعد وفاة الحجّة السيّد محمّد صالح الخرسان سنة (1426هـ) سلّم القسم الموجود من المكتبة عندهم إليه، ثمّ سلّمها مشكوراً إلى خزّانة العتبة العلويّة للمخطوطات سنة (1431هـ)، وكنت حين تسليمها موجوداً في دار السيّد الخرسان، ولا أنسى أنّها نقلت بخمس صناديق صغيرة وكبيرة في عربة واحدة، وتمنّيت حينها لو أنّ السيّد أذن لي بفهرستها، إذ إنّ مشروعني لفهرسة مخطوطات النجف لا يزال قائماً بحمد الله تعالى وفضله، وكنت قد فهرست مخطوطات الشيخ محمّد عليّ الأوردباديّ والشيخ شير محمّد الهمدانيّ والسيد محمّد صادق بحر العلوم، وسعيت في فهرسة مكتبة السادة آل الخرسان ذلك الوقت لكنّ عوائق حدثت وكان ما كان، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. 6.

ص: 426

1- معجم رجال الفكر والأدب: 488/2، مقدّمات كتب تراثية: 1/5 - 9، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: 607، معجم مؤرّخي الشيعة: 378/2 الرقم 1456، مجلّة النجف الثقافية: 32/5، معجم المحقّقين العراقيين: 171، معجم أعلام الإماميّة: 353، وقد ذكرت شيئاً عنه في تحقيقي لكتابي (سند الخصام) للشيخ شير محمّد الهمدانيّ (ره) و (المجالس الحسينيّة) للشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله.

2- ينظر: الذريعة: 8/297 الرقم 54، طبقات أعلام الشيعة: 6/166، جامع الأنساب: 156.

ما وصل إلينا من نسخ المكتبة التي عليها آثاره كثير ، فلا تخلو نسخة من نسخ المكتبة من خطّ قلمه الشريف بين ذكر عنوان أو مؤلّف أو ناسخ أو تاريخ نسخ أو واقف ، بحيث إنك تستطيع أن تميّز نسخ آل الخرسان من نسخ الحرم العلويّ بخطّ يده ، ورأيت أن أترك تفصيل ذلك لطوله.

6 - آية الله السيّد محمّد رضا ابن السيّد حسن الخرسان ، ولد سنة (1352هـ) ، عالم ، مؤلّف ، محقّق ، ورع (1).

آلت إليه المكتبة التي كانت بتولية الحجّة السيّد محمّد صالح ابن السيّد عبد الرسول الخرسان بعد هجرته إلى إيران سنة (1411هـ) بتولية محرّرة منه ، ثمّ أعادها إلى السيّد محمّد صالح بعد عودته لوطنه العراق سنة (1424 هـ) ، ولا ننسى جهود ولده العلامة السيّد محمّد صادق الخرسان - دام عزّه - في تنظيمها والاعتناء بها والحفاظ عليها.

وبعد هذا لا ننسى الدور الذي قامت به العتبة العلوية المقدّسة في الاهتمام بمخطوطات هذه المكتبة وغيرها من تصوير وتصحيح وفهرسة وو.. فجزى الله القائمين عليها وعلى حفظ التراث الإسلاميّ أجمعين. 3.

ص: 427

1- معجم رجال الفكر والأدب : 489/2 ، المنتخب من أعلام الفكر والأدب : 484 ، مجلّة الموسم : 79 - 80/509 ، آفاق نجفيّة : 35/128 ، معجم المحقّقين العراقيين : 152 ، معجم مؤرّخي الشيعة : 199/2 الرقم 1193.

قد تقدّم أنّ ممّا يؤسف له أنّ تلك الخزانة النفيسة احترقت في زمان السيّد موسى الخرسان ولم يبق منها إلاّ ما انتشل من لهيب النار ، والأوراق الأربع الأولى من النسخة ذات الرقم (31) يظهر عليها آثار ذلك الحريق (1).

وقد ذكر الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ (ره) من نسخ المكتبة في كتبه : الذريعة وطبقات أعلام الشيعة وذيل كشف الظنون غير ما ذكرناه في فهرس المكتبة (2) ، علماً أنّ المخطوطات التي ذكرت في هذا الفهرس هي غير ها

ص: 428

1- ينظر عن احتراق المكتبة : الذريعة : 8 / 297 ، جامع الأنساب : 16 ، مشهد الإمام : 707 ، آفاق نجفية : 20/344 ، المفصل في تاريخ النجف الأشرف : 315 / 5.

2- ينظر عن نسخ المكتبة التي ذكرها الشيخ الطهرانيّ (ره) في كتبه وصرّح أنّها من موقوفات آل الخرسان وهي غير موجودة الآن وقد تتبعتها بالاستقصاء : الذريعة : 6/39 الرقم 190 (حاشية على التعليقة البهبهانيّة) ، و 11/205 الرقم 1230 (الرسالة الصومية) وهي ضمن مجموعة ، و 11/213 الرقم 1274 (رسالة عمليّة) للسبزواريّ ، و 13/227 الرقم 811 (شرح خلاصة الحساب) لمحمّد أشرف الطباطبائيّ ، و 14/128 الرقم 1968 (شرح نهج البلاغة) للقزوينيّ ، و 15/108 الرقم 722 (صيغ عقد النكاح) لبعض الأصحاب وهي ضمن مجموعة ، و 21/188 الرقم 4546 (رسالة في المعارف) ، و 23/318 الرقم 9144 (ميزان المقادير) للمجلسيّ ، و 23/324 الرقم 9159 (ميزان المقادير) لليزديّ ، وفي طبقات أعلام الشيعة : 36 / 7 (إجازة حديث) ، و 12/56 (شرح تعليقة البهبهانيّ) ، و 17/353 مجموعة فيها أربع نسخ ذكرنا بعضها ، وفي ذيل كشف الظنون : 13 (أدب الدنيا). وقد تشرّفت بزيارة آية الله السيّد محمّد مهديّ الخرسان (ده) في يوم 11 شوال سنة 1435 هـ- ، وسألته هل مخطوطات مكتبة السادة آل الخرسان سلّمت كاملة إلى إدارة الحرم العلويّ؟ فأجابني بما مضمونه أنّه بقيت هناك بعض النسخ التي ذكرها الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ (ره) عندي بالمكتبة وهي ناقصة الأول أو الآخر ، وكنت قد أضفت للمكتبة حين تسليمها للحرم العلويّ بعض المفردات من الكتب الخطيّة القليلة التي اشتريتها من الحرج قبل حوالي خمسين سنة تقريباً.

مخطوطات آية الله السيّد حسن وولده السيّد محمّد مهديّ الخرسان ، فإنّ صاحب الذريعة ذكر من ممتلكاتهما بعض النسخ ، فإنّ ما موجود في هذا الفهرس خاصّ بالأجداد الذين تقدّم ذكرهم.

وحتّى لا أترك شيئاً من ذكر المكتبة فقد تعرّضت كثيراً لذكر اعتماد صاحب الذريعة عليها بحيث عدّها ولده المنزويّ من مأخذ كتاب والده رحمه الله الذريعة ، هذا وقد ينبك الكتاب عن استعارة جملة من الأعلام بعض كتب المكتبة ، وما ذلك إلاّ خدمة لأهل العلم ، منهم على سبيل الاختصار : الشيخ عليّ رفيش ، والسيّد جعفر الخرسان ، والشيخ محمّد حسين العامليّ ، والشيخ مهديّ نعمة ، والشيخ هادي المرزا ، والشيخ عبد المنعم الكاظميّ ، والسيّد محمّد الحسينيّ العامليّ وغيرهم ، إضافة إلى جملة من تملّكات الأعلام على نسخها ، والإجازات.

وأودّ أن أبيّن أنّ نسخ هذه المكتبة عند انتقالها إلى خزانة العتبة العلويّة خلطت مع مخطوطات المكتبة الأمّ من قبل العاملين فيها ، وقمت بفرزها على حدة حفاظاً عليها من الضياع التاريخيّ ، ووفّقت في ذلك بحمد الله تعالى ، وكان عددها (132) مجلداً ضمّت (179) نسخة ، وفيها (22) مجموعة ، والجميع وضع في خمسة رفوف ، والحمد لله ربّ العالمين.

ص: 429

وكان منهجي في فهرس المكتبة أن أذكر رقم النسخة ثم اسم المؤلف وتاريخ وفاته وموضوع الكتاب ، ثم التعريف بالكتاب بشكل موجز ، وكان معتمدي في تقديم المعلومات اللازمة عن كل من محتويات هذا الكتاب ثلاثة مصادر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، والتراث العربي المخطوط ، وما يذكره مؤلفو الكتب المخطوطة في مقدّماتهم ، مع مراعاة الأمانة العلميّة في النقل وعزو المعلومات إلى مصادرها ، أمّا ما لم يذكر في شيء من هذه المصادر الثلاثة فأحاول أن أضع له ترجمة معتمداً فيها على ما يُتاح من وسائل البحث والمعرفة ، ثم أذكر ما اشتملت عليه النسخة ومقدار نقصها وأولها وآخرها ، ثم التعريف بالنسخة كاملة وبالتفصيل ؛ من أجل التوثيق وتقديم فوائد آخر غير خافية ، ثم نوع الغلاف ولونه وعدد أوراقها وقياسها.

بقي أن ألفت نظر الباحثين الكرام إلى بعض الأمور :

أولاً : إنّي ربّبت نسخ الفهرس بحسب حجم الكتب فابتدأت بالصغير وانتهيت بالكبير ، مع وضع الفهارس الفنيّة في آخره خدمة للباحثين.

ثانياً : إنّي أشرت إلى كلّ نسخة ذكرها الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ (ره) في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة وإلى كلّ كتاب لم يُذكر فيها ، وكذا كتابيه طبقات أعلام الشيعة وذيل كشف الظنون ؛ وذلك لأنّ هذه المكتبة كانت من مصادر كتبه الثلاثة هذه.

شكر وتقدير :

عرفاناً بالجميل المسدى إليّ في طريقي لإتمام هذا البحث أتوجّه بالشكر الوافر إلى كلّ من :

1 - إدارة الحرم العلويّ المطهّر متمثلة بأمينها العامّ فضيلة العلامة الشيخ ضياء الدين زين الدين ، وفضيلة الدكتور عليّ خضير حجيّ المشرف على قسم الشؤون الفكرية لمواكبتها سير البحث وتوفير مستلزماته ، والإخوة العاملين في خزانة مخطوطات الروضة العلوية لما بذلوه من جهد مضمّن طوال سير العمل ، وبالخصوص الأخ الأستاذ صلاح محمّد عليّ الخاقانيّ.

2 - آية الله المحقّق السيّد محمّد مهديّ الخرسان (ده) لاطلاعه على فهرس الكتاب برغم ضيق وقته بسبب انكبابه على العمل العلميّ الدؤوب.

3 - فضيلة العلامة السيّد محمّد صادق السيّد محمّد رضا الخرسان - دام عزّه - لدعّمه المعنويّ وتقضّله بمراجعة البحث العلميّة.

4 - إدارة مجلة تراثنا المتمثلة بفضيلة الشيخ نصير الدين كاشف الغطاء - دامت توفيقاته - والعاملين معه.

فإليهم جميعاً منّي أسمى آيات الشكر والعرفان.

وختاماً :

ألتمس من إخواني المؤمنين ولا سيّما أهل البحث والتحقيق أن ينبّهوني

ص: 431

على ما قد يجدونه من الخطأ غير المقصود مما جرى به القلم وزاغ عنه البصر، فإنّ الإنسان موضع الغلط والنسيان، والكمال لله،
والعصمة لأهلها، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

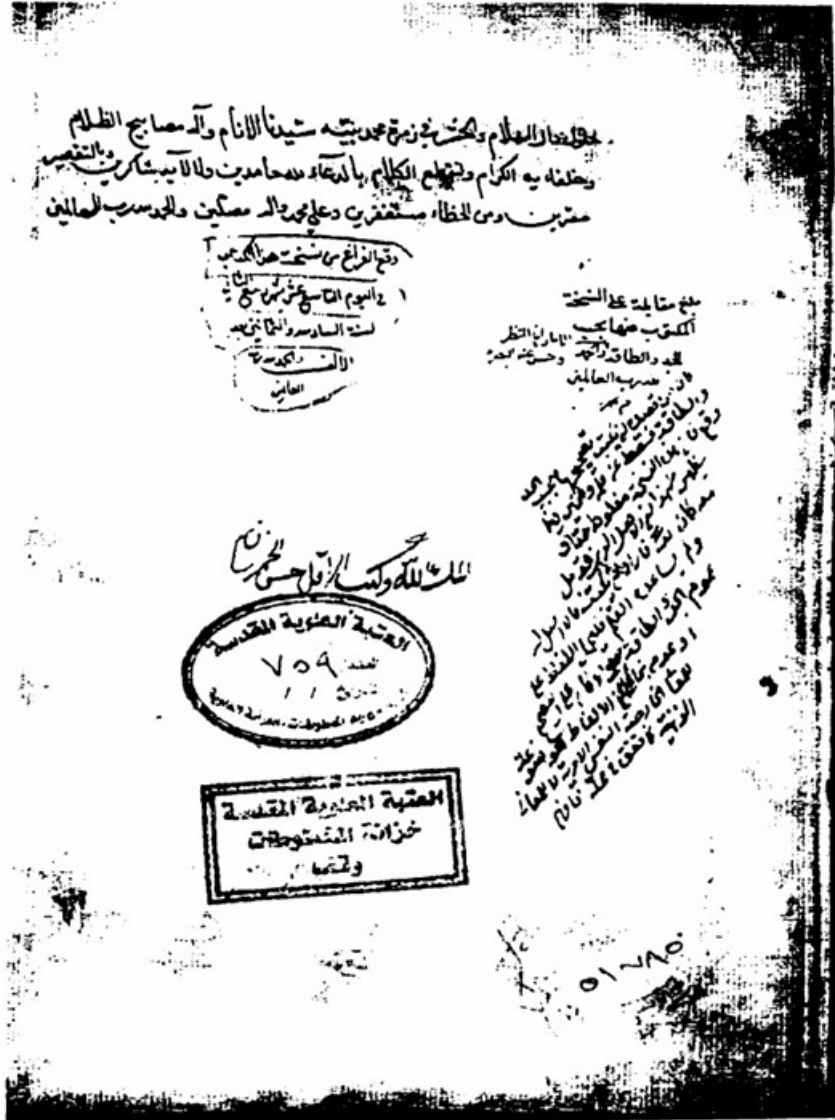
يوم مولد السبط الإمام الحسن عليه السلام

15 شهر رمضان سنة 1435 هـ-

النجف الأشرف

في خزنة حرم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

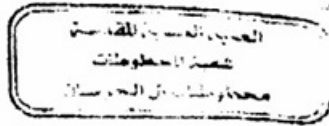
ص: 432



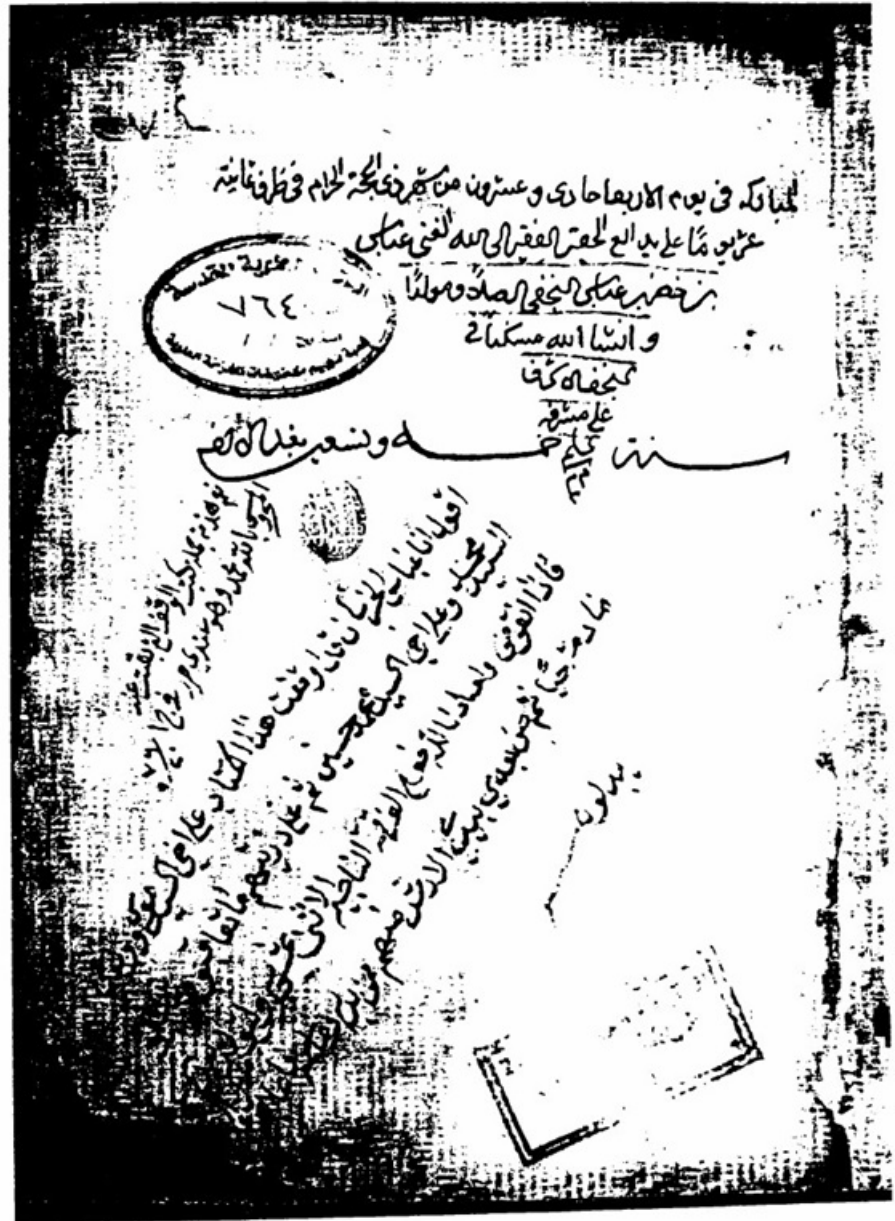
خط السيد حسن الخرسان (مؤسس المكتبة)

بسم الله
 الحمد لله الذي جعلنا من آل أبي طالب
 والسيادات الأولى و: وضرب بعدنا فاقوا ما عبدوا
 الخصال بابي الأنس وقد بعد لنا على محمد ص سنة ثم
 وعلى ذلك محمد وعلينا بالقرعة على الأهل
 نعمنا ونونا سواد الأقطر والعليا من القرعة على الأهل
 مما لا يخفى غير وتولم بلك ما وصرتهم بعد بيعة
 فتنبذنا بعدنا سقر فاما سنة على الدر بيد لونه
 وتماشا فداويل
 شهد بذلك شيخ محمد
 ابن شيخ علي الخادم
 سنة ١٢٩٩ هـ

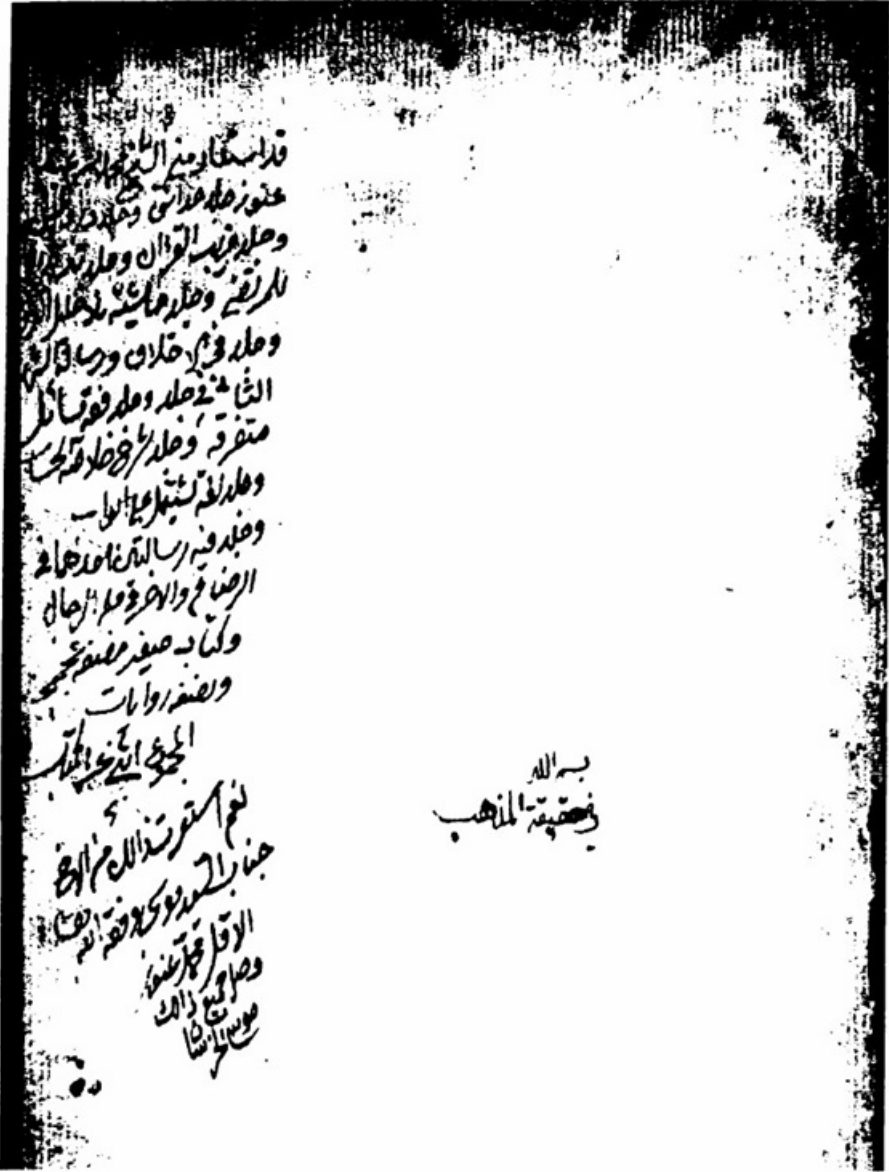
محمد بن محمد
 الأهل شيخ محمد بن
 سيد الخادم



وقفية السيد عباس الخرسان (واقف المكتبة) وعليها شهادة الشيخ محمد
 ابن الشيخ علي الخياط والشيخ محمد بن عبيد الخادم آل عنوز



خط السيد عباس الخرسان وولده السيد محمد الخرسان



خط السيد موسى السيد عباس الخرسان

صورة

□

ص: 437

* القرآن الكريم.

- 1 - أعيان الشيعة : السيّد محسن الأمين (ت 1371 هـ) ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، نشر : دار التعارف للمطبوعات - بيروت ، د. ت.
- 2 - إيضاح المكنون : إسماعيل باشا البغداديّ (ت 1339 هـ) ، تصحيح : محمّد شرف الدين يالتقيا ، رفعت بيلكه الكليسيّ ، نشر : دار إحياء التراث العربيّ - بيروت ، د. ت.
- 3 - تحفة الأزهار وزلال الأنهار : السيّد ضامن بن شدم الحسينيّ المدنيّ (كان حيّاً سنة 1090 هـ) ، تحقيق : د. كامل سلمان الجبوريّ (معاصر) ، نشر : مرآة التراث ، طهران ، ط 1 ، سنة 1420 هـ.
- 4 - التراث العربيّ المخطوط : السيّد أحمد الحسينيّ الأشكوريّ (معاصر) ، نشر : دليل ما - قم المقدّسة ، ط 1 ، سنة 1431 هـ - ، مط : نكارش.
- 5 - تراجم الرجال : السيّد أحمد الحسينيّ الأشكوريّ (معاصر) ، نشر : مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ - قم المقدّسة ، سنة 1414 هـ ..
- 6 - تكملة أمل الآمل : السيّد حسن هادي الصدر (ت 1354 هـ) ، تحقيق : السيّد أحمد الحسينيّ الأشكوريّ ، نشر : مكتبة آية الله المرعشيّ - قم المقدّسة ، سنة 1406 هـ - ، مط : الخيام.
- 7 - جامع الأنساب : السيّد محمّد عليّ الروضاتيّ (ت 1433 هـ) ، مط : جاويد ، إصفهان ، سنة 1376 هـ.

- 8 - الحصون المنيعه في طبقات الشيعة : الشيخ عليّ ابن الشيخ محمّد رضا كاشف الغطاء (ت 1350 هـ) ، مخطوط ، في مكتبة الإمام كاشف الغطاء.
- 9 - الدرر البهيّة في تراجم علماء الإماميّة : السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت 1399هـ) ، تحقيق وحدة التحقيق في مكتبة العتبة العبّاسيّة المقدّسة ، إشراف أحمد عليّ مجيد الحلّيّ ، نشر : مكتبة ودار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة ، ط 1 ، مط ف مؤسّسة الأعلميّ ، بيروت ، 1434هـ.
- 10 - ديوان الشيخ عبّاس الملاّ عليّ البغداديّ النجفيّ (ت 1276 هـ) : جمع وتقديم : الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ (ت 1385هـ) ، المطبعة العلميّة ، النجف الأشرف ، سنة 1375 هـ.
- 11 - الذريعة إلى تصانيف الشيعة : الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ (ت 1389هـ) ، نشر : دار الأضواء - بيروت ، ط 3 ، سنة 1403هـ.
- 12 - شعراء الغريّ (النجفيّات) : عليّ الخاقانيّ (ت 1399 هـ) ، مكتبة آية الله المرعشيّ ، سنة 1408 هـ- ، أوفسيت على طبعة المطبعة الحيدريّة ، النجف ، سنة 1373 هـ.
- 13 - شهداء الفضيلة : الشيخ عبد الحسين الأمنيّ (ت 1392 هـ) ، مؤسّسة التاريخ العربيّ ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1431 هـ.
- 14 - طبقات أعلام الشيعة : الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ (ت 1389هـ) ، نشر : دار إحياء التراث العربيّ - بيروت ، ط 1 ، أوفسيت ، سنة 1430هـ ..
- 15 - الغدير في الكتاب والسنة والأدب : الشيخ عبد الحسين الأمنيّ (ت 1392 هـ) ، دار الكتاب العربيّ ، بيروت ، سنة 1397 هـ.
- 16 - فهرس التراث : السيّد محمّد حسين الحسينيّ الجلاليّ ، تحقيق : محمّد جواد الحسينيّ الجلاليّ ، منشورات دليل ما ، قم المقدّسة ، سنة 1422 هـ.

- 17 - فهرستان نسخه های خطی ایران (فنخا) : اهتمام : مصطفی درایتی ، نشر : المكتبة الوطنية في إيران ، طهران ، ط 1 ، 1390 ش.
- 18 - فهرست مخطوطات مكتبة العتبة العباسية المقدسة : إعداد وفهرسة : السيد حسن الموسوي البروجردی (معاصر) ، نشر : مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء المقدسة ، ط 1 ، سنة 1431هـ- ، مط : الإسرائ.
- 19 - فهرستواره دستنوشته های ایران (دنا) : اهتمام : مصطفی درایتی ، ط 1 ، نشر : مكتبة مجلس الشورى ، طهران ، 1389 ش.
- 20 - فهرس مصنفات الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي : الشيخ عبد الله غفراني ، نشر : جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي ، ط 1 ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، 1434هـ.
- 21 - فهرس مكتبة العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم : إعداد وفهرسة : أحمد علي مجيد الحلبي ، نشر : مؤسسة تراث الشيعة ، قم المقدسة ، ط 1 ، سنة 1431هـ- ، مط : القرآن الكريم.
- 22 - كشف الحجب والأستار : السيد إعجاز حسين الكنتوري (ت 1286هـ) ، تقديم : السيد شهاب الدين المرعشي ، نشر : مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم المقدسة ، ط 2 ، سنة 1409هـ- ..
- 23 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : مصطفی بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب چليبي (ت 1067هـ) ، تقديم : السيد شهاب الدين المرعشي ، نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د. ت.
- 24 - ماضي النجف وحاضرها : الشيخ جعفر بن محمد باقر محبوبه (ت 1377هـ) ، دار الأضواء ، بيروت ، سنة 1430 هـ.
- 25 - مشهد الإمام أو مدينة النجف : محمد علي جعفر التميمي (ت بعد 1386هـ) ، المطبعة الحيدرية ، قم المقدسة ، سنة 1431هـ.

- 26 - معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء : الشيخ محمّد حرز الدين (ت 1365 هـ) ، تحقيق : محمّد حسين حرز الدين ، مكتبة السيّد المرعشيّ ، قم المقدّسة ، سنة 1405 هـ .
- 27 - معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام : الشيخ محمّد هادي الأمينيّ (ت 1421 هـ) ، ط 2 ، سنة 1413 هـ .
- 28 - معجم المطبوعات العربيّة : إيلان سركيس (ت 1351 هـ) ، نشر : مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ ، قم المقدّسة ، سنة 1410 هـ- ، مط : بهمن .
- 29 - معجم المطبوعات النجفيّة : محمّد هادي الأمينيّ (ت 1421 هـ) ، مط : الآداب - النجف الأشرف ، ط 1 ، سنة 1385 هـ .
- 30 - معجم مؤرّخي الشيعة : صائب عبد الحميد ، نشر : مؤسّسة دار معارف الفقه الإسلاميّ ، قم المقدّسة ، ط 1 ، سنة 1424 هـ .
- 31 - معجم المؤلفين : عمر كحالة (ت 1408 هـ) ، نشر : مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، د. ت .
- 32 - المفصّل في تاريخ النجف الأشرف : الدكتور حسن عيسى الحكيم ، المكتبة الحيدريّة ، ج 19 ، سنة 1430 هـ .
- 33 - مقدّمات كتب تراثيّة : السيّد محمّد مهديّ الخرسان ، مكتبة الروضة الحيدريّة ، النجف الأشرف ، نشر : دليل ما ، ط 1 ، 1427 هـ .
- 34 - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : تقي الدين أحمد بن عليّ المقرزيّ (ت 845 هـ) ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1418 هـ .
- 35 - موسوعة النجف الأشرف : جمع بحوثها : جعفر الدجيليّ ، إشراف لجنة من رجال الفكر والأدب ، دار الأضواء ، بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ .

36 - المنتخب من أعلام الفكر والأدب : كاظم عبود الفتلاوي (ت 1431 هـ) ، نشر : مؤسسة المواهب ، لبنان ، ط 1 ، سنة 1419 هـ .

37 - هديّة العارفين : إسماعيل باشا البغدادي (ت 1339 هـ) ، نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، أوفسيت على طبعة إستانبول 1951 م ، د. ت.

المخطوطات

38 - ماضي النجف وحاضرها : الشيخ جعفر بن محمّد باقر محبوبه (ت 1377 هـ) ، السادة الموسويّة ، موجود في خزّانة الحرم العلويّ.

الدوريات

39 - آفاق نجفيّة : مجلّة فصليّة تعنى بالدراسات والبحوث التراثيّة والمعاصرة المختصّة بشؤون النجف الأشرف ، رئيس تحريرها : د. كامل سلمان الجبوريّ ، ع 20 ، ع 35.

40 - تراثنا : نشرة فصليّة تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قمّ المقدّسة ، أعداد مختلفة.

41 - بهارستان : مجلّة ، تصدر عن مكتبة مجلس الشورى ، طهران ، السنة الثامنة ، العدد الثامن ، سنة 1389 ش.

42 - الموسم : مجلّة ، فصليّة مصوّرة تعنى بالآثار والتراث ، رئيس تحريرها : د. محمّد سعيد الطريحيّ ، أكاديميّة الكوفة - هولندا ، ع 79 - 80 ، سنة 14430 هـ .

43 - النجف الثقافيّة : مجلّة ، شهرية ، ثقافية ، إسلاميّة ، تصدر عن اللجنة الإعلاميّة في مشروع النجف عاصمة الثقافة الإسلاميّة ، السنة الأولى ، أيلول ، سنة 2011 م ، العدد : 5.

ص: 442

صورة

□

ص: 443

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى وعلى العترة الطاهرة من آله الميامين .

«عن الشيخ الصدوق : أبي رحمه الله عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن يزيد الرزاز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام :

(يا بني اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ، فإن المعرفة هي الدراية للرواية)» (1).

لا شك بأن الحديث الشريف وعلومه من أشرف العلوم الإسلامية بعد القرآن وعلومه ، وله التأثير البالغ على الثقافة والحضارة الإسلامية ، ويعتبر من أهم مصادر التشريع الإسلامي .

(1) معاني الأخبار : 1 .

ص: 445

وهذه الرسالة الشريفة التي بين يديك موجودة مع مجموعة من الرسائل بخطه الشريف والتي لم تطبع بعد في مكتبة الإمام الحكيم العامة العامة في النجف الأشرف ، وتتناول بعض بحوث علم الدراية ، وهي ناقصة في الأصل.

ولم يعنونها (رضوان الله عليه) بعنوان خاص ، ووضعنا هذا العنوان لأنه مناسب للبحث المطروح فيها.

وكان عملنا في تحقيق هذه الرسالة الشريفة ما يلي : تقطيع النصّ وتقويمه ، وتخريج الأحاديث الشريفة والأقوال الواردة في المتن ، وترجمة بعض الأعلام الواردة في الرسالة ، والتصحيح قدر المستطاع ، ووضعنا ما أضفناه بين معقوفين [] .

ص: 446

السيد محسن ابن السيد مهدي الحكيم (رضوان الله عليه) كان المرجع الديني الأبرز لتقليد الشيعة الإمامية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

ولد في النجف الأشرف سنة (1306) للهجرة.

وبعد وفاة والده تولى تربيته العلمية ونشأته الدينية أخوه الأكبر السيد محمود الحكيم ، وكان عمره المبارك آنذاك سبع سنين ، حيث درس عليه مقدمات العلوم الإسلامية والفقہ والأصول.

ثم تلقى بقية دروسه في المراحل العالية لدى المشايخ والأساتذة في الحوزة العلمية في النجف وحضر درس الخارج على الأساتذة الكبار منهم :

(1) الشيخ الآخوند محمد كاظم الخراساني قدس سره.

(2) الشيخ ضياء الدين العراقي قدس سره.

(3) الشيخ علي باقر الجواهري قدس سره.

(4) الشيخ الميرزا محمد حسين النائيني قدس سره.

(5) السيد محمد كاظم اليزدي قدس سره.

(6) السيد محمد سعيد الحبوبي قدس سره.

اشتغل بالتدريس واهتمّ بالتأليف والتصديّ لشؤون الأمة والفتيا على نطاق واسع ، وذاع صيته واشتهر اسمه في أرجاء العالم الإسلامي عامّة والشيعة على وجه الخصوص لأكثر من عقدين من الزمن.

وفي أثناء اندلاع نيران الثورة في العراق ، وفي سنة (1332 هـ) اختاره السيّد محمّد سعيد الحنّوبي قدس سره الذي كان يقود المؤمنين والمسلمين العراقيّين ضدّ الاحتلال الإنجليزي في جبهة الناصرية للوقوف إلى جانبه ، فأولاه ثقته وأصبح من الملازمين له قدس سره والمستفيدين من دروسه وأبحاثه.

وفي سنة (1333هـ) تفرّغ للتدريس ، فبرز بوصفه أحد الأساتذة والمشايخ الذين يشار لهم بالبنان ولهم حلقات درس وبحث معروفة في حوزة النجف الأشرف.

شرع بتدريس البحث الخارج في الفقه والأصول في عام (1337 هـ) ، وقد تخرّج على يديه العشرات من العلماء والأساتذة.

وبعد وفاة السيّد أبي الحسن الأصفهاني في سنة (1365 هـ) اتّجهت أنظار أتباع أهل البيت عليهم السلام إليه وقلده الكثيرون.

وبعد وفاة السيّد البروجردي قدس سره في سنة (1380 هـ) أصبح المرجع الديني الأكثر تقليداً.

تراثه العلمي :

أثرى المكتبة الإسلامية بالمؤلّفات العديدة من أهمّها :

ص: 448

- (1) (مستمسك العروة الوثقى): من أفضل الشروح على (العروة الوثقى) للسيد اليزدي ، ويتألف من أربعة عشر مجلداً.
 - (2) (حقائق الأصول): وهو تعليقة على كتاب (كفاية الأصول) للشيخ الآخوند محمد كاظم الخراساني.
 - (3) (دليل الناسك): وهو تعليقة على منسك الشيخ الأنصاري.
 - (5) تعليقة على المكاسب للشيخ الأنصاري.
 - (6) تعليقة على ملحقات (العروة الوثقى).
 - (7) (منهاج الناسكين): في أعمال الحج.
 - (8) رسالة (منهاج الصالحين): وهي رسالته العملية الفتوائية في جزئين ، وصارت محوراً لتعليق فتاوى الفقهاء في الأزمنة المتأخرة.
 - (9) رسالة في إرث الزوجة من الزوج ، وهي من أولى تأليفاته (وقد حَقَّقناها وهي ماثلة للطبع).
 - (10) رسالة في سجدتي السهو (وقد حَقَّقناها وهي ماثلة للطبع).
 - (11) رسالة مختصرة في علم الدراية (وهي الرسالة التي بين يديك وهي غير كاملة في الأصل).
 - (12) تعليقة على كتاب الرياض من بحث الإجارة إلى النكاح.
 - (13) حواشي على نجات العباد.
 - (14) شرح التبصرة للعلامة الحلِّي في مجلدين.
 - (15) حاشية على الرسالة الصلواتية طبعت سنة (1371هـ).
- وغيرها من المؤلفات القيِّمة والنافعة.

مشاريعه :

من المشاريع التي قام بها وأشرف عليها :

1 - تأسيس المكتبات العامة في أنحاء العراق كافة لنشر الثقافة الإسلامية وتوعية الشباب المسلم وحمايته من الانحراف والانجراف وراء الأفكار المنحرفة التي كانت تشكل خطراً كبيراً آنذاك.

2 - بناء المساجد ، والتكايا ، والحسينيات .

3 - طبع الكتب الإسلامية وإرسالها إلى مختلف أنحاء العالم .

4 - تأسيس وتجديد المدارس العلمية لطلبة العلوم الدينية .

5 - وكان له اهتمام كبير بإحياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام ، وبالخصوص إحياء مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام .

6 - مشاريع مختلفة أخرى خارج العراق ، مثل بناء المساجد في لبنان ، وسورية ، وباكستان ، وأفغانستان ، والمدينة المنورة ، وجعلها مراكز دينية لإجراء العبادات وإقامة الاحتفالات ونشر الثقافة الإسلامية الأصيلة وتوضيح المسائل والأحكام الشرعية وتوضيح ونشر أفكار أهل البيت عليهم السلام .

وفاته :

توفي (رضوان الله عليه) في بغداد سنة (1390هـ) وكان قد نقل إليها للعلاج ، وحمل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن بها بعدما شيع تشييعاً مهيباً في بغداد وغيرها من المدن التي مرّ بها الجثمان الطاهر ، وعمّت أرجاء العالم

ص: 450

الإسلامي والشيوعي خصوصاً موجة من الأسى والحزن العميقين لوفاته.

استغرق تشييعه قدس سره من العاصمة بغداد إلى مدينة النجف الأشرف مدة يومين بموكب مهيب ، حضره مئات الآلاف من المؤمنين ، حتىّ كاد أن يتحوّل ذلك التشييع إلى انتفاضة عارمة ضدّ النظام البعثي في العراق.

تمّ دفنه قدس سره في مقبرة خاصّة إلى جوار مكتبته في مدينة النجف الأشرف ، وصارت مزاراً لمحبيّه من المؤمنين.

وفي الختام نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمّده برحمته الواسعة وأن يتقبّل منّا إله سميع الدعاء وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

ص: 451

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد واله الطاهرين فإنا مقدموا بوابها وخاتمها المعتبرة فربما
 نغريب علم الرجال وموضوعه وفائدته ما لا أول له في علم الحديث فيه عن أحاديثها ورواها حديث من حيث
 قبول روايته ورواها وان شئت فلنصو علم وضع التخصيص رواه الحديث ذاته ووصفا صفا حدقا وقدا وأما
 موضوعه فهو الرواية وأما الشائكة فهو معرفة الرواية من حيثية المذكورة لتبصيلها في قبول الرواية ورواها
 في مقام استنباط العلم من السنن وبموجب فيه في مقامات تلك الأول شخمي ما ينبغي ما ينبغي من بعض الألفاظ المصنوعة
 كلفظ آخر ونحوه ووجهها من الألفاظ المطلقة بالجمع والتعديل والشاخي في تعيين في تعيين وإنما قد
 الراوي بالاجتهاد والشائكة في تعيين المشتبهات وأما علم الدراية فهو علم يعرف به أصل الأحكام الحديثية
 وطرقها فكلهم في علمهم وعرفته الشهادة الشائكة بأنه علم يجب فيه عن تان الحديث وطرقه من صحاحها وسننها وما
 يحتاج إليه ليعرف القبول منه والرد ولا يخفى ما فيه إذ يلزم أن يكون علم الأصول للباحث بما هو حجة من الأوصاف
 وتعيين مقبول من مودده وأخلافه وعرفته الشائكة بأنه علم يتعلق بمشاكلها ويحتمل ثم اعلم أنه قبل شه
 الشاخي قال لم يكن من الخاص من تصدقوا شائكة ولكنه ذلك قد صنف فيه لا كما بالشمس سميته القاعد من الأصناف
 الحديثية ثم صنف فيه شيخنا محمد بن عبد الصمد والدرستي برهان وهو أيق صنف فيه كتابه المسمى بالرجح
 مقدمه جعل المصنف محققا والفرق بين العليين المذكورين أن علم الدراية يقتضي البحث في الناصب دون
 المصادر من كتبهم كقولهم أن محقق العجم مالا سمسنة سنة عد ولا ما بين ضابطها بخلاف علم الرجال
 يتناول جميعها بلنازلة بين حالها أسا... الرواية وكذا في الدين تقدمه من العلوم بما ينبغي من العلوم
 تختص به ما ينبغي منها قواعد كتبه تعينه من أعلامه خبره بنات وبس جوتك ولا يخفى أنه لا بد من
 من بيان أن على الرجال والدراية من تدان الأجزاء وان استنباط العلم أشبه من الدراية بل هو
 ما يكون علم الدراية من المدمات فلا ينبغي التوقف فيه إذ عرفنا أنه علم بالأحكام الحديثية والحديثية ومعلوم بغيرها
 أن الأوصاف شريفة تستنبطها بالسنن والعلم بالسنن وتعيين مقبول من رواها يتوقف على فهم نصوصها
 مثل: «صنفه شيخنا واعوزوا حسن المشهور في الاستنباط والمستنبطه أسوأ وأما علم الرجال فكذلك بل خلافه
 بين العلماء المتقدمين والنازلة ملو الطول من حيث يتبعها وحسبها من غير أن يكون له من الأوصاف
 التي هي علمه وبه وكما أن من اعترض بل كذا في الرواية ما كنت وذكر لكل من علمه في الأصول يعرفه

لله

صورة الصفحة الأولى من النسخة الخطية

منه جار

من دون تبينه من علم ذلك بحيث تراه ان ذلك الباب من الروى مع انه من ذلك الباب
باب استحباب الصلوة في اول الوقت قال وباسناده عن محمد بن سحبه عن ابيه عن ابيه عن ابيه
سنان يعني عبد الله عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه عن ابيه
يسقط بعض المتن لاعتقاد ان الرواية لا تهاذ الرواى كما فعل ذلك في باب وجوب الاعارة عما من ترك
الاستقبال عاملا فروس في اخره عن محمد بن الحسن عن الطاطرى عن محمد بن زياد عن حماد عن محمد بن يحيى قال سئل
واقصر عليه مع ان الشيخ في باب روى المتن المذكور تفاوت بين بطريق المذكور عن محمد بن يحيى تارة
واخرى عن محمد بن يحيى اخرى فاقصر في كل على الاول في ترك النسخ لاعتقاده كونهما واحدا بطريق واحد
وانه من محمد بن يحيى فليلاحظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطاهرين

[المقدمة]

فهنا مقدمة وأبواب وخاتمة.

أمّا المقدّمة ففي بيان تعريف علم الرجال وموضوعه وفائدته.

[تعريف علم الرجال]

أمّا الأوّل : فهو علم يبحث فيه عن آحاد رواة الحديث من حيث قبول روايته وردّها.

وإن شئت قلت : هو علم وضع لتشخيص رواة الحديث ذاتاً ووصفاً ، مدحاً وقدحاً.

[موضوع علم الرجال]

وأمّا موضوعه فهو الرواة.

ص: 454

وأما الثالث : فهو معرفة الرواة من الحيثية المذكورة ليتوصل بها إلى قبول الرواية وردّها في مقام استنباط الأحكام من السّنة.

ويبحث فيه في مقامات ثلاثة :

الأوّل : تشخيص ما يستفاد من بعض الألفاظ المنسوبة كلفظ (ثقة) و (نقّة) و (وجه) وأمثالها من الألفاظ المتعلقة بالجرح والتعديل.

والثاني : في تعيين وثاقة الراوي بالاجتهاد.

والثالث : في تمييز المشتركات.

[تعريف علم الدراية]

وأما علم الدراية : فهو علم يُعرّف به اصطلاحات الحديث والمحدّثين وطرق تحمّلهم ونقلهم.

وعرّفه الشهيد الثاني قدس سره بأنّه : «علم يُبحث فيه عن متن الحديث وطرقه من صحيحها وسقيمها وما يحتاج إليه ؛ ليُعرّف المقبول منه والمردود» (1).

ولا يخفى ما فيه ؛ إذ يلزم أن يكون علم الأصول الباحث عمّا هو حجّة من الأخبار وتمييز مقبولة عن مردوده داخلاً فيه.

(1) الرعاية في شرح البداية في علم الدراية : 18.

وعرّفه الشيخ البهائي بأنّه : «علم يتعلّق بمتن الحديث وسنده» (1).

ثمّ اعلم إنّ قبل الشهيد الثاني لم يكن من الخاصّة مَنْ تصدّى لتصنيفه ، ولكنّه قدس سره قد صنّف فيه كتابه المسمّى ب- : بغية القاصدين في اصطلاحات المحدثين ، ثمّ صنّف فيه الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي ، وهو رحمه الله (2) صنّف فيه كتابه المسمّى ب- : الوجيزة مقدّمة الحبل المتين ، مختصر جدّاً.

[الفرق بين علم الرجال وعلم الدراية]

والفرق بين العلمين المذكورين أنّ علم الدراية يختصّ بالبحث عن المفاهيم دون المصاديق ، كقولهم : إنّ الخبر الصحيح ما كان سلسلة سنده عدولاً إماميين ضابطين ، بخلاف علم الرجال إذ به يُعيّن حال أسماء آحاد الرواة.

وكذا قالوا : ليس تعداده من العلوم على ما ينبغي ؛ إذ العلوم الحقيقية ما يستفاد منها قواعد كلية يُقتدر بها على معرفة الجزئيات وليس هو كذلك (3).

(1) الوجيزة في علم الدراية : 1. ونصّ عبارته : علم الدراية : يبحث فيه عن سند الحديث ومنتنه وكيفية تحمّله وآداب نقله.

(2) أي الشيخ البهائي رحمه الله.

(3) قال الشيخ مهدي الكجوري الشيرازي في فوائده الرجالية : «وكيف كان ، لا يقدح فيما نحن بصدد بيانه كون المبحوث عنه في علم الرجال خصوصاً الجزئيات ؛ لأنّه لم

ولا يخفى أنه لا بدّ قبل الشروع من بيان أنّ علمي الرجال والدراية من مقدمات الاجتهاد، وأنّ استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها لا يمكن بدونهما.

أمّا كون علم الدراية من المقدمات فلا ينبغي التوقّف فيه؛ إذ عرفت أنّه علم باصطلاحات الحديث والمحدثين، ومعلوم بالضرورة أنّ الأحكام الشرعية تُستنبط غالباً من السنّة، والعلم بالسنّة وتمييز مقبولها عن مردودها يتوقّف على فهم الاصطلاحات، مثل: الضعيف، والصحيح، والقوي، والحسن، والمضمر، والمقبول، والمستفيض، والمتواتر.

وأما علم الرجال فكذلك، بلا خلاف فيه بين العلماء المتقدمين والمتأخرين؛ ولذا ملؤوا الطوامير في تنقيح مباحثه، وصنّفوا فيه كثيراً، بل كان ديدن أصحاب الأئمة عليهم السلام على تدوينه، وكذا غيرهم من العامة بل

يقم برهان على لا بدّيّة كون المبحوث عن حاله كلياً.

وما يقال - من أنّ الجزئيات ليست بكاسبة ولا مكتسبة - فإنّما هو في مقام آخر، فقد يكون كلياً وقد يكون جزئياً كما إذا وقع جزئيّ موضوع العلم موضوعاً لمسائله كما في الكواكب السيّارة في علم الهيئة.

وقد يقال: إنّ التعرّض للكليّ في كثير من العلوم إنّما هو لعدم حصر الجزئيات التي هي المقصودة بالذات، فلذلك جعلوا الكليّ فيها عنواناً جامعاً لشتات الجزئيات، بخلافه في المقام؛ فإنّ الجزئيات فيه محصورة، ولا بأس به في مقام دفع الشبهة لو كانت. «الفوائد الرجالية في الرجال والدراية: 43.

الخوارج المحكومين بالكفر ، وذكر كل من صنّف في الأصول أنّ معرفته من مقدّمات الاجتهاد من الصدر الأوّل إلى زماننا هذا.

[دعوى قطعية الأخبار المدوّنة في الكتب الأربعة]

نعم اشتبه ذلك على جماعة من الإخباريين ، فبعضهم - كالأمين الأسترابادي (1) - ادّعى قطعية الأخبار المدوّنة في الكتب الأربعة. ولا يخفى أنّه بعد تسليم كونه قاطعاً ، لا طريق لإلزامنا ما دمنّا غير قاطعين ، وأنّه لو كان المراد بقطعية الصدور قطع مصنّفها بالاعتبار فهذا حقّ لشهادتهم في أوّل كتبهم باعتبار ما دونوه وأنّهم لم يدرجوا فيها إلاّ ما هو الحقّ عندهم ، ولكنّه لا ينفع ذلك غيرهم مقلداً كان أو مجتهداً ؛ إذ لا معنى لتقليدهم في حجّة تلك الأخبار ؛ لأنّها من المسائل الأصولية التي لا تقليد فيها.

نعم ، لو آل الأمر إلى المسألة الفرعية مع جواز تقليد الميّت ابتداءً - كما ذهب جماعة منهم - كان لتقليدهم مجال ، وأمّا المجتهد الذي يستنبط فيمكن له أن يعتمد على تصحيحهم لها بعد وثوقه بهم إذا قطع أنّ منشأ الاعتبار عندهم إعمال القواعد الرجالية وتمييز الصحيح من السقيم لا عن حدس واجتهاد ، مثل توهم كون مؤدّي الخبر مُجمعاً عليه أو كان مطابقاً لأصل

(1) الشيخ محمّد أمين بن محمّد شريف الأسترابادي من علماء القرن الحادي عشر (ت 1033هـ) صاحب كتاب الفوائد المدنية الذي ألفه في المدينة المنورة أيام إقامته فيها.

ص: 458

مُسَلَّم ، بحيث لو اطلعنا على مباني اعتباره لها كانت عندنا فاسدة ؛ إذ احتمال ذلك مانع من الاعتماد عليها ، ونظير ذلك دعوى الإجماع في المسائل الفرعية لأجل توهم ثبوت أصل من الأصول كما حُرِّر في محلّه.

وبالجملة : إذا علمنا أنّ الوجه في اعتمادهم القواعد الرجالية من الأصدقية والأعلمية والضبط ونحوها - كما هو ديدن بعض - جاز الاعتماد عليهم ، وإذا احتملنا أن يكون لحدس فلا بدّ لنا من الاجتهاد مثلهم.

ويمكن أن يُعتذر لمُدَّعي القطع بالصدور - أعني الاسترابادي - بأنّه كان تلميذ الميرزا محمّد الرجالي (1) ، وهو تلميذ الأردبيلي (2) ، وكان مسلكه

(1) السيّد الميرزا محمّد بن علي بن إبراهيم الأسترآبادي (المتوفّى سنة 1028هـ) ، وهو أستاذ المولى محمّد أمين الأسترآبادي صاحب (الفوائد المدنية). له كتب ثلاثة في الرجال : الكبير وأسماء (منهج المقال). و (الوسيط) الذي ربّما يسمّى ب- (تلخيص المقال) أو (تلخيص الأقوال) ، والصغير الموسوم ب- (الوجيز). والأوّل مطبوع ، والثاني مخطوط ولكن نسخه شائعة ، والثالث توجد نسخة منه في الخزانة الرضوية كما جاء في فهرسها. أنظر كَلِّيات علم الرجال : 128.

(2) المولى أحمد بن محمّد الأردبيلي ، الشهير بالمقدّس الأردبيلي (ت سنة 993هـ) في النجف الأشرف) ، من علماء القرن العاشر الهجري ، كان معروفاً بالزهد والورع والتقوى والتواضع. وجاء في (الأنوار النعمانية) : «أنّ المولى أحمد الأردبيلي - عطر الله ضريحه - كان له من العلم رتبة قاصية ، ومن الزهد والتقوى والورع درجة أقصى». درس عند بعض تلامذة الشهيد الثاني وغيره من العلماء في المشاهد المقدّسة في العراق. وممّن تتلمذ عليه : المولى عبد الله الحسين التستري ، السيّد محمّد صاحب (المدارك) ، السيّد فيض الله بن عبد القاهر التفريشي ، الشيخ حسن صاحب (المعالم) ، وغيرهم.

له عشرات المؤلفات منها: زبدة البيان في شرح آيات أحكام القرآن، مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان.

(1) الفقيه المحقق السيّد محمّد بن علي الموسوي العاملي (المتوفى سنة 1009 هـ).

(2) جمال الدين أبو منصور الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني بن علي بن أحمد العاملي الجبعي (قدّس الله روحه)، (959 - 1011 هـ) اشتهر بـ (صاحب المعالم)، نسبة إلى كتابه الذي ألفه في الفقه مع مقدّمة في أصول الفقه وسمّاه (معالم الدين وملاذ المجتهدين). من فطاحل العلماء، كان عمره حين استشهد والده سبع سنين اشتغل في تلك النواحي بتحصيل العلوم، وبعدما أكمل دراسته الابتدائية والمقدّمات اللازمة في بلاده. توجه إلى العراق وأقام في النجف الأشرف فحضر درس المقدّس الأردبيلي والمولى عبد الله اليزدي وغيرهما. من مؤلّفاته: معالم الدين وملاذ المجتهدين، منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، التحرير الطاووسي: تهذيب كتاب حلّ الإشكال في معرفة الرجال، وغير ذلك.

(3) المولى الفاضل محمّد باقر بن محمّد مؤمن الخراساني السبزواري صاحب (الذخيرة) (1018 - 1090 هـ). يقول الخونساري (صاحب الروضات): «كان فاضلاً، عالماً، حكيماً، متكّماً، فقيهاً، أصولياً، محدّثاً، نبيلاً، له شرح على إرشاد العلامة سمّاه: (ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد)». روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، ج 2، ص 68، رقم 141.

(4) المحقق الخونساري (1016 - 1098 هـ) الحسين بن جمال الدين محمّد بن الحسين الخونساري، أحد مشاهير علماء الإمامية بالفقه والفلسفة والكلام.

قال الشيخ الحرّ في تذكرة المتبحّرين: «المولى الأجل الحسين بن جمال الدين، محمّد الخونساري: فاضل، عالم، حكيم، متكّلم، محقق، مدقق، ثقة، ثقة جليل القدر، عظيم الشأن، علامة العلماء، فريد العصر، له مؤلّفات، منها شرح الدروس،

أسرارهم) على العمل بخصوص الأخبار الصحيحة المُعدَّل كل واحد من روايتها بعدلين، ومعلوم أنَّ المقدار المذكور لا يفي بالعدر، فتخيّل الأمين أنَّ الأخبار كلها تكون كذلك عند الفقهاء فذهب إلى ما ذهب.

ثم إنَّ بعض الإخباريين - في مقام بيان عدم الاحتياج إلى الرجال اعتمد على تصحيح أصحاب الكتب الأربعة من جهة كونهم أعرف بحال الرواة وأنَّ أقوالهم ليست بأقلَّ من تصحيحات علماء الرجال، مع وقوع الاختلاف فيهما بينهم في بعض الألفاظ مثل: ثقة، ونقّة، ووجه. مضافاً إلى وقوع الاشتراك في أسامي كثير من الرواة المستلزم لتمييزها في كلِّ خبر بالاجتهاد بعد تمييز المتّق عليه عن المُختلف فيه، لكن ذلك يتوقّف على الاطمئنان الخاصّ المصحّح للعمل بالخبر كما يصحّح الاعتماد على تصحيح المدارك والمعالم وغيرهما من مهرة الفنّ ولا يختصّ بهم، فلا بدّ من ملاحظة ذلك كلّه، ومَنْ يحصل له الاطمئنان بهم فهو معذور ولا جواب له، لكن قد يعارضه توهين غيرهم أو توهين العامل نفسه بعد أن يكون من مهرة الفنّ.

فالحاجة حينئذٍ إلى علم الرجال ممّا لا يمكن أن تُنكر، ويكون النزاع فيها صغرياً راجعاً إلى حصول الاطمئنان بتعميمهم وعدمه، وذلك لا يختصّ بهم، بل يجري في حقّ غيرهم من المهرة كالعلامة (1)

حسن لم يتمّ، وعدّة كتب في الكلام والحكمة، وترجمة القرآن الكريم، وترجمة الصحيفة وغير ذلك، من المعاصرين أطال الله بقاءه، نروي عنه إجازة وقد ذكره السيّد علي ابن ميرزا أحمد، في سلافة العصر في محاسن أعيان العصر وأئبى عليه ثناء بليغاً.

(1) الشيخ جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن محمّد بن مطهر الحلّي، المعروف

والمجلسي (1) المُصَحِّح لأخبار الكافي في مرآة العقول ، والسيد هاشم البحراني (2) المُصَحِّح لأخبار التهذيب ، وغيرهم من مهرة الفن.

بالعلامة الحلبي (توفي سنة 726 هـ) ودفن في أحد أروقة الروضة الحيدرية الشريفة ، فقيه كبير وعالم عظيم بحيث لُقّب بالعلامة.

درس العلامة الحلبي على عدد كبير من علماء عصره من الشيعة والسنة ، منهم : والده الشيخ سديد الدين يوسف الحلبي ، وخاله المحقق الحلبي صاحب (شرائع الإسلام). درس العلوم العقلية والرياضيات وغيرها عند الخواجة نصير الدين الطوسي ، كما حضر على علماء السنة منهم : نجم الدين عمر بن علي الكاتبي القزويني صاحب (متن الشمسية) في المنطق ، والشيخ عزّ الدين الفاروقي الواسطي ، من كبار فقهاء السنة ، والشيخ برهان الدين النسفي ، وعدد آخر من علماء السنة.

ومن تلامذته : ولده فخر المحققين محمّد ، ابنا أخته السيدان عميد الدين الأعرجي الحسيني وضياء الدين الأعرجي الحسيني ، السيد أحمد بن إبراهيم بن زهرة الحلبي ، قطب الدين الرازي شارح (الشمسية) ، وغيرهم.

مؤلفاته كثيرة جداً تربو على المائة كتاب منها : تلخيص المرام في معرفة الأحكام ، منتهى المطلب في تحقيق المذهب ، تذكرة الفقهاء ، تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية ، قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام ، مبادئ الوصول إلى علم الأصول ، تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول ، منتهى الوصول إلى علمي الكلام والأصول ، القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية ، نهج الإيمان في تفسير القرآن ، أنوار الملكوت في شرح الياقوت ، الألفين ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد.

(1) المولى محمّد باقر المجلسي الثاني ابن المولى محمّد تقي المجلسي الأول (ت 1111 هـ) في مدينة أصفهان. كان شيخ الإسلام المطاع من قبل السلاطين الصفويين ، اشتهر بكتابه الكبير والقيم المسمّى (بحار الأنوار).

(2) السيد هاشم بن سليمان بن اسماعيل التوبلي الكتكاني البحراني (المتوفى 1107 هـ) صاحب كتاب ترتيب التهذيب.

كما أنّ ذلك يختلف باختلاف المقامات واختلاف الأشخاص في حُسن الظنّ بالغير وعدمه وغير ذلك من الجهات.

[شبهة أنّ المدار على عمل الأصحاب]

وكذا شبهة أنّ المدار على عمل الأصحاب - كما نسب إلى المحقّق رحمه الله - إذ في (كلّما عمل به الأصحاب فهو حجّة وإن كان ضعيفاً ، وما لم يعمل به فليس بحجّة وإن كان صحيحاً) ؛ إذ هذا المعنى لا يطرد في جميع الأخبار ؛ إذ قد يكون الخبر مورد العمل لطائفة والردّ لأخرى ، فلا بدّ من الرجوع إلى القواعد الرجالية في كثير من المقامات كما يظهر لمن راجع المسائل الفرعية.

[شبهة تواتر الكتب الأربعة]

وكذا شبهة أنّ تواتر الكتب الأربعة ممّا لا ريب فيه كتواتر الأصول المأخوذة منها ، ككتاب الحسين بن سعيد (1) المشتمل على ثلاثين كتاباً ،

(1) قال الشيخ الطوسي في الفهرست : «الحسين بن سعيد بن حمّاد بن سعيد بن مهراّن الأهوازي من موالى عليّ بن الحسين عليه السلام ، ثقة ، روى عن الرضا وأبي جعفر الثاني وأبي الحسن الثالث عليهم السلام ، وأصله كوفي وانتقل مع أخيه الحسن رضي الله عنه إلى الأهواز ، ثم تحوّل إلى قم فنزل على الحسن بن أبان وتوفّي بقم ، وله ثلاثون كتاباً ، وهي : كتاب الوضوء ، وكتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصوم ، كتاب الحجّ ، كتاب النكاح

ص: 463

والطلاق، كتاب الوصايا، كتاب الفرائض، كتاب التجارات، كتاب الأجازات، كتاب الشهادات، كتاب الأيمان والنذور والكفارات، كتاب الحدود والديات، كتاب البشارات، كتاب الزهد، كتاب الأشربة، كتاب المكاسب، كتاب التقية، كتاب الخمس، كتاب المروّة والتجمل، كتاب الصيد والذبائح، كتاب المناقب، كتاب المثالب، كتاب التفسير، كتاب المؤمن، كتاب الملاحم، كتاب المزار، كتاب الدعاء، كتاب الردّ على الغالية، كتاب العتق والتدبير. أخبرنا بكتبه ورواياته ابن أبي جيد القمّي عن محمّد بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد بن حمّاد بن سعيد بن مهراّن، قال ابن الوليد: وأخرجها إلينا الحسين بن الحسن بن أبان بخطّ الحسين بن سعيد، وذكر أنّه كان ضيف أبيه، وأخبرنا بها عدّة من أصحابنا عن محمّد بن علي بن الحسين عن أبيه، ومحمّد بن الحسن ومحمّد بن موسى بن المتوكّل عن سعد بن عبد الله، والحميري عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد». فهرست الطوسي ترجمة رقم: 220، ص 58.

(1) وهو لمحمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري القمّي. قال النجاشي: «كتاب نوادر الحكمة، وهو كتاب حسن كبير (كبير حسن) يعرفه القمّيون بدبّة شبيب، قال: وشبيب فامي كان بقم له دبّة ذات بيوت، يعطي منها ما يطلب منه من دهن، فشبّهوا هذا الكتاب بذلك. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة المشتهر ب-: (رجال النجاشي) ترجمة رقم: 939، ص 348.

(2) قال النجاشي: «أحمد بن محمّد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمّد بن علي البرقي، أبو جعفر، أصله كوفي، وكان جدّه محمّد بن علي حبسه يوسف بن عمر بعد قتل زيد عليه السلام، ثمّ قتله، وكان خالد صغير السن فهرب مع أبيه عبد الرحمن إلى برق رود. وكان ثقة في نفسه، يروي عن الضعفاء واعتمد المراسيل. وصنّف كتباً، منها

المحاسن وغيرها، وقد زيد في المحاسن ونقص، كتاب التبليغ والرسالة، كتاب التراحم والتعاطف، كتاب التبصرة، كتاب الرفاهية، كتاب الزي، كتاب الزينة... وقال أحمد بن الحسين رحمه الله في تاريخه: توفي أحمد بن أبي عبد الله البرقي في سنة أربع وسبعين ومائتين، وقال علي بن محمد ماجيلويه: مات سنة أخرى سنة ثمانين ومائتين». رجال النجاشي ترجمة رقم: 182، ص 76 - 77.

(1) قال النجاشي: «أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر زيد مولى السكون، أبو جعفر المعروف بالبيزنطي، كوفي لقي الرضا وأبا جعفر عليهما السلام، وكان عظيم المنزلة عندهما. وله كتب، منها: الجامع، قرأناه على أبي عبد الله الحسين بن عبيدالله رحمه الله قال: قرأته على أبي غالب أحمد بن محمد الزراري... ومات أحمد بن محمد سنة إحدى وعشرين ومائتين، بعد وفاة الحسن بن علي بن فضال بثمانية أشهر. ذكر محمد بن عيسى بن عبيد أنه سمع منه سنة عشرة ومائتين». رجال النجاشي ترجمة رقم: 180، ص 75.

(2) بعض ما ذكره الشيخ السبحاني بخصوص الأصول الأربعمئة:

1 - قال المحقق الحلبي في المعبر: «كتب من أجوبة مسأله - أي جعفر بن محمد عليهما السلام - أربعمئة مصنف سمّوها أصولاً».

2 - قال الطبرسي في إعلام الوري بأعلام الهدى: «روى عن الإمام الصادق عليه السلام من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان، وصنف من جواباته في المسائل أربعمئة كتاب تسمى الأصول، رواها أصحابه وأصحاب ابنه موسى الكاظم عليه السلام».

3 - قال الشهيد الثاني في شرح الدراية: «استقرّ أمر المتقدمين على أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف سمّوها أصولاً فكان عليها اعتمادهم».

4 - قال الشيخ الحسين بن عبد الصمد في درايته: «قد كتبت من أجوبة مسائل الإمام الصادق عليه السلام فقط أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف تسمى الأصول في أنواع

5 - قال المحقق الداماد في الرواشح : «المشهور أنّ الأصول أربعمائة مصنّف لأربعمائة مصنّف من رجال أبي عبدالله الصادق عليه السلام ، بل وفي مجالس الرواية عنه والسماع منه ورجاله من العادة والخاصة على ما قاله الشيخ المفيد رحمه الله في إرشاده زهاء أربعة آلاف رجل. وكتبهم ومصنّفاتهم كثيرة. إلا أنّ ما استقرّ الأمر على اعتبارها والتعويل عليها وتسميتها بالأصول هذه الأربعمائة».

والظاهر من عبارة الطبرسي أنّ مؤلّفي الأصول تلامذة الإمام الصادق والكاظم عليه السلام ، والظاهر من غيره أنّهم من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام فقط ، ولعلّ الحصر لأجل كون الغالب من تلامذة الوالد دون الولد.

كما أنّ الظاهر من الشيخ المفيد على ما حكى عنه أنّها لا تختصّ بأصحابها ، بل يعمّ غيرهما أيضاً. قال : «وصنّف الإمامية من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عصر أبي محمّد العسكري عليه السلام أربعمائة كتاب تسمّى الأصول ، وهذا معنى قولهم : له أصل».

ولكنّه لم يرد أنّ تأليف هذه الأصول كان في جميع تلك المدة بل أخبر بأنّها ألّفت بين هذين العصرين ، بمعنى أنّه لم يؤلّف شيء من هذه الأصول قبل أيام أمير المؤمنين عليه السلام مولا بعد عصر العسكري عليه السلام ، كما أنّه لم يرد حصر جميع مصنّفات الأصحاب في هذه الكتب الموسومة بالأصول ، كيف وهو أعلم بكتبهم وبأحوال المصنّفين منهم كفضل بن شاذان وابن أبي عمير اللذين صنّفا وأكثرًا.

قال العلامة الطهراني واعتماداً على ما مرّ ، ما هذا لفظه : «إذا يسعنا دعوى العلم الإجمالي بأنّ تاريخ تأليف جلّ هذه الأصول إلا أقلّ قليل منها كان في عصر أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وهو عصر ضعف الدولتين ، وهو من أواخر ملك بني أمية إلى أوائل أيام هارون الرشيد ، أي من سنة (95) عام هلاك حجّاج بن يوسف إلى عام (170) الذي ولّي فيه هارون الرشيد».

عن الأئمة عليهم السلام من الأمير إلى العسكري ، ولا إشكال في حجّية المتواتر.

إذ فيها أيضاً أنّ التواتر المسلّم هو تواترها عن مؤلّفيها ، كتواتر القراءات عن أصحابها لا عن الأئمة عليهم السلام.

نعم ، يفيد هذا التواتر عدم الاهتمام بمشايع الإجازة الذين هم الوساطة في نقل هذه الكتب المتواترة ، لا أنّه يفيد عدم الحاجة إلى علم الرجال ، ولذا ترى أصل علي بن جعفر عليه السلام (1) مختلف النسخة ، وما روي عنه في قرب

ولمّا لم يكن للأصول ترتيب خاصّ ؛ لأنّ جلّها من إملاءات المجالس وأجوبة المسائل النازلة المختلفة ، عمد أصحاب الجوامع إلى نقل رواياتها مرتبة مبوّبة منقّحة تسهياً للتناول والانتفاع. ولأجل ذلك قلّت الرغبات في استنساخ أعيانها فقلّت نسخها وضاعت النسخ القديمة تدريجاً وتلف كثير منها في حوادث تاريخية كإحراق ما كان منها موجوداً في مكتبة سابور بكرخ عند ورود طغرل بيك إلى بغداد سنة (448هـ) ، كما ذكره في (معجم البلدان).

وكان قسم من تلك الأصول باقياً بالصورة الأولى إلى عهد ابن إدريس الحلّي (المتوفّى عام 598هـ) وقد استخرج من جملة منها ما جعله مستطرفات السرائر. وحصلت جملة منها عند السيّد رضيّ الدين ابن طاووس كما ذكرها في (كشف المحجّة). ثمّ تدرّج التلف وقلّت النسخ إلى حدّ لم يبقَ منها إلاّ ستّة عشر ، وقد وقف عليها استاذنا السيّد محمّد الحجّة الكوه كمرّي (رضوان الله عليه) فقام بطبعها. كليات في علم الرجال : 483.

(1) علي بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين أبو الحسن ، سكن العريض من نواحي المدينة فنسب ولده إليها. له كتاب في الحلال والحرام يروي تارة غير مبوّبة وتارة مبوّبة. أخبرنا القاضي أبو عبد الله قال : حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد قال : حدّثنا جعفر بن عبد الله المحمّدي قال : حدّثنا علي بن أسباط بن سالم قال : حدّثنا علي بن

الإسناد غير ما روي في الكتب الأربعة ولا مميّز لنا إلا علم الرجال.

وقال أيوب بن نوح (1) لَمَّا سئل عن كتاب الحسين بن روح : «وأما ما سألت عنه من هذا فلا يحمل نسخة على نسخة ولا رواية على رواية».

فلا بدّ حينئذ من الشروع في المقصد فنقول مستعيناً بالله :

قد عرفت أنّ البحث يقع تارة في علم الدراية ، وأخرى في علم الرجال ، فلنقدّم البحث عن الأوّل لتوقف معرفة الثاني عليه ؛ لَمَّا أشرنا إليه في تمييزهما فنقول :

[علم الدراية]

أوّل ما يلزم في البحث في هذا العلم معرفة علماء الحديث والمحدثين ومن نأخذ منه أخبارنا وأسماء الكتب المُدَوّنة في الأخبار فنقول : قد سبق أنّ

جعفر بن محمّد قال : سألت أبا الحسن موسى عليه السلام ، وذكر المبوّب. وأخبرنا أبو عبد الله بن شاذان قال : حدّثنا أحمد بن محمّد بن يحيى قال : حدّثنا عبد الله بن جعفر قال : حدّثنا عبد الله بن الحسن بن عليّ بن جعفر بن محمّد قال : حدّثنا عليّ بن جعفر ، وذكر غير المبوّب. رجال النجاشي ترجمة رقم : 662 ، ص 251.

(1) قال النجاشي : «أيوب بن نوح بن درّاج النخعي أبو الحسين ، كان وكيلاً لأبي الحسن وأبي محمّد عليهما السلام ، عظيم المنزلة عندهما ، مأموناً ، وكان شديد الورع ، كثير العبادة ، ثقة في رواياته ... قال أبو عمرو الكشي : كان من الصالحين ، ومات وما خلف إلا مائة وخمسين ديناراً ، وكان عند الناس أنّ عنده مالا». رجال النجاشي ترجمة رقم : 254 ، ص 102.

ص: 468

أول من دَوَّن فيه الشهيد الثاني رحمه الله ، ثمَّ الشيخ حسين بن عبد الصمد ، ثمَّ ولده المحقِّق البهائي ، وقد تكفَّل لذكر أصحاب الحديث وكتبهم.

ولا يخفى أنَّ العامَّة يأخذون أحاديثهم من صحاحهم الستَّة سواء أُسندت إلى النبيِّ (صلى الله عليه وآله) أو إلى أحد كبارهم ، والعمدة عندهم ابن عبَّاس ؛ ولذا قال الشهيد رحمه الله : إنَّ أحمد بن حنبل الذي هو أحد المذاهب الأربعة قال إنَّ الأحاديث النبوية تنحصر في سبعمائة والباقي أخذ من الباقيين.

ولكن أصحابنا رضي الله عنهم لما رُوي عن أئمَّتهم عليهم السلام من قولهم : إذا أخذتم دينكم منهم فقد أخذتم دينكم من الخائنين (1) ، أعرضوا عمَّا رُوي عن المخالفين وما اعتمدوا على الأحاديث النبوية إلَّا ما ينتهي سنده إلى مثل سلمان وأبي ذر وغيرهما ممَّن كانوا على طريق الاستقامة وما نقضوا عهد نبيِّهم إليهم في ولاية أوليائهم ، فانحصرت النبويَّات الصحيحة عندهم فيما روي عنه (صلى الله عليه وآله) من الأئمَّة عليهم السلام وأصحابهم والمحدثين عنهم طبقة بعد طبقة إلى زماننا هذا.

قال في الوسائل : «إنَّ وجه عدم ذكرنا للنبويَّات من جهة اشتراكها في

(1) ونصَّ الحديث : «عن علي بن سويد الساببي ، قال : كتب إليَّ أبو الحسن عليه السلام وهو في السجن : وأمَّا ما ذكرت يا علي ممَّن تأخذ معالم دينك ، لا تأخذنَّ معالم دينك عن غير شيعتنا ، فإنَّك إنَّ تعدَّيتهم أخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله ، وخانوا أماناتهم ، إنَّهم اتَّمنوا على كتاب الله ، فحرَّفوه وبدَّلوه ، فعليهم لعنة الله ، ولعنة رسوله ، ولعنة ملائكته ، ولعنة آبائي الكرام البررة ، ولعنتي ، ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة» - في كتاب طويل - . الوسائل 27/150.

طرق الفريقين ولا- يمكن تمييز المعتمد منها من غيره، وجرى ديدنهم على التعمد لمخالفتنا بإيراد أخبار موضوعة، ولذا أمرنا في المتعارضين أن نأخذ ما يخالف العامة؛ لأنّ الرشد في خلافهم» (1)، وهذا لا- ينافي ما اشتهر من اعتبار رواية من يوثق به من العامة وغيرهم، كالسكوني (2)، وحفص بن غياث (3)، وجماعة من الزيدية (4) والواقفية (5) والفتحية (6) وغيرهم ممن ادّعى الإجماع على حجّية خبره، إذا أحرز أنّهم كانوا عدولاً في مذهبهم وكانوا منقطعين إلى الأئمة عليهم السلام منقلبين لأحاديثهم، ولا يعتنون بغيرهم ممن خالفهم، بخلاف من روي عنهم في الصحاح حيث لم يحرز وثافتهم كذلك، بل أحرز عكس ذلك كما عرفت.

[طبقات أصحابنا]

فتلخص أنّ الطبقات لأصحابنا ثلاث بل أربع :

(1) قوله عليه السلام: «دعوا ما وافق القوم، فإنّ الرشد في خلافهم». الوسائل: 27/112.

(2) «إسماعيل بن أبي زياد السكوني الشعيري، كان عامياً». خلاصة الأقوال للعلامة الحلّي ترجمة رقم: 3 في باب اسماعيل ص 316. وكونه عامياً ممّا لا شكّ فيه، فقد صرح بذلك الشيخ في العدة عند البحث عن حجّية الخبر عند تعارضه.

(3) «حفص بن غياث القاضي، عامي المذهب، له كتاب معتمد أخبرنا به عدّة من أصحابنا...» فهرست الطوسي ترجمة رقم: 232، ص 61.

(4) منهم أحمد بن محمّد بن سعيد المعروف بابن عقدة.

(5) منهم: علي بن الحسن الطاطري، وسماعة بن مهران، وزرعة بن محمّد الحضرمي.

(6) منهم: عبد الله بن بكير، والحسن بن علي بن فضال، وعمّار الساباطي وعلي بن أسباط.

ص: 470

الأولى : أصحاب الأئمة عليهم السلام الذين هم أصحاب الأصول الأربعة من الأمير عليه السلام إلى العسكري عليه السلام. وأول من صنّف فيه واشتهر به أبو رافع.

الثانية : مصنّفوا الكتب وناقلا أخبار الأصول ، كالحسين بن سعيد ، ومحمّد ابن أحمد بن يحيى ، وأحمد البرقي ، وابن محبوب ، والبرنظي ، وغيرهم.

الثالثة : المحمّدون الثلاثة الذين ألفوا الكتب الأربعة ، بل الخمسة ، محمّد بن يعقوب الكليني (1) صاحب الكافي ، ومحمّد بن الحسن الطوسي (2)

(1) قال النجاشي : «محمّد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني ... شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم ، وكان أوثق الناس في الحديث ، وأثبتهم. صنّف الكتاب الكبير المعروف ... يسمّى الكافي ، في عشرين سنة ... وله غير كتاب الكافي كتاب (الردّ على القرامطة) ، كتاب (رسائل الأئمة عليهم السلام) ، كتاب (تعبير الرؤيا) ، كتاب (الرجال) ، كتاب (ما قيل في الأئمة عليهم السلام من الشعر) ، كنت أتردد إلى المسجد المعروف بمسجد اللؤلؤي ، وهو مسجد نفطويه النحوي ، أقرأ القرآن على صاحب المسجد ، وجماعة من أصحابنا يقرأون كتاب الكافي على أبي الحسين أحمد بن أحمد الكوفي ... ومات أبو جعفر الكليني رحمه الله ببغداد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، سنة تناثر النجوم ، وصلى عليه محمّد بن جعفر الحسن بن أبي قيراط ، ودفن بباب الكوفة». رجال النجاشي ترجمة رقم : 1026 ، ص 377.

(2) محمّد بن الحسن بن علي الطوسي ، أبو جعفر ، شيخ الإمامية (قدّس الله روحه) ، رئيس الطائفة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ، ثقة عين صدوق ، عارف بالأخبار والرجال والفقهاء والأصول والكلام والأدب ، وجميع الفضائل تنسب إليه ، صنّف في كلّ فنون الإسلام ، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع ، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل ، وكان

صاحب التهذيب والاستبصار ، ومحمد بن علي بن بابويه (1) الصدوق صاحب من لا يحضره الفقيه ومدينة العلم لكن المدينة صارت مهجورة.

ثم المحمّدون الثلاثة من المتأخرين ، تقدوا الأخبار المدوّنة في الكتب الأربعة ونقلوها إلى كتبهم ، ك- الوافي لمحمد بن مرتضى (2) المدعو بمحسن ، وقد اقتصر على أخبار الكتب الأربعة. والبحار لمحمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، وقد اقتصر على ما عدا أخبار الكتب الأربعة. ومحمد بن الحسن

تلميذ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان. ولد (قدّس الله روحه) في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، وقدم العراق في شهر سنة ثمان وأربعمائة ، وتوفي رضي الله عنه ليلة الإثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة بالمشهد المقدّس الغروي على ساكنه السلام ودفن بداره. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، ترجمة رقم : 47 ، ص 249.

(1) قال العلامة الحلي : «محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، أبو جعفر ، نزيل الري ، شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان. ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السنّ ، كان جليلاً حافظاً للأحاديث ، بصيراً بالرجال ، ناقداً للأخبار ، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه ، له نحو من ثلاثمائة مصنف ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير ، مات رضي الله عنه بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة». خلاصة الأقوال ترجمة رقم : 45 ، ص 248.

(2) الفيض الكاشاني (1007 - 1091هـ) هو محمد بن محسن بن فيض الكاشاني ، أخذ الحديث عن السيّد ماجد بن هاشم الصادقي البحراني ، ويروي عنه وعن الشيخ بهاء الدين العاملي ، وأخذ الحكمة والفلسفة عن أستاذه صدر المتألّهين الشيرازي وهو صهر له.

ومن أحسن كتبه كتاب (الوافي) فقد جمع فيه أحاديث الكتب الأربعة القديمة ، وفرغ منه سنة (1068هـ) ، وفي الفقه (مفاتيح الشرائع) الذي شرحه المحقق البهبهاني ، كما أنّ له (المحجّة البيضاء في إحياء كتاب الإحياء) في الأخلاق.

الحرّ (1) صاحب الوسائل وهو ينقل عن الكتب الأربعة غيرها.

[أسامي أصحاب الأصول]

بقي الكلام في ذكر أسامي أصحاب الأصول من الطبقة الأولى ، وهم سبعة كما عن النجاشي ، وعبارته :

«الطبقة الأولى :

[1] أبو رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) واسمه أسلم ، كان للعبّاس بن عبد المطلب فوهبه للنبي (صلى الله عليه وآله) ، فلمّا بُشِّرَ النبي (صلى الله عليه وآله) بإسلام العبّاس أعتقه.

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمّد الجندي (2) إلى آخر ما ذكره في ترجمته ، وذكر في أثناء كلامه أنّ لأبي رافع كتاب السنن والأحكام والقضايا.

[2] «ولابن أبي رافع كتاب آخر ، وهو علي بن أبي رافع ، تابعي من خيار الشيعة ، كانت له صحبة لأمير المؤمنين (وكان كاتباً له ، وحفظ كثيراً ، وجمع كتاباً في فنون من الفقه (الوضوء) و (الصلاة) وسائر الأبواب ، أخبرني

(1) الشيخ محمّد بن الحسن بن عليّ الحرّ العامليّ قدس سره. ولد في قرية (مَشَّ غَرَى) ليلة الجمعة ثامن رجب سنة (1033 هـ). قال الأردبيليّ (في جامع الرواة) : «محقّق مدقّق ، عالم فاضل متبحّر في العلوم ، جليل القدر رفيع المنزلة. من أشهر مؤلّفاته (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) المعروف بوسائل الشيعة ، توطن الشيخ الحرّ العامليّ في المشهد الرضويّ المقدّس ، ومُنح منصب (شيخ الإسلام) ومنصب القضاء ، وصار من أعظم علماء خراسان ، إلى أن تُوفّي في (21) من شهر رمضان سنة (1104 هجرية). ودفن إلى جوار الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المقدّسة».

(2) رجال النجاشي : 4.

ص: 473

أبو الحسن التميمي ... إلى آخره.

[3] ربيعة بن سميع ، له كتاب في زكاة الغنم ... إلى آخره.

[4] سليم بن قيس الهلالي ، له كتاب ، يكتى أبا صادق ... إلى آخره.

[5] الأصبغ بن نباتة المجاشعي ، كان من خاصّة أمير المؤمنين عليه السلام وعمّر بعده ، روى عنه عهد الأشر ووصيّه إلى ولده محمّد ... إلى آخره.

[6] عبيد الله بن الحرّ الجعفي الفارس الفاتك الشاعر ، له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين (، قال أبو العباس أحمد بن نوح ... إلى آخره» (1).

[من الأصول الحديثية المشهورة]

ثمّ اعلم أنّ من الأصول المشهورة بالأصول الأربع مائة بعضها موجود في زماننا هذا ، منها :

أصل علي بن جعفر ، وهو أصل متواتر معتبر مشتمل على أكثر الفقه.

ومحاسن البرقي ، وهو أيضاً من الأصول المعتمدة ، وقد نقل عنه الكليني وكلّ من تأخّر عنه من المؤلّفين كما قاله المجلسي رحمه الله.

وطبّ الرضا عليه السلام للحسن بن محمّد بن جمهور.

وكتاب التوحيد وكتاب الإهليلجة عن الصادق عليه السلام برواية المفضّل بن عمر.

قال المجلسي رحمه الله في البحار : «وقال السيّد ابن طاووس في كتاب

(1) رجال النجاشي : 4 وما بعدها.

ص: 474

المحبّة لثمرّة المهجّة فيما أوصى إلى ابنه : انظر كتاب المفضّل بن عمر الذي أملاه عليه الصادق عليه السلام فيما خلق الله جلّ جلاله من الآثار ، وانظر كتاب الإهليلجة وما فيه من الاعتبار» (1).

وقال السيّد أيضاً في كتاب أمان الأخطار : «ويصحب المسافر معه كتاب الإهليلجة وهو كتاب مناظرة الصادق عليه السلام الهندي في معرفة الله جلّ جلاله بطرق غريبة عجيبة ضرورية حتّى أقرّ الهندي بالإلهية والوحدانية ، ويصحب معه كتاب المفضّل بن عمر الذي رواه عن الصادق عليه السلام في إنشاء العالم السفلي وإظهار أسرارهِ ، فإنّه عجيب في معناه» (2).

والمجلسي رحمه الله بعدما عدّهما في ضمن الكتب التي اعتمد عليها قال : «وكتابا التوحيد والإهليلجة قد عرفت حالهما ، وسياقهما يدلّ على صحّتهما» (3).

ورسالة للجواد عليه السلام في الجبر والتفويض.

وكتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر في عهد ولايته بمصر ، وهو مشتمل على أبواب الفقه.

ومن جملة الأصول الكبيرة الأشعثيات ، ويسمّى الجعفرات أيضاً يرويها محمّد بن الأشعث عن موسى بن إسماعيل عن أبيه عن جدّه موسى

(1) بحار الأنوار 1/14.

(2) بحار الأنوار 1/15.

(3) بحار الأنوار 1/32.

ابن جعفر عليهما السلام.

وكتاب الزهد من أصول عمدة المحدثين الشيخ الثقة الحسين بن سعيد الأهوازي.

ومنها الصحيفة السجادية.

ومنها أصول صغار في مجلّد واحد بلغ خمسة عشر أصلاً وجدت بخطّ صاحب الوسائل لكنّه لم ينقل عنها في الوسائل لعدم وثوقه بها.

منها :

[1] أصل العلاء بن رزين (1) ، وجدّه المجلسي رحمه الله بخطّ جدّ الشيخ البهائي الشيخ علي الجبعي منقولاً عن خطّ الشهيد الأوّل عن خطّ ابن إدريس الحلّي ، والبقية وجدت بخطّ صاحب الوسائل وهي هكذا :

[2] أصل تقي بن ناصح.

[3] كتاب زيد الزرّاد.

[4] كتاب أبي سعيد العصفري.

[5] كتاب زيد النرسي.

[6] كتاب جعفر بن محمّد الحضرمي في الديات.

[7] كتاب محمّد بن مثنّى الحضرمي.

[8] كتاب عبد الملك بن حكيم.

(1) «علاء بن رزين القلاء ، ثقفي ... كان ثقة وجهاً». رجال النجاشي ترجمة رقم : 811 ، ص 298.

[9] كتاب مثنى بن الوليد الحنّاط (1)

[10] كتاب الحسين بن عثمان بن شريك.

[11] كتاب عبد الله بن يحيى الكاهلي.

[12] كتاب نادر علي بن أسباط.

[13] أصل عاصم.

بقي الكلام بعد ما عرفت من طبقات من يؤخذ عنه الحديث من الأصول والكتب وأنها ثلاث طبقات بل أربع : الأصول الأربعمائة ومرّ أنفأ ذكر ما هو موجود منها ، ثم الكتب المتقدّمة ك- نادر الحكمة وكتاب الحسين بن سعيد وغيرهما من الكتب التي ذكرنا نبذة منها ، ثم الكتب الأربعة ، ثم الكتب الثلاثة المتأخرة البحار والوسائل والوافي وعرفت أنّ كل لاحقة منها تأخذ من سابقتها بل من غيرها. فينبغي أن نذكر بعض التي عليها مدار فقه الإمامية مع ذكر أحوال مصنّفها إجمالاً.

[الاصطلاحات الراجعة إلى الكتب الأربعة]

[الاصطلاحات الراجعة إلى كتاب الكافي]

أمّا الكافي فهو لثقة الإسلام رضي الله عنه محمّد بن يعقوب بن إسحاق ، أبي جعفر الكليني بالنون بعد الياء وبضمّ الكاف وفتح اللام ، وما في القاموس من أنّ كلين كأمير قرية بالريّ منها محمّد بن يعقوب من فقهاء الشيعة اشتباه ،

(1) في الأصل : المثنى لوليد الحنّاط. ولعلّه سهو والمعروف ما أثبتناه.

ص: 477

وكان خاله علان الكليني الرازي.

وكان أبو جعفر رحمه الله شيخاً من أصحابنا في وقته بالرّي ووجههم ، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم ، صتّف كتاب الكافي في عشرين سنة ، ومات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، كذا في رجال الميرزا نقله عن الشيخ الطوسي (1).

ويشتمل كتاب الكافي على ثلاثين كتاباً ، أولها كتاب العقل وآخرها كتاب الروضة.

وله مصتّفات أخر ، منها : كتاب الرسائل ينقل عنه ابن طاووس ، وكتاب الرجال ، وكتاب ما قيل في الأئمّة عليهم السلام من الأشعار ، وكتاب تعبير الرؤيا ، وكتاب الردّ على القرامطة ، ولكتّنها غير موجود منها سوى الكافي في زماننا الذي هو كالنار على المنار ، وهو أوثق الكتب الأربعة وأكبرها وأمتنها ، إذ كان عصره (أوان الغيبة الصغرى ، وكان له غاية التمكن من تحصيل العلم ، حيث كان بعض شيوخه من الوكلاء ، ولذا كلّمّا استشكل في مسألة راجع بها (2) الحجّة عليه السلام مكاتبة بتوسّط الوكلاء فيظهر جوابه على مكتوبه ، فلذا نقل عن بعض أنّ مراسيل الكليني - كما إذا عبّر بلفظ روي من دون الإسناد - نقلت بدون واسطة مكاتبة عن الحجّة ولم يصرّح باسمه عليه السلام للتقية.

(1) العبارة غير موجودة في فهرست الطوسي ولعلّها من سهو القلم وهي موجودة في فهرست النجاشي : 377 ترجمة رقم : 1026. مع اختلاف في العبارة.

(2) في الأصل : (راجعها مع بها) ، وما أثبتناه موافق للسياق.

مع وجود الكتب الكثيرة من الأخبار عنده ليس منها في زماننا هذا إلا واحد من ألف ، ويستكشف ذلك من المراجعة في كتب القدماء مع ما أنفقوه من المبالغ الخطيرة على العلم كما يقال في ترجمة محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السمرقندي أنّ له كتباً كثيرة تزيد على مائتي مصنف ، وأنفق على العلم والحديث تركة أبيه سائرهما ، وهي ثلثمائة ألف دينار ، وكانت داره كالمسجد ما بين ناسخ وقارئ ومقابل ومعلّق مملوءة من الناس ، ومن جملة تصانيفه التفسير المعروف ب- تفسير العياشي ، ولا يوجد في عصرنا هذا من كتبه إلا هذا التفسير ناقصاً.

فتلخص : أنّ للكافي علو شأن وارتفاع درجة وجلالة مرتبة من حيث المتانة والقوة ليست لغيره ؛ لاجتماع كلّ ما يوجب الوثاقة فيه.

ولا يتوهم قطعية صدور أخباره كما قاله بعض الإخباريين ، إذ كونه كذلك لا يوجب إلاّ قوة في اعتباره ، إذ ليس أخباره كلّها مسؤولاً عنها من الإمام عليه السلام بنحو المكاتبة ، ولم يثبت كونه معروضاً على الإمام عليه السلام كما هو المشهور أنّ الحجّة عليه السلام قال بعد عرضه أنّ الكافي كاف لشيعتنا - لكلّ خبر كان عنده [...] (1) فيه.

ولا ملازمة بين اعتباره عنده وصدوره عن المعصوم عليه السلام ، ولكن الأسباب المذكورة مع جلالة قدره وعلو شأنه وإحاطته بالأخبار يوجب زيادة وثاقته على ساير الكتب.

(1) كلمة غير واضحة في الأصل.

ثم إن للكافي اصطلاحين :

[الاصطلاح] الأول : إنه نقل العلامة رحمه الله في الخلاصة وغيره أنه قال : كلما كان في كتابي الكافي عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى فهم : محمد بن يحيى العطار ، وعلي بن موسى الكمندانى وداود بن كورة ، وأحمد بن إدريس ، وعلي بن إبراهيم بن هاشم.

قال : وكلما قلت في كتابي المشار إليه : عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي فهم : علي بن إبراهيم بن هاشم ، وعلي بن محمد بن عبد الله أذينة ، وأحمد بن عبد الله بن أمية ، وعلي بن الحسن.

وكلما ذكرته في كتابي عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد فهم : علي بن محمد بن علان ومحمد بن أبي عبد الله ، ومحمد بن الحسن ، ومحمد بن عقيل الكليني (1).

أمّا محمد بن يحيى العطار ، وأحمد بن إدريس ، وعلي بن إبراهيم الواسطة بينه رحمه الله وبين أحمد بن محمد عيسى ، فهم من الأجلّاء ، وقد ثبتت وثافتهم وجلالة قدرهم.

وأمّا داود بن كورة فلم تثبت وثاقته ، لكنّه هو المبوب للمشايخ للحسن ابن محبوب ومرتبّ لنوادير البنزني وإن حُكي عن التعليقة للأغا البهبهاني أنّ الظاهر أنّه من الأجلّاء وهو من مشايخ الكليني (2) ، وعدم ثبوت وثاقته لا يضرّ

(1) خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : 430 الفائدة الثالثة.

(2) تعليقة الوحيد البهبهاني (محمد باقر بن محمد أكمل) على منهج المقال للميرزا محمد بن علي بن إبراهيم الأسترآبادي : 173.

بعد ثبوت وثاقة واحد من الوسائط كعدم ثبوت وثاقة محمّد [الظاهر : علي] ابن موسى الكمندانى.

وأما الوسائط بينه وبين البرقي فقد عرفت أنّ عليّ بن إبراهيم من الأجلّاء الذين لا يحتاج إلى تعريف ، وأما عليّ بن الحسن فهو مشترك بين الضعاف والثقات ، ولم ينقل في الرجال في ترجمة هؤلاء المشتركين من انطبق عصره على عصر الكليني ، فالظاهر أنّه مصحّف عليّ بن الحسين السعد آبادي المصنّف لأحوال آل أعين ، وهو من مشايخ الكليني والمؤدّب لأبي غالب الزراري ، جليل القدر ، لكن لم تثبت وثاقته.

وأما عليّ بن محمّد بن عبد الله أذينة وأحمد بن عبد الله بن أمية فلم يذكرا في الرجال بعنوان أمية وأذينة ، والظاهر أنّ هاتين اللفظتين مصحفتان عن ابن بنته كما احتمله الآغا في تعليقه (1) ، والمراد ابن بنت البرقي المعروف ، وهو أحمد بن محمّد بن خالد بن عبد الرحمن بن عليّ البرقي ، بأن يكون عبد الله الملقّب بأبي القاسم بندار البرقي ، ويكون أحمد ومحمّد ابني بنت البرقي ، وعليّ بن محمّد هو عليّ بن محمّد بندار من مشايخ الكليني.

ويحتمل أن يكون عبد الله ابن بنت البرقي حتّى يكون ابن ابنته لقب

عبد الله حقيقة ، ويكون أحمد ومحمّد ابني بنت البرقي.

وعلى أيّة حال يكون عليّ وأحمد من الثقات.

(1) تعليقة الوحيد البهبهاني على منهج المقال : 68.

وأما علي بن محمد بن علان من الوسائط بينه وبين سهل ، فهو علي ابن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي.

قال (الميرزا) : «اتفقت النسخ على علي بن محمد بن علان ، والموجود في الرجال علي بن محمد المعروف بعلان» (1) انتهى.

وهو ثقة جليل وكثيراً ما يروي الكليني في أول روايات الكافي عن علي بن محمد ، وحينئذ كان مشتركاً بين الرازي المذكور وبنار المعروف ؛ لكن لا يقدح اشتراكهما بعد ثبوت وثاقتهما.

وأما محمد بن عقيل الكليني فهو مهمل ، لكن في التعليقة ذكر أن محمد بن عقيل الكليني من عدة الكليني في روايته عن سهل بن علقمة بن الأسود النخعي الصحابي في مالك الأشتر ما يظهر منه حسنه وأوصى إليه فأوصى إلى أبي القاسم بن روح ، انتهى (2).

مضافاً إلى كونه من مشايخ الكليني واعتماده عليه في رواياته ، وعلى فرض ثبوت إهماله وعدم إحراز حاله لا يقدح في قبول الرواية بعد ثبوت وثاقة غيره من الوسائط ولو كان واحداً.

وأما محمد بن أبي عبد الله فقال الميرزا رحمه الله : «الظاهر أنه محمد بن جعفر الأسدي الثقة» (3) ، انتهى.

(1) منهج المقال : 401 ، الخاتمة ، الفائدة الأولى.

(2) تعليقة الوحيد البهبهاني على منهج المقال : 316.

(3) منهج المقال : 401 ، الخاتمة ، الفائدة الأولى.

وهو من الوكلاء كما حكى عن الشيخ الطوسي رحمه الله أنه كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنسوبين للسفارة من الأصل ، منهم أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي.

ثم قال بعد ذلك : «ومات الأسدي على ظاهر العدالة لم يتغير ولم يطعن عليه» (1).

ولكن النجاشي ذكر في ترجمته أنه ثقة صحيح الحديث ، إلا أنه كان يروي عن الضعفاء وكان يقول بالجبر والتشبيه (2).

ويمكن توجيهه بأنه كان كذلك في السابق ثم تبدل رأيه ، مضافاً إلى ما قال في التعليقة : «والظاهر أن النجاشي توهم من كتبه كما نشاهد في أمثال زماننا أن الفضلاء يرمون أمثالهم بالعقائد الفاسدة بالتوهم».

ثم قال نقلاً عن جدّه قدس سرهما : «الظاهر أنه كان يروي أخبار الجبر والتشبيه ، كما رواه الأكثر وورد به القرآن المجيد بحسب الظاهر ، وردّه على أهل الاستطاعة لا يستلزم كونه جبرياً ؛ لإمكان كونه قائلاً بالحق من أنه لا جبر ولا تقويض ؛ ولما كان الأكثر على الاستطاعة تبعاً للمعتزلة ضعّفوا من لم يقل بها ، ولو كان فاسد المذهب كيف يعتمد عليه الصاحب ويجعله بابه ، وروى في كمال الدين وغيبة الشيخ أخباراً كثيرة تدلّ على وكالته له وظهور

(1) الغيبة ، للشيخ الطوسي : في ذكر السفراء المحمودين الثقات الذين ترد عليهم التوقيعات ، الحديث 1.

(2) رجال النجاشي ، ترجمة رقم : 1020 ، ص 373.

وقال أيضاً: «وروى في كمال الدين أخباراً كثيرة تدلّ على جلالته وعظم مرتبته من صاحب الزمان عليه السلام» إلى أن قال: «ذكر بعض الفضلاء المتبحّرين أن أهل قم على الجبر والتشبيه سوى ابن بابويه، والسبب ما ذكرنا، وعدم تأويلهم ما دلّ عليهما، إمّا بناء على الظهور أو عدم جرأتهم على التأويل، بل يقولون مجمل له مجمل» (1). انتهى.

فعلّم ممّا ذكرنا أنّه ثقة جليل القدر لا شبهة فيه، ولا يخفى عدم التنافي في كلام النجاشي بين قوله بوثاقته وصحّة حديثه وقوله بأنّه كان يقول بالجبر والتشبيه على تقدير صحّة نسبة هذه العقيدة له ولو حال روايته؛ لأنّ المراد بالصحّة الصحّة عند القدماء بمعنى حصول الاطمئنان من قوله، وهذا يجامع روايته عن الضعفاء أو معتقداً لتلك العقيدة. نعم، لو كان المراد بالصحّة ما عند المتأخّرين كان التنافي ظاهراً.

وأما محمّد بن الحسن فهو الصّفّار (2)، ثقة، جليل، من مشايخه وفي طبقتة، صاحب بصائر الدرجات.

(1) تعليقة الوحيد البهبهاني على منهج المقال : 68.

(2) «محمّد بن الحسن بن فروخ الصّفّار، مولى عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيدالله بن السائب بن مالك بن عامر الأشعري، أبو جعفر الأعرج، كان وجهاً في أصحابنا القمّيين، ثقة، عظيم القدر، راجحاً، قليل السقط في الرواية. له كتب، منها: كتاب الصلاة، كتاب بصائر الدرجات، توفّي محمّد بن الحسن الصّفّار بقم سنة تسعين ومائتين». رجال النجاشي، ترجمة رقم: 948، ص 354.

وأما الاصطلاح الثاني : فهو أنه - كما نقل في الوسائل (1) - بيني الروايات بعضها على بعض ، ومعنى البناء أنه لو كان في سند الحديثين رواة مشتركون في نقلهما ، ورواة منفردون في نقل أحدهما ، فروى أحد الحديثين بسنده كله ، ثم في الحديث الثاني لا يذكر تلك الجماعة المشتركة في النقل بل يحذفهم ويبدأ في النقل من الطائفة المنفردة ، ويسمى بالبناء اصطلاحاً.

ومعرفته في موارد موقوفة على معرفة طبقات الرجال أو على قرينة أخرى ، وليس هذا من خواصه عليه السلام ، بل هو ديدن كثير من المحدثين كما في الوسائل.

[الاصطلاحات الراجعة إلى كتاب من لا يحضره الفقيه]

وأما الصدوق فهو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، أبو جعفر ، نزيل الري ، وهو أشهر وأعرف من أن يُوصف ، قيل : له نحو من ثلاثمائة مصنف ذكر (الميرزا) أكثرها ، وهو متأخر طبقة عن الكليني ، كما أن المفيد متأخر عنه ، والشيخ متأخر عن المفيد.

وهو أول من عنون الأخبار بأساليب رشيقة لم يسبقه إليه أحد ، مثل جمعه الأخبار المفسرة بعضها لبعض في كتاب واحد وهو كتاب معاني الأخبار ، وإيراده الأخبار الواردة في علل الشرائع والأحكام في كتاب العلل ، وكتاب الخصال مدون أيضاً بطراز مخصوص.

(1) الوسائل 30/147 في أول الفائدة الثالثة.

ص: 485

وجرى اصطلاحه في من لا يحضره الفقيه - أحد الكتب الأربعة - على حذف الإسناد منه إلى صاحب الكتاب الذي روي عنه ، واقتصره في ذكر الأسانيد على صاحب الكتاب إلى المعصوم عليه السلام ، ويسمى هذا النحو من حذف السند تعليقاً روماً للاختصار ، ثم ذكر في آخر الفقيه الوسائط بينه وبين كل كتاب يروي عنه.

[الاصطلاحات الراجعة إلى كتاب التهذيب]

واقفني أثره الشيخ في التهذيب. وهو شرح لمقنعة المفيد رحمه الله في الجملة ، وطريقه فيها إيراد الأخبار التي لها مدخلية في شرح المتن ، وسلك فيه هذا المسلك إلى مقدار من الصلاة ثم عدل عن ذلك وأورد الأخبار مستقصياً لا بعنوان الشرح بل مستقلاً ، وسلك في مقام العدول مسلك الصدوق بحذف الإسناد إلى صاحب الكتاب ، كما مشى على طريقة الكافي من أول الصلاة إلى مقام العدول بذكر الإسناد كله ، ولما لم يستقص الأخبار قبل العدول تصدى جبراً لما فات فزاد في التهذيب كتاب الزيادات وأورد فيه تلك الأخبار ، ولأجل ذلك صار غير مرتّب ، فرتبّه

السيد هاشم البحراني (1) ، ثم اقتصر في مشيخته على مشايخ الرواة لكن

(1) ترتيب التهذيب للسيد هاشم البحراني ... ذكر صاحب الرياض أنه كبير في مجلّدات أورد كلّ حديث في الباب المناسب له وتبّه على بعض الأغلط التي وقعت في أسانيده ... ثمّ إنّه شرحه بنفسه ، وهو غير كتابه تنبيه الأريب في إيضاح رجال التهذيب. الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، رقم : 270 ص 65.

ص: 486

استقصى في الفهرست [...] (1) بأن يذكر الراوي وأحواله من حيث الجرح والتعديل ثم يذكر كتابه ثم ينقل سنده منه إليه ، وهذا أتم وأفيد.

[الاصطلاحات الراجعة إلى كتاب الاستبصار]

ثم إن الاستبصار كقطعة من التهذيب إذ عرضه في التهذيب نقل الأخبار على نحو الاستقصاء موافقة كانت أو مخالفة ، وفي الاستبصار اقتصر على خصوص الأخبار المخالفة ظاهراً ، وجمع بينها في الدلالة أو السند. والداعي على ذلك ارتداد بعض الناس عن مذهب الإمامية لوقوع الاختلاف الكثير بين أخبارهم ومالوا إلى المذاهب الأخر بتوهم أن عدم الاختلاف يكشف عن حقيقة المذهب ، ولم يعلموا أن موالينا أحاديثهم كلها متوافقة لولا عروض بعض العناوين الثانوية من التقية لحفظ نفوس شيعتهم وأعراضهم وأموالهم من حكام الجور الموجب لإيقاع الاختلاف بين الأخبار كما صرح به في بعضها (2) ، ومثل دس الدساسين ووضع المخالفين أخباراً ودسها في أخبارنا (3) ، فلذلك تعرض الشيخ رحمه الله في الاستبصار لهذه الجهة.

(1) كلمة غير واضحة في الأصل.

(2) راجع كتاب الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، الشيخ يوسف البحراني (ت 1186هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ج 1 ، المقدمة الأولى ، ص 4. فقد بسط الكلام في ذلك.

(3) قال الصادق عليه السلام : «إن المغيرة بن سعيد ، دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم

ص: 487

ولا ينافي ردّه لبعض الأخبار بتضعيف السند ما ذكره في أوّل كتابه من أنّ كلّ ما يرويه فيه يفتي على طبقه ؛ إذ ذلك من قبيل العموم المخصّص.

وطريقته في الاستبصار كما في التهذيب بحذف السند وإيراده في مشيخته ، ونُقِل (1) أنّه صرّح انه يبتدئ بكلّ حديث باسم المصنّف الذي أخذ الحديث من كتابه أو صاحب الأصل الذي أخذ الحديث من أصله.

[فائدة]

ثمّ اعلم أنّ الصدوق رحمه الله قد أورد الأسانيد في مشيخة الفقيه بغير ترتيب ، وظاهر الوسائل جعلها مرتّبة على ترتيب الحروف مقدّمات للأوّل فالأوّل على

يحدّث بها أبي ، فاتّقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا وسنّة نبينا محمّد». رجال الكشي : 195.

وقال أيضاً : «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلوا من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس». رجال الكشي : 257.

«وقال يونس بن عبد الرحمن : وافيت العراق فوجدت جماعة من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام متوافرين ، فسمعت منهم ، وأخذت كتبهم ، وعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام ، قال : (إنّ أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله ، لعن الله أبا الخطاب وكذلك أصحاب أبي الخطاب ، يدسّون من هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله ، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن». رجال الكشي : 195.

(17) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة المعروف بوسائل الشيعة ، الفائدة الثانية : مشيختا التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي رحمه الله 30/129.

ص : 488

النهج المعروف ، فراجع (1) فوائده في آخر الوسائل ، ولم يغيّر شيئاً من كلامه سوى الترتيب.

والعلامة رحمه الله قد نقد تلك الأسانيد فحكم في بعضها بالوثاقة وفي آخر بالضعف ، ولا يذكر بالتوثيق والتضعيف صاحب الكتاب الذي أخذ الحديث من كتابه ، مثل قوله : إنَّ طريق أبي جعفر إلى عمّار الساباطي (2) قويّ ، فيه أحمد بن الحسن بن فضال (3) وهو فاسد المذهب ثقة (4). وإلى عليّ بن جعفر عليه السلام صحيح.

وكذا نقد طرق الشيخ في التهذيب والاستبصار ، وأمّا الكافي فحيث لم يحذف الإسناد بل يذكر جميع السند لم يميّز صاحب الكتاب عن غيره.

ثمّ المجلسي الثاني رحمه الله نقد في وجيزته (5) رجال الأسانيد على وجه يشمل صاحب الكتاب ، وأشار فيها إلى الرموز التي عبّر فيها عن أحوالهم ،

(1) المصدر السابق 30/21.

(2) «عمّار بن موسى الساباطي أبو الفضل مولى ، وأخواه قيس وصباح ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ، وكانوا ثقات في الرواية». رجال النجاشي ، ترجمة رقم : 779 ، ص 290.

(3) «أحمد بن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن فضال ، يقال : إنّه كان فطحياً ، وكان ثقة في الحديث». رجال النجاشي ، ترجمة رقم : 194 ، ص 81.

(4) خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : 437.

(5) كتاب مختصر في علم الرجال . طبع بأسم رجال المجلسي بترتيب وتحقيق عبد الله السبزي سنة (1415هـ) ثمّ طبع سنة (1420هـ) بمراجعة وتحقيق محمّد كاظم رحمان ستايش بمناسبة مؤتمر تكريم العلامة المجلسي .

مثل :

ق : للثقة غير الإمامي.

وح : للممدوح.

وض : للضعيف.

وم : للمجهول.

مرتباً على ترتيب حروف الهجاء ، ولو كان مذهبه خلاف المشهور يشير ب- : (ر) إلى المشهور ثم يذكر مذهبه ، وقد يشير إلى راو كثير الرواية برسم النقاط عند ترجمته ، وظني أنه شكل 2 بالرقم الهندي.

فائدة

قد يكون في طريق الشيخ رحمه الله إلى الكتاب الذي ينقل عنه رجل ضعيف أو مجهول فيترآى منه قدح في الحديث ، وليس كذلك لو كان في طريق الصدوق إليه سند معتبر ؛ إذ الشيخ كلما ينقل يكون بإجازة المفيد المجاز من الصدوق ، فكأنه ينقل عن الصدوق ، والمفروض ثبوت صحّة سند الصدوق إلى ذلك الكتاب.

وبعبارة أخرى : لو فرض خبر صحيح من صاحب الكتاب إلى الإمام ، وكان في سند الشيخ إلى ذلك رجل غير معتبر فلا يقدح لو كان سند الصدوق إلى ذلك صحيحاً معتبراً وإن لم يذكر خصوص هذا الخبر ؛ لأنّ سند الشيخ وإن كان ضعيفاً لكنّه يروي كلّ ما أجازاه الصدوق بالواسطة ، فتتصل سلسلة

ص: 490

سنده إلى هذا الكتاب بسند آخر صحيح وهو نقله عن المفيد عن الصدوق والمفروض صحّة سند الصدوق ، فلا يبقى مجال توهم ضعف الخبر.

[اصطلاحات الكتب الثلاثة المتأخّرة]

بقي الكلام في اصطلاحات الكتب الثلاثة المتأخّرة ، أعني الوسائل والبحار والوافي ، وقد تقدّم أنّ البحار لا ينقل فيه من الكتب الأربعة ، والسّرّ فيه أنّ الكتب الأربعة لمّا كانت متواترة مضبوطة خاف عليها الهجر كسائر الكتب المتقدّمة المنقول عنها الكتب الأربعة.

قال في المجلّد الأوّل من البحار بعد ذكر الكتب التي اعتمد عليها : «اعلم إنّنا تركنا إيراد أخبار بعض الكتب المتواترة كالكتب الأربعة وكتاب نهج البلاغة ؛ لكونها متواترة مضبوطة [لعلّه] (1) لا يجوز السعي في نسخها وتركها ، وإن احتجنا في بعض المواضع إلى إيراد خبر منها فهذه رموزها :

ك : للكافي.

ويب : للتهذيب.

صا : للاستبصار.

يه : لمن لا يحضره الفقيه.

نهج : لنهج البلاغة» (2). انتهى.

(1) إضافة من المصدر ، لاحظ الهامش التالي.

(2) بحار الأنوار 1/49. في نهاية الفصل الثالث ، وفيه : إضافة (لعلّه) قبل (لا يجوز).

وأما صاحب الوافي فلا يتعدى الكتب الأربعة بلا زيادة ولا نقصان ، نعم قد يذكر بياناً في الموارد المحتاج إليها.

وأما الوسائل فيروي الكتب الأربعة وغيرها.

تنبيه

لا يخفى أنّ في اختصار الكتب ونقلها من غير اعتماد على قرينة محكمة ؛ تُرتّب عليه مفسدة ولو بعد فقدان ذلك الكتاب ، كما اتفق ل-

تفسير العياشي في أسانيده ، حيث إنّه ذكر فيه إسناده وطرقه صريحاً ، ثمّ الملاً رحمه الله حذف تلك الأسانيد معتذراً بأنّه ليس لي إليها إجازة حتّى يصحّ نقلها منه ، وهذا كما ترى!

ولذا قال المجلسي في مقام تعداد الكتب التي اعتمد عليها :

«وتفسير العياشي ، روى عنه الطبرسي وغيره ، ورأينا منه نسختين قديمتين ، وعُدّ في كتب الرجال من كتبه ، لكنّ بعض الناسخين حذف أسانيده للاختصار ، وذكر في أوّله عذراً هو أشنع من جرّمه» (1). انتهى.

ولذا اشتبه صاحب الوسائل فزعم أنّ رسالة المحكم والمتشابه للسيد المرتضى كلّها منقولة من تفسير النعماني ، مع أنّ فيها تصرّف من السيد رحمه الله ومنشأ الاشتباه عدم القرينة المعينة.

إذا عرفت ذلك فاللازم الشروع في بيان خصوصيات واصطلاحات

(1) بحار الأنوار 1/29.

الكتب الثلاثة ، فنقول :

[خصوصيات واصطلاحات الوسائل]

أمّا الوسائل فهو أجمع الكتب للأخبار المتعلقة بالفروع ، وذكر فيه اثنتي عشرة فائدة مهمّة (1) :

الأولى : في ذكر طرق الشيخ الصدوق.

الثانية : في ذكر طرق الشيخ رحمه الله.

الثالثة : في بيان اصطلاحات (الكافي).

الرابعة : في ذكر الكتب المعتمدة التي نقل عنها ، فيبدأ أولاً ، بذكر أسامي الكتب الأربعة وأسامي مصنّفيها ؛ لأنها أقدم وأشهر وأمتن ، ثم يذكر سائر الكتب بأساميتها وأسامي مصنّفيها ، وعدّها منها ثمانين كتاباً ، ثم يذكر الكتب التي ينقل عنها بالواسطة ويذكر أسامي مصنّفيها ، وتبلغ أربعاً وتسعين كتاباً ، ثم قال : «وأما ما نقلوا عنه ولم يصرّحوا باسمه فكثير جداً مذكور في كتب الرجال تزيد على ستّة آلاف وستمائة كتاب على ما ضبطناه» (2).

الخامسة : في ذكر بعض الطرق التي روى بها الكتب المذكورة تيمناً وتبركاً لا لتوقّف العمل ؛ لتواتر تلك الكتب وقيام القران على صحّتها وثبوتها ، ثم ذكر مشايخ إجازته إلى غير ذلك ممّا ذكره في تلك الفائدة.

(1) راجع الوسائل ج 30.

(2) الوسائل 30/166 في آخر الفائدة الرابعة.

ص: 493

السادسة: في ذكر شهادة جمع بصحة الكتب المذكورة وأمثالها ، كالكليني رحمه الله ، والصدوق والشيخ في العدة. ثم ذكر كلام البهائي في معنى الصحيح عند القدماء ، والشهيد الثاني ، والكفعمي ، والطبرسي في أول الاحتجاج ، وعلي بن إبراهيم القمي ، والسيد علي بن طاووس ، وابن شهر آشوب ، والمحقق في المعبر والحلي في السرائر.

السابعة: في ذكر أصحاب الإجماع ، ثم نقل كلام الكشي ، ثم ذكر نبذة من الأصول المعتمدة عن الشيخ في الفهرست ، ثم ذكر جماعة وثقهم الأئمة ، ثم ذكر كلام الشهيد في شرح الدراية في طرق العدالة وحال مشايخ الإجازة.

الثامنة: في ذكر القرائن ... إلى آخر ما ذكر في الفوائد ، فيلحظ.

[خصوصيات واصطلاحات البحار]

بقي الكلام في بيان ما يتعلّق ب- البحار ، أمّا ترجمة مؤلّفه فمذكورة في الأمل (1) لصاحب الوسائل ، وأمّا الرموز فبيانها طويل فليرجع إلى المجلّد الأوّل منه ففيه كلام طويل لا يخلو من فائدة ، بل فوائد جمة ؛ لأنّه يتعرّض فيه إجمالاً لصحة الكتب وبيان من نسبت له وترجمته إجمالاً أو إشارة ، لكن كان الأولى عدم ذكرها بالرمز ؛ لأنّه ربّما يوجب الاشتباه ولعدم الاعتماد على النسخ مع تقارب الصور.

وذكر في آخر كلامه بيان اصطلاحاته في البحار وملخص ما ذكر أنّه لم

(28) أمل الآمل 2/248 - 249 ، ترجمة 733.

ص: 494

يحذف الأسانيد لئلا تنحط عن درجة المسانيد فيفوت التمييز بين الصحيح وغيره ، ولم يذكر جميع رجال الخبر بأسمائهم وألقابهم حذراً من الإطناب ، بل اكتفى في المشاهير بذكر آبائهم أو لقبهم وأسمائهم بلا نسبة إلى الجد والأب ، وبالإشارة إلى جميع السند إن كان يتكرر كثيراً برمز وعلامة فمهّد في صدر الكتاب ، ثم ذكر ما اختصره من الكتب ، فقال :

أمّا ما اختصرناه من إسناد قرب الإسناد فكلمّا كان فيه أبو البختری فقد روينا عن السندی بن محمّد البرّاز عن أبي البختری.

وكلمّا كان عن حمّاد بن عیسی فهو بهذا الإسناد : محمّد بن عیسی والحسن بن طریف وعلي بن إسماعیل كلّهم عن حمّاد.

وكلمّا كان فيه ابن سعد عن الأزدي فهو أحمد بن إسحاق بن سعد عن بكر بن محمّد الأزدي.

وكلمّا كان فيه ابن طریف عن ابن علوان فهما الحسن بن طریف عن الحسين بن علوان ، وهكذا في سائر الكتب.

ثمّ ذكر المفردات المشتركة في الرواة وألقابهم وكناهم وبيّن المراد منها ، ثمّ ذكر طرق العامّة ... إلى آخر ما ذكر هنا ممّا لا بدّ من مراجعته فإنّ فيه فوائد جَمّة (1).

[فائدة]

وطريقة أبواب التصنيف مختلفة من حيث ذكر السند وعدمه ، فبعض

(1) راجع بحار الأنوار ج 1.

ص: 495

يحذف الإسناد كلّه ويعبّر عن المعصوم بالضمير كما في أصل عليّ بن جعفر ، وبعض يذكر السند كما في الأشعثيات ، وبعض يحذف بعضاً ويذكر بعضاً كما في البحار.

وأما الوافي فهو مشتمل على خصوصيات ورموزات مذكورة فيه فليرجع إليه.

إيقاظ

ليعلم أنّ صاحب الوسائل رحمه الله مع أنّه ذكر في الفهرست وفي أمل الآمل أنّ رسالة إزاحة العدّة في معرفة القبلة لشاذان بن جبرئيل القمّي نسبها فيما عندي من النسخة إلى الفضل بن شاذان بن الخليل القمّي الذي هو من أعيان أصحاب الرضا عليه السلام في جميع المواضع المذكورة في القبلة من كتاب الصلاة ، والظاهر أنّ ذلك من اشتباه النساخ وإن كان مستبعداً من جهة تعدّد الموارد فليلاحظ.

وقد تقدّم أيضاً الإشارة إلى نسبه رسالة المحكم والمتشابه للسيد المرتضى إلى تفسير النعماني وذكر غيره - الحاج النوري رحمه الله (1) - في ترجمة الحسن بن علي ابن أبي حمزة أنّ التفسير الذي ألفه النعماني كلّه خبر واحد أخرجه بإسناده إلى الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام في أنواع الآيات وأقسامها ، وذكر الأمثلة لكلّ من القسمين ، وذكر ملخصه عليّ بن

(1) خاتمة مستدرک الوسائل 4/243.

إبراهيم في تفسيره ، والسيد الأجلّ علم الهدى اختصر تفسير النعماني ويعرف ب- رسالة المحكم والمتشابه ، والشيخ الجليل سعد بن عبد الله غيّر ترتيب الخبر وجعله مبوباً وفرّقه على الأبواب ، انتهى.

بل ببالي أنّه ذكر في كلام له أنّه لاحظ الأصل فوجده مطابقاً له ، ومع ذلك فقد طعن بعض في الرسالة بأنّها مشتملة على كلام السيد مع عدم القرينة المميّزة ؛ لعدم الفصل بمثل (أقول) ونحوها ، فلا بدّ من الملاحظة.

وممّا يחדش به صاحب الوسائل أنّه مع اختلاف النسخ يُرجّح نسخة ثم يروي بلا إشارة منه إلى ذلك ، مع أنّ الترجيح إنّما هو باجتهاده وحدثه ، فلا بدّ من الملاحظة مع اختلاف النسخ.

وأيضاً فهو قد يفسّر بعض المشتركات لبعض القرائن من دون تنبيه منه على ذلك ، بحيث يترآى أنّ ذلك البيان من الراوي مع أنّه منه قدس سره ، وهو كثير ، منه ما في باب استحباب الصلاة في أول الوقت ، قال : وبإسناده عن الحسين ابن سعيد ، عن النضر وفضالة ، عن ابن سنان - يعني عبد الله - عن أبي عبد الله عليه السلام (1) مع أنّ التهذيب (2) خال عن ذكره ، يعني عبد الله. ونحوه غيره فليلاحظ.

وقد يسقط بعض المتون لاعتقاد اتحاد الرواية لاتحاد الراوي ، كما فعل ذلك في باب وجوب الإعادة على من ترك الاستقبال عامداً فروى في آخره

(1) الوسائل 4/119 ، أبواب المواقيت/ ب 3/ ح 4.

(2) تهذيب الأحكام 2/37 - 38 ، حديث 123.

عن محمد بن الحسن ، عن الطاطري ، عن محمد بن زياد ، عن حمّاد ، عن معمر بن يحيى ، قال : سألت ... إلى آخره (1) ، واقتصر عليه ، مع أنّ الشيخ رحمه الله في التهذيب (2) روى المتن المذكور بتفاوت يسير بالطريق المذكور عن معمر ابن يحيى تارة ، وأخرى عن عمرو بن يحيى ، فاقتصر في الوسائل على الأوّل وترك الثاني ؛ لاعتقاده كونهما خبراً واحداً بطريق واحد وأنّه معمر بن يحيى فليلاحظ.

(1) الوسائل 4/313 ، أبواب القبلة ، ب 9/ ح 5. في الإسلامية ج 3 ص 228 معمر بن يحيى . وفي طبعة آل البيت عمرو بن يحيى ، وعلى كلّ حال روي في الوسائل رواية واحدة.

(2) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ) حقه وعلّق عليه السيّد حسن الموسوي الخراسان ، 2 : 46 / ح 149 ، 150.

ص : 498

- 1 - أمل الآمل في أحوال (تراجم) علماء جبل عامل : للحرّ العاملي (الشيخ محمّد ابن الحسن) (ت 1104هـ).
- 2 - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : للمجلسي رحمه الله محمّد باقر بن محمّد تقّي (ت 1111هـ) ، بيروت - لبنان.
- 3 - تعليقة الوحيد البهبهاني (محمّد باقر بن محمّد أكمل) على منهج المقال : للميرزا محمّد بن علي بن إبراهيم الأسترآبادي ، الطبعة الحجرية كتبه : عبد المجيد ابن محمّد مهدي العلي آبادي اليزدي.
- 4 - تذكرة المتبحّرين : للحرّ العاملي (الشيخ محمّد بن الحسن) (ت 1104هـ).
- 5 - تهذيب الأحكام في شرح المقنعة (للشيخ المفيد) لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ) حقه وعلّق عليه السيّد حسن الموسوي الخراسان.
- 6 - الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة : للشيخ يوسف البحراني (ت 1186هـ) ، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة.
- 7 - خاتمة مستدرک الوسائل : للمحدّث الميرزا الشيخ حسين النوري الطبرسي (ت 1320 هـ) ، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
- 8 - الخلاصة : خلاصة الأقوال : للعلامة الحلّي (أبي منصور بن يوسف بن المطهر الأسدي) (ت 726هـ) ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، مؤسّسة نشر الفقاهة ، الطبعة الأولى ، 1417هـ.

9 - الذريعة إلى تصانيف الشيعة : لآقا بزرك الطهراني (محمد محسن) ، (ت 1389هـ) دار الأضواء.

10 - رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفی الشيعة) : للنجاشي (الشيخ أبو العباس أحمد بن علي الأسدي الكوفي) (ت 450هـ) ، تحقيق : السيد موسى الشبيري الزنجاني ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم ، 1407 هـ - ، الطبعة الأولى.

11 - رجال الطوسي : للشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي) (ت 460هـ) ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي الأصفهاني ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، 1415هـ.

12 - رجال الكشي : (اختيار معرفة الرجال) ، للطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي) (ت 460هـ) ، صححه وعلق عليه وقدم له ووضع فهرسه : حسن المصطفوي ، منشورات : دانشگاه مشهد.

13 - الرعاية في شرح البداية في علم الدراية : للشهيد الثاني (زين الدين بن علي العاملي) (ت 965 هـ) ، ضبط نصّه 460هـ - ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، مؤسسة نشر الفقاهة ، الطبعة الأولى ، 1417هـ.

18 - الفوائد الرجالية في الرجال والدراية : للشيخ مهدي الكجوري الشيرازي (ت 1293هـ) ، تحقيق : محمد كاظم رحمان ستايش.

19 - الكافي : للكليني (محمد بن يعقوب) (ت 329هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد جواد الفقيه ، دار الأضواء - بيروت ، 1413هـ - - 1992م ، الطبعة الأولى.

20 - كليات في علم الرجال : للسبحاني (الشيخ جعفر) ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم - إيران ، 1415هـ.

21 - منتهى المقال في أحوال الرجال : للحائري (الشيخ أبو علي محمد بن إسماعيل المازندراني) (ت 1216هـ) ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، 1416هـ- ، الطبعة الأولى.

22 - منهج المقال : للميرزا محمد بن علي بن إبراهيم الأسترآبادي ، الطبعة الحجرية.

23 - الوجيزة في علم الدراية : للشيخ بهاء الدين الحارثي العاملي.

24 - الوجيزة في الرجال : للمجلسي (محمد باقر بن محمد تقي) (ت 1111هـ) ، تصحيح وتحقيق : محمد كاظم رحمان ستايش ، منشورات الأمانة العامة لمؤتمر تكريم العلامة المجلسي ، وزارة الإرشاد والثقافة الإسلامية - إيران 1998م.

25 - وسائل الشيعة : (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) ، للحرّ العاملي (الشيخ محمد بن الحسن) (ت 1104هـ) ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، 1409هـ- ، الطبعة الأولى.

من أنباء التراث

هيئة التحرير

كتب

صدرت محققة

*

بحوث أصولية ج (1 - 2).

تأليف: الشيخ محمد باقر بن الشيخ موسى بو خمسين

الأحسائي (ت 1413 هـ).

كتاب أصولي شرح لكفاية الأصول ، وهو عبارة عن

تقريبات لدروس السيد محمد باقر الشخص الأحسائي (ت 1381 هـ) جمعها تلميذه

المقرّر لتلك الأبحاث وقد نفعها ورتّبها ، وهو عبارة عن نسخة وحيدة لا ثاني

لها على حدّ تعبير المحقّق للكتاب ، ولم تك شاملة لجميع أبواب وفصول الكفاية بل

انتهى

بها المطاف إلى مبحث (المطلق والمقيّد).

وقد اشتمل الكتاب على مقدّمة بحوث على طريقة العمل

به وترجمتين إحداهما للسيد الشخص والأخرى للشيخ المقرّر.

تحقيق: أحمد بن حسين العبيدان الأحسائي.

الحجم: وزيري.

عدد الصفحات: 488 و 342.

نشر: انتشارات زين العابدين - قم - إيران/ 1434

النور المنجي من الظلام ج (1 - 2).

تأليف : الشيخ محمد بن علي بن

ص: 502

أبي جمهور الأحسائي.

كتاب عقائدي احتوى على بحوث كلامية في العقيدة

والفلسفة والعرفان، قَدِّم من خلالها منهجاً مبتكراً في التطبيق والتأليف بين

الشريعة والحقيقة والطريقة، وهي المناهج المعروفة بالقرآن والسنة، العقل،

والعرفان، حيث استنتج أنّ هذه المناهج الثلاثة ما هي إلا أسماء مترادفة صادقة

على حقيقة واحدة هي حقيقة الشرع المحمّدي.

اشتمل الكتاب على كلمة المحقق فيها دراسة عن

الكتاب ومنهجية التحقيق وترجمة المؤلف والحقبة التي عاصرها.

كما اشتمل أصل الكتاب على مقدمة لأبحاث عقائدية

ابتدأها المصنّف من (تفسير الحمد بواجب الوجود) ثمّ احتوى - جميع أبحاثه - على

قسمين الأوّل في التوحيد والثاني في الأفعال، حيث شرع في القسم

الأوّل بموضوع (التوحيد في اللغة والاصطلاح) وفي

القسم الثاني بموضوع (وجه البحث عن أفعاله تعالى).

كما اشتمل أيضاً على الخاتمة.

تحقيق: رضا يحيى پور فارمد.

عدد الصفحات: 799 للجزأين.

نشر: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث

- قم - إيران/1434 هـ.

*

كفاية الأصول ج(1 - 3).

تأليف: الشيخ محمّد كاظم الآخوند الخراساني (ت)

هو الكتاب الأصولي المعروف والمعهود بالدراسة في

الحوزات العلمية لما يناهز القرن ، وقد جاء تحقيق هذه النسخة بإدراج حواشي لثلة

من العلماء المتقدمين هم : الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي ، والشيخ أبي المجد

محمد رضا الأصفهاني

ص: 503

والسيد محمد حسين الطباطبائي ، كما أُلحقت به

لباب من حواشي المتأخرين مثل : القوجاني والمشكيني والإيرواني والشيخ آل راضي
ومختارات من جمهرة من الأعلام.

وقد سبق أن حَققت هذا الكتاب مؤسسة آل البيت عليهم السلام

لإحياء التراث

وقد مرَّ تعريفه في العدد (107 - 108) من مجلة
تراثنا.

تحقيق : السيد محمد حسن الموسوي العباداني.

الحجم : وزيري.

عدد الصفحات : 691 ، 559 ، 584.

نشر : ذوي القربى - قم - إيران/1434 هـ.

*

خاتمة مستدرك الوسائل ج (1).

تأليف : الميرزا حسين النوري (ت 1320 هـ).

اعتنت مؤسسة النشر الإسلامي بتحقيق كتاب خاتمة

المستدرك تكميلاً لعملها التحقيقي الذي قامت به سابقاً في الدمج بين كتابي

الوسائل ومستدرك الوسائل ، ولكن بعد أن صدر هذا الكتاب محققاً من قبل مؤسسة آل

البيت عليهم السلام

لإحياء التراث ارتأت مؤسسة النشر الإسلامي أن تحقّق الكتاب وفق منهجية ذكرتها

في مقدّمة التحقيق منها : إيضاح الارتباط بين المطالب ، وتبيين التسلسل بين

المشايخ وقد صدر منه الجزء الأوّل.

تحقيق : مؤسّسة النشر الإسلامي.

الحجم : وزيري.

عدد الصفحات : 839.

نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي - قم - إيران/1434 هـ.

*

آداب المتعلّمين.

تأليف : الشيخ نصير الدين الطوسي (ت 672 هـ).

ص: 504

هو الكتاب المعهود في الحوزة العلمية للطلاب

الناشئة المبتدئين السالكين طريق تحصيل علوم الدين على سبيل تهذيب النفس

والترقي في مدارج العلم والتقوى حيث تناول مجموعة من الآداب والنصائح التي

ترشدتهم سبيل الهدى والفلاح.

احتوى الكتاب على : مقدّمة التحقيق ، تمهيد حول المؤلف

والكتاب ، سطور عن حياة الشيخ نصير الدين الطوسي نماذج مصوّرة من نسخ الكتاب ،

متن الكتاب مع التعليقات. كما اشتمل الكتاب على اثني عشر فصلاً في : ماهية العلم

وفضله ، النية ، اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات ، الجدّ والمواظبة

والهمة ، بداية السبق وقدره وترتيبه ، التوكّل ، وقت التحصيل ، الشفقة

والنصيحة ، الاستفادة ، الورع ، ما يورث الحفظ وما يورث النسيان ، ما يجلب الرزق

وما يمنع الرزق وما يزيد العمر وما

ينقص.

تحقيق : السيّد محمّد رضا الجلاّلي.

الحجم : وزيري.

عدد الصفحات : 192.

نشر : المحقّق - قم - إيران/1433 هـ.

*

سه رساله در فقه وأصول.

تأليف : الشيخ محمّد إبراهيم الكلّباسي (ت 1262 ق).

يحتوي الكتاب على ثلاث رسائل فقهية وأصولية باللغة

العربية ، الأولى : رسالة أصولية في الصحيح والأعمّ. الثانية : رسالة فقهية في

تقليد الميِّت. الثالثة: رسالة فقهية في حرمة الغليان في شهر رمضان. وخاتمة في

ثلاث نكات، الأولى: في التقوى والتحذير من الدنيا والإفتاء. والثانية: في

مفاسد الغليان ومضارّه. وتكملة: رسالة عدم مفطرية التتن.

ص: 505

كما اشتمل الكتاب على مقدّمة فارسية في معرفة شخصية

المؤلف العلمية.

تحقيق : محمّد الكلّباسي.

الحجم : رقعي.

عدد الصفحات : 349.

نشر : دانش حوزه - قم - إيران/1433 هـ.

*

نصائح وإجازات.

تأليف : الشيخ محمّد إبراهيم الكلّباسي (ت 1262 هـ).

كتاب يحتوي على نصائح وإجازات من آثار المصنّف عنيت

بالمراجعة والجمع إحياءً لتراثه الثرّ، اشتمل الكتاب على فصلين في النصائح

الموجّهة لطلبة علوم الدين في ما ينبغي لهم من تهذيب سلوكهم والمثابرة في طلب

العلم.

وفي الإجازات التي حصل عليها المصنّف من كبار

العلماء والأساتذة في

مجالات شتى تنمّ عن مدى المقام والمنزلة العلمية

التي حظى بها المصنّف ممّا أدّى إلى اهتمام علماء الدين وجهابذة العلم به ، وقد

جاءت هذه الرسائل بالنصّ العربي بمقدّمة لها باللغة الفارسية.

تحقيق : محمّد الكلّباسي.

الحجم : رقعي.

عدد الصفحات : 134.

نشر : دانش حوزه - قم - إيران/1433 هـ.

كتب

صدرت حديثاً

*

تأسيس الأئمة لأصول منهج فهم النصّ القرآني.

تأليف : ستار جبر حمود الأعرجي.

لما كان القرآن مرجعاً أساسياً للأمة في

عقائدها وأحكامها الشرعية - حيث

ص: 506

يعدّ هو من أهمّ أركان استنباط الحكم الشرعي - جاءت

هذه الدراسة مؤكّدة على منهجية فهم النصّ القرآني عند أهل البيت عليهم السلام

لرسم منهجية واحدة حيث تعدّدت المدارس وتلابست المفاهيم وشبّ النفاق وتفاقت

الشبه.

اشتمل الكتاب على مقدّمة ، ولمحة تاريخية في بدايات

ونشأة الإمامية ، وثلاثة فصول : الأول : المسلك المنهجي عند أهل البيت عليهم السلام ،

الفصل الثاني : ضوابط التعامل مع النصّ القرآني عند الأئمّة عليهم السلام ،

الفصل الثالث : نماذج تطبيقية لمنهج الأئمّة عليهم السلام

في توضيح النصّ القرآني.

الحجم : رقعي.

عدد الصفحات : 167.

نشر : مركز الرسالة - قم - إيران/1432هـ.

*

مصادر الوحي وأنواعه في القرآن الكريم.

تأليف : ستّار جبر حمود

الأعرجي.

جعل المؤلّف كتابه مقدّمة للدخول إلى آفاق العلوم

الروحية والنفسية والدراسات الإسلامية فيها ، وخصوصاً ظواهر (الباراسيكولوجي)

التي تقدّم دليلاً قاطعاً لا مجال للشكّ أو الاحتمالية فيه لإثبات المفاهيم

والعقائد الإسلامية (القرآنية) في عالم الرّوح والنفس الإنسانية وقواها

وإدراكاتها وملكاتهما المتميّزة.

والكتاب إطلالة سريعة يتحدّث فيها عن ظاهرة الوحي

في القرآن الكريم ، وقد اشتمل على بايين :

الأول :

(مصادر الوحي في القرآن الكريم) ، وقد استقصى في هذا الباب كلّ ما ورد في القرآن

الكريم من نسبة الوحي إلى كونه يصدر عن عدّة مصادر ، جمعها في ثلاثة فصول ، وهي

: (الوحي الإلهي) ، و (الوحي الشيطاني) ، و (الوحي من مصادر أخرى).

الثاني :

(الوحي من حيث المتلقّي) ، واستقصى في هذا الباب

ص: 507

الموارد المتعددة التي وردت فيها الإشارات

القرآنية بأن الوحي قد ألقى إليها ، وقد تمت دراستها في ثلاثة فصول ، وهي :

(الوحي النبوي العام) ، و (الوحي المحمدي) ، و (الوحي إلى الموجودات

الأخرى).

الحجم : رقعي.

عدد الصفحات : 222.

نشر : مركز الرسالة - قم - إيران / 1432هـ.

*

الفضائل الموضوعية.

إعداد : مهدي منصور سمائي.

تناول الكتاب مناقشة الفضائل الموضوعية في الخلفاء

والصحابية والتي تناقلتها الموسوعات الروائية لأهل السنة والجماعة ، كما ناقش

الروايات التي تقلل من شأن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام

وأهل بيت الرسالة عليهم السلام بأسلوب

علمي بعيداً عن التعصب ، واستناداً على مصادر أهل

السنة مما دون في كتب الحديث والرجال ، نظراً

لما ارتآه مركز إعداد الباحثين في المذاهب الإسلامية تمهيداً لمادة دراسية

تناقش الفضائل الموضوعية ، فكانت محاضرات الشيخ نجم الدين الطبسي التي أعدها عدد

من تلامذته بؤابة للمباحث التمهيدية في هذا المجال.

الحجم : وزيري.

عدد الصفحات : 350.

نشر : مركز فقه الأئمة الأطهار ، قم - إيران/1433

.٥

*

علم تحقيق النصوص ج (1 - 2).

تأليف : السيد محمد رضا الجلالي.

نهض المؤلف بجمع شتات علم تحقيق النصوص ليكون

كتاباً ذا منهجية يجمع بين ماله صلة بتحقيق النصوص قديماً وحديثاً ، وبين

ص: 508

النظرية والتطبيق ، ليكون علماً مستقلاً كسائر

العلوم القائمة بنفسها ، وقد رتب مطالبه في منهجية بين معالمها تحت عنوان

التمهيد ، ومن ثم شرع بالمقدمات اللازم معرفتها لطالب العلم وهي قسمان :

الأول : مقدمات الشروع العامة للدخول في أي علم وهي المعرفة بالرؤوس

الثمانية. الثاني : مقدمات العلم الخاصة للدخول في هذا العلم ، وهي : تحديد

العلم ومعرفة حقيقته ، معرفة موضوعه المبحوث عنه ، معرفة الغاية والنتيجة

المطلوبة منه ، معرفة المسائل المعروضة وهي على ثلاثة فصول : الفصل الأول :

مؤهلات التحقيق وصفات المحقق. الفصل الثاني : مقومات التحقيق قواعده وشروطه

وفيه مراحل. الفصل الثالث : مكملات التحقيق. الملاحق.

الحجم : وزيري.

عدد الصفحات : 322.

نشر : مؤسسة المرتضى للثقافة والنشر - النجف

الأشرف - العراق/1433 هـ.

*

موسوعة عقائد الأئمة الأطهار (معرفة الله) ج(1).

تأليف : علاء الحسنون.

موسوعة عقائدية تناول بها المؤلف عرض عقائد

الإمامية من خلال روايات الأئمة الأطهار وما ورد في نصوص الأدعية ، مبتدئاً

بمعرفة الله وهو الجزء الأول من هذه الموسوعة ، من دون إيراد الأبحاث

والمناظرات العلمية ، وقد جعل لكل مجموعة عنواناً خاصاً بما تحمله من معاني

المعرفة ، وقد خرجها من مضائها تسهيلاً للطالب وتمهيداً للراغب ، معتمداً في

ذلك أمهات الكتب الروائية الشيعية.

الحجم : وزيري.

عدد الصفحات : 546.

ص: 509

قراءة نقدية في (تاريخ القرآن).

تأليف : السيّد حسن عليّ حسن الهاشمي.

تناول المؤلف كتاب (تاريخ القرآن) لشيخ المستشرقين

الألمان ثيودر نولدكه بقراءة نقدية ، حيث تناول هذا الأخير في كتابه ظاهرة الوحي

، وشخصية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وترتيب نزول القرآن من الناحية

الزمنية ، حيث شغلت هذه المسائل حيزاً من البحوث كثرت فيها الآراء والاتجاهات

بأشكال وصيغ مختلفة على ألسنة المستشرقين

والمتأثرين بهم من المثقفين المسلمين ، وذلك

خاصة فيما يتعلق بالوحي الذي نزل على خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله)

، وهي محاولات لا تخلو من الذكاء والتظاهر والحيادية المؤثرة على الأجيال

المسلمة ، وقد تكونت هيكلية بحوث هذا الكتاب من ثلاثة فصول وخاتمة ، الفصل

الأول : في الاستشراق. الفصل الثاني : في ظاهرة الوحي. الفصل الثالث : في

الترتيب الزمني لنزول القرآن ، وخاتمة في عدم نجاح هذه المحاولات.

الحجم : رقعى.

عدد الصفحات : 412.

نشر : مركز الهدى للدراسات الحوزوية - قم -

إيران/1434 هـ.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

